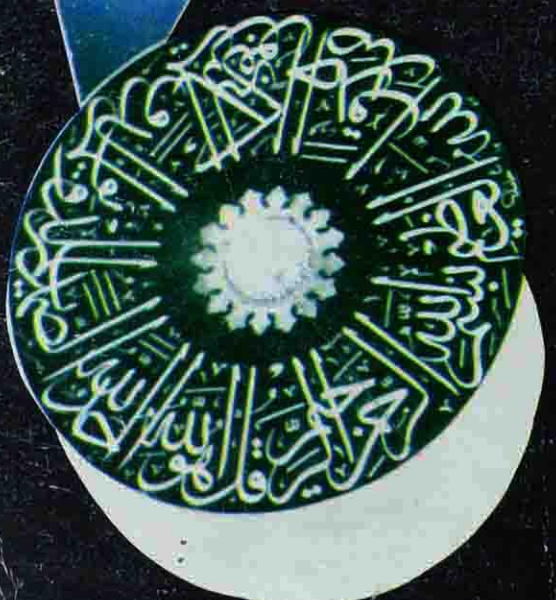
في الاصوات اللغوية

دراسة في اصوات المد العربية



الدكتور غالب فاضل المطلبي



١٩٨٤

الجمهورية العراقية
منشورات وزارة الثقافة والاعلام
سلسلة دراسات
(٣٦٤)

في الاصوات اللغوية

دراسة في اصوات المد العربية

الدكتور غالب فاضل المطلبي

الرموز الاساسية

>: اصله

<: صار الى

x: علامة توضع فوق آخر الكلمة للدلالة على انها صيغة مفترضة

a : صوت المد القصير : الفتحة

á : صوت المد الطويل : الالف

i : صوت المد القصير الكسرة

í : صوت المد الطويل : الياء

u : صوت المد القصير : الضمة

ú : صوت المد الطويل : الواو

e : صوت الامالة القصيرة

é : صوت الامالة الطويلة

o : صوت التفخيم القصير

y : نصف المد : الياء

w : نصف المد : الواو

المقدمة

يعرض هذا البحث لطائفة من الاصوات اللغوية العربية ، هي تلك التي اصطلح عليها باصوات المد VOWELS والذي سوغ عزلها عن غيرها من الاصوات انها تمثل في علم الصوت بوجه عام طائفة يمكن تمييزها من غيرها تمييزا دقيقا في صفاتها وطرائق نطقها ووظائفها ثم في سلوكها في التأليف الصوتي

لقد عزز هذا العزل ايضا نظرة اللغة العربية اليها على انها اكثر الاصوات اللغوية نزوعا الى الانقلاب والتغير والسقوط واشدها ضعفا في اثناء التأليف واجنح من غيرها الى التنافر او التآلف وفاقا لتأثير السياق ، يزاد على ذلك ان البنية اللغوية العربية تنظر الى الاصوات اللغوية على انها تمثل ضربين من الاصوات هما :

١ ـ الثابتة : وهي تلك الاصوات التي اطلق عليها اللغويون العرب مصطلح «الاصول» ومنها وحدها يتكون جذر الكلمة وتكون ثابتة ثباتا يكاد يكون تاما في اثناء التصريف ، وهي التي تعطي المعنى الاساسي للمفردة من نحو الكاف والتاء والباء في كَتَبَ ، وكاتِب ، وكُتِبَ ، وكُتُب .. الخ .

٢ ـ المتغيرة : وهي الاصوات التي نظر اليها اللغويون العرب على انها اصوات زائدة لا تدخل في جذر الكلمة كأصوات المد القصيرة عامة ، والالف ، وكذلك الواو والياء في حالة المد المحض ، ثم نظر اليها على انها تؤدي من خلال دخولها على

عناصر الجذر مهمة تغيير المعنى الصرفي الى معنى آخر ، كما في نحو كَتَبَ كاتبٌ كتابا .. الخ ، فإنها من اجل ذلك تمثل القالب Form الذي تدخل فيه عناصر (الجذر) لتأخذ معناها الصرفي من نحو تصريف الجذر الى الفعلية او المصدرية او الاسمية وفروعها[1] وهذا يعني ان اصوات المد بوجه عام هي التي تؤلف نظام المتغيرات في البنية اللغوية العربية ، فاذا كان الجذر شيئا ثابتاً او جامدا Static فان هذه المتغيرات هي التي تجعله مطاوعا للتحقق والاستعمال والانتقال من حال صرفية الى اخرى .

لقد كان تطبيق هذه النظرة في اللغة العربية واضحا في ظاهرتين متعلقتين بأصوات المد في العربية خاصة ، وفي الساميات عامة هما :

١ ـ نظام الكتابة :

اذ يلاحظ المتتبع لتاريخ الكتابة العربية ان النظام العربي قد عزف عن كتابة اصوات المد في صلب الكلمة حقبا شاركه في ذلك معظم نظم الكتابات السامية ، لكنه ادخل كتابة اصوات المد الطويلة فيها شيئا فشيئا ، ويبدو ان السبب الرئيس في ذلك انه بامكان هذه الاصوات ان تحل في اثناء التصريف محل عناصر الاصل ، مما سوغ ادخالها في الصلب ، اما مشكلة عدم كتابة اصوات المد القصيرة فقد حلت عن طريق ما يُطلق عليه نظام «الشكل» وقد فعلت ذلك ايضا معظم اللغات السامية ، ويتلخص هذا النظام بان تدون هذه الاصوات في الكلمة على هيأة علامات ، ولكن ليس في صُلبها ، وانما تلحق فوق الاصول او تحتها من نحو ما نجد في العبرية والسريانية واخيراً العربية .

ان منطلق نظام الشكل يرجع الى ان مصلحي نظم الكتابات السامية قد نظروا الى اصوات المد القصيرة على انها اصوات زائدة متغيرة ، لا يمكن ان تكون من عناصر جذر الكلمة .

٢ ـ ظاهرة الاعتلال :

لقد نظر اللغويون العرب الى الكلمات التي تشتمل على اصوات مد طويلة Long vowels على انها مواد متطورة من مواد اخرى من نحو قال ، وباع ، وبكى ،

---

١ ـ يشار هنا الى ان في العربية مورفيمات Morphemes صرفية تكون على هيأة سوابق او لواحق فيها بعض الثوابت ، تؤدي هذه الوظيفة ايضا ولكن ذلك يأتي بالمرتبة الثانية .

ودعا ... الخ والعلة في ذلك احتواؤها على «متغير» لا يمكن ان يكون احد عناصر الجذر في العربية ، وهو ألف المدّ المحض ، ثم فسروا ذلك بان اوجدوا صيغا مفترضة لهذه الجذور ، تحتوي على احد الاصوات الثابتة من نحو الواو والياء «المتحركتين» semi- vowels وهما في هذه الحالة صوتان يسلكان سلوك الاصول او الاصوات الثابتة في العربية ثم فسروا بها وجود هذه الجذور : فقال اصلها : قَوَلَ ، وباع : بَيَع ، وبكى : بكيَ ، ودعا : دَعَوَ .. الخ وهو افتراض كان له اثره الشديد في الدراسات الصرفية العربية كما سنلاحظ ذلك فيما بعد .

ان ما سوغ هذه النظرة ايضا ظاهرة «الاعراب» في العربية اذ ان العربية قد استعملت اصوات المد ، ولا سيما القصيرة منها ، على انها علامات للمواقع النحوية ، بيد ان العربي كان يشعر دائما بان هذه (الاصوات ـ العلامات) ما كانت من صلب الكلمة المفردة قط وانما هي لواحق حسب ، تتغير بتغيير موقع الكلمة النحوي .

اريد ان اقول ان العرب نظروا الى اصوات المد في لغتهم على انها اصوات طارئة ، سواء في النظام الصرفي ، او النظام النحوي ، وانها تخضع للتغير او السقوط بتأثير التحول من قالب صرفي الى آخر ، او بتأثير الموقع النحوي ، وانها في كل احوالها غير مستقلة في تغيرها او تآلفها او تنافرها او سقوطها عما يكتنفها من تأثيرات داخلية من نحو ما نجد في النظام الصرفي ، ومن تأثيرات خارجية من نحو ما نجد في النظام النحوي ، وكان من جراء ذلك ان نزع اللغويون العرب اشدّ ما نزعوا الى دراسة تلك الاحوال فيما اطلقنا عليه الدراسات الصرفية والنحوية من غير ان يعرضوا لدراسة هذه الاصوات من قبل خصائصها وصفاتها ومواضعها التشريحية وطرق ادائها الا لماما ، وفي مواطن مبثوثة ، متباعدة في دراساتهم تلك بسبب من عنايتهم الشديدة بالجانب الوظيفي لهذه الاصوات غير ان علي ان انكر ان ملاحظاتهم الصوتية المتناثرة تلك كانت خطيرة حقا ، فهي قريبة قربا شديدا مما جاء به البحث الصوتي الحديث بأدواته التقنية ومختبراته ومناهجه وما عرضته في الفصل الثاني من هذا البحث شاهد على ذلك .

لقد عرض هذا البحث لاصوات المد في العربية : في مقدمة وتمهيد في المصطلح ، واربعة فصول :

يعرف في الفصل الاول بأصوات المد عامة ، من قبل خصائصها الصوتية وصفاتها وكيفية نطقها ، ووظائفها اللغوية ، ثم يعرض لسلوكها في اللغات عامة .
ثم يبحث في الفصل الثاني : في نظرة اللغويين العرب الى هذه الاصوات وتعريفاتهم اياها ، والنتائج التي توصلوا اليها من قبل خصائص هذه الاصوات وصفاتها ومواضعها التشريحية ، من خلال استعراض تأريخي متدرج لاراء اللغويين العرب التي تضيف شيئا جديداً في هذا المجال الى فكرتهم عن اصوات المد .

ويبحث الفصل الثالث في تطور اصوات المد في العربية تأريخيا ، من خلال تبيان اطوار هذه الاصوات في اللغات السامية القديمة ، ثم في اللهجات العربية البائدة ، ثم في تلك اللهجات القديمة التي عاصرت العربية الموحدة وكانت مادتها ، من اجل اعطاء صورة واضحة لهذه الاصوات وطرائق سلوكها في العربية وبيان مسلك تطورها ، وكان لي وانا افعل ذلك ان اضع في الحسبان تطور كتابة هذه الاصوات في لغتنا ، منطلقا مما ذهب اليه مايية Meillet من (ان بنية اللغة هي التي تؤثر في كل خطوة حاسمة تؤدي الى ارتقاء طريقة الكتابة[٢] ذلك ان (دراسة الطريقة التي تعكس بها هذه الكتابة تحليل البنية اللغوية ومعرفتها هي من صلب علم اللغة ، وتلك هي الوسائل الحقيقية التي يمكننا استخدامها حتى نستعيد ذلك الشعور الواضح الذي ربما شعرت به حضارة معينة بصدد لغتها)[٣] ولعل ما تكلمت عليه في هذه المقدمة فيما سبق يوضح شيئا من هذا .

ويبحث الفصل الرابع في سلوك اصوات المد في العربية الموحدة ، من خلال تبيان نظام اصوات المد vowel- system في هذه اللغة ، ثم تبيان سلوك هذه الاصوات في النظام المقطعي العربي ودراسة وظائفها الصرفية والنحوية ، ثم تتبع تعاملها فيما بينها ، وتعاملها مع الاصوات اللغوية الاخرى .

ويلاحظ المتتبع لهذا البحث انني حاولت ان ابرز طبيعة سلوك هذه الاصوات في اللغة العربية من قبل مكانتها في البنية اللغوية العربية ، ثم من قبل قيمها اللغوية ، مستعينا بنتائج الدراسات الحديثة التي اطلق عليها مصطلح الدراسات الفونيمية phonemic - studies ذلك ان علينا ان نعني دائما بشعور المتكلم بالاصوات وقيمها اللغوية ، وعلاقاتها فيما بينها ، ولعل القارىء لذلك سيجد شيئا من الاهتمام بفكرة «الفونيم» phoneme في هذا البحث .

---

٢ ــ تأريخ علم اللغة/ جورج مونين/ ٣٦

٣ ــ المصدر السابق/ ٣٧ .

والى جانب هذا ، حاولت الابتعاد قدر الامكان عن النزعة الصرفية التعليمية في دراسة سلوك هذه الاصوات ، واضعا نصب عيني البحث الصوتي وحـده ولعـل القارىء لن يجد من اجل ذلك كلاما مطولا في ظـاهرة الاعتلال مـن قبل التحليل الصرفي ذلك ان اللغويين العرب قد اوفوا بدراساتهم الصرفية هذه الظاهرة حقها من البحث والدرس .

ثم سيجد القارىء ايضا انني ابتعد قدر الامكان عن الاشارة الى سلوك هـذه الاصوات في اللهجات العربية المعـاصرة لان هـذا السـلوك يمثل تطـورا كبيرا متشعبا ، ويخضع لتأثيرات شتى من نحـو تأثيرات اللغـات الاجنبية المجـاورة والطبقـات التحتية sub- strata ومـرور الازمنة ، ممـا يعني ان ذلك محتاج الى بحوث وبحوث ، ينفرد كل منها بدراسة هذه الاصوات في لهجة بعينها ، وخلاصة ما اريد ان اقول هـهنا انني وقفت بهذه الدراسة الى مـا يسـمى عندنا بعصـور الاحتجاج .

وبعد ..

فلعل القارىء يحسّ بصعوبة هذا الضرب من البحوث ولعله من اجل هذا يغفر للباحث ما يمكن ان يكون قد اخطأ فيه ..

والله من وراء القصد .

المؤلف

التمهيد في المصطلح

اختلف اللغويون العرب في تسمية هذه الطائفة مـن الاصـوات اللغـوية التي اصـطلح عليهـا بالانكليزية بـ vowels اختلافـا كبيرا ، ولو تتبعنا الامـر تتبعا تاريخيا لوجدنا ان اول اشارة الى تسمية هذه الاصوات قد جاءتنا منسـوبة الى ابي الاسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) من قـوله لصـاحبه ، في ذلك الخبر الذي يروى لنا تاريخ (الشكل) : خُذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد ، فـاذا فتحـت شـفتي فانقط نقطة واحدة فوق الحرف ، واذا ضـممتها فـاجعل النقـطة الى جـانب الحرف ، واذا كسرتها فاجعل النقطة في اسفله ، فان اتبعـت شـيئا مـن هـذه الحركات غنةً فانقط نقطتين)[1] ويبدو من هذا النص ان تسميتها بالحركات قـد تكون اطلقت عليها بسبب من الحركات التي تقوم بها الشـفتان في اثناء النطـق بها ، وليس لعلة في طبيعتها الصوتية[2]

---

١ ـ المحكم للداني، ٤ .

٢ ـ يذهب ابن جني الى ان تسمية اصوات المد القصيرة بالحـركات انمـا كان (لانهـا تقلق الحرف الذي تقترن به وتجتذبه نحو الحروف التي هي ابعاضها ، ينظـر سر الصـناعة ١/ ٧ وفسر الدكتور هنري فليش ذلك بان هذه التسـمية مبنية على مـلاحظة عربية لوظيفـة هـذه الاصوات في اللغة من ان (الحروف ما كانت لان تنطلق وان اعضاء النطق لا يمكن ان تتحـرك الا بفضل هذا الصوت المعين الذي يصحبها ، فكانت الحركة فـكرة امـكنتهم بكل بسـاطة ان يقرنوها بهذا الصوت)

ينظر التفكير الصوتي عند العرب/ ٦٥ (مجلة مجمع اللغة العربية/ القاهرة ٢٣٤/ ١٩٦٨

وقد شاع هذا المصطلح فيما بعد في العلوم اللغوية العربية للدلالة على اصوات المد القصيرة short vowels حسب .

اما المصطلح الثاني فقد جاءنا من الخليل ، وهو مصطلح «الحروف الهوائية» وقد اطلقه الخليل على الالف والواو والياء[٣] وقد علل هذه التسمية بانه لم يكن لهذه الاصوات حيز تنسب اليه سوى الهواء وكأنه يشير بهذا الى واحدة من اهم صفات هذه الاصوات وهي حرية مرور الهواء في اثناء التحقق الصوتي حرية تامة من غير حدوث احتكاك ، وهو لهذه العلة ايضا يسميها في موضع آخر بالحروف «الجوف» ذلك انها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة ، وهي في الهواء ، فلم يكن لها حيز تنسب اليه الا الجوف)[٤] بيد اننا نلاحظ في النصوص التي اشارت الى هذا الامر انها اوردت (الهمزة) مع هذه الاصوات الثلاثة في التسمية بالحروف الجوف ، اي الاصوات التي لا حيز لها ، وهو خطأ واضح ، ولعله جاء من تحريف او تصحيف ، اذ ان الخليل يشير في موضع آخر الى ان للهمزة مخرجا معينا هو اقصى الحلق من عند العين[٥] الامر الذي يعني انه كان قد عرف الطبيعة الصوتية والتشريحية لهذا الصوت ، وهي طبيعة لا تشبه طبيعة تلك الاصوات الثلاثة .

ويبدو ان هذا التحريف قد جاء من جراء فهم خطأ لكلام الخليل الذي يشير فيه الى ان هناك اربعة اصوات معتلة في العربية هي الالف والواو والياء والهمزة[٦] فكأن من حرف فهم من هذا ان الاصوات الاربعة طائفة واحدة في كل شيء ، فكان ان ادخل (الهمزة) في كلام الخليل على الطبيعة الصوتية لاصوات الالف والواو والياء ، في حين ما كان الخليل ينظر في اطلاقه مصطلح (المعتلة) الى هذه الاصوات من قبل طبيعتها الصوتية ، بل اضرب عن ذلك الى بيان طبيعتها الصرفية ، اذ وجد ان هذه الاصوات اكثر الاصوات اللغوية اعتلالا وانقلابا وسقوطا[٧] وهو امر يسوغ له ادخال الهمزة في هذه الطائفة من الاصوات ، فمسلكها في العربية من قبل الاعتلال والانقلاب والسقوط مشابه لمسلك الالف والواو والياء في كثير الاحيان .

---

٣ ـ العين ١/ ٦٤ ، التهذيب ١/ ٤٨ .

٤ ـ المصدر السابق ١/ ٤٨ .

٥ ـ المصدر السابق ١/ ٤٩ .

٦ ـ المصدر السابق ١/ ٥١ .

٧ ـ التهذيب ١/ ٥١ ـ ٥٢ وينظر في الخليل بن احمد الفراهيدي /د مهدي المخزومي/ ١٦٦ .

وثمة مصطلح آخر هو «حروف المد واللين» وهو المصطلح الذي اخذ به سيبويه، واستعمله كثيراً، وفي احيان اخرى كان يستعمل مصطلح «حروف المد»[8] حسب، فيسقط كلمة «لين» التي يبدو ان سيبويه يعني بها بيان ما يعنيه الخليل بمصطلح«الهوائية» من ان الهواء يمر في اثناء حدوثها لينا اي سهلا من غير اعاقة او تضييق، وهو فهم يختلف اختلافا تاما عن المعنى الذي فسرها به اللغويون المتأخرون عنه من انها تعني بيان صفة «الضعف» لانها اشد الاصوات تأثرا بما يكتنفها من اصوات فتخضع من جراء ذلك للتغير والسقوط والانقلاب، وهو امر سنعني بالحديث عنه في الكلام على اصوات المد عند سيبويه فيما بعد.

ان مصطلح اصوات المد واللين، او اصوات المد حسب قد استقر عند اللغويين العرب للدلالة على الالف والوا والياء بوجه عام، وان كان ذلك لا يمنع من الاشارة بهذا المصطلح الى الحركات short vowels بسبب من ان اللغويين العرب عدوا هذه الحركات ابعاضا لاصوات الالف والواو والياء[9]

والى جانب هذا المصطلح استعملت طائفة من العلماء العرب كبشر بن يونس القنائي[10] وابن النديم[11] والفخر الرازي[12] مصطلح «المصوتات» للدلالة على اصوات المد والحركات جميعا، وهو كما يبدو مصطلح قد شاع في الاستعمال عند غير اللغويين، ولعل ذلك واضح من قول الفخر الرازي: «الحروف اما مصوتة، وهي التي تسمى في النحو حروف المد واللين .. الخ[13] فكأن في هذا اشارة الى ان هذه التسمية، ليست تسمية النحويين، وما يعزز هذا ان ابن جني لم يشر الى هذه الاصوات بهذا المصطلح الا اشارة واحدة عابرة[14]

ان هذه الدراسة ستأخذ بمصطلح «اصوات المد» للدلالة على هذه الطائفة من الاصوات اللغوية للاسباب الاتية:

١ ـ انه مصطلح عرفته المؤلفات اللغوية العربية.

---

٨ ـ ينظر في الكتاب ٢/ ١١١.
٩ ـ الكتاب ٢٠/ ٣١٥ سر الصناعة ١/ ١٩ التفسير الكبير ١/ ٤٦.
١٠ ـ كتاب ارسطو طاليس في الشعر / ١١٠ ـ ١١١.
١١ ـ الفهرست/ ٣٠.
١٢ ـ التفسير الكبير ١/ ٢٩ ـ ٣٠.
١٣ ـ المصدر نفسه ١/ ٢٩.
١٤ ـ الخصائص ٣/ ١٢٤.

٢ ـ انه يكاد يكون اكثر المصطلحات العربية في هذا المجال تعبيرا عن الطبيعة الصوتية لهذه الطائفة من الاصوات اللغوية ، ذلك ان من صفاتها امكان مد الصوت بها جراء خروج الهواء حرا الى خارج الفم من غير حبس او تضييق مما جعل بعض اللغويين المحدثين يعرفها بانها اصوات يمكن الغناء بها[١٥] ، ولعل هذا المصطلح قريب في المعنى العام من مصطلح vowel في اللغة الانكليزية اذ ان المصطلح الانكليزي يحمل في دلالته العامة معنى الغناء ومد الصوت فقد اورد معجم اوكسفورد[١٦] The Oxford English diction ary استعمالات لـ vowel تشير الى ذلك من نحو :

to utter the vowel in singing

To sing with vowel articulation

بل ان كلمة vowel مشتقة في الاصل من كلمة vox اللاتينية التي تعني الجهر او التصويت[١٧]

٣ ـ لان المصطلحات الاخرى كاصوات العلة ، او اللين او الحركات تؤدي معاني اخرى ، كبعض المعاني الصرفية المتعلقة بهذه الاصوات ، او انها غامضة بعض الغموض ، او لانها استقرت للدلالة على نوع بعينه من اصوات المد .

٤ ـ لاننا نستطيع ان ندخل تحت هذا المصطلح طائفة «الحركات» انطلاقا مما ذهب اليه اللغويون العرب من انها ابعاض اصوات المد .

يقابل هذه الطائفة من الاصوات طائفة اخرى كبيرة اطلق عليها اللغويون العرب القدماء بوجه عام مصطلح «الصحاح»[١٨] ومن الواضح ان هذا المصطلح غير موفق في التعبير عن طبيعتها الصوتية العامة ، ويبدو ان اللغويين العرب قد اصطلحوا عليها به انطلاقا من كونها تثبت في اثناء التصريف ، فلا تتغير بتغير الابنية وهي بهذا على عكس اصوات المد التي وصفت بانها اصوات زائدة معتلة كثيرة السقوط والتغير والانقلاب .

وهناك مصطلح عربي آخر في هذا المجال ، وهو الى ذلك يحمل في دلالته شيئا من الصفات الصوتية لهذه الاصوات ، هو مصطلح «الصوامت» وقد استعمله

---

١٥ ـ علم اللغة العام / د . كمال بشر/ ٧٥ وينظر القوافي للاخفش/ ٧٨

١٦ ـ ينظر مادة : The Oxford English Dictionary vowel

Elements of general phonetics, p, 58

١٧ ـ التهذيب ١ /٥٠ .

١٨ ـ العين ١/ ٥٨ ، ٦٤ ، ٦٥ التهذيب ١/ ٥٠ .

بعض اللغويين العرب في الدلالة على هذه الاصوات[19] وستأخذ به الدراسة للدلالة على هذه الطائفة مـــن الاصـــوات التي يطلق عليهـــا في الانكليزية مصـــطلح consonants ولعل ما يسوغ نلك ايضا ، ان الدراسات اللغوية العربية الحديثة قد جنحت الى استعماله في هذا المجال ايضا[20]

١٩ ــ التفسير الكبير ١/ ٢٩ ــ ٣٠ .

٢٠ ــ ينظر مقدمة الدكتور عبدالصبور شاهين لكتاب العربية الفصحى/ ١٩ وكتاب دراسات في علم اللغة/ د . كمال بشر/ ٢٦ .

الفصل الاول

التعريف بأصوات المد

يرتبط نوع الصوت اللغوي بالهيأة التي يتخذها الفم والحنجرة عند تكون ذلك الصوت ، اذ ان الحنجرة والفم يتخذان هيأة تجويف انبوبي يبدأ من الحنجرة حيث الوتران الصوتيان ، وينتهي بالشفتين ، ويكون حجرة رنين resonance chamber ويمكن ان نطلق على هذا التجويف تجاوزا مصطلح «جهاز النطق»[1]

ويحدث الصوت حين يندفع الهواء من الرئتين ويدخل الحنجرة حيث الوتران الصوتيان فاذا صادفهما مشدودين هزهما ، واذا صادفهما وقد ارتخيا مر من غير ان يهزهما[2] ولكنه على اية حال يخرج من الحنجرة ليسلك في الفم وثمة يتحدد نوع الصوت اللغوي ومعظم صفاته استنادا الى طريقة مرور الهواء في تجويف الفم ، اذ قد يصادف هذا الهواء عائقا ، في موضع من المواضع يعوقه عن المرور مرورا حرا الى خارج الفم ، فلا يتيسر له ذلك الا بعد ان يحدث احتكاكا مسموعا في ذلك الموضع ، فتنشأ من جراء ذلك تلك الطائفة من الاصوات اللغوية التي اصطلحنا عليها بالصوامت Consonants[3]

---

١ – Elements of general phonetics, p. 55

٢ – سنغض النظر ههنا عن فكرة (اهتزاز الوترين الصوتيين ، او عدم اهتزازهما) لانها تشير الى صفة (الجهر والهمس) حسب ، وان كنا سنشير فيما بعد الى ان اصوات المد بوجه عام مجهورة .

٣ – الوجيز في فقه اللغة ١٤٣ – ١٤٤ .

او ان الهواء يخرج خروجا حرا سلسا من غير ان يعترض طريقه الى خــارج الفم عائق ما ، فتنشأ من جراء ذلك ، تلك الطائفة مــن الاصــوات اللغــوية التي اصطلحنا عليها باصوات المد vowels

هذه الطائفة من الاصوات هي موضوع البحث هنا .

لقد اتخذت فكرة مرور الهواء مرورا حرا في اثناء النطق من غير ان يكون ثمــة احتكاك او اعاقة ، اساسا للتعريفات التي وضعها علماء اللغة المحدثون لاصوات المد فذهب دانيل جونز Jones الى ان صوت المد «صوت مجهور يخرج الهواء عند النطق به على شكل مستمر من الحلق والفم ، دون ان يتعرض لتدخــل الاعضــاء الصوتية تدخلا يمنع خروجه او يسبب فيه احتكاكا مســموعاً[٤] وذهـــب بلومفيلد Bloomfield الى انه عبارة عن (تعديلات للصوت المنطــوق لا تتضــمن غلقــا ولا احتكاكا ولا اتصالا من اللسان او الشفتين)[٥] وكذا الدكتور ابراهيم انيس ، فقد ذهب الى انه عند النطق بصوت المد (يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل)[٦]

ولقد عد خلو هذه الاصوات من الاحتكاك عنصرا جــوهريا فيهــا ، واســاسا لتمييزها من الصوامت[٧] بسبب من ان الصفات الصوتية السمعية لهذه الاصوات قد نشأت بوجه عام من فكرة عدم الاحتكاك هذه . فقد ســمح لهــا عدم الاحتكاك مثلا بان تحمل طاقة اعلى بكثير مما تحمل الصوامت التي تفقد كثيرا من طاقتها في الاحتكاك[٨] فساعدتها قوة الطاقة هذه على ان تكون اصواتا ذات قــدرة عالية في الاسماع[٩]

وقد ادى عدم الاحتكاك ايضا الى ان تكون اصــوات المد اصــواتا مــوسيقية

---

٤ ــ اصوات اللغة/ د . عبدالرحمن ايوب/ ١٥٦ ــ ١٥٧ وينظر دراسة الصوت اللغــوي/ ١١٤ ــ ١١٥ والنص الاصلي للتعريف موجود في كتاب الدكتور دانيل جونز :

An outline of English phonetics, p. 23 Avowel (in normal speech) is difined as avoiced sound in forming wich the air issuces in continus stream through the pharynx and mouth there being no narrowing such as would cause sudible friction

٥ ــ دراسة الصوت اللغوي/ ١١٤

٦ ــ الاصوات اللغوية/ ٢٧

٧ ــ مناهج البحث في اللغة/ ١١٣ ــ ١١٧ .

٨ ــ الصوت/ ٦٧ .

٩ ــ اصوات اللغة/ ١٠١ دراسة الصوت اللغوي/ ١٢ ــ ١٣ .

منتظمة ، قابلة للقياس[١٠] خالية من الضوضاء[١١] لها القــدرة على الاســتمرار[١٢] وهي بهذا تختلف عن الصوامت التي هي عبارة عن ضــوضاء noise ناتجــة عن احتكاك[١٣]

ولعله لهذه الصفات السمعية عدها بعض الباحثين اصواتا يمــكن الغناء بهــا على نحو ما اشرنا اليه في التمهيد[١٤] ، بل ثمة تقسيم للاصوات اللغوية يستند الى هذه الصفات السمعية ، فقد ذهب بعضهم الى انه يمكن ان تقسم المادة الصوتية اللغوية الى قسمين : اصوات موسيقية ، وهــي تلك الاصــوات التي تحتوي على ذبذبات منتظمة واصوات ضوضائية او غير مــوسيقية وهــي تلك التي لا تمتلك ذبذبة منتظمة وهو تقسيم يكاد يطابق التقســيم المعــروف الى اصــــوات مــــد وصوامت[١٥] .

ولعل ما زاد في قدرة هذه الاصوات على قوة الاسماع ، والانتظــام الموســيقي ايضا انها اصوات مجهورة بوجه عام ، وهو ما اشار اليه تعريف جونز السابق ، ذلك ان الوترين الصوتيين يهتزان عادة في اثناء نطقها[١٦] بيد انه قــد لوحــظ ان الجهر ليس صفة ملازمة لاصوات المد[١٧] اذ ثمة لغــات تميل في بعض التأليفــات الصوتية الى همس هذه الاصوات وقــد مثل ديفــد ابركر ومبي لذلك بامثلة مــن اللغة الانكليزية من نحو صوت المد الثاني في كلمة potata او صوت المد في كلمة to من جملة come to tea او I'm going to town وبأمثلة من اللغة الفرنسية من نحو آخر صوت مد في entendu او tantpis او ceestitout عندما يقــع في المحــادثة قبل التوقف مباشرة[١٨] ويشير .انيل جونز ايضا الى ان همس اصــوات المد في اثناء الكلام الخافت whispered speech امر طبيعي[١٩] وهناك لغات تستعمل اصــوات

---

١٠ ــ العربية الفصحى/ ١٩ ، دراسة الصوت اللغوي/ ١٩ .

١١ ــ دراسة الصوت اللغوي .

١٢ ــ ينظر : Elements of acoustic phonetics, by Ladefoged p. 26

١٣ ــ دراسة الصوت اللغوي/ ١٩ ، مناهج البحث في اللغة/ ٥١

١٤ ــ علم اللغة العام/ د . كمال بشير/ ٧٥ .

١٥ ــ دراسة الصوت اللغوي/ ١٩ .

١٦ ــ مادة Encyclopaedia Britannica. x. p. 499 vowel

١٧ ــ المصدر السابق ، الصفحة نفسها وكذلك An outline of English phonetics, P. 23

١٨ ــ Elements of general phonetics, P. 59

١٩ ــ An outline of English phonetics, P. 23

المد المهموسة في مجالات اوسع ، من نحو اللغات الهندية الامـريكية[٢٠] ، ولغـات اخرى تعد همس اصـوات المد ملمحـا تمييزيا في المعـاني[٢١] ومـع ذلك فهمس اصوات المد حالة غير شائعة في اللغات[٢٢] ويرجع ذلك الى ان اهم وظيفـة لغـوية لاصوات المد ، وهو ما سنفصل فيه الحديث في مبحث قادم تكمـن في قـدرة هـذه الاصوات على الاسماع بسبب العلو النسبي لقوة الاسماع فيها [٢٣] ومن اجل ذلك قل ميل هذه الاصوات الى الهمس ، بل يمكن القول ان كثيرا من امثلة الهمس في هذه الاصوات كانت لاسباب طارئة من نحو حالة الكلام الخافت ، او ما نلاحـظ في امثلة ديفيد ابركرومبي السالفة الذكر ، اذ اشترط في الفرنسية ان يقع صـوت المد المهموس قبل التوقف عن المحادثة مباشرة ، ثم ان امثلة الانكليزية تشير الى ان صوت المد المهموس يقع عادة بين صامتين انفجاريين مهمـوسين ، يتطلب كل منهما توقفا بسبب حبس الهواء ، مما يصعب معـه على الوترين الصـوتيين ان يهتزا في اثناء اداء صوت المد الواقع بينهما ، فكان ان حدث صوت المد مـن غير ان يهتز الوتران تخلصا من الاجهاد .

تصنيف اصوات المد :

تختلف الصوامت فيما بينها باختلاف موضع الاعاقـة ثم باختلاف نوع هـذه الاعاقة لان كل واحد منهما يؤثر تأثيراً شديداً في طبيعة الاحتكاك المسموع الناتج عن تلك الاعاقة ، ومـن ثم يكون ذلك التأثير في الانطباع السـمعي الذي يخلفـه الصوت اللغوي[٢٤] .

لقد اصطلح في علم الصوتيات الحديث على تسمية مـوضع الاعاقـة في جهـاز النطق بمصطلح «المخـرج» place of articulation فـاذا كان هـذا الموضـع عند الشفتين قيل للصوت الذي يحدث ثمة صوت شفوي ، واذا كان عند الاسـنان قيل له صوت اسناني .. وهلم جرا[٢٥] اما نوع الاعاقـة ، فيكون على ضربين ، الاول : اعاقة كلية ، وتنشأ عندنا حينذاك طائفة من الصـوامت يطلق عليهـا الصـوامت الانفجارية plosives اصطلح عليها بهذا لان الهواء يمنع اول الامر من الخـروج

---

٢٠ _ Elements of general phonetics, p. 59

٢١ _ دراسة الصوت اللغوي/ ١١٤ _ ١١٥ .

٢٢ _ Elements of general phonetics, p. 58

٢٣ _ اصوات اللغة/ ١٣٤ _ ١٣٥ وينظر دراسة الصوت اللغوي/ ١١٤ والصوت / ٦٧

٢٤ _ المدخل الى علم اللغة/ ٤٦ _ ٤٧ .

٢٥ _ المصدر السابق/ ٤٧ .

منعا تاما ، ثم يفسح له فجاة فيخرج على هياة انفجار ، والثاني اعاقة جـزئية ، وتنشأ عندنا حينذاك طائفة من الصـوامت يطلق عليهـا مصـطلح الصـوامت الاستمرارية fricatives بسبب من ان تيار الهواء يبقى مستمرا في الخروج في اثناء حدوث هذه الاعاقة[٢٦] .

وبهذا يمكن القول ان ظاهرة الاحتكاك تعد معيارا جيدا لتصـنيف الصـوامت وبيان اختلاف بعضها عن بعض ، غير ان ذلك لا ينطبق على اصوات المد لخلوها من ظاهرة الاحتكاك على النحو الذي بيناه سابقا ، وعلى هذا الاسـاس لابد لنا من البحث عن وسائل اخرى لتصنيف هذه الطائفة من الاصوات ، مستمدة مـن الاسباب التي ادت الى اختلاف بعضها عن بعض في نوع التصويت timbre [٢٧] .

لقد تبين ان عضلة اللسان هي الجزء الفعال في عملية تنوع اصوات المد فـاذا كانت الصفة الاساسية لهذه الاصوات هي مرور الهواء في اثناء ادائها الى خارج الفم مرورا حرا من غير ان يحدث احتكاك او اعاقة ، فان اختلافها فيمـا بينهـا يرجع الى وضع اللسان في اثناء ذلك ، اذ ان اختلاف هذا الوضع من وضـع الى آخر يؤدي الى تغير حجرة الرنين ، فتختلف من اجل ذلك اصوات المد الصـادرة عنها تبعا لتلك التغيرات[٢٨] .

لقد تبين من خلال استعمال اشعة (اكس) في تصوير اوضاع اللسـان في اثناء اداء اصوات المد ، انه ــ اي اللسان ــ يتخذ في اثناء اداء كل صوت مـد وضـعا بعينه ، من حيث ارتفاعه في داخل جوف الفـم ، بشرط ان ذلك الوضـع لا يؤدي

---

٢٦ ــ المصدر السابق / ٤٦ .

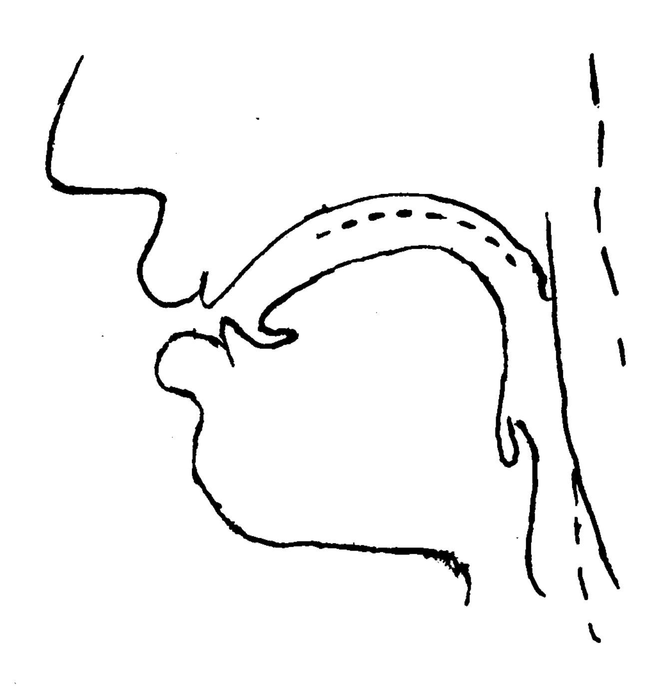
٢٧ ــ Elements of general phonetics, p. 55

٢٨ ــ An outline of English phonetics, p. 29

The pronunciation of English, p. 14

Elements of general phonetics, p. 55

General Linguistics an introductory survey, p. 89



(رسم يوضح منطقة حدوث اصوات المدّ)[٢٩]

الى ما يعوق الهواء الخارج من الفم ، ثم من حيث موضع الارتفاع منه ، اذا كان يقع في الجزء الامامي من عضلة اللسان ، او الجزء الخلفي منها[٣٠] ثم تبين أن

٢٩ـ The pronun ciation of English, p. 13

٣٠ـ Elements of general phonetics, p. 55

ارتفاع الجزء الامامي من اللسان نحو الجزء الامامي من الحنك او ما يطلق عليه الطبق الصلب hard palate مرتبط باداء مجموعة «الكسرات» وان ارتفاع الجزء الخلفي من اللسان نحو الجزء الخلفي من الحنك او ما يطلق عليه الطبق اللين soft palate مرتبط باداء مجموعة «الضمات» اما انخفاض اللسان في قاع الفم فيؤدي الى تكون «الفتحات»[٣١]

وهكذا صار بامكاننا تحديد نوع صوت المد من خلال تحديد مكان اعلى نقطة في تحدب اللسان ، وهو امر يتطلب اولا : تحديد المحور العمودي لنقطة التحدب من قاعدة الفم الى سقفه ، ثانيا تحديد المحور الافقي من اول اللسان الى نهايته[٣٢]

وهكذا نجد انه من الممكن ان تكون هناك اعداد كبيرة من النقاط على طول المحورين ، هذه النقاط تمثل ايضا عدد اصوات المد التي يمكن لجهاز النطق ان يحققها[٣٣]

لقد بذل علماء الاصوات جهودهم لتحديد الاوضاع الاساسية التي يمكن ان يتخذها اللسان في داخل فراغ الفم في اثناء اداء اصوات المد من غير ان يحدث احتكاك او اعتراض لمجرى الهواء من بين تلك الاعداد الكبيرة التي ذهبنا الى ان في ميسور اللسان اتخاذها وكان اول من عني بذلك دانيل جونز[٣٤] الذي حاول ان يحدد اعلى نقاط يمكن ان يصل اليها ارتفاع اللسان الى منتصف الفم من غير ان يؤدي ذلك الى حدوث احتكاك مسموع ، ثم اسفل نقاط يمكن ان يصل اليها ايضا في قاع الفم . فوجد انه يمكن تحديد نقطتين على الجزء الامامي من اللسان ، تكون الاولى اعلى نقطة يمكن الوصول اليها من غير حدوث ذلك الاحتكاك ، اطلق عليها مصطلح «الضيقة» closed [٣٥] وتكون الثانية اسفل نقطة يمكن الوصول اليها اطلق عليها مصطلح «الواسعة» opened ثم وضع بين الحدين نقطتين اخريين على بعدين متساويين ، اطلق على الاولى نصف ضيقة half closed ثم اطلق على الثانية نصف واسعة half opened. وفعل على هذا النحو

---

٣١ ـ The pronunciation of English, p. 14- 16

٣٢ ـ Elements of general phonetics, p. 56

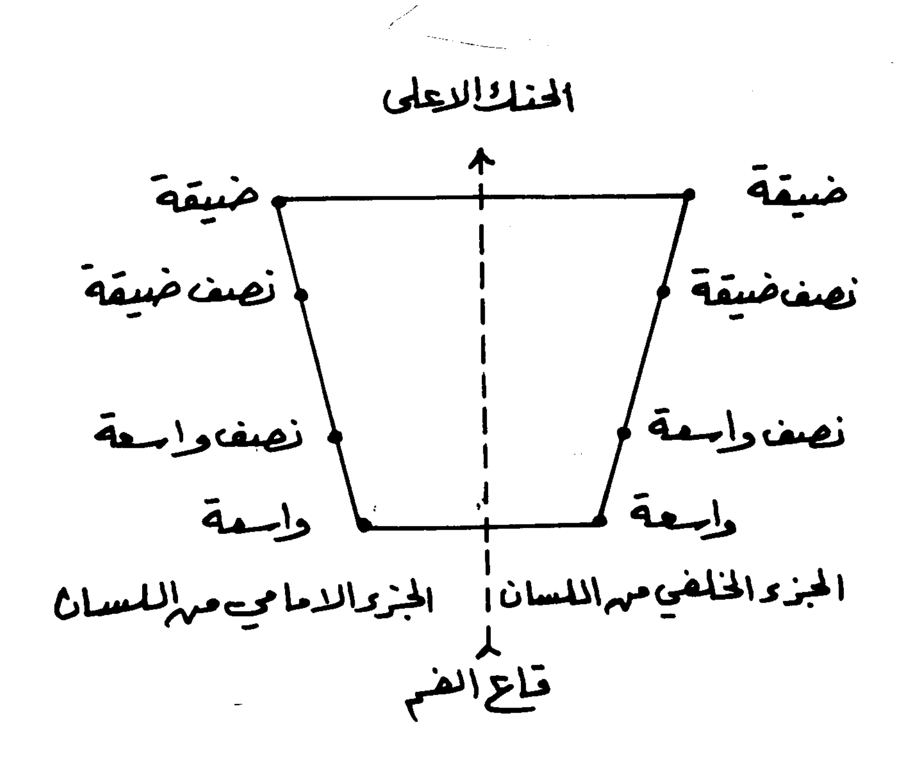
٣٣ ـ المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

٣٤ ـ الاصوات اللغوية/ ٣٢

٣٥ ـ اثرنا ترجمة مصطلح (Closed) بالضيقة ، وليس بالمنغلقة ، ذلك ان المعنى الذي يريده الاستاذ جونز هنا هو تحديد اقصى درجة ضيق يكون عليها جهاز النطق في اثناء اداء صوت

ايضا في الارتفاعات الاساسية التي يمكن ان يصل اليهـا الجـزء الخلفـي مـن اللسان ، فاوجد اعلى نقطة يمكن ان يصل اليها هذا الجزء واطلق عليها مصطلح النقطة الضيقة ايضا ، ثم اسفل نقطة واطلق عليها مصطلح النقطة الواسعة ، ثم اوجد بينهما نقطتين على مسافات متسـاوية اطلق على الاولى نصـف ضـيقة ، وعلى الثانية نصف واسعة[٣٦]

والرسمان الاتيان يوضحان هذه النقاط ، واصوات المد التي يمـكن احـداثها فيها :



---

٣٦ ـ ينظر في اصوات اللغة/ ١٥٩ ـ ١٦٠ والاصوات اللغوية / ٣٣ ـ ٣٤ .

An outline of English phonetics, p. 31- 39 و The pronuncition of English p. 14- 16 و

صوت مد معياري رقم «٨» u — i صوت مد معياري رقم «١»

صوت مد معياري رقم «٧» o — e صوت مد معياري رقم «٢»

صوت مد معياري رقم «٦» ɔ — a صوت مد معياري رقم «٣»

صوت مد معياري رقم «٥» ɑ — a صوت مد معياري رقم «٤»

رسم يوضح مواضع اصوات المد المعيارية وارقامها المعروفة بها[37]

وهكذا صار من الممكن وضع جدول لاصوات المد الاساسية التي يمكن ان توجد في كل اللغات ، اطلق عليه جونز اسم : جدول اصوات المد المعيارية :Cardenal vowels وهذه الاصوات كما يوضحها الرسم السابق تتألف من :

× . صوت مدّ امامي ضيق يرمز له بالرمز i ومثاله صوت المد في الكلمة الفرنسية si

× . صوت مد امامي واسع : ويرمز له بالرمز a ومثاله صوت المد في الكلمة الفرنسية pas

× . صوت مد خلفي ضيق : ويرمز له بالرمز u ومثاله صوت المد في الكلمة الالمانية Gut

× . صوت مد خلفي واسع ، ويرمز له بالرمز a ومثاله صوت المد في الكلمة الفرنسية ia

---

٣٧ ـ ينظر : The pronunciation of English, p. 21

هذه هي اصوات المدّ الاساسية الاربعة في تصنيف جونز ، اما اصوات المد الثانوية ، فهي خمسة :

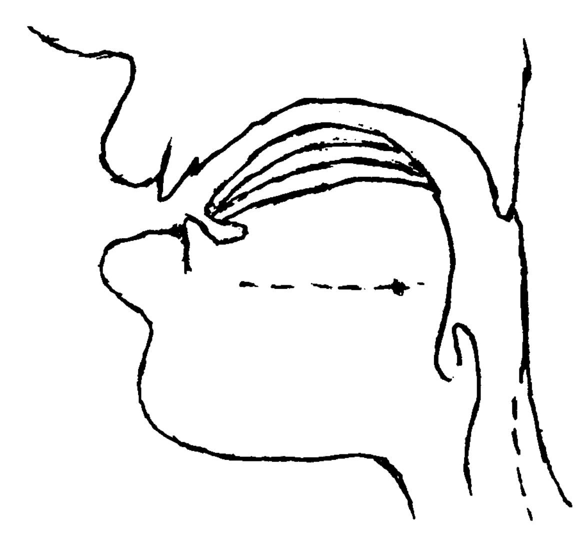
× . صوت مد امامي نصف ضيق ، ويرمز له بالرمز E ومثاله صوت المد في الكلمة الفرنسية The

× . صوت مد امامي نصف واسع ويرمز له بالرمز E ومثاله صوت المد في الكلمة الفرنسية me mér

× . صوت مد خلفي نصف ضيق ويرمز له بالرمز O ومثاله صوت المد في الكلمة الفرنسية rose

× . صوت مد خلفي نصف واسع ، ويرمز له بالرمز ɔ ومثاله صوت المد في الكلمة الالمانية sonne

× . صوت مد متوسط ، يأخذ فيه اللسان وضعا حياديا ، ويرمز له بالرمز ə ومثاله صوت المد الثاني في الكلمة الانكليزية better (٣٨)



رسم يوضح مواضع حدوث اصوات المد الامامية المعيارية من اللسان(٣٩)

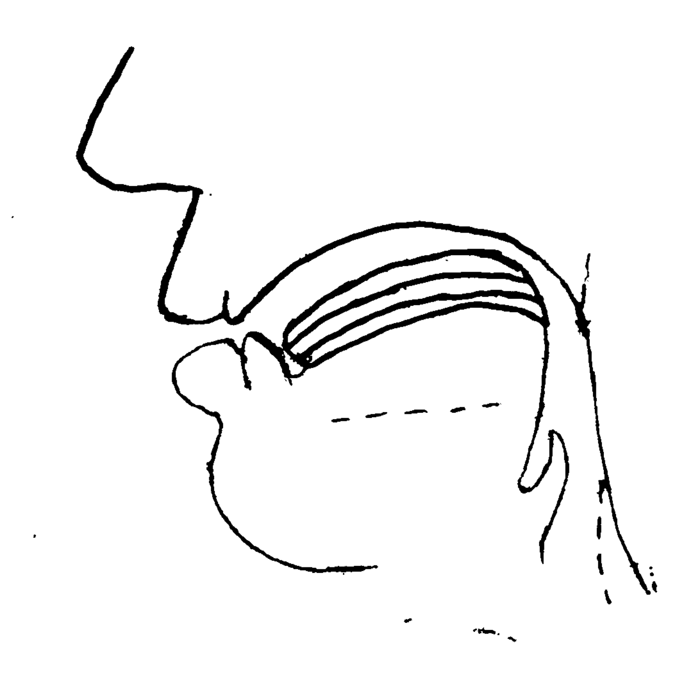
---

٣٨ ــ ينظر في جدول اصوات المد المعيارية كتابي جونز :

An outline of English phonetics, p. 35 The pronuciation of English p. 21- 22

واصوات اللغة / د . عبدالرحمن ايوب/ ١٦٢ ــ ١٦٥ وعلم اللغة العام/ د . كمال بشر/ ١٣٩ ــ ١٤٥ .

٣٩ ــ The pronunciation of English , p. 19



رسم يوضح مواضع حدوث اصوات المد المعيارية الخلفية من اللسان[40]

وقد صار بالامكان الاحتكام الى هـــذه الاصـــوات في دراســـة اصـــوات المد في اللغات عامة ، واجراء الموازنات بينها ، ويرجع السبب في كوننا نحتاج الى جدول باصوات مد معروفة عالميا الى ما بيناه سابقا من ان جهـــاز النطـــق قـــادر على تكوين اعداد كبيرة من اصوات المد ، وهذا يعني ان قدرتنا على وصف اصـــوات المد في اللغات ومقارنتها بعضها ببعض ، او تعلمها ستكون من الصعوبة بمكان ، مـــن غير ان نحتكم في ذلك الى اوضـــاع معيارية يمـــكن ان تكون اســـاسا لتلك العمليات[41]

ومن اجل ذلك نلاحظ ايضا ان دانيل جونز قام بتســـجيل جـــدول الاصـــوات المعيارية على اسطوانات ليوفر للدراسين الطابع السمعي لكل صوت مـــن هـــذه

---

٤٠ ـ المصدر السابق/ ٢٠ .

٤١ ـ اصوات اللغة/ ١٦٠ ـ ١٦١ .

الاصوات[42]

دور الشفتين في تنوع اصوات المد :

بجانب معيار وضع اللسان في داخل الفم في اثناء اداء اصوات المد يوجد معيار آخر ، عد معياراً ثانويا في تنوع هذه الاصوات هو حركة الشفتين في اثناء الاداء ، ويبدو ان جونز قد اهمله في الجدول المذكور بسبب من ان حركة الشفتين هذه مرتبطة الى حد كبير بحركة عضلة اللسان ، اذ ان الشفتين تتخذان اوضاعاً معينة في اثناء اداء كل صوت من اصوات المد ، ومن الممكن هنا ان نحدد اوضاعا ثلاثة هي :

١ ــ وضع الاستدارة : عندما تكون زاويتا الشفتين متقدمتين الى الامام وغالبا ما تتخذ الشفتان هذا الوضع في اثناء نطق الضمات .

٢ ــ وضع الانفراج : عندما تكون زاويتا الشفتين مسحوبتين الى الوراء وغالبا ما تتخذ الشفتان هذا الوضع في اثناء نطق الكسرات .

٣ ــ الاستواء : عندما تتخذ الشفتان وضعا محايدا ، وغالبا ما يتم ذلك في اثناء نطق الفتحات[43] .

ان الربط بين استدارة الشفتين والضم ، او بين انفراجهما والكسر يرجع كما قلنا سابقا الى ان حركة الشفتين مرتبطة بحركة اللسان بيد أن ذلك ليس امراً مستوياً في كل اللغات إذ بامكان حركة الشفتين ان تستقل عن حركة اللسان في اثناء اداء صوت المد[44] ولقد استعملت طائفة من اللغات هذه الظاهرة لمضاعفة عدد اصوات المد فيها فهناك اصوات مد امامية تستدير معها الشفتان ، واخرى تنفرجان معها .

مؤثرات اخرى في تنوع اصوات المد :

لقد بينا سابقا ان السبب المباشر في تنوع اصوات المد انما يكمن اولا في حركة اللسان ، ثم في حركة الشفتين في اثناء اداء هذه الاصوات ، بيد انه ينبغي لنا ان نشير هنا الى ان ثمة اصواتا تتأثر بالاضافة الى ذلك بعوامل اخرى من نحو ما

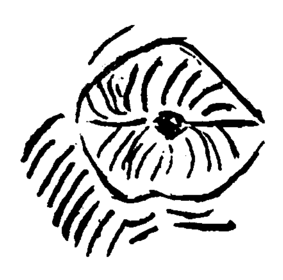
---

٤٢ ــ المصدر السابق/ ١٦١ .

٤٣ ــ Elements of general phonetics, p. 57

٤٤ ــ وينظر كتاب الاستاذ جونز An outline of English phonetics, p. 39 Elements of general phonetics, p. 57

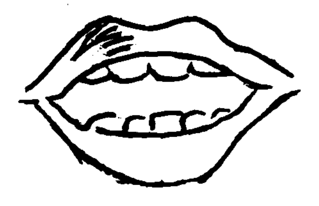
٤٥ ــ اصوات اللغة/ ١٦٧ ــ ١٦٨ .




وضعا استدارة



وضع انفراج



وضع محايد

اوضاع الشفتين في أثناء اداء اصوات المد[٤٦]

٤٦ـ The pronunciation of English, p. 17

نكره ديفيد آبركرومبي من ان بعض الاصوات تتأثر بالتوتر العضلي للسان مما يفترض حساب التغيرات الناشئة بسبب هـذا التوتر ، غير ان هـذا القبيل مـن الاصوات قليل جدا ، وغير معـروف في لغـات كثيرة ممـا لا يعـطيه اهمية في الدراسات التشريحية لاصوات المد عامة[٤٧]

وهناك اسباب اخرى في تنوع اصوات المد من نحو مـا ذكرنامـن قبل مـن انه يمكن اداء صوت المد من غير حدوث اهتزاز في الوترين الصـوتيين فتكون قـوة هذه الاصوات في الاسماع راجعة الى قوة اندفاع الهواء في داخل جهـاز النطـق حسب[٤٨]

ومن اسباب تنوع اصوات المد ايضا طبيعـة البدء بصـوت المد اذ ان متكلمـي بعض اللغات يجنحون في حالة اصدار المد الى فتح الحنجرة فجـأة ، فيؤدي ذلك الى عزل صوت المد عما تقدمه من اصوات ، ومتكلمي لغات اخرى قـد يسـلكون هذا المسلك عند انتهاء صوت المد ، فهم يغلقون الحنجرة قليلا لتفصل صـوت المد عن غيره ، وهو امر معروف في اللغة الدانماركية التي تستعمل هـذه الطـريقة في التمييز بين المعاني من نحو الكلمتين anden التي تعني ذكر البط و anden التي تعني الاخر ، اذ انهما لا يختلفان فيما بينهما الا بوجود الصـدمة في نهـاية اداء صوت المد او عدم وجـودها[٤٩] ولعل هذا مما عرفته العربية ايضا اذ تكون بعض حالات الهمز قد جاءت نتيجة وجود صدمة في آخر صوت المد ، وهو ما سـنفصل الحديث فيه في مبحث قادم .

ومما يؤثر في نوع صوت المد طريق تسرب الهواء في اثناء النطـق ، فلقـد ذهبنا فيما سبق الى ان الهواء يخرج من الفم كله خروجا حرا ،اويرجع هذا الى بقـاء حجاب الحنك ملتصقا باعلى الفم فيمنع تسرب الهـواء الى الانف غير انه مـن الممكن لهذا الحجاب ان يسقط الى قاعدة اللسان ، وحينئذ يمكن للهواءان ينفـذ الى الانف لينصرف منه الى الخارج[٥٠] وبسبب هذا الخروج تنشأ عندنا طائفة من اصوات المد اصطلح على تسـميتها باصـوات المد الانفية ، ومـن اللغـات التي

---

٤٧ ــ Elements of general phonetics, p.

٤٨ ــ مادة Encyclopaedia Britannca, X, p. 499 vowel

٤٩ ــ اللغة/ ٥٧ .

٥٠ ــ اللغة/ ٥٤ وانظر The pronunciation of English p. 17-18

تستعمل هذا الضرب من الاصوات الفرنسية ، وهي تملك عددا منها من نحـو an un in[٥١] وقد تتخذ صفة الانفية في اصوات المد طابعا تمييزيا بين المعاني في بعض اللغات[٥٢].

وثمة ظاهرة اخرى لها علاقة بأصوات المد الانفية ، هي ظـاهرة التأنيف التي تعني تسرب الهواء من الانف مع استمرار تسربه مـن الفـم ، وتختلف بذلك عن الانفية التي تعني تسرب الهواء كله من الانف[٥٣].

طول صوت المد :

يذكر Lodefoged ان في مقدور صوت المد ان يستمر اية مدة ممكنة لكونه يحدث في حقيقة امره من اتخاذ اللسان والشفتين وضعا خاصا كما اسـلف القـول في الوقت الذي يستمر فيه الهواء بالخروج من الفم استمرارا حرا[٥٤] ، ولقد لاحـظ العرب هذه الميزة فيه ، ولعله من اجل ذلك سموه صوت المد ، لانك تستطيع ان تمد به الصوت[٥٥] ولقد جاءت من هذه القدرة على الاسـتمرار في التصـويت اهمية اطـوال المد في كثير من اللغات فثمة لغات تعني بثلاثة اطوال لصوت المد[٥٦] ولغـات تعني باطوال اربعة[٥٧].

غير ان اكثر اللغات تميز بين طولين لصوت المد فيكون فيها صوت مد قصـير وصوت مد طويل ، ثم تغض النظر عن الاختلافات الاخرى في الطول وذلك لانه قد يكون من الصعب على الاذن العادية ان تميز بين اكثر من درجتين من الطـول في السياق الصوتي[٥٨] ومن هذه اللغات العربية ، التي تميز بين درجتين اثنتين مـن الطول في صوت المد ، واختلاف الطـول فيهـا يؤدي في الاعم الاغلب الى تغير في المعنى ، الصرفي على الاقل ، ونلاحظ ذلك واضحا في نحو قولنا قَتَلَ وقاتَلَ .

غير ان العرب اشاروا الى درجات اخرى من الطول في بعض السـياقات مـن

---

٥١ ــ اللغة / ٥٤ .

٥٢ ــ دراسة الصوت اللغوي/ ١٦١ .

٥٣ ــ المصدر السابق/ ١٠٣ .

٥٤ ــ Elements of acoustic phonetics, p. 26

٥٥ ــ ينظر الكتاب ٢/ ١١٢ التفسير الكبير ١/ ٤٨ النشر ١/ ٣١٣

٥٦ ــ البحث النحوي عند الهنود

٥٧ ــ دراسة الصوت اللغوي/ ١٠٥

٥٨ ــ المصدر السابق/ ١٩٧

نحو الاشمام[٥٩] والروم[٦٠] في الاختلاس او الالف الطويلة في الامتداد اذا وقعت قبل الهمزة المتطرفة[٦١] غير ان هذه الدرجات المختلفة من الطول لم تكن ذات طبيعة تمييزية اي انها لا تغير في المعاني اللغوية في العربية .

لقد تبين من الكلام السابق ان الاختلاف في الطول يرجع الى الاختلاف في المدة الزمنية التي يستمر صوت المد فيها في النطق ، وفي الحقيقة ان الزمن ليس الفرق الوحيد بين صوت المد الطويل ، وصوت المد القصير اذ ان الدراسة التشريحية اثبتت ان الخلاف بين صوتي المد الطويل والقصير ليس خلافاً في الدرجة او الكمية quantity فقط ، بل هو خلاف في الكيفية guality ايضاً ، اذ ان موقع اللسان مع احد هذين الصوتين مختلف قليلا عن وضعه في اثناء اداء الصوت الاخر[٦٢].

لقد تحدثنا سابقا عن درجات الطول في صوت المد من حيث كونها تمثل فونيمات مستقلةphonemes [٦٣] بسبب من ان تغير درجة الطول فيها تؤدي الى

---

٥٩ ـ سر الصناعة ١/ ٦٨

٦٠ ـ النشر ٢/ ١٢١ .

٦١ ـ سر الصناعة ١/ ١٩ .

٦٢ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٢٨٢ .

٦٣ ـ من الممكن ان يحدد الفونيم phoneme بانه اصغر وحدة صوتية بتغيرها تتغير دلالة الكلمة ، فالاصوات الاولى من الكلمات (باب ، تاب ، ثاب ، جاب ، حاب ، خاب ، ذاب ، راب ، شاب ، غاب) تعد فونيمات مستقلة لان مجرد اختلافها ادى الى اختلاف معاني الكلمات .

ينظر في علم اللغة العام/ عبدالصبور شاهين/ ١١٥ ـ ١٢٤ .

علم اللغة العام/ د . كمال بشير /١١٥ ـ ١٦٣

دراسة الصوت اللغوي/ ١٥١

ان الفونيم يملك صورا كثيرة متقاربة جدا من الاصوات بحيث يشعر ابن اللغة بانطباع سمعي واحد في اثناء سماعها ، فتظهر هذه الصور كلا في موقع معين ، فالنون الساكنة قبل صوت اسناني كالثاء تنطق اسنانية ، وهي صورة للنون تختلف عن صورة النون الساكنة قبل صوت لهوى كالقاف التي تنطق لهوية ، وهكذا تتعدد صور النون باختلاف الاصوات التالية لها وباختلاف اللهجات ، وباختلاف الاشخاص ، بحيث لا يمكن في بيئة معينة ان تحل صورة اسنانية محل صورة لهوية ، لكن ابن اللغة ينظر الى هذه الصور الصوتية المختلفة على انها تمثل صوتا واحدا .

ينظر في علم اللغة العام/ شاهين/ ١٢٥

علم اللغة العام/ بشر/ ١٥٧

اسس علم اللغة/ ٤٩

تغير في المعنى (المعنى الصرفي على الاقل) لكننا نلاحظ ان ثمة اختلافات في

ومن هذا المنطلق يمكن القول ان نظرية الفونيم بنيت على الاساسين الاتيين :
١ ـ ان الصوت اللغوي لا يعامل بوصفه وحدة مستقلة وانما هو عنصر في بناء كلي هو حدث الكلام المستمر المسموع وذلك انطلاقا من ان الفونيم يتحدد بوظيفته في التركيب الصوتي المنطوق لا بذاته .

ينظر في علم اللغة العام/ شاهين/ ١٢٩ .
دراسة الصوت اللغوي/ ١٣٥

٢ ـ ان الدراسة الفونيمية تعني بدراسة احساس المتكلمين باصوات لغتهم فتحاول تصنيف الاصوات اللغوية ووظائفها وفق هذا الاحساس .

ينظر في اسس علم اللغة/ ٤٨

وانطلاقا من المبدأ الثاني يمكن القول ان لغة ما يمكن ان تستعمل صوتين مختلفين تماما للتعبير عن فونيم واحد ، اي ان هذين الصوتين يتبادلان الموقع في الكلمة ، فلا يحس ابن اللغة بأي تغير في المعنى ، وقد اصطلح على هذا الضرب من الفونيمات بمصطلح الفونيم الرئيس : Archi phoneme لكننا نلاحظ ان هذين الصوتين يمثلان الى جانب ذلك فونيمات مستقلة في بعض المواقع ، ومثال ذلك ان اللغة الالمانية تحتوي على فونيم رئيس واحد هو (X) يحتوي على الفونيمين المنفصلين «d» و (t) اللذين يظلان متميزين في العادة حتى ليقع اللبس في المعنى لو استعمل احدهما مكان الاخر في تلك المواقع ، ولكنهما يتعادلان او يندمجان في المواقع المتطرفة .

ينظر في اسس علم اللغة/ ٨٩

ويمكن ان يكون مثال (الهمزة واصوات المد الطويلة) في العربية في طائفة من الاحوال مما يمثل فونيما رئيسا ، اذ ان الهمزة تحل محل احد هذه الاصوات فلا يتغير المعنى (نحو ادهام ، وادهأم) او ان احد هذه الاصوات يحل محل الهمزة فلا يتغير المعنى وسندرس ذلك في مكانه .

لقد اشرنا في الكلام على طول صوت المد ، الى ان هذا الطول قد يتخذ ملمحا تمييزيا بين المعاني ، ومن اجل ذلك اصطلح على صوت المد الذي يختلف عن شقيقه بالطول فقط ولاسباب معنوية ، مصطلح فونيم مدة ، او فونيم طول اوكرونيم Chroneme

ينظر في معجم علوم اللغة/ مجلة اللسان العربي ـ الرباط ـ المغرب مجلد ١٥ الجزء الثاني عام ١٩٧٧ ، ص ١١٧ونحن بوجه عام نستطيع ان نميز بين نوعين من الفونيمات :
١ ـ فونيم تركيبي segmental phoneme وهو فونيم يمكن افراده وعزله عن التركيب ، لانه يمثل جزءا من بناء التركيب الصوتي (دراسات في علم اللغة/ ٢٢٨)
٢ ـ فونيم غير تركيبي او ثانوي : suprasegmental phoneme الذي هو عبارة عن ظاهرة خارجية ترتبط بالتركيب وتميزه ، ولكنها ليست جزء من بنائه ، ومن ثم لا يمكن افرادها او عزلها كالنبر او التنغيم . ينظر : (دراسات في علم اللغة/ ٢٢٨) .

الطول لا تحدث لاغراض معنوية[٦٣] اي انهـا لا تمثل فـونيمات مسـتقلة ، اذ ان درجة الطول قد نشأت بسبب السياق ، ولقد استطاع الباحثون ان يميزوا طـائفة من العوامل التي تسبب طولا او قصرا في اصوات المد ، واهم هذه العوامل[٦٤].

١ ــ طبيعة الاصوات المجاورة له في السياق .

٢ ــ درجة النبر[٦٥] ونوعه .

فنظرية الفونيم على اية حال نظرية قريبة مـن روح اللغـة ، ذلك لانهـا تربط بين الصـوت ووظيفته في السياق ، وعلم الدلالة جميعا بعيدا عن التمحل . ينظر : (في دراسة الفـونيم بوجـه عام) .

دراسة الصوت اللغوي/ ١٣٩ ــ ١٨٧ علم اللغة العام/ عبدالصـبور شـاهين/ ١١٥ ــ ١٢٩

علم اللغة العام/ د . كمال بشر/ ١٥٥ ــ ١٦٣

اسس علم اللغة/ ٨٩ .

An outline of English phonetics p. 49

Elements of general phonetics, p. 84- 88

٦٣ ــ بل في بعض اللغات لا تمثل درجة الطول ملمحا تمييزيا ينظر دراسة الصـوت اللغـوي/ ١٦١ .

٦٤ ــ ينظر دراسة الصوت اللغوي/ ٩٧ ، الوجيز في فقه اللغة/ ٢٣٣ .

٦٥ ــ النبر stress ويعني ضغط المتكلم على مقطع معين من مقـاطع الكلمـة بحيث يتميز مـن غيره من المقاطع ويزداد وضوحه في السمع ، وقد فسر الدكتور ابراهيم انيس عملية النبر بانها (نشاط في جميع اعضاء النطق في وقت واحـد ، فعند النطـق بمقـطع منبور نلحـظ ان جميع اعضاء النطق تنشط غاية النشـاط فيترتب على ذلك ان يصـبح الصـوت عاليا واضـحا في السمع) .

(الاصوات اللغوية/ ٩٧ ، وينظر دروس في علم اصوات العربية/ ١٩٤)

ويمكن تقسيم النبر الى نوعين

الاول : كمي : وهو النبر الذي يحدث فيه في المقطع المنبور ارتفاع في الصوت ينشأ من ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين ليفرغ ما فيهما من هواء فتؤدي كمية الهواء الخارج الى اتسـاع في مدى ذبذبة الاوتار الصوتية فيكون من ذلك ارتفاع في الصوت ، واصوات المد الواقعة في هذا المجال تزداد طولا .

(ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / ١٧١ ودروس في علم اصوات العربية/ ١٩٤)

الثاني : توتري : وينشأ من توتر اعضاء النطق فيه فلا تكاد تخرج الهـواء في اثناء النطـق ، واصوات المد الواقعة في هذا المجال تجنح الى القصر والاختلاس او الاختفـاء . (المصـدران السابقان ، الصفحات نفسها ، وينظر ايضا في «العربية الفصحى/ ٤٩)

وتختلف اللغات فيما بينها بنوع النبر ، فبعضـها يميل الى النبر التوتري وبعضـها الاخـر

٣ ـ تطرف اصوات المد[٦٦]

٤ ـ بعض الحالات النفسية التي يحاول المتكلم فيها ان يزيد في تأكيد المراد من كلامه او التقليل من اهمية بعض الامور ، او القلق ، او الخجل ، وما الى ذلك ، وهذا العامل ليس عاملا لغويا ، ولا مما يبحث في مجال دراسة الاصوات[٦٧].

بقيت ملاحظة اخيرة في هذا الشأن هي ان تردد اصوات المد القصيرة في السياق الصوتي اكثر بكثير من تردد اصوات المد الطويلة ، ولقد ذكر الدكتور احمد مختار عمر احصاء تم في هذا الضرب من التقابل بين اصوات المد الطويلة واصوات المد القصيرة في لغة الفيدا السنسكريتية ، فتبين ان تردد صوت المد القصير a كان ٧٨ر١٩٪ مقابل تردد صوت المد الطويل ā ١٩ر٨٪[٦٨] وهو امر واضح في لغتنا العربية ايضا .

نصف المد semi vowel[٦٩]

قلنا سابقا ان اهم صفة في اصوات المد هي عدم وجود عائق او احتكاك في

يميل الى النبر الكمي وكذلك اللهجات ، ثم تختلف في موقع النبر من الكلمة . (ينظر اللغة لفندريس/ ٨٨) ولا يمكننا ان نحدد اسباب ميل اللغة او اللهجة الى النبر على مقطع بعينه من مقاطع الكلمة ويذهب فندريس الى ان الحركات العضلية التي تنتج النبر قد تكون مسيرة باسباب سايكولوجية (اللغة/ ٨٧) .

ثم ان اللغات تختلف في اهمية النبر ، فبعضها يهتم اهتماما شديدا بالنبر كاللغات الهندو ـ اوربية ، ذلك لان النبر يؤدي الى تمييز الصيغ النحوية (ينظر علم اللغة/ محمود السعران/ ٢٠٩ ودروس في علم اصوات العربية/ ٩٥ ، والاصوات اللغوية/ ٩٩) وبعضها لا يهتم بالنبر كالعربية ، ولعله لهذا السبب لم يعن النحاة واللغويون العرب بدراسته (دروس في علم اصوات العربية/ ١٩٥ والعربية الفصحى/ ٤٩) .

ينظر في دراسة النبر بوجه عام .

An outline of English phonetics, 245- 262

دراسة الصوت اللغوي/ ١٨٧ ـ ١٩١

الاصوات اللغوية/ ٩٧ ـ ١٠٣

٦٦ ـ للفائدة ينظر في الخصائص ١/ ٢٣٤ .

٦٧ ـ ذكر ابن جني انه قد تمط الحركات في حالة التذكر نحو قولهم انتي عاقلة في انت عاقلة ، وقمتو الى زيد في قمت الى زيد : الخصائص ٣/ ١٢٩ .

٦٨ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠ .

٦٩ ـ آثرنا استعمال الترجمة الحرفية هنا لمصطلح semi vowel الذي يعني بالدقة نصف half of صوت مد ينظر قاموس اللفظ الانكليزي لجونز/ مادة semi ويبدو ان علماء الاصوات اطلقوا عليه هذا المصطلح ، لان صوت المد الطويل حين يتحول الى نصف مد يفقد نصف كميته .

اثناء نطقها ، ولذلك يخرج الهواء من الفم خروجا سلسا حراً ، بيد انه قد ينشأ في بعض الحالات شيء قليل من الاحتكاك في اثناء نطق هذه الاصوات بسبب من ارتفاع اللسان ارتفاعا يمنع تلك الحرية في خروج الهواء وحينذاك تنشأ عنها طائفة من الاصوات نطلق عليها مصطلح انصاف المد semi vowels .

ان هذه الحالة لا تظهر الا في تلك الاصوات التي اطلقنا عليها مصطلح اصوات المد الضيقة ، ويرجع السبب في ذلك الى كون هذه الاصوات هي الاصوات الوحيدة التي يرتفع اللسان في حال النطق بها تجاه الحنك الاعلى الى اقصى درجة ممكنة بحيث لا يعاق الهواء معها عن الخروج خروجا حراً ، فاذا حدث ان ازداد الارتفاع عن هذه الدرجة قليلا فانه يعوق الهواء عن الخروج بعض العوق ، ومن ثم يظهر اثر هذا العوق على هيأة احتكاك خفيف ، اما اصوات المد الاخرى فان اللسان لا يرتفع في اثناء نطقها الى هذا الارتفاع ، مما يعني انها لا يمكن ان تخضع لمثل هذه الحالة ابداً(٧٠).

ويبدو ان هذا الاحتكاك يخرج بهذه الاصوات عن صفاتها المدية بعض الخروج اذ يجعلها اقل درجة في قوة الاسماع(٧١) ، ويجعلها تسلك في التأليف الصوتي مسلك الصوامت ، فهي تتحول الى عنصر غير مقطعي non- syllabic كما في قولنا you فصوت الـy من هذا القبيل من الاصوات(٧٢) ، ونلاحظ في هذا المجال ايضا ان انصاف المد تتبادل المواقع مع الصوامت ، بل هي في اللغات السامية ، ومنها العربية تتصرف تصرف الصوامت تماما ، ويعدها الصرفيون العرب عنصراً من الاصول الصامتة للكلمة اي (الجذر) كما في قولنا «وَلَد» و «يُسر»(٧٣).

لقد اطلق عليها بجانب مصطلح انصاف مد semi vowels مصطلحات اخرى من قبيل انصاف صوامت semi consonants (٧٤) واطلق عليها دانيل جونز مصطلح اصوات المد الصامتة consonantal vowels (٧٥) غير ان التسمية الاولى كما يبدو اكثر دقة في التعبير عن طبيعة هذه الاصوات ذلك انها اساسا من اصوات المد ، لكنها تقترب من سلسلة الصوامت بسبب وجود هذا الاحتكاك

---

٧٠ ـ الاصوات اللغوية/ ٤٤ ـ ٤٥ .

٧١ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٢٨٣ .

٧٢ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٢٨٣ .

٧٣ ـ ينظر علم اللغة العام/ كمال بشر/ ٨٣ ودراسة الصوت اللغوي/ ٣٨٣ .

٧٤ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٢٨٣ .

٧٥ ـ An outline of English phonetics, p. 60, 99

الخفيف ، او هي كما يقول فندريس اصوات مد مشـوبه بعناصر صـامتية اكثر منها صوامت مزودة بالجهر[٧٦] ذلك انها اصوات مد تصحبها ضـوضاء خفيفـة ، وهي على اية حال ضوضاء اقل من ضوضاء اي صـامت[٧٧] ، ويرى فندريس انه بفضل هذا العنصر «الصامتي» صار بالامكان استعمالها استعمال الصوامت[٧٨].

ولكن يجب الا ننسى ان هذه الاصوات تبقى محتفظة بخصائصها المدية في كثير من الاحيان ، فهي مثلا تخضع لطائفة من قوانين اصوات المد من نحـو قـانون الانسجام المدي vowel harmony ولكنها تفقد وظيفتهـا المدية بان تسـلك سـلوك الصوامت في التأليف الصوتي[٧٩].

صوت المدّ المركب Diphthong

قد يكون صوت المد بسيطا ، وقد يكون مركبا ، فهو بسـيط اذا اقتضى مـوقعا ثابتا لا يتغير في اثناء النطق ، وهو مـركب اذا انتقـل اللسـان في اثناء النطـق مباشرة من موقع صوت مد الى موقع نطق صوت مد آخر[٨٠].

ان هذا الانتقال المباشر من صوت الى آخر يمثل حالة صعبة بالنسـبة للمتكلم لانه يتطلب منه ان يغير وضع جهاز النطق من موضع الى اخر ، وهـذا يعني ان على اعضاء النطق ان تتوقف زمنا لينطلق كل من صـوتي المد على حـدة ، يكون على المتكلم في اثناء ذلك ان يقطع مجرى نفسه ثم يستأنفه مرة اخرى[٨١] وهو امر لا يمكن تصوره قطعا ، فكان على جهاز النطق ان يتحيل على ذلك بان يفصل بين الصوتين باحتكاك بسيط يكون بمثابة فاصل يسـتريح فيه اللسـان برهـة لكي يستطيع اتخاذ الوضع الآخر ، ومن اجل ذلك يتحـول احـد صـوتي المد ـ يكون الثاني في الغالب ـ الى نصف مد مما يسهل اجتماعهما[٨٢].

ان هذا التتابع بين صوت المد ونصف المد هو مـا اصـطلح عليه بصـوت المد

---

٧٦ ـ اللغة/ ٥١

٧٧ ـ المصدر السابق/ ٥١ .

٧٨ ـ المصدر السابق/ ٥١ .

٧٩ ـ دراسات في علم اللغة/ ١٣٣ علم اللغة العام/ د . كمال بشر/ ٨٥ .

٨٠ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ١١٦ .

و The pronunciation of English p. 22

٨١ ـ اسس علم اللغة/ / ١٥٠ .

٨٢ ـ المصدر السابق/ ١٥٠ .

المركب ، وقد بين الباحثون ان هناك نوعين من اصــوات المد المركبة نســبة الى موقع صوت المد المحض فيه ، هما :

١ ـ صوت مد مركب صاعد rising : اذا كان صوت المد تاليا لنصف المد من نحــو wa في الكلمة الانكليزية was او ye في yes اويَ في الكلمة العربية يُسر[٨٣] .

٢ ـ صوت مد مركب هابط falling : اذا كان صوت المد سابقا على نصــف المد ، من نحو oy في الكلمة الانكليزية boy ومن نحو ay في الكلمة العــربية بَيْت و aw في الكلمة العربية حَوْض[٨٤].

لقد قيد الباحثون التتابع الذي يمكن ان يطلق عليه مصطلح صــوت المدّ المركب diphthong بان يكون واقعا ضمن مقطع واحد[٨٥] وبهذا اخــرجوا تتابع اصـــوات المد الذي يقع في مقطعين متجاورين لان وقوعهما في مقطعين يفصل بينهما مما قد يتيح لهما ان يتتابعا من غير صعوبة في نطقهما[٨٦].

غير ان هناك من الباحثين من لا ينظر لصوت المد المركب هذه النظرة الوصفية اذ يشترط لذلك شرطا آخر ، هو ان يؤدي هذا التتابع وظيفة صوت واحد ، اي ان يكون وحدة واحدة one uint في اثناء التأليف الصوتي[٨٧] وهذا يعني ان صوت المدّ المركب لا يرتبط بالحقائق الفســلجية حســب ، وانمــا يرتبط الى جــانب ذلك ، بحقائق فونولوجية تستمد قوتها من طبيعة اللغة نفسها ، ومن احساس المتكلمين بها ، فثمة لغات لا ترى في تتابع صوت المد ونصف المد وحدة واحدة حتى لو كان هذا التتابع يقع ضمن مقطع واحد ، اذ يشعر المتكلم بانفصال الصوتين ، وهــذا الاحساس بانفصالهما متأت في حقيقة من انهما يؤديان وظيفتين منفصلتين ، اي ان التتابع لا يمثل فونيما واحدا بحيث ان ابناء تلك اللغات ينظرون اليه على انه يمثل وحدة واحدة لا يمكن تجزئتها ، ولعل التعريف الذي يذهــب الى ان صــوت المدّ المركب انما هو تتابع صوتي مدّ يوجدان في مــدة زمنية واحــدة لا تكفــي الا

---

٨٣ ـ اسس علم اللغة/ ٨١ .
الاصوات اللغوية/ ٨٩ .
٨٤ ـ المصدران السابقان ، الصفحات نفسها .
٨٥ ـ اللغة/ ٥٤ دراسة الصوت اللغوي/ ١١٦ ، اسس علم اللغة/ ٨٠
٨٦ ـ ينظر في Elements of general phonetics, p. 59
٨٧ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٣٠٣ ودراسات في علم اللغة/ ٧٢ .

لنطق صوت مدّ واحد[88] تعريف نابع من الاحساس بوحدة هذين الصوتين وحدة تامة .

وظيفة اصوات المد :

يرتبط الجانب الوظيفي لاصوات المد بالطبيعة الفسلجية والصوتية التي تتصف بها هذه الاصوات ، وقد بينا سابقا ان اهم صفتين في هذا المجال هما :

١ ـ الوضع التشريحي الحر ، وعدم وجود احتكاك في اثناء الاداء .

٢ ـ كونها تملك قوة اسماع عالية جدا[89] تفوق قوة اسماع الصوامت بكثير بل ان قوة اسماع بعض الصوامت (هي الانفجارية المهموسة) تكاد تكون معدومة[90].

لقد ساعدت الصفة الاولى على ان تكون اصوات المد وسيلة تمكن جهاز النطق من الانتقال من وضع صوت صامت الى الذي يليه[91] وبهذا صارت اصوات المدّ وسيلة لربط سلسلة من الصوامت في اثناء الكلام ، ولان قوة الاسماع في هذه الصوامت واطئة جدا ، بل معدومة في طائفة منها ، فقد اعتمد قوة الاسماع العالية في اصوات المدّ على اعطاء الصوامت التي تكتنفها في الكلام قدرة على الاسماع ، وهذا يعني ان اصوات المدّ على غاية من الاهمية اللغوية ، فهي تقوم بتجميع الصوامت بعضها مع بعض لتأليف الكلام اولا ، ثم تقوم باعطائها قوة على الاسماع .

لقد بني على هذه الاهمية الوظيفية واحدة من اهم النظريات الفونولوجية اعني بذلك نظرية (المقطع) وهي النظرية التي يميل بعض الباحثين اللغويين الى تقسيم الاصوات اللغوية وفقها[92].

---

٨٨ ـ اسس علم اللغة/ ٨٠ .

٨٩ ـ يلاحظ انه في حالة الفقد السمعي في الترددات العالية نسمع اصوات المد بسهولة لترددها المنخفض وطاقتها العالية على حين يتعذر علينا تمييز الصوامت ذات الترددات العالية والطاقة الواطئة (الصوت/ ٦٧) .

٩٠ ـ تختلف الصوامت في قوة الاسماع ، فهذه القوة معدومة في الانفجارية المهموسة وواطئة جدا في الانفجارية المجهورة ، وهي اعلى من ذلك بقليل في الاستمرارية ـ المهموسة وتليها الاستمرارية المجهورة ، ثم الانفية والجانبية والترددية . ينظر في ذلك اصوات اللغة/ ١٣٥ .

٩١ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ١١٤ (٤) المصدر السابق/ ١١٤ .

٩٢ ـ ينظر اللغة لفندريس / ٤٧ ومناهج البحث في اللغة/ ١١٤ ـ ١١٧ ودراسة الصوت اللغوي/ ١١٦ .

ونظرية المقطع تصنف الاصوات اللغوية الى صنفين :

١ ـ اصوات تكون قمة للمقطع ، وهي الاصوات التي لها قوة اسماع عالية وهي بوجه عام اصوات المدّ ، لكن من المحتمل في طائفة من اللغات ان تكون قمة المقطع من الصوامت التي تملك قوة اسماع قريبة من قوة اسماع اصوات المدّ ، وهذه الصوامت هي الراء والميم واللام والنون[٩٣] .

٢ ـ اصوات تكون قاعدة للمقطع : وهي الاصوات التي تملك قوة اسماع واطئة وهي الصوامت عادة ، ولكن تدخل معها في هذا المجال انصاف المدّ[٩٤] .

ان مصطلحي «قمة» المقطع و «قاعدته» اصطنعا للبحث الفونولوجي من خلال تجارب تسجيل الكلام على لوح حساس ، اذ لوحظ ان موجة الكلام تكون على هيأة خط متموج فيه ارتفاعات وانخفاضات ، فاصطلح على تسمية الارتفاعات بالقمم والانخفاضات بالقواعد[٩٥] ولقد لوحظ ان اصوات المدّ تحتل القمم دائما

---

٩٣ ـ يطلق بوجه عام على هذا الضرب من الاصوات مصطلح «اشباه اصوات المد» وهي مجموعة الصوامت التي تشبه اصوات المد في خصائصها العامة ، ويلاحظ ان الهواء يخرج في اثناء ادائها بعائق جزئي لا يمنع حرية مرور الهواء ، فصوت اللام مثلا يصحبه غلق في وسط الفم ولكن الهواء يتسرب من جانبي اللسان (ينظر علم اللغة العام/ د . كمال بشر/ ١٣١) والاحتكاك القليل الذي يصحب حدوث هذه الاصوات يكاد يختفي في حالات كثيرة ، ومن اجل ذلك عدها بعض العلماء باصوات المد الصق منها بالصوامت ، اذ انها تشاركها في قوة الوضوح السمعي (ينظر دراسة الصوت اللغوي/ ٢٠ واصوات اللغة/ ١٣٦) .

وقد ذهب بعض الباحثين الى انها واصوات المد قد يرجعان الى اصل واحد ، (ينظر بحث في اشتقاق حروف العلة/ د . ابراهيم انيس/ مجلة كلية الاداب ـ جامعة فاروق الاول/ الاسكندرية/ مجلد ٢/ عام ١٩٤٤ ، ص ١٠٩)

ونلاحظ ان لها وظائف من صلب وظائف اصوات المد في طائفة من اللغات ، كأن تكون قمة للمقطع كاللام في الكلمة الانكليزية battle (ينظر في دراسة الصوت اللغوي/ ١١٦) .

وهذه الظاهرة واضحة ايضا في اللغة التشيكية ، اذ انه كثيرا ما تقوم هذه الاصوات بوظيفة قمة المقطع في كلمات من نحو Krst و pln (ينظر في اسس علم اللغة/ ٩٦) .

بيد اننا لا نستطيع بأية حال من الاحوال عدها من اصوات المد وخاصة في طريقة معاملة العربية لها . لاننا نجد انها اقرب الى مجموعة الصوامت في كثير من خصائصها ووظائفها وطرائق معاملة العربية لها ، ثم ان وجود عائق ـ وان كان جزئيا يسوغ ذلك ـ ثم لانها لا تخضع الى اي من القوانين الصوتية المتعلقة باصوات المدّ . ووجودها في التأليف الصوتي لا يؤثر في نظام اصوات المد في العربية .

٩٤ ـ ينظر في اصوات اللغة/ ١٤٠ ـ ١٤١ .

٩٥ ـ موسيقى الشعر/ ١٤٦ ، الاصوات اللغوية/ ٨٧ ـ ٨٩ ، محاضرات في اللغة / ١٤٠ ـ

بسبب من كونها تملك قوة اسماع عالية ، في حين تحتل الصوامت القواعد ، فعدت القمة وما يكتنفها بمثابة مقطع واحد ، وعلى قدر ما يكون في الخط من قمم يكون عدد المقاطع(٩٦).

من الممكن تعريف المقطع syllable انن بأنه صوت مدّ مكتنف بصامت او اكثر(٩٧) بيد ان هذا التعريف لا ينوه ببعض الحقائق الفسلجية المتعلقة بنظرية المقطع ، اذ يبدو المقطع من خلال هذا التعريف ، وكأنه مصطلح وجد اعتباطا من اجل تيسير البحث الفونولوجي ، بل انه ليكاد يشير الى ان المقطع لا يملك وجودا حقيقيا في نظام الكلام الانساني ، وهذا ليس صحيحا ، اذ ان الكلام الانساني مبني حقيقة على هذه الوحدة التي اصطلحنا عليها بالمقطع وعلة ذلك من قبل النظرة التشريحية : ان جهاز النطق الانساني لا يستطيع الاداء مستمرا(٩٨) فيتحيل على ذلك بان يتوقف عن هذا الاداء بين برهة واخرى توقفا لا يكاد يحس به غير ان موقع هذا التوقف او نوعه يختلف من بيئة الى اخرى ، ومن اجل ذلك نلاحظ اختلاف اللغات في النسيج المقطعي(٩٩).

ويلاحظ ايضا ان مدة الاداء الفاصلة بين اي توقف وآخر تحتوي على صوت مد واحد فقط (وان كانت اشباه اصوات المدّ تقوم بهذه الوظيفة احيانا) .

ومن هذا المنطلق يمكن ان نعرف المقطع تعريفا ادق بانه : مدة الاداء المحصورة بين عمليتين من عمليات اغلاق جهاز النطق اغلاقا كاملا او جزئيا ، وبهذا يكون المقطع اصغر وحدة نطقية(١٠٠)

ان طبيعة اغلاق جهاز النطق او توقفه عن الاداء تحدد نوعين من المقاطع فالاغلاق التام ينشيء مقاطع مغلقة ، والاغلاق الجزئي ينشيء مقاطع مفتوحة ، وعلة نوع هذا الاغلاق مرتبطة بنوع الصوت الذي ينتهي به المقطع .

١ ــ فالمقطع المغلق Closed : هو المقطع الذي ينتهي بصامت .

٢ ــ والمقطع المفتوح Opend : هو المقطع الذي ينتهي دائما بصوت مد طويل او

---

٩٦ ــ المصادر السابقة نفسها ، الصفحات نفسها .

٩٧ ــ موسيقى الشعر/ ١٤٦ محاضرات في اللغة/ ١٤١ اصوات اللغة/ ١٣٩ وينظر دراسة الصوت اللغوي/ ٢٤٣ .

٩٨ ــ ينظر في اصوات اللغة/ ١٤١ في الاساس التشريحي للتقسيم المقطعي .

٩٩ ــ ينظر في المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية (حوليات الجامعة التونسية / العدد ١٤/ سنة ١٩٧٣/ ص ١٥١ والاصوات اللغوية/ ٩١ .

١٠٠ ــ المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية/ ١٥١ .

قصير[101]

وتختلف المقاطع ايضا بدرجة الطول فهناك :

١ ـ مقطع قصير : مكون من صامت وصوت مد قصير من نحو «لَ».

٢ ـ مقطع طويل : مكون من صامت وصوت مدّ طويل من نحو «لا» او من صامت وصوت مدّ قصير وصامت من نحو «لَنْ»[102].

وثمة نوع ثالث من المقاطع ، قليل الأستعمال ، هو المقطع المديد ، ويتألف من صامت وصوت مد طويل وصامت من نحو «لان» او من صامت وصوت مد ثم صامتين من نحو «بَحْر»[103].

وتتباين اللغات بوجه عام في ميلها الى نوع خاص من المقاطع فمنها لغات تؤثر المقاطع المفتوحة ، واخرى تؤثر المغلقة ، وثالثة تميل الى استعمال النوعين بشكل حيادي[104] اما السبب في اختلاف هذه اللغات في النظام المقطعي ، فلعله يرجع الى تأثير البيئة والحالة النفسية والحضارية لابناء تلك اللغات ، ومن اجل ذلك كان اختلاف بيئات اللغة الواحدة مؤثرا في النظام المقطعي لتلك اللغة ، فتظهر بسبب ذلك انسجة مقطعية خاصة بتلك اللهجات[105].

مما سبق يمكن القول أن اصوات المد تؤدي دوراً اساسيا في عملية النطق ، اذ اننا نكاد نعتمدها وحدها لنسمع الصوامت ، كما انها تمثل العنصر الاساسي في اصغر وحدة نطقية في نظام الكلام الانساني يزاد على ذلك ان طبيعة ترددها في الكلام هي التي تحدد طبيعة النظام او النسيج المقطعي للغة ، وابسط مثال على ذلك ان عددها في الكلمة يمثل عدد المقاطع ، ومما لاشك فيه ايضا ان طبيعة النظام المقطعي تؤدي دوراً ما في المسائل الصرفية وفي المسائل النحوية ايضاً .

هذه هي الوظائف التي تقوم بها اصوات المد في اللغات عامة ، وهي كما راينا مبنية على الطبيعة الصوتية والتشريحية لهذه الاصوات ، ومن هذا المنطق يمكننا القول ان الاراء التي تتهم التفريق الصوتي ـ فسلجيا وطبيعيا ـ بانه تفريق لا

---

١٠١ ـ المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية/ ١٥٢ ـ ١٥٣ وينظر في دروس في علم اصوات العربية/ ١٩١ .

١٠٢ ـ ينظر في دروس في علم اصوات العربية/ ١٩١ ـ ١٩٢ والعربية الفصحى/ ٤٠٤

١٠٣ ـ المدخل الى علم اللغة/ ٦٩ .

١٠٤ ـ الاصوات اللغوية/ ٩١ .

١٠٥ ـ لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة/ ٢٥٣ .

نفع فيه ، لانه تفريق غير قائم على اسس لغوية[١٠٦] انما هي آراء قاصرة نلك اننا لا نستطيع تفسير كثير من المشكلات اللغوية البحتة من غير الاستناد الى العلوم الانسانية الاخرى .

يزاد على ذلك ان الوظائف الاساسية لاصوات المد لا تنفي وجود وظائف تتحدد باللغات نفسها ، اذ ان هذه الاصوات تسلك في كل لغة مسلكا ينبع من منطق تلك اللغة نفسها فسلوك اصوات المد في اللغات الاشتقاقية يختلف كثيرا عن سلوكها في اللغات الالصاقية والنحتية ، فهي في اللغات الاشتقاقية مثلا تقوم بوظائف صرفية على غاية من الاهمية في حين انها لا تقوم بمثل هذه الوظائف في طائفة اخرى من اللغات ، وبذلك يكون لكل لغة نظرتها الى هذه الاصوات ، بله اصواتها اللغوية كلها ، انطلاقا من سلوك هذه الاصوات الخاص داخل البنية اللغوية ، وهو ما سنفصل فيه الحديث في مباحث قادمة .

ومن هذا المنطلق ايضا امكننا القول ان اختلاف نظام اصوات المد او تنوعها في اللغات ، انما يرجع الى طريقة سلوكها في تلك اللغات ، فنلاحظ من اجل نلك تفاوت اللغات في انظمة اصوات المد ، فبعضها يحتوي خمسة اصوات وبعضها اكثر ، وبعضها اقل من ذلك[١٠٧].

مسلك اصوات المد في اللغات :

قبل البدء بالحديث عن ذلك ، ينبغي لنا ان نشير الى ان القوانين الصوتية بوجه عام محددة دائما بالزمان والمكان اذ ان اللغات تستجيب لها كل من قبل نظامها وطريقة نطقها والعادات المنطقية التي نشأ عليها اهلها وهي بهذا لا تشبه القوانين الفيزياوية او الكيمياوية التي لا يمكن الخروج من ربقتها ، بل ان اطلاق صفة القانون عليها شيء هو الى المجاز اقرب منه الى الحقيقة فنلاحظ مثلا ان لغات تكره تتابع اللام والراء في جذر واحد ، على حين ان لغة كالتركية لا تجد في ذلك حرجا ، بل تكاد تكثر من هذا التتابع ، ثم نلاحظ ان التغيرات الصوتية التي تحدث في لغة ما ، ربما لا تحدث فيها في حقبة اخرى او بسبب من ان هذه التغيرات تخالف النظام النحوي او انها لا تظهر في الامثلة والمفردات

---

١٠٦ ـ مناهج البحث في اللغة/ ١١٦ ـ ١١٧ .

١٠٧ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٢٢٩ .

التي لا تستعمل كثيرا[١٠٨].

وعلى اية حال وجد بوجه عام ان الاصوات اللغوية تتأثر بعضها ببعضها الاخر في حالة التأليف الصوتي، ثم وجدوا ان قانونا اساسيا يحكم هذه التأثيرات اصطلح عليه بقانون المماثلة Assimilation [١٠٩].

ويذهب هذا القانون الى ان الاصوات في تأثرها بعضها ببعض، انما تجنح الى شيء من المماثلة او المشابهة بينها (ليزداد مع تجاورها قربها في الصفات او المخارج ويمكن ان يسمى هذا التأثر بالانسجام الصوتي بين اصوات اللغة، وهذه الظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة، غير ان اللغات بصفة عامة، تختلف في نسبة التأثر وفي نوعه)[١١٠].

بيد اننا سنأخذ جانبا واحدا من تأثر الاصوات اللغوية بعضها ببعض هو التأثر بين اصوات المد، وما يجاورها من اصوات، ويمكن تقسيم هذا التأثر الى قسمين:

الاول: تأثر اصوات المد بعضها ببعض.

الثاني: تأثر اصوات المد بالصوامت وتأثر الصوامت بها.

تأثر اصوات المد بعضها ببعض

ويطلق على هذا مصطلح الانسجام المدّي Vowel harmony ويفسر إنه جنوح اصوات المد المتجاورة في الكلام الى الانسجام فيما بينها حتى لا ينتقل اللسان من ضم الى كسر الى فتح او بالعكس في اثناء الاداء تسهيلا [١١١]

وتكاد هذه الظاهرة تكون من السمات الاساسية لبنى طائفة كبيرة من اللغات فهي واضحة في العربية التأريخية وضوحا تاما ومن يبحث في الاتباع والامالة وتغير اصوات المد في طائفة من الكلمات يجد حتما ان ذلك كان نتيجة لخضوع العربية لضرب من الانسجام المدّي، ولقد عرف علماء العربية هذا القانون وسموه التناسب[١١٢] او «المشاكلة»[١١٣] وسأحاول التفصيل في ذلك في موضعه.

---

١٠٨ ـ للاستزادة ينظر في (اللغة) فندريس/ ٦٢ ـ ٨٢.

١٠٩ ـ Elements of general phoneticsp. 133- 139

اسس علم اللغة/ ١٤٧.

١١٠ ـ الاصوات اللغوية/ ١٠٦، والمصطلحات اللغوية الحديثة/ ٨١، ١٧٠

١١١ ـ المصطلحات اللغوية الحديثة / ٧٥

١١٢ ـ ينظر شرح المفصل/ ١٢٥٨ شرح التصريح ٢/ ٥٤٦

١١٣ ـ شرح المفصل/ ١٢٦٥

ونلاحظ تأثير هذا القانون واضحا في اللغات الالصاقية[114] ومن هذه اللغات التركية[115] التي تظهر وحداتها الصرفية على هيأة لواصق تلصق وفق نظام خاص بالكلمة الاساسية، فتتأثر اصوات المد الموجودة في هذه اللواصق باصوات المد الموجودة في الكلمة الاساسية، فيطرأ بعض التغيير في نطقها ابتغاء الانسجام[116].

ويمكن تقسيم هذا التأثر الصوتي الى قسمين:

١ ـ تأثر رجعي Regressive يتأثر فيه الصوت الاول بالصوت الثاني[117] من نحو تأثر الضمة في بعض القراءات القرانية في «الحمد لِله» بالكسرة فتنقلب هي ايضا الى الكسر[118].

٢ ـ تأثر تقدمي progressive ويتأثر فيه الصوت الثاني بالصوت الاول[119] من نحو تحول بهُ وعليهُ في العربية الى بهِ وعليهِ[120].

الانسجام بين اصوات المد والصوامت:

١ ـ تأثير الصوامت في اصوات المد: نلاحظ ان للصوامت تأثيراً قوياً في اصوات المد، بحيث يمكن القول ان بعض الصوامت يغير في نطق صوت المد حتى ينقلب الى صوت مد آخر ومن هذا القبيل تأثير الصوامت المفخمة في نطق اصوات المد الامامية (الكسرات) بحيث تغير اتجاهاتها الى ان تصير اصوات مد خلفية (ضمات)[121] بل ان بعض الباحثين يرى انه حين يوجد صوت صامت مفخم في داخل المقطع فالمقطع كله يخضع للتفخيم ثم يمتد هذا التفخيم الى المقاطع المجاورة ولعل من ذلك ما جاء في لهجة اهل بغداد المعاصرة من تفخيم لاصوات المد في الكلمات

---

١١٤ ـ تنظر مادة vowel في Encyclopaedia Britannica, X, p. 499

١١٥ ـ المدخل الى علم اللغة/ ٦٨

١١٦ ـ المصدر السابق/ / ٦٨.

١١٧ ـ المصطلحات اللغوية الحديثة/ ٢٠ وينظر
Elements of general phonetics, p. 134

١١٨ ـ البيان ١/ ٢٠

١١٩ ـ المصطلحات اللغوية/ ٢٠ وينظر.
Elements of general phonetics, p. 134

١٢٠ ـ الكتاب ٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

١٢١ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٣٢٩.

التي توجد فيها اصوات مطبقة كالضاد والصاد والظاء والطاء من نحو قولهم ضابُط في ضابِط وحامُض في حامِض وكاظُم في كاظِم ، بحيث نلمس ان هذا التأثير قد ادى في اخر الامر الى ان تنقلب الكسرة ضمة صريحة .

ويورد جان كانتيو امثلة في باب تأثير الصوامت في اصوات المد ، كتأثير الصوامت الشفوية ، حيث تنزع هذه الاصوات الى ان يكون ما قبلها ضمة في اللغات السامية[١٢٣].

ولعل من هذا القبيل تأثير اصوات الحلق في الساميات عامة في اصوات المد المجاورة لها ، ونزوعها الى ان تكون «فتحات»[١٢٤].

تأثير اصوات المد في الصوامت :

كما ان للصوامت تأثيرا في اصوات المد فان لاصوات المد تأثيرا في الصوامت من ذلك ان مخرج الصامت قد يتقدم او يتأخر تبعا لصوت المد المجاور له ، فاللام مثلا تنطق امامية اكثر مع الكسرة بخلاف اللام التي تنطق مع الضمة ، اذ ان مخرجها يتأخر بعض الشيء[١٢٥] ومن اجل ذلك يذهب بعض اللغويين الى ان اصوات المد المصاحبة للصوامت في المقطع او الكلمة هي التي تقرر صفة الصوامت في ان تكون اكثر غارية او طبقية او شفوية او اقل[١٢٦] .

ونلاحظ ان هذا التأثير يزداد في بعض اللغات الى درجة يمكن ان يؤثر معها في كيان الصوت الصامت نفسه، من ذلك ان صوت الكاف K في الانكليزية يجنح الى ان يتحول الى سين c اذا جاء قبل صوت مدّ امامي[١٢٧] وشيء قريب من هذا يحدث لهذا الصوت في الايطالية اذا جاء بعده صوت المدّ e او صوت المدّ i وهما صوتان اماميان اذ يصير الى ch وقد لوحظ في الفرنسية ان الكاف تحول ts في الحالة نفسها ، ثم تطور هذا الصوت الجديد الى سين محضة[١٢٨] ولعل هذا يذكرنا بظاهرتي «الكشكشة» و «الكسكسة» في اللهجات العربية القديمة ، اذ ان صوت

---

١٢٢ ـ المصدر السابق/ ٣٢٩ .
١٢٣ ـ دروس في علم اصوات العربية/ ١٨٢ ، ١٨٣ .
١٢٤ ـ في اللهجات العربية/ ١٥٨ .
١٢٥ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٣٢٧ .
١٢٦ ـ المصدر السابق/ ٣٢٧ .
١٢٧ ـ المصطلحات اللغوية الحديثة/ / ١٥٦ .
١٢٨ ـ لغات البشر/ ٩٨ .

الكاف المكسور المتطرف الذي هو لمخاطبة المؤنث قد تحول في لهجات الى ch [١٢٩] وفي اخرى الى ts[١٣٠] وهو امر سنتحدث عنه فيما بعد .

ومن جانب آخر يلاحظ ان وقوع الصامت بين صوتي مدّ قد يؤدي به الى الاضمحلال او الانحراف عن مخرجه الاصلي او التحول الى صوت اخر ، وفي بعض الحالات الى الضعف الشديد[١٣١] فصوت b مثلا قد تحول في اللاتينية في كلمة faba الى v بسبب وقوعه بين صوتي مد ، وكذا صوت الدال d في الكلمات اللاتينية قد تحول في البروفنسية الى z على حين سقط في الفرنسية والاسبانية وصوت التاء في كلمة amata صوت مدّ في الفرنسية في كلمة aimee ويلاحظ ان معظم الاصوات التي تخضع لهذا القانون هي الاصوات الانفجارية ، وهو ما اشار اليه بعض الباحثين[١٣٤] ذلك ان الصوت الانفجاري يكاد يكون الضد الرئيس لصوت المد ، فعلى حين ان اصوات المد تتم بسبب حرية المجرى الهوائي حرية تامة نجد ان الانفجاري يتم بسبب من حبس الهواء حبسا تاما ثم اطلاقه على هيأة انفجار ومن اجل هذا التناقض في طبيعة الاصوات تحاول اصوات المدّ ان تقلل من حدة حبس الهواء هذا وانفجاره لعله في ميلها الى التجانس مع الاصوات المجاورة ولعل ما حدث للهمزة وهي صوت انفجاري في العربية في بعض السياقات من انها ضعفت ضعفا شديداً فصارت تنطق بين بين[١٣٥] كان لسبب من وقوعها بين صوتي مد .

الابدال والتناوب في اصوات المد :

من الملاحظ في دراسة الاصوات اللغوية ان بعضها يميل الى الاستقرار او ـ التطور البطيء وبعضها يميل الى التغير ، او التطور السريع ويرى الباحثون ان لهذه الظاهرة علاقة بطبيعة الاصوات الفيزياوية ، من قبيل انتشارها في الهواء ، وطريقة رد فعل الاذن لها[١٣٦].

---

١٢٩ ـ اللسان ٦/ ٣٤٢ وينظر جمهرة اللغة ١/ ٦

١٣٠ ـ اللسان ٦/ ١٩٦ ـ ١٩٧ .

١٣١ ـ اسس علم اللغة/ ١٤٣ وينظر اللغة العربية معناها ومبناها/ ٣٠٣ .

١٣٢ ـ علم اللغة/ د . علي عبدالواحد وافي / ٣٠٦

١٣٣ ـ اسس علم اللغة/ ١٤٣ .

١٣٤ ـ المصدر السابق/ ١٤٣ .

١٣٥ ـ سر الصناعة ١/ ٥٣ .

١٣٦ ـ علم اللغة العام م/ د . كمال بشر/ ٢٠ .

ونحن حين ندرس اصوات المد ، نجد انها من تلك الطائفة التي تنزع الى التغير وعدم الاستقرار ويبدو ان ذلك راجع من الناحية الفيزياوية الى ان ترددات[١٣٧] هذه الاصوات متقاربة فيما بينها اكثر من غيرها من الصوامت مما جعل الانطباع السمعي لها متقاربا ايضا وكذلك راجع الى اوضاعها التشريحية الحرة المتقاربة التي لا تملك نقاط «ارتكاز» من قبيل ما تملكه الصوامت التي يؤلف الاحتكاك فيها نقاط ارتكاز تؤدي الى الاستقرار .

ان هذا الامر قد يفسر لنا ظاهرتين متعلقتين باصوات المد :

الظاهرة الاولى : ظاهرة التطور المستمر في نطق هذه الاصوات ، بحيث انها تتغير بتغير البيئة والزمان .

الظاهرة الثانية : كثرة التناوب بينها .

ويمكن ان نطلق على الظاهرة الاولى «ظاهرة ابدال اصوات المدّ اي تحول صوت مد معين الى صوت مد اخر مع احتفاظ الكلمة بدلالتها ومعناها الاصلي[١٣٨].

ويرجع عدم استقرار هذه الاصوات اضافة الى ما ذكرنا الى :

١ ـ اختلاف مرونة اعضاء النطق باختلاف البيئات والازمنة[١٣٩] ولاسيما ان لهذه الاعضاء اهمية قصوى في تنوع اصوات المد ، وقد لاحظنا فيما سبق ان مجرد اختلاف درجة توتر اللسان تؤثر في نوع صوت المد المنطوق[١٤٠].

٢ ـ نظام النبر ، فقد لوحظ ان النبر يؤثر تأثيرا كبيرا في الجانب الصوتي بغض النظر عن الجوانب الصرفية والنحوية ، فهو مثلا قد يزيد في طول صوت المد في المقطع المنبور نبرا كميا ويقصر من هذا الطول في المقطع غير المنبور بل ان هذا الضرب من النبر قد يؤدي الى حذف صوت المد في مقطع مجاور غير منبور او الى انحرافه[١٤١] ونلاحظ ايضا ان النبر التوتري قد يؤدي الى تقصير صوت المد او

---

١٣٧ ـ التردد Freguen عدد الذبذبات التي ينتجها مصدر الصوت في الثانية الواحدة ، ويكون احساس الاذن ناتجا عن عدد هذه الذبذبات (اصوات / ١٠٢) اي ان التردد هو الذي يعطي الصوت نوعه timbre ويميزه عن الاصوات الاخرى ، دراسة الصوت اللغوي/ ١٦)

١٣٨ ـ علم اللغة/ د . وافي / ٣٠٩

١٣٩ ـ الاصوات اللغوية/ ١٦٢ ـ ١٦٥ .

١٤٠ ـ Elements of general phonetics, p. 58

١٤١ ـ اسس علم اللغة/ ١٤٧ وينظر دراسة الصوت اللغوي/ ١٩٠ ـ ١٩١ .

١٤١ ـ اسس علم اللغة/ ١٤٧ وينظر دراسة الصوت اللغوي/ / ١٩٠ ـ ١٩١ .

حذفه من المقطع المنبور[١٤٢].

٣ ـ ان من الاسباب التي قد تؤدي الى ابدال اصوات المدّ بعضها مـن بعض ميل اللغة او اللهجة الى الاكثار من تردد صوت مد بعينه وهذه الظاهرة واضحـة في لهجات كثير من اللغات ولو اخذنا على سبيل المثال لهجتين عربيتين معـاصرتين كلهجة بغداد ولهجة جنوبي العراق لرأينا ان لهجة بغـداد تميل بوجـه عام الى الضم في حين لهجة جنوبي العراق الى الكسر ، ومن امثلة ذلك قـول البغـداديين «يأكُل» و «يسكُت»و «كُل» و «كاظُم» وقـول اهـل الجنوب «ياكِل» و «يسِكت» و «كِل» و «كاظِم» .

ان هذه الاسباب نفسها هي التي تحكم الظاهرة الثانية ، التي ذكرناها سابقا وهي ظاهرة التناوب بين اصوات المد ، وهي ظاهرة لا تكاد تخلو منها لغـة مـن اللغات[١٤٣] فالعربية مثلا قد خضعت لهذه الظاهرة في كثير مـن مفـرداتها اذ ان الكلمة قد ترد مرة بالضم واخرى بالكسر وثالثة بالفتح مـن غير ان يؤثر ذلك في المعنى[١٤٤] غير ان علينا ان نوضح حقيقة معينة في هـذا المجـال . هـي ان هـذا التناوب غير خاضع للقياس ، اذ اننا سنواجه في كثير من الاحيان بتغير المعنى ـ وقد يكون ذلك كليا ـ في حالة تغير اي صوت مدّ في الكلمة ولعل ما اصطلح عليه في العربية بالمثلث ليس غاربا عن بالنا .

ترتبط بهاتين الظاهرتين ظاهرة ثالثة هـي تحـول اصـوات المدّ المركبة الى اصوات مد بسيطة ، من نحو ما حدث في الفرنسية مثلا اذ تحول معظم اصـوات المدّ المركبة فيها الى اصوات مد بسيطة single[١٤٥] ولعل هذه الظاهرة واضـحة في الساميات ايضا ، اذ تطورت في كثير منها اصوات المد المركبة الى اصـوات مـدّ بسيطة[١٤٦].

ويقابل هذه الظاهرة ظاهرة اخرى هي تحول صوت المدّ البسيط الى صوت مدّ مركب ، وهذا التحول يحدث عادة في صوت المد البسيط الطويل ومن اللغات التي تعرف هذه الظاهرة : الانكليزية اذ ما يزداد طول صوت المد فيهـا لعلة مـا حتى

---

١٤٢ ـ ينظر لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة/ ٢١٧ ـ ٢١٨ .

١٤٣ ـ علم اللغة/ د . وافي/ ٣٠٨ .

١٤٤ ـ ينظر الفصل الثالث من هذه الرسالة ، مبحث تناوب اصوات المد ، وكذلك كتاب
Ancient west- Arabian, p. 100- 102

١٤٥ ـ علم اللغة/ د . وافي ٣٠٩ .

١٤٦ ـ العرب في سوريا/ ٨٦ ـ ٨٧ .

يتحول الى صوت مدّ مركب[١٤٧] بل ان طائفة من مفرداتها الحديثة التي تشتمل على صوت مد مركب، قد نشأت عن مفردات تشتمل على صوت مد طويل من نحو كلمة hause التي كانت تنطق في الانكليزية القديمة hoos وكذا كلمة stone التي كانت تنطق stan[١٤٨].

اجتماع اصوات المدّ :

لقد قلنا سابقا ان من الصعب جدا في الكلام اجتماع اصوات المد معا في مقطع واحد، او في مقطعين متجاورين غير ان بعض الحالات الصرفية تستدعي اجتماع اصوات المد، وهي كما يبدو حالات قليلة ولقد راينا سابقا ان اجتماع صوتي مدّ قد يؤدي الى ان يؤلف هذان الصوتان صوت مد مركب واحد diphthong وفي بعض الحالات يكون هذا الصوت المركب متألفا في الاصل من ثلاثة اصوات triphthong[١٤٩].

ولقد لاحظنا ان مما سهل هذا الاجتماع تحول واحد من اصوات المد الى نصف مد عن طريق الاحتكاك.

غير ان ثمة حالات لا يحدث فيها شيء من هذا القبيل، فتتحيل اللغة على ذلك بان تسقط احد صوتي المدّ المجتمعين او ان تقحم بينهما صامتا[١٥٠] وفي حالات اخرى يتحول احد صوتي المدّ الى صامت[١٥١].

حذف صوت المد :

يعود حذف صوت المد الى اسباب كثيرة منها ما تحدثنا عنه سابقا من ان موقع النبر في الكلام قد يؤدي ببعض اصوات المد في المقاطع غير المنبورة الى الاختفاء وهو ما يطلق عليه الترخيم الوسطي syncoption[١٥٢] وكذا نوع النبر، اذ ان النبر التوتري كثيرا ما يجنح الى حذف صوت المد من المقطع المنبور[١٥٣] لان هذا النوع

---

١٤٧ ـ ينظر كتاب The phonetics of Arabic, p. 35

١٤٨ ـ اسس علم اللغة/ ١٥١ .

١٤٩ ـ اسس علم اللغة/ ١٥٠ .

دراسة الصوت اللغوي/ ٣٠٣ .

١٥٠ ـ علم اللغة/ د. وافي/ ٣٠١ .

١٥١ ـ المصدر السابق/ ٣٠١ .

١٥٢ ـ اسس علم اللغة/ ١٤٧ ـ ١٤٨ .

١٥٣ ـ ينظر العربية الفصحى/ ٤٩ ولهجة تميم واثرها في العربية الموحدة/ ٢١٧ ـ ٢١٨

من النبر يستدعي توترا في اعضاء النطق بحيث لا يسمح بخروج الهـواء ، فلمـا كانت اصوات المد تعتمد حرية خروج الهواء حرية تامة تعذر نطقها في هذه الحالة فسقطت .

لكننا نلاحظ ان من الممكن ان تكون ثمة عوامل اخـرى تسـاعد على سـقوط صوت المد من نحو تطرف صوت المد ، اذ ان هذا التطرف قد يجعله عرضة للحذف او السقوط والامثلة على ذلك كثيرة منها ما حدث في عائلة اللغات اللاتينية اذ ان معظم اصوات المد المتطرفة في اللغة اللاتينية قد انقـرضت في اللغـات المتشـعبة عنها[١٥٤] وكذا سرعة الاداء اذ ان بعض اللهجات تميل الى الاسراع في الكلام اكثر من غيرها فيؤدي ذلك الى سقوط بعض اصوات المد من كلامها[١٥٥].

اضافة صوت مد :

من نحو ما تفعل العربية اذا التقى صامتان ساكنان اذ انهـا تقحـم بينهمـا صوت مد قصير هو الكسرة كراهية هذا الالتقاء[١٥٦] او مـن نحـو مـا تفعـل الايطالية ، اذ انها تفضل ان تنتهي الكلمة بصوت مد ولذلك تضيف هذا الصـوت في نهاية الكلمة التي تخلو منه[١٥٧].

التحول الى الصامت :

مرّ بنا في فقرة سابقة ان اجتماع صوتي المد قد يؤدي باحدهما الى ان يتحـول الى صوت صامت ، لكن هذه الظاهرة ليست متعلقة بهذه الحالة حسب ، اذ انهـا قد تحدث نتيجة التطور الصوتي من ذلك تحول نصف المد w في طائفة كبيرة مـن اللغات كاللاتينية الى v[١٥٨] وهو امر نلحظه في بعض الساميات ايضا اذ ان الواو المتصدرة في الاكادية قد اخذت تتحول الى ميم[١٥٩].

ومن الملاحظ ان هذين الصوتين (اي الميم والفاء) يمتازان بان للشـفتين دورا

---

١٥٤ ــ علم اللغة، د . وافي، ٣٠٣ .

١٥٥ ــ ينظر لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة / ٢١٧ وينظر في اهمية سرعة الاداء اصوات اللغة/ ١٤٨ .

١٥٦ ــ ينظر الى شرح المفصل/ .

١٥٧ ــ اسس علم اللغة/ ١٤٨ .

١٥٨ ــ علم اللغة/ د . وافي/ ٣٠١ .

١٥٩ ــ An introduction to the comparative grammar of semitic Languages p. 45

بارزا في ادائهما ، فلعل هذا التطور قد نشأ اذن نتيجة المبالغة في ضم الشفتين حتى صار الهواء الخارج في اثناء نطق الواو يحتك احتكاكا مسموعا مما ادى به اخيرا الى ان يتحول الى صامت صرف .

ونلاحظ في هذا المجال ايضا تحول نصف المد «الياء» الى «ج» في كثير من اللغات بسبب المبالغة في الوضع الذي يتخذه اللسان في اثناء النطق مما ادى الى زيادة في الاحتكاك من ذلك ما نجده في بعض اللهجات العربية القديمة من تحول الياء المشددة الى جيم[١٦٠].

تحول الصامت صوت مد :

يتم هذا التحول عادة فيما اطلق عليه «اشباه اصوات المد» ولاسيما اللام من نحو الكلمة اللاتينية alba اذ (تحرك مخرجها الى الوراء شيئا فشيئا الى ان صارت في الكلمة الفرنسية aube[١٦١] لكننا نلاحظ ان اكثر الحالات التي من هذا القبيل هو ما يتم فيه ابدال الصامت نصف مد من نحو قلب الجيم في بعض اللهجات العربية الى ياء [١٦٢].

ثم نلاحظ ان هذا القلب يكثر فيما اطلق عليه قانون المخالفة dissimilation الذي يعني (ان الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين ، فيقلب احدهما الى صوت اخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين[١٦٣] وفي الغالب يكون هذا الصوت هو الياء كما في الامثلة التي اوردها سيبويه من نحو قصيت في قصصت وقضيت في قضضت[١٦٤].

وبعد : فيمكن القول ان هذه القوانين هي القوانين الاساسية التي تحكم سلوك اصوات المد في اللغات عامة بيد ان اللغات تختلف في الميل اليها ، فبعض هذه اللغات يجنح الى ضرب بعينه من هذه القوانين ، ويهمل ضربا اخر ، وهلم جرا .

ويلاحظ ايضا ان ثمة قوانين اخرى تتميز بكونها خاصة بطائفة من اللغات ، او بلغة بعينها ، ذلك انها ترتبط بالنسق اللغوي الخاص بها ومن هذا القبيل قانون كراهية توالي عدد بعينه من اصوات المد في الكلمة الواحدة ، او كراهية

---

١٦٠ ـ شرح الشافية ٢/ ٢٨٨ .

١٦١ ـ اسس علم اللغة/ ١٤٤ .

١٦٢ ـ الكتاب ٢/ ٢٨٨ وينظر لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة/ ١٠١

١٦٣ ـ اسس علم اللغة/ ١٤٧ .

١٦٤ ـ الكتاب ٢/ ٤٠١ .

توالي عدد بعينه من اصوات المد في الكلمة الواحدة ، او كراهية توالي انواع بعينها من اصوات المد .. الخ ، مما يرتبط بالبنية اللغوية الخاصة .

ثم ينبغي الا يغرب عن بالنا ان لكل لغة احساسها الخاص باصواتها ، النابع من الوظائف الخاصة التي تؤديها تلك الاصوات في تلك اللغة ، على النحو الذي اشرنا اليه في مقدمة البحث وهو امر له اهميته في دراسة هذه الاصوات في اية لغة .



الفصل الثاني

اصوات المد عند اللغويين العرب

وجد الباحثون القدماء بوجه عام صعوبة في وصف اصوات المدّ ، ويعلل ابركرومبي Abercrombie هذه الصعوبة بخلو هذه الاصوات من ظاهرة الاحتكاك التي يمكن أن تكون وسيلة جيدة لتبين مواضع احداث الاصوات اللغوية ، من نحو ما هو حاصل في الصوامت[1] .

وفي الحق أن اللغويين العرب قد أشاروا الى شيء من هذه الصعوبة ومن هؤلاء الخليل بن احمد[2] ، وابن سينا[3] ، وقد علل رضي الدين الاستراباذي ذلك بعدم القدرة على معرفة ما يجري في داخل جهاز النطق لأن ذلك محجوب بالشفتين والاسنان ،افلا يمكن لنا ادراك طريقة اخراج هذه الاصوات[4] .

بيد أن هذه الصعوبة في تحديد صفات أصوات المدّ ومواضعها التشريحية لم تمنع اللغويين القدامى من الأمم عامة من النظر الى أصوات المدّ على أنها طائفة مميزة من الاصوات اللغوية ، لها خصائص بعينها في البنى اللغوية ، من قبل صفاتها الصوتية ، وسلوكها في التأليف ، ووظيفتها اللغوية ، غير اننا نلاحظ أن اولئك اللغويين قد استمدوا كثيراً من ملاحظاتهم في هذا المجال من سلوك هذه الاصوات ووظائفها في لغاتهم حسب ، فكان لهذه النظرة تأثير عميق في فكرتهم

---

١ — Eiements of generai phonetics, p. 55

٢ ــ التهذيب ٥١/١ .

٣ ــ اسباب حدوث الحروف /١٩ .

٤ ــ شرح الشافية ٢٧٦/٢ .

عن هذه الاصوات ، فاللغويون الهنود مثلا ، قد استمدوا كثيراً من ملاحظاتهم في هذا الشأن من قبل سلوك هذه الاصوات في اللغة السنسكريتية ، بل ان اهتمامهم بعمل اصوات المد يرجع اصلا الى طبيعة عملها في البنية اللغوية السنسكريتية اذ ان النبر Stress ، وهو نو وظيفة في تغيير المعاني في هذه اللغة مـرتبط ارتباطـا وثيقا بأصوات المدّ ، كما ان تغير أصـوات المدّ كمـا أو نوعا يؤدي الى تغيرات كبيرة في المعنى(٥) ، ولقد كان اهتمامهم باصوات المدّ متأتيا ايضـا مـن طبيعـة الالفباء السنسكريتية التي كانت تحرص على ربط الصامت بصـوت مـدّ بحيث صار هؤلاء اللغويون ينظرون الى الصـوامت ، وكأنهـا أصـوات لا تسـتطيع الاستقلال بنفسها أو انها عناصر ضعيفة في بناء الكلمة(٦) ، وانطلاقا مـن هـذه النظرة نظروا الى صوت المدّ على انه صوت قوى ، واطلقوا عليه اسما يشير الى قدرته على الاستقلال ، فقالوا فيه : SVara, وهو اسم مركب من كلمتي SVa و ra اللتين تعنيان «القائم بنفسه»(٧) ، وأشاروا الى أنه صوت يمكن أن ينطق منفـرداً بكل يسر(٨) .

ولقد أشاروا أيضا الى بعض صفاته ، فقـد صرح بانيني (٩) Panini بأن «انتاج الصوت يتم اما عن طريق قفل المجرى بأن يحدث اتصال كامل لاعضاء النطـق ، أو عن طريق حدوث اتصال بسيط كما يحدث مع انصـاف أصـوات المدّ ، أو عن طريق الفتح الكامل كما يحدث مع أصوات المدّ»(١٠) .

وفي هذا النص اشارة واضحة الى أهم صفات أصوات المدّ ، وهي حرية خروج الهواء ، وفي الحق ان بانيني جعل طريقة خروج الهواء من الفم معياراً لتقسـيمه للاصوات اللغوية ، ولكننا نلاحظ بجانب ذلك أن فكرته عن الصوامت وانصـاف المدّ لاتطابق فـكرتنا ، اذ ان الصـوامت عنده تلك الاصـوات الانحباسـية التي اصطلحنا عليها بالانفجارية حسب ، أما الصوامت الاخرى من غير الانفجـارية

---

٥ ـ البحث اللغوي عند الهنود/ ٥٦ ـ ٥٧ ، وينظر ايضا ص /٤٦ .

٦ ـ المصدر السابق/٥٢ ، تاريخ علم اللغة/ ٦٣ .

٧ ـ البحث اللغوي عند الهنود/ ٥١ ، ٥٣ .

٨ ـ المصدر السابق/ ٥٣ .

٩ ـ بانيني : نحوى هندى معروف ، من القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد وتذهـب دائرة المعارف البريطانية الى انه من الجائز ان يكون اقدم نحوى في العالم كله ، تنظر مـادة panini في Encyclopaedia Britannica P. 719 VII .

١٠ ـ البحث اللغوي عند الهنود/ ٤٩ .

فقد اطلق عليها مصطلح انصاف المد[11] .

وبجانب فكرة اللغويين الهنود عن حرية مرور الهواء في اثناء نطق أصوات المدّ ، فقد ميزّوا بينها ايضا من قبل وضعها ، فذهبوا إلى أن الـ "a" يختلف عن غيره من أصوات المد بكونه صوتا محايداً ، وأن العضو الذي يتدخل في نطقه هو الفم كله[12] ثم ميزوا بينها من قبل أطوالها ، وحاولوا وضع درجات لقياس طول كل صوت منها[13] ، الا اننا لا نجد إشارة إلى عمل اللسان أو الشفتين في أثناء نطق هذه الاصوات .

أما عن الاغريق ، فإن أهم ما وصل إلينا من ملاحظاتهم أنهم زادوا في الفبائهم التي اخذوها عن الكنعانيين رموزا لاصوات المدّ ، التي ما كان قد رمُز اليها في تلك الالفباء الكنعانية[14] ،نلكانالاغريق كانوا ينظرون الى هذه الاصوات على أنها أصوات أساسية في لغتهم ، في تحديد المعاني العامة للكلمات يقول مايية Meiiet في هذا الصدد في اليونانية لا تخمن حروف المد تخميناً ولولا الاشارة اليها لما فهمت الكلمة»[15] ، وهناك سبب آخر لاهتمام الاغريق بكتابة اصوات المدّ في الفبائهم ، هو تنوع هذه الاصوات ، بحيث ما كانت معرفة الصرف كافية لتوقعها ، فكان من اللازم تدوينها تدويناً مستمراً[16]، وهو أمر يؤكد ما ذهبنا اليه من قبل من أن الامم كانت تنظر إلى أصوات لغاتها من قبل سلوك هذه الاصوات داخل البنية اللغوية ، بل ثمة علاّقة وثيقة جداً بين سلوك الاصوات اللغوية في لغة بعينها وبين طرائق الكتابة في تلك اللغة ، وقد اشرت في المقدمة الى مقولة ما ييه في هذا المجال من (أن بنية اللغة هي التي تؤثر في كل خطوة حاسمة تؤدي الى ارتقاء طريقة الكتابة)[17] .

ومن الملاحظات الاغريقية الاخرى ، تلك التي تشير إلى اهمية دراسة أصوات المدّ ، ما جاء عن افلاطون (ت حوالي ٣٨٦ ق . م) في حوار كراتيل Cratyle في قوله «ألا ينبغي لنا نحن أيضاً أن نبدأ بتمييز حروف المدّ ، ثم نصنف باقي

---

١١ ـ ينظر تاريخ علم اللغة/ ٦٦ .

١٢ ـ البحث اللغوي عند الهنود/ ٥٠ .

١٣ ـ المصدر السابق /٥٢ .

١٤ ـ تاريخ علم اللغة /٨٣ ـ ٨٥ .

١٥ ـ تاريخ علم اللغة/ ٨٣ .

١٦ ـ تاريخ علم اللغة/ ٨٣ .

١٧ ـ المصدر السابق /٣٦ .

العناصر حسب انواعها ، وهي التي لا تتضمن صوتا ـ نأمة ـ الحروف الصوامت ثم ننتقل الى العناصر التي ليست من الحروف الصامتة ولا من حروف المد)[١٨] ، وقد تحدث افلاطون عن ذلك أيضا حديثا فيه شيء من التفصيل في الحوارين Tie etete- philbe ، فقسم الاصوات إلى أصوات صائتة واصوات متوسطة أقرب إلى الضجة منها إلى الصوت ، وأصوات آنية[١٩] .

وقد عرض ارسطو ايضا لاصوات المد في أثناء حديثه عن الأصوات اللغوية عامة في كتاب «الشعر» فقال :» واجزاء الحروف هي الصائتة ونصف الصائتة والصامتة ، فالحرف الصائت هو ما يحدث صوتا مسموعا بدون قرع الشفتين او الاسنان كالالف A والواو Ω ونصف الصائت ما يحدث صوتا مسموعا مع القرع كالسين والراء P والصامت مالا يحدث بنفسه صوتا مسموعا مع القرع ، ولكنه يحدث صوتا مسموعا اذا اقترن بحروف صائتة كالجيم T والدال Δ ، وهذه الحروف تختلف هيئات الفم ، ومواضع النطق والتفخيم والترقيق والطول والقصر والحدة والغلظ والتوسط بين ذلك)[٢٠] .

ويمكن القول في هذه الملاحظات الاغريقية المبكرة في مسألة تحليل الاصوات اللغوية ، إن افلاطون لم يشر إلى طبيعة الاصوات اللغوية عامة وأصوات المد خاصة ، او الى شيء من خصائصها وصفاتها سوى تلك الملاحظات العامة الغامضة في تقسيم الاصوات الى صوائت ، وأصوات متوسطة قريبة من الضجيج ، وأصوات آنية ، ولعله يعني بذلك الاصوات الانفجارية التي تحدث في «الآن» ، في حين نلاحظ تقدما واضحا في فهم ارسطو لطبيعة هذه الاصوات وفي فهم وظائفها ، اذ ذهب الى أن أصوات المدّ أصوات «مسموعة» ، وانها تحدث من غير احتكاك بالشفتين او الاسنان ، ثم ذهب الى أن طائفة من الصوامت لا يمكن أن تسمع الا اذا اقترنت بصوت مدّ ، وهذا في الحقيقة فهم أولي لوظيفة صوت المد في اللغة .

ولم تشر هذه الملاحظات الى عمل اللسان أو الشفتين في اثناء نطق اصوات المدّ ، بيد أن فندريس يذكر أن بعض الاغريق قد فطن الى أن للشفتين أهمية كبيرة في اصدار أصوات المد ، فقد ورد في فقرة لديني داليكرناس Denys D,

---

١٨ ـ المصدر السابق/ ٨٦ .

١٩ ـ المصدر السابق / ٨٦ .

٢٠ ـ كتاب ارسطوطاليس في الشعر/ ١١٠ ـ ١١١ ، وينظر تاريخ علم اللغة/ ٨٦ ـ ٨٧ .

Halicarnsse وصف دقيق لاوضاع الشفتين عند اصدار صوت المد[٢١] .

يوضح ما سبق أن البنى اللغوية هي وحدها التي كانت تحدد نظرة اللغويين القدماء الى أصوات لغاتهم وصفاتها وسلوكها ، من غير أن يعنوا بدراسة هذه الاصوات دراسة مستقلة ، من نحو ما يفعل في البحث الحديث في الدراسات الصوتية العامة .

فهل كان للبنية اللغوية العربية تأثير في نظرة اللغويين العرب القدماء الى هذه الاصوات ، ودراساتهم لسلوكها وتعاملها ؟ إن الاجابة عن ذلك ستكون «نعم» ، ذلك أن أول ما يمكن أن يلاحظ في البنية اللغوية العربية ذلك التفريق الواضح بين الصوامت واصوات المد في الوظيفة ، إذ ان اللغة العربية تعتمد الصوامت في بيان المعنى العام للكلمة ، ومن اجل ذلك جنح اللغويون العرب الى أن يطلقوا على هذه الاصوات مصطلح «الاصول» ، وذهبوا الى أنها هي التي يتركب منها الكلام العربي[٢٢] ، ومنها وحدها يتكون جذر الكلمة العربية[٢٣] من نحو القاف والتاء واللام في نحو قَتَل ، وقاتَلَ ، وقتال ، وقاتِل ، وقتيل .... الخ ، إذ ان المعنى العام في كل هذه المفردات هو فكرة «القتل» ويلاحظ في هذا الشأن أن هذه الاصول تمثل جذراً ثابتاً ، يتغير معناه الصرفي بوجه عام من الفعلية الى المصدرية أو الاسمية وفروعها من خلال دخول اصوات المدّ عليه وتغيرها المستمر من بناء form صرفي الى آخر .

لقد بدا هذا الوضع واضحا في نظام الكتابة العربية ، وميله الى تجنب كتابة أصوات المد ، لا سيما القصيرة منها في صلب الكلمة ، واعتماده طريقة «الشكل» وذلك بأن توضع رموز أصوات المد القصيرة فوق حروف الكلمة أو تحتها .

يلاحظ المتتبع تاريخ الكتابة العربية ، أن هذه اللغة قد عزفت حقبا طويلة عن كتابة هذه الاصوات اصلا ، بل جنحت الى ذلك في اصوات المدّ الطويلة ايضا .

لقد جعل النظام الصرفي الاشتقاقي في العربية ، وكون المعاني الاساسية للمفردات كامنة في الصوامت ـ بعبارة أدق في الاصول ـ ، ثم طريقة الكتابة العربية التي لا تدون أصوات المد ، اللغويين العرب ينظرون الى هذه الاصوات

---

٢١ ـ اللغة/ ٤٦ .

٢٢ ـ لطائف الاشارات ١٨٣/١

٢٣ ـ الكتاب ٣١٥/٢ قال الخليل : «البناء هو الساكن الذي لازيادة فيه» . وينظر : العربية الفصحى/ ٥٢ .

على أنها أصوات طارئة ، متغيرة من بناء صرفي الى آخر ، فهي تخضع للتغير أو السقوط بتأثير التحول من بناء صرفي الى آخر ، أو بتأثير الموقــع الاعرابي . ثم انها في كل أحوالها غير مستقلة في تغيرها أو انقلابها أو سقوطها عما يكتنفهـا من تأثير الأصوات التي تجاورها ، فكان من جراء ذلك أن نزع اللغويون العــرب أشدّ ما نزعوا الى دراسة تلك الاحوال فيما اطلقنا عليه ظاهرة الاعلال ولم يعنوا بالجانب الصوتي العام لهذه الاصوات الا لماما ، وفي مــواطن مبثوثة متباعدة في دراساتهم تلك ، غير أن ماورد عنهم في هذا الجانب شيء خطير حقاً ، اذ انه قريب جداً مما جاء به البحث الصوتي الحديث .

أول اشــارة الى أصــوات المدّ جــاءتنا عن أبي الاســود الدؤلي (المتوفي عام ٦٩ هـ) ، في تلك القصة المشهورة عنه ، من انه حين حاول شــكل المصــحف قـد استعان بكاتب من هذيل ، وقال له : «خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد فاذا فتحت شفتي فانقطة واحدة فوق الحرف ، واذا ضــممتهما فــاجعل النقــطة الى جانب الحرف ، واذا كسرتهما فاجعل النقطة في أسفله ، فان اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فاجعل نقطتين»[٢٤] .

وأول ما يمكن أن يستخلص من هذا النص ، هو أن اختلاف أوضاع الشــفتين في اثناء اصدار هذه الاصوات كانت الاشارة العربية الاولى التي وصلت الينا في مجال الحديث عن هذه الاصوات .

ومما يتوضح من هذا النص ايضا أن أصوات المدّ القصــيرة ، أو مــا يعــرف بالحركات قد أخذت اسماءها في العربية من هذه الاوضاع التي تتخذها الشفتان في اثناء اصدار هذه الأصوات من ضم وفتح وكسر ، بل من الواضــح ايضــا أن مصطلح «حركات» قد جاءنا أيضا من حركات الشفتين ، ولعل ذلك واضــح مــن قول ابي الاسود : «فاذا اتبعت هذه الحركات غنة ....»

بيد أننا لا نستطيع ههنا أن نحــدد المعيار الذي اختار ابو الاســود بوســاطته مواضع كتابة رموز هذه الاصوات ، من نحو وضــعه رمــز الضــمة الى جــانب الحرف ، ورمز الفتحة فوق الحــرف ورمــز الكسرة تحــت الحــرف ، أكان ذلك مرتبطا بتنوق أبي الاسود الخاص لهذه الاصوات ، وهو ما قد تشير اليه ملاحظة الداني من (ان الحركات ثلاث فتحة وكسرة وضمة ، فموضع الفتحة من الحــرف اعلاه لأن الفتحة مستعلية ،/ ومــوضع الكسرة منه اســفله لان الكسر مســتفل ،

---

٢٤ ــ المحكم /للداني/ ٣ ــ ٤ .

وموضع الضمة منه وسطه أو أمامه لان الفتحة لما حصلت اعلاه والكسرة اسفله لأجل استعلاء الفتح وتسفل الكسر بقي وسطه فصار موضعا للضمة)[25] ، أم ان هذا المعيار كان مقتبسا من نظام الشكل في كتابة لغة أخرى كالعبرية أو السريانية ؟! .

إن بعض الباحثين يذهب الى أن أبا الاسود قد اقتبس هذا النظام من نظام الشكل في اللغة السريانية[26] ، بيد أن هذا الامر يبقى تخمينا ، مادام غير موثق بأسانيد تاريخية .

إن ما فعله أبو الاسود يشير ايضا إلى أن فكرته عن هذه الاصوات من أنها أصوات لا تدخل في صلب الكلمة ، بل هي لواحق توضع فوق الحرف أو تحته لتشير إلى طريقة اخراجه حسب ، وهي فكرة ستبقى مستمرة بعده في نظام الكتابة العربية .

اصوات المدّ عند الخليل (ت ١٧٠هـ) :

تأتي بعد ذلك ملاحظات الخليل الجليلة في أصوات المد ، وقبل البحث في ذلك ينبغي لنا أن نشيراالى أن اهم مصادر دراسة الاصوات اللغوية عنده هي : مقدمة كتاب العين التي عرض فيها لاصوات العربية ومخارجها وصفاتها ثم كتاب سيبويه ، ما ذكر فيه من تعليقات للخليل وآراء في المادة الصوتية ، ثم المقدمة الصوتية لكتاب الازهري : «تهذيب اللغة» .

يلاحظ المتتبع للبسطة الصوتية في كتاب العين أن الخليل لم يورد فيها شيئا من الكلام على أصوات المد القصيرة ، ولم يدخلها في جملة الاصوات اللغوية العربية التي تحدث عنها ، ولعل ذلك راجع الى أن الخليل قد نظر الى هذه الاصوات على أنها اجزاء من اصوات الالف والواو والياء ، وهو ما يشير اليه صراحة في تعليق له ، نقله عنه سيبويه في الكتاب[27] ، ثم لانه كان يتكلم في تلك البسطة الصوتية على طائفة بعينها من الاصوات اللغوية العربية ، هي تلك التي صنفناها على أنها «الاصول» أي تلك الاصوات التي تصلح أن تكون جذرا للكلمة العربية ، ولعل مادفعه الى ذلك كونه يقدم لمعجم ، يستند ، في ايراده لكلمات

---

٢٥ ــ المحكم/ ٤٢ .

٢٦ ــ السريانية نحوها وصرفها/٢٣

دروس في علم اصوات العربية/ ١٧٣ . اصل الخط العربي/ ١٦٥ .

٢٧ ــ العين ١/٦٤ ، ٦٥ التهذيب ١/٤٨ .

العربية إلى جذر الكلمة وتقليباته ، وهو أمر لادخل لأصوات المدّ القصيرة فيه .

لقد تكلم الخليل في اثناء الحديث عن الاصوات اللغوية العربية على طائفة منها ، ميزها من غيرها ، اطلق عليها مصطلح «الحروف الهوائية» أو «الحروف الجوف»[28] ، وهذه الاصوات هي الالف والواو والياء ، ثم علل هاتين التسميتين بأن هذه الاصوات (تخرج من الجوف ، فلا تخرج في مدرجة ، وهي في الهواء ، فلم يكن لها حيز تنسب اليه الا الجوف)[29] أو الهواء[30] .

ينبغي لنا أن نتوقف قليلا عند قوله هذا ، ذلك ان المخرج place of articulation من وجهة النظر الصوتية الحديثة ، هو منطقة الاحتكاك التي يصدر عنها الصوت اللغوي ، فعدم وجود مخرج لهذه الاصوات يعني بعبارة علماء الصوتيات اليوم ، انه لا أثر للاحتكاك في اصدار هذه الاصوات ، وأن قوتها التصويتية كانت بسبب خروج الهواء وهذه في الحق هي الميزة الاساسية التي تمتاز بها أصوات المد .

لكننا بجانب ذلك نلاحظ ما يأتي :

١ ـ أن بعضا من نصوص الخليل مما يعالج هذا يدخل صوت الهمزة مع اصوات الالف والواو والياء في هذه الطبيعة الصوتية[31] ، في حين ان هذا الصوت من الصوامت الانفجارية ، بل ان الخليل نفسه يشير في كلام له الى أن للهمزة مخرجها المعروف ، هو اقصى الحلق[32] ، وهو أمر قد يعني أن هذا الادخال ما كان من عمل الخليل ، وانما كان نتيجة لتحريف أو تصحيف ، يساعد على الاعتقاد بذلك ايضا ما نجد من اختلاف في النصوص التي تذهب ذلك المذهب[33] ، ولعل هذا التحريف جاء من فهم خطأ لكلام الخليل على الحروف (المعتلة) في

---

٢٨ ـ التهذيب ٤٨/١ .

٢٩ ـ المصدر السابق ٤٨/١ .

٣٠ ـ التهذيب ٤٨/١ .

٣١ ـ العين ٦٤/١ ، ٦٥ التهذيب ٤٨/١ .

٣٢ ـ العين ٥٨/١ التهذيب ٥١/١ .

٣٣ ـ ينظر في العين ٦٤/١ ان الخليل (كان يقول كثيرا : الالف اللينة والواو والياء هوائية ، اي انها في الهواء) وينظر في ذلك ايضا في التهذيب ٤٨/١ ، من غير ان يحشر الهمزة مع هذه الاصوات ، ويكرر ذلك في كلام آخر له في كلامه على مخارج الحروف : الواو والياء والالف ثلاثة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب اليه غيره . ينظر التهذيب ٤٨/١ ، وهذا النص موجود في العين ٥٦/١ باختلاف . بعد أن زيدت الهمزة ، وسياق النص يوضح ان هذه الزيادة طارئة : (ثم الالف والواو والياء في حيز واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب اليه .

العربية اذ انهافي اثناء الحديث عن الاصوات اللغوية العربية تكلم على طائفة من الاصوات «ميزها من غيرها ، وسماها «المعتلة» ووصفها بكثرة التغير والضعف والانقلاب في اثناء التصريف ، وهذه الطائفة من الاصوات هي الالف والواو والياء والهمزة[٣٤] ، ومن الواضح أن الخليل لا يشير في هذا الكلام الى الطبيعة الصوتية لهذه الطائفة من الاصوات ، وانما يعني بيان شيء من مسلكها الصرفي حسب ، من تغير وانقلاب وسقوط وعلائق فونولوجية مشتركة من نحو ما نجد من تبادل كثير بين الهمزة من جانب وأصوات المد الطويلة وأنصاف المد في طائفة من السياقات[٣٥] فكأن من حرف فهم من هذا أن هذه الاصوات الاربعة لها الطبيعة الصوتية نفسها ، مما جرّ الى أن يدخل الهمزة في كلام الخليل على اصوات الالف والواو والياء في بيان طبيعتها الصوتية ، بل ان هذا الفهم الخطأ مازال واضحاً الى بعض الدراسات الحديثة التي يتصور أصحابها أن مصطلح «علة» يراد به ابراز الطبيعة الصوتية لهذه الاصوات ، وهذا واضح في ترجمتهم مصطلح Vowel الانكليزي بـ «علة» حين يتكلمون على هذه الاصوات[٣٦] .

من الواضح أن فكرة الخليل عن علاقة الهمزة بأصوات الألف والواو والياء كانت صحيحة جداً من قبل وجهة النظر الفونولوجية ، اذ ان الهمزة على النحو الذي بيناه سابقا تشترك مع تلك الاصوات في المسلك الفونولوجي وانها قد تتبادل معها المواقع في طائفة من السياقات من غير أن يتغير المعنى ، مما يشير الى أن هذه الاصوات الاربعة تؤلف في العربية ما اطلقنا عليه مصطلح الفونيم الرئيس Archiphoneme ولعل هذا واضح في الامثلة الآتية :

قاول > قائل

بايع > بائع

ادهام > ادهأم

ونرى مثل ذلك في نص آخر ، هو في التهذيب ٤٨/١ (الواو والالف والياء هوائية وهو في العين ٦٥/١ (والواو والياء والالف والهمزة هوائية في حيز واحد .

وينظر ايضا اختلاف نص الخليل في العين ٦٤١ عنه في التهذيب ٤٨/١ والمدقق في العين (الجزء المطبوع) يجد أن كثيرا من النصوص أصابها تحريف أو تصحيف .

٣٤ ــ التهذيب ٥٠/١ ، ٥١ .

٣٥ ــ المصدر السابق ٥١/١ وينظر العين ٥٨/١ .

٣٦ ــ ينظر ترجمة الدكتور احمد مختار عمر مثلا في كتابي : دراسة الصوت اللغوي واسس علم اللغة .

بير («مستوى لهجي قديم») < بئر
شوم (مستوى لهجي قديم) < شؤم

ولعل ما سوغ للخليل ايضا عدّها مجموعة تصريفية واحدة ، ما نلاحظه من علائق صوتية بين الهمزة منجهة واصوات المدّ الطويلة ، اذ ان مدّ الصوت بهذه الاصوات الاخيرة قد يؤدي الى الهمزة ، بل ان ذلك كما يشير الخليل ظاهر في كلام بعض العرب (إذا وقف عندهن همزهن كقولك للمرأة افعليء وتسكت وللاثنين افعلاء وتسكت ، وللقوم افعلؤ وتسكت ، فانما يهمزون في تلك اللغة لانهن اذا وقف عندهن انقطع انفاسهن ، فرجعن الى اصل مبتدأهن من عند الهمزة)[٣٨] .

٢ ـ فطن الخليل الى أن اصوات المدّ المحض «في مجرى واحد»[٣٩] ، وان الاختلاف بينها انما يكون بسبب من اختلاف طريقة خروج الهواء «فمدرجة الالف شاخصة نحو الغار الاعلى ، ومدرجة الياء مختفضة نحو الاضراس ، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين»[٤٠] ، لكنه لم يفطن الى العلة في تغير طريقة الخروج هذه ولم يشر الى عمل عضلة اللسان في تغيير حجرة الرنين داخل جهاز النطق .

٣ ـ فطن الى أن للواو والياء حالتين مختلفتين ، الاولى حالة المد الكامل وقد عبرّ عنها الخليل بمصطلحي «الواو الساكنة بعد الضمة» ، و «الياء الساكنة بعد الكسرة»[٤١] ، والثانية : حالة الواو والياء اذا جاءتا بعد فتحة أو اذا تحركتا[٤٢] وهي الحالة التي اطلقنا فيها على الواو والياء مصطلح نصفي المدّ

ولقد لاحظ الخليل اختلاف سلوكهما في أثناء التصريف في الحالتين ، فهما في الحالة الاولى أعلى درجة في الضعف والاعتلال منهما في الحالة الثانية ، وأورد مثلا في ذلك أنهما عرضة للسقوط اذا كانتا في حالة المد الكامل ولقيهما حرف ساكن بعدهما ، اما في الحالة الثانية من نحو (الياء والواو بعد الفتحة اذا سكنتا ولقيهما ساكن بعدهما فانهما يتحركان ولا يسقطان ابداً كقولك لو انطلقت

---

٣٧ ـ سنفصل الكلام في ذلك في عدة مباحث في الفصلين القادمين .
٣٨ ـ التهذيب ٥١/١ .
٣٩ ـ المصدر السابق ٥١/١ .
٤٠ ـ المصدر السابق ٥١/١ .
٤١ ـ التهذيب ٥١/١ .
٤٢ ـ المصدر السابق ٥٢/١

يافلان ، وقولك للمرأة : اخشي آلله ، وللقوم اخشوا آلله)[٤٣] .

أصوات المدّ القصيرة عند الخليل :

ذكر سيبويه عن الخليل أن الفتحة والضمة والكسرة اجزاء من الالف والواو والياء[٤٤] ، وهذا يعني أنها كانت في رأي الخليل أصوات «هوائية» لا مخرج لها ، مثلها في ذلك مثل الالف والواو والياء ، ولكنها تختلف عنها في الكمية حسب ، اذ انها أقل كمية .

وفي الحق ان الخليل نظر الى الحركات نظرة خاصة اخرجها بها عن مجموعة الاصوات اللغوية العربية «الاصول» كما بينا ذلك سابقا ، اذا وصفها بأنها «زوائد»[٤٥] ، وهو على ما احسب ما كان يريد بهذا الوصف الاقلال من اهميتها في النظام الصوتي العربي ، بل اراد بذلك أنها لا تدخل في اصوات الاصول التي تكوّن جذر الكلمة في العربية .

ولعل مما يسوغ ما اذهب اليه ذلك الاهتمام الشديد الذي ابداه الخليل بوضع رموز لهذه الاصوات القصيرة في نظام الكتابة العربية ، تكون اكثر دقة ؛ واقل ابهاما من رموز (النقط) التي وضعها ابو الاسود الدؤلي من قبل ، فكان أن اشتق رموزاً جديدة لهذه الاصوات من رموز الالف والواو والياء[٤٦] وهي الرموز التي بقيت في الكتابة العربية الى يومنا هذا .

ثم يسوغ ذلك ايضا فكرة الخليل عن الوظيفة اللغوية المهمة التي تؤديها هذه الاصوات في الكلام ، اذ ذهب الى أنها انما تلحق الحرف ليوصل الى التكلم به[٤٧] ، وهي فكرة صحيحة جداً ، وقريبة مما اشرنا اليه في الفصل الأول في الكلام على وظيفة اصوات المد من أن أهمية هذه الاصوات في اللغات عامة انما تكمن في قدرتها على تجميع الصوامت ، واعطائها قوة في الاسماع ، ليوصل الى التكلم بها .

---

٤٣ ــ المصدر السابق ٥٢/١ .
٤٤ ــ الكتاب ٣١٥/٢ .
٤٥ ــ الكتاب ٣١٥/٢ .
٤٦ ــ الحكم /٧ .
٤٧ ــ الكتاب ٣١٥/٢ .

ظاهرة الاعلال عند الخليل :

كان الخليل ، كما سبق القول ، أول لغوي عربي يجنح الى تقسيم الاصوات اللغوية الاصول تقسيما صرفيا ، يعتمد مقياس الثبات والتغير في اثناء التصريف ، فلقد وجد أن ثمة أصواتا كثيرة التغير والسقوط والانقلاب اطلق عليها مصطلح «المعتلة»[48] ، وذكر انها اربعة أصوات : الالف والواو والياء والهمزة ، وهذا الصوت الاخير في رأي الخليل مشابه للالف والواو والياء من الناحية الصرفية ، وان كان ذا مخرج معين ، بسبب من كونه صوتا غير مستقر ، ولعل هذا واضح في قوله : «اما الهمزة فمخرجها من اقصى الحلق مهتوتة مضغوطة ، فاذا رفه عنها لانت الى الياء والواو والالف عن غير طريقة الحروف الصحاح[49] ، «وفي الحق ان التجارب المختبرية قد اثبتت صحة هذا الرأي ، اذ لوحظ أن الهمزة صوت غير مستقر أصلا ، وانه شبيه باصوات المد الطويلة وانصاف المد في بعض الاحيان[50] .

وعلى أية حال ، كانت فكرة التغير والانقلاب والسقوط في هذه الطائفة من الاصوات في اثناء التصريف ، هي المعيار الذي جعل الخليل يجمعها في طائفة واحدة اطلق عليها كما مر بنا سابقا مصطلح «المعتلة» .

ولقد لاحظ أن هذه المعتلات تتبع قوانين صرفية تكاد تكون خاصة بها وهذا أمر اشار اليه صراحة في تعليق له نقله عنه سيبويه ، اذ ذهب الى ان العرب (قد يخصون المعتل بالبناء ولا يخصون به غيره من غير المعتل)[51] لكننا لا نجد دراسة بعينها للخليل في هذه الظاهرة اللغوية ، وانما آراء وملاحظات وتفسيرات لمفردات معتلة ، مبثوثة في كتاب سيبويه والكتب اللغوية المتأخرة عنه ، لكننا نلمح من خلالها أن فكرة الخليل عن ظاهرة الاعتلال وقواعد التصريف فيها ، كانت ناضجة .

اما أهم آراء الخليل في هذه الظاهرة ، فيمكن اجمالها فيما يأتي .

١ ــ شدة التبادل بين اصوات الالف والواو والياء من جهة والهمزة من جهة اخرى في طائفة من السياقات ، وقد فسر الخليل ذلك (بأن اصلهن من عند

---

٤٨ ــ التهذيب ٥١/١

٤٩ ــ العين ٥٨/١

٥٠ ــ دراسة الصوت اللغوي/٢٩٧

٥١ ــ الكتاب ٣٧١/٢ .

الهمزة ، الا ترى أن بعض العرب اذا وقف عندهن همزهن كقــولك للمــرأة افعلىء وتسكت ، وللاثنين افعلاء وتسكت ، وللقــوم افعلؤ وتســكت ، فــانما يهمزن في تلك اللغة لانهن اذا وقف عندهن انقطع انفاسهن فرجعن الى اصل مبتدأ هن من عند الهمزة)[٥٢] ، وهــذا المبدأ يفسر أيضــا كثيرا مــن حــالات الهمزة في العربية ، فكأن العربية حين تقــطع المد للثقــل تجنح الى التوتر في جهاز النطق ، فتنشأ من جراء ذلك الهمزة ، ولعل هذا يفسر لنا أيضــا جنوح العربية ، حين ينشأ في أثناء التصريف تتابع مستكره من أصوات المد ، أو من اصوات المد وأنصاف المد ، إلى الهمز ، ولقد أشار الخليل إلى شيء من هــذا أيضا في ذكره انقلاب الألف إلى الهمزة (إذا وقعت عليها صروف الحركات ، ضعفت عن احتمالها ، واستنامت إلى الهمزة ...)[٥٣] ، وفي ما ذهب إليه في كلّ كلمة ابتدأت بواوين ، من قلب الأولى منهما إلى همزة (وفي أحيان أخرى إلى تاء) استثقالا لاجتماع الواوين[٥٤] .

٢ ــ ان اصوات الألف والواو والياء تخضع لتأثير بعضــها في البعض الآخــر في أثناء التصريف ، إذا اجتمعت ، من ذلك مــا ذكره مــن أنه (اذا التقيت الياء والواو في موضع واحد وكانت الاولى منهما ساكنة ، فإنّ الواو تدغم في الياء ان كانت قبلها او بعدها في الكلام كله نحو الطي من طويت الواو قبل الياء ، ونحو الحي من الحيوان ، الياء قبل الواو)[٥٥] .

٣ ــ ان هذه الاصوات تتناوب فيما بينها في طائفة من الحالات الصرفية مــن ذلك ما أشار إليه من انقلاب الالف إلى الياء أو الواو إذا وقعــت عليهــا صروف الحركات[٥٦] .

٤ ــ أشار إلى تأثير أصــوات المد القصــيرة في أصــوات الألف والواو والياء في أثناء التصريف ، من ذلك ما اشرنا إليه سابقا من انقــلاب الألف إذا وقعــت عليها صروف الحركات ، أو ما لاحظه من (أن الواو والياء إذا جــاءتا بعــد حركة قويتا ، وكذلك إذا تحركتا كانتا أقوى)[٥٧] .

---

٥٢ ــ التهذيب ٥١/١

٥٣ ــ المصدر السابق ٥١/١

٥٤ ــ

٥٥ ــ التهذيب ٥٢/١ .

٥٦ ــ التهذيب ٥١/١ .

٥٧ ــ المصدر السابق ٥٢/١ .

وقد لاحظ بجانب ذلك أن مجيء صامت ساكن بعد صوت مد طويل يؤدي إلى سقوط صوت المد : «ومن تبيان ذلك أن الألف اللينة والياء بعد الكسرة والواو بعد الضمة إذا لقيهن حرف ساكن بعدهن سقطن كقولك عبدالله ذو العمامة ، كأنك قلت ذُل ، وتقول رأيت ذا العمامة ، كأنك قلت ذَل ، وتقول مررت بذى العمامة ، كأنك قلت ذِل ، ونحو ذلك ، في الكلام اجمع)[٥٨] وهي إشارة مبكرة لكراهية العربية لما نطلق عليه المقطع المديد المغلق .

لقد ذهب الخليل في النص السابق إلى أن مثل هذا الموضع يؤدي الى سقوط صوت المد الطويل ، وهو رأي واضح الخطأ ، إذ ان صوت المد لا يسقط ههنا بل يقلّ كمية ، فيصير إلى صوت مد قصير ، ولعل خطأ الخليل هنا يرجع إلى تصوره أن صوت المد الطويل ليس صوتا منفرداً Single, وإنما هو صوت مد مسبوق بحركة من جنسه ، وهو ما يتوضح من قوله حين أشار إلى أصوات المد الطويلة المحضة (الألف اللينة والياء بعد الكسرة والواو بعد الضمة)[٥٩] ، فكأن الخليل إذن حين أشار إلى سقوط صوت المد الطويل قد تصور هذا السقوط فعلا ، وإنّ ما بقي من حركة إنما هي تلك الحركة المجانسة التي تسبق صوت المدّ الطويل .

وفي مجال نقد بعض أفكار الخليل في هذا المجال ، يمكن القول إن فكرة سبق صوت المد الطويل بحركة من جنسه قادت الخليل إلى الوقوع في خطأ آخر هو ما ذهب إليه من اطلاق صفة «السكون» على صوت المد الطويل هذا[٦٠] ، أي ان الخليل قد تصور أن صوت المد الطويل متألف من حركة مجانسة ثم واحد من أصوات الألف والواو والياء وهو في حالة سكون ، وهو تصور سيكون له تأثير واسع في الدراسات الصرفية والعروضية العربية في هذا المجال فيما بعد .

ولعل هذا التصور جاء نتيجة لشيء من هذين السببين :

١ ـ دراسة الخليل العروضية: إذ احسب أنه نظر من خلال العروض إلى صوت المد الطويل المحض على أنه يمثل في الوزن الشعري صوتا ساكنا مسبوقا بحركة مجانسة فكان من جراء ذلك تحليله العروضي لكلمة من نحو «لي» على أنها متألفة من متحرك فساكن ، وهو تحليل مشابه لتحليل كلمة من قبيل

---

٥٨ ـ المصدر السابق ٥٢/١ .

٥٩ ـ التهذيب ٥١/١

٦٠ ـ المصدر نفسه ٥١/١ .

«لَنْ» التي عدّت ايضا متألفة من متحرك فساكن[٦١] ، ولعل لهذا ما يسوغه عروضيا ، إذ ان كميتي المقطعين متساويتان ، وهو أمر يوضحه تبادل كلمتين من هذا القبيل في بيت الشعر من غير ان يضطرب الوزن ، بسبب من أن صوت المد الطويل يمثل أطول الاصوات اللغوية[٦٢] .

٢ ـ المنهج الكتابي الذي كان ينظر من خلاله إلى كل صوت لا يعتقب بحركة على أنه صوت ساكن ، ولما كان من خصائص أصوات المد الطويلة أنها لا تعتقب بتلك الحركة ، فقد نظر إليها على أنها اصوات ساكنة .

أصوات المدّ عند سيبويه (ت ١٨١هـ) :

قسّم سيبويه الاصوات اللغوية وفاقا لمعيار «تحكم جهاز النطق بالهواء الخارج من الفم» إلى أقسام عدة هي[٦٣] :

١ ـ الأصوات الشديدة ، وعرفها بأنها أصوات يمتنع الصوت أن يجري فيها وهو تعريف قريب من تعريفنا لما نصطلح عليه بالاصوات الانفجارية ، وادرج تحت هذا القسم أصوات الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء .

٢ ـ الاصوات الرخوة : وعرفها بأنها الأصوات التي يجرى فيها الصوت وهو تعريف قريب مما نصطلح عليه بالأصوات الأحتكاكية المستمرة ، وأدرج تحت هذا القسم الهاء والحاء والغين والخاء والشين والصاد والضاد والزاي والسين والظاء والثاء والذال والفاء .

٣ ـ اصوات بين الشدة والرخاوة ، وصف بذلك صوت العين ، ثم وصف أصوات اللام والراء والنون والميم بشيء قريب من هذا ، إذ ذهب إلى أنها أصوات شديدة ، ولكن الصوت يجري معها لأسباب مختلفة ، وفي الحق ان وصفه لهذه الأصوات قريب من الوصف الحديث .

---

٦١ ـ اطلق العروضيون على المقطع المتألف من (صامت فصوت مدّ قصير فصامت) مصطلح السبب الخفيف وحللوه على أنه متألف من متحرك فساكن ، وهو تحليل يصلح في نظرهم لتحليل كلمات من نحو لن أولي على السواء ينظر : العقد الفريد ٦/٢٣٤ .

٦٢ ـ ينظر المستوفى في النحو /٥٥٧ .

٦٣ ـ ينظر الكتاب ٢/٤٠٦ .

٦٤ ـ ينظر دراسة الصوت اللغوي /٢٧٦ ، ويلاحظ أيضا في هذه الصفحة أن التقسيم الحديث للأصوات وفاقا لهذا المعيار قريب جدا من تقسيم سيبويه .

٤ ـ الأصوات اللينة : وهي أصـوات الألف والواو والياء ، لعله وصـفها باللين مقابلة لوصف غيرها من سائر الأصوات بالشدة أو الرخـاوة أو التوسـط بينهما وكأنه أراد أن يشير بهذا الى درجة رابعة في التحكم باخراج الهواء في أثناء أداء الصوت اللغوي ، ويبدو أن فكرة (اللين) في هذا المصطلح لا تشـير إلى معنى (الضـعف) ، بل إلى معنى السـهولة[٦٥] في اخـراج الصـوت بلا احتباس أو تضييق من نحو ما نلحظ في الأصـوات الاخـرى ، ولعـل هـذا واضح في وصف سيبويه لهذه الأصوات اللينة فقد ذهب إلى أن الألف والواو والياء (وتدخل معها أصوات المد القصيرة وهي اصوات عدّها سيبويه اجزاء من الالف والواو والياء)[٦٦] : «اصوات غير مهموسة وهي حروف مـدّ ولين ، ومخارجها متسعة لهواء الصوت ، وليس من الحروف أوسع مخارج منها ولا أمد للصوت ، فإذا وقفت عندها لم تضمها بشـفة ولا لسـان ولاحلق كضـم غيرها»[٦٧]

ويمكن أن نلاحظ في هذا التعريف ما يأتي أيضا :

١ ـ أن هذه الاصوات مجهورة .

٢ ـ أنها أصوات يمدّ بها الصوت ، وهي عبارة تحمـل طـائفة مـن المعـاني المتقاربة ، منها أنها اصوات يمكن إطالة التصويت بهـا ومـطله ، أو أنهـا أصوات ذات طابع موسيقي أو أصوات ذات قوة اسماع عالية ... الخ .

٣ ـ حرية مرور الهواء في أثناء نطقها بحيث لا يدانيها في ذلك الا صـوت لغـوي آخر ، إذ ان «مخارجها متسعة لهواء الصوت وليس مـن الحـروف أوسـع مخارج منها» .

٤ ـ في حالة خلوصها للمد لا تتعلق بشيء من جهاز النطق ، فلا (تضمها شـفة ولا لسان ، ولا حلق كضمّ غيرها) .

٥ ـ ان سيبويه أبعد الهمزة عن هذه الاصوات ، وفي الحق أن سـيبويه جنح عن ترتيب الخليل للأصوات الأصول إلى ترتيب آخر ، نزع فيه إلى الا يعزل هذه الاصوات التي وصفها الخليل بالاعتلال عن غيرها ، ولا يعطينا سـيبويه أي مسوغ لذلك ، فالأصوات تبدأ عنده بالهمزة ثم الألف ، وقد جعله سيبويه مـن

---

٦٥ ـ ينظر التاج ٣٣٨/٩ .

٦٦ ـ الكتاب ٢٥٢/٢ ، ٣١٥/٢ .

٦٧ ـ المصدر السابق ٢٨٥/٢ .

اقصى الحلق مع الهمزة والهاء وليس لذلك من مسوغ سوى أن سيبويه فكرّ بأن الهمزة والالف صوتان مستقلان ، ولأن الألف كذلك فكأنه خارج من الحلق شأنه شأن الاصوات الحلقية التي هي أصوات مستقلة[٦٨] .

ثم جعل مخرج الياء مع الجيم والشين وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك ، ثم جعل الواو مع الباء والميم في أن مخرجها جميعا الشفتان[٦٩] .

ونلاحظ في هذا المجال أنه إذا كان ثمة ما يسوغ ابعاد الهمزة عن أصوات الألف والواو والياء في الترتيب الصوتي ، وهو ما جنح سيبويه إلى الأخذ به فان ما فعله سيبويه من حشر لأصوات الالف والواو والياء في داخل ذلك الترتيب الصوتي أمر لا يمكن تسويغه ، فالألف من جهة لا يمكن أن يوضع مع أصوات اقصى الحلق . إذ انه صوت مدّ لا حيزّ له ، والواو والياء من جهة اخرى قد ادخلتا في مواضع لا تكون لهما الاّ في بعض الحالات ، وهي تلك الحالات التي تكون لهما فيها خصائص «صامتية» ، حين يكونان في حالة نصف Semi- Vowel في حين ان هذين الصوتين في كثير من احوالهما يعدّ ان صوتي مد محضين long Vowels وهي فكرة لا يشير ترتيب سيبويه للأصوات اللغوية العربية إليها .

ومَن هذا المنطلق يمكن القول : إن فكرة الخليل في اخراج هذه الأصوات في طائفة مستقلة ، قد يكون من وجهة النظر الصوتية الفونولوجية اكثر دقة إذ ان ذلك سوف يغنينا عن النظر الى ازدواجية هذه الاصوات في الوظيفة والخصائص .

بيد إن هذا لا يعني أن سيبويه لم يفطن إلى ازدواجية صوتي الواو والياء واختلافهما عن الألف في ذلك ، إذ لا حظ أن (الالف لا تغيرّ على كل حال ، لأنها لو حركت صارت غير الف ، والواو والياء تحركان ولا تغيران)[٧٠] ، ثم يشير إلى أن الألف حرف (لين اتسع مخرجه لهواء الصوت ، مخرجه اشد من اتساع مخرج الياء والواو ، لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك)[٧١] والتعبير بـ (قد) هنا تعبير دقيق ، فكأن سيبويه أراد أن يشير بذلك إلى وجود حال يجنح فيها صوتا الواو والياء عن أن يكونا صوتي مدّ محض ، بل هو

---

٦٨ ـ الكتاب ٢٥٢/٢ .
٦٩ ـ المصدر السابق ٤٠٥/٢
٧٠ ـ الكتاب ١٦٧/٢ .
٧١ ـ المصدر السابق ٤٠٦/٢ .

يميز صفات هذين الصوتين في تلك الحال تمييزا جيداً في ماذهب إليه في بعض كلامه كقوله عن الياء حين تحركت (انها لما تحركت صارت مثل غير المعتل نحو باء ضربه وبعد شبهها عن الالف)[٧٢] ، في حين نظر إلى هذين الصوتين في سياقات أخرى على أنهما صوتا مدّ محض ، وهما «حينئذ كالألف في المد والمطل ، وذلك قولك ظلموا مالكا ، واظلمي جابرا»[٧٣] .

فكرته عن دور اللسان :

لقد فطن سيبويه إلى شيء من عمل اللسان في أثناء نطق اصوات المد فقد قسمها الى ضربين من الاصوات :

١ ـ مرتفعة ، وأشار بذلك إلى الواو والياء ، والضمة والكسرة

٢ ـ مستفلة : وأشار بذلك إلى الألف والفتحة[٧٤] .

إن فكرة الأرتفاع والأستفال مرتبطة عند اللغويين العرب إلى حد كبير بآرتفاع اللسان وانحطاطه في داخل الفم في أثناء نطقه الأصوات اللغوية[٧٥] فكأن الألف عند سيبويه صوت يكون اللسان في أثناء نطقه منحطا في قاع الفم بل هو ذهب إلى نلك صراحة ، إذ ان الألف عنده (ليس منها علاج على اللسان ... إنما هي بمنزلة النفس)[٧٦] ثم كأن الواو والياء والضمة والكسرة أصوات يكون اللسان في أثناء نطقها مرتفعا ، وقد يساعدنا على الأعتقاد بذلك ما ورد عن سيبويه من وصف لصوت الياء ، إذ انه وضعه مع الأصوات التي يكون للجزء الامامي من اللسان دور في اثناء حدوثها ، بل هو يشير إلى ذلك صراحة في بعض المواضع[٧٧] .

٧٢ـ المصدر السابق ٣٩٣/٢ .

٧٣ ـ الكتاب ٤١١/٢ .

٧٤ ـ المصدر السابق ٢٥٢/٢ ، ونص سيبويه ههنا من النصوص المهمة في فكرة العرب عن أصوات المد ، يقول في الكلام على أصوات الحلق : (إنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق ، فكرهوا أن يتناولوا حركة قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها ، وهو الالف وانما الحركات من الالف والواو والياء وكذلك حركوهن اذا كن عينات ، ولم يفعل هذا بما هو من موضوع الواو والياء لانهما من الحروف التي ارتفعت ، والحروف المرتفعة حيز على حدة ، فانما تتناول للمرتفع حركة من مرتفع ، وكره أن يتناول للذي قد سفل حركة من هذا الحيز) .

٧٥ ـ الطائف الاشارات ١٩٨/١ .

٧٦ ـ الكتاب ٣٥٧/٢ .

٧٧ ـ الكتاب ٤٠٥/٢ .

فكرته عن دور الشفتين :

لقد لاحظنا في تعريف اصوات المدّ عند سيبويه انه ذهب إلى أنها لا تتعلق «بشفة»[٧٨] ، وهو يعني بذلك أنه لا أثر للاحتكاك بالشفتين في اثناء اصدارها ، ثم هو يكرر كلاما من هذا القبيل في حديثه عن الألف ، إذ اشار إلى أنه لا علاج للشفة في اصدارها ، وهي ملاحظة جليلة من سيبويه ، إذ فطن إلى أنه ليس لحركة الشفتين في أثناء اصدار هذه الأصوات دخل في حدوثها .

لكننا من جانب آخر نلاحظ أنه قد وضع الواو ، وهو يقصد هنا الواو نصف المد مع الأصوات الشفوية ، وهو يشير بذلك إلى أن هذا التغير في نطق الواو إنما كان بسبب من الاحتكاك بمنطقة الشفتين ، وهو أمر غير صحيح من قبل النظرة الصوتية الحديثة ، لأن هذا التغير إنما كان نتيجة احتكاك الجزء الخلفي من اللسان بالحنك بعض الأحتكاك ، وليس نتيجة احتكاك الشفتين وإن كنا لا نستبعد حدوث شيء من الاحتكاك بالشفتين في هذه الحالة ولعل ما نلاحظه من تحول الواو نصف المدية إلى صامت من قبيل V أو P أو b في طائفة من اللغات كان بسبب من المبالغة في الاحتكاك بالشفتين ، إلا ان هذا الاحتكاك ليس هو الذي يحول صوت المد الطويل إلى نصف مد كما أوضحنا ذلك سابقا .

هذه هي الأفكار الأساسية عن أصوات المد عند سيبويه ، ومن المؤسف حقا الا يكون سيبويه قد أفرد لها مبحثا خاصا بها ، فهي متناثرة في مباحث شتى ونحن إلى ذلك لا نجد حديثا صريحا عن أهميتها اللغوية أو وظيفتها ، بل قد نجد في بعض الأحيان أخطاء في النظر إلى هذه الاصوات ، من ذلك نظرته إلى امتناع مجيء حركة بعد أصوات المد الطويلة في العربية على أنه أمر يعبر عن سكون هذه الأصوات[٧٩] ، وهو خطأ واضح ، إذ لا يمكننا أن نصف هذه الاصوات بالسكون ولعل ذلك راجع إلى افكار الخليل السابقة ، وإلى النزعة الصرفية ـ وليس الصوتية ـ في دراسة هذه الاصوات ، لكننا لا نعدم اشارة غامضة تشير الى عدم اقتناع سيبويه بفكرة السكون هذه ، فقد ذهب في بعض اقواله إلى أن صوت المد بمنزلة المتحرك[٨٠] .

أما افكار سيبويه عن ظاهرة «الاعلال» فانها لا تخرج عما اوردناه سابقا من

---

٧٨ ـ الكتاب ٢/٤٠٦ .

٧٩ ـ الكتاب ٢/٣٣٦ .

٨٠ ـ المصدر السابق ٢/٤٠٧

آراء الخليل ، إلاّ انه قد عني بدراستها دراسة مفصلة . أما أهم ملاحظاته في هذا الشأن فكانت :

١ ـ ان كثيراً من أمثلة الأعتلال ناشيء مـن التأثير المتبادل بين أصـوات الألف والواو والياء من جهة ، وأصوات المد القصيرة من جهة أخـرى ، ومـا يتبع ذلك من تجانس أو تنافر بين الطائفتين ، من ذلك أنه إذا سكنت الياء وقبلها ضمة قلبت إلى الواو ، ومثل ذلك ان الواو تقلب ياء إذا سكنت وكانت قبلهـا كسرة من نحو موقن وموسر في الياء وميزان وميلاد في الواو[٨١] .

٢ ـ أشار إلى أن مواضع أصوات العلة[٨٢] في الكلمـة ذات تأثير هـي أيضـاً في الجنوح إلى الاعتلال ، فـالياء والواو مثلا تنزعان أشـد مـا تنزعان إلى الاعتلال إذا تطرفتا وذهب إلى أنهما (كلما بعـدتا عن آخـر الحـروف كان أقوى لهما ، فهما عينان أقوى ، وهمـا فـآن أقـوى منهمـا عينات أو لامات)[٨٣] .

٣ ـ أشار إلى أن من أسباب الاعتلال تتابع ياءين أو واوين في الكلمة[٨٤] لأن ذلك يؤدي إلى تنافرهما .

ومما يلاحظ في دراسات سيبويه اللغوية ، ولا سيما في مجال الصرف ، أنه نزع إلى دراسة المعتلات في مواضع منفصلة عن دراسـة غير المعتلات ، لأنه وجـد أن لهذه المعتلات مسلكا مخالفا بعض المخالفة لمسلك غير المعتل ، وهو ما اشار إليه صراحة في تعليق نقله عن أستاذه الخليل من أنهم ـ أي العرب ـ (قـد يخصـون المعتل بالبناء ولا يخصون به غيره من غير المعتل)[٨٥] .

وعلى هذا يمكن القول إن سيبويه نظر إلى المعتلات على أنها حالة خـاصة في العربية ، ينبغي أن تدرس منفصلة عن الحالة العامة التي تقع تحت طـائلها غير المعتلات لأنها تخضع إلى تأثيرات جانبية غير الوضـع الصرفي العـام ، فـكان نتيجة ذلك أن ألحق بكل دراسة لظاهرة لغوية عامـة ، مبحثا لدراسـة التغيرات التي تصيب المعتلات في تلك الظاهرة ، من نحو مـا نجـد في دراسـته لظـاهرة

---

٨١ ـ المصدر السابق ٣٥٨/٢ .

٨٢ ـ سنستعمل مصطلح اصوات «العلة» في طائفة من المواضع للاشـارة الى اصـوات الالف والواو والياء من غير تمييز لحالة المد المحض من حالة نصف المد .

٨٣ ـ الكتاب ٣٨٠/٢ .

٨٤ ـ المصدر السابق ٣٨٨/٢ ، ٣٩٧ .

٨٥ ـ المصدر السابق ٣٧١/٢ .

الاضافة (اي النسبة) ، اذ انه بعد أن فرغ من الكلام على الاضافة بوجه عام ، ثم الاضافة الى الصحيح ، نزع الى الكلام على الاضافة الى كل شيء من بنات الياء والواو ، ثم على الاضافة الى فعيل وفعيل من بنات الياء والواو[٨٧] ثم على الاضافة الى كل اسم كان آخره ياء[٨٨]، ثم على الاضافة الى كل شيء لامه ياء أو واو[٨٩] ، ثم الاضافة الى كل اسم آخره الف مبدلة[٩٠] ، وهلم جرا .

أصوات المدّ عند الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) .

قد تكون أشارة الفراء إلى عمل اللسان في أثناء إصدار أصوات المدّ أول إشارة عربية صريحة في هذا الشأن ، إذ انه ذهب إلى أنه لمخرجي «الضم والكسر مؤونة على اللسان[٩١]» بيد أنه لم يشر إلى طبيعة هذه المؤونة ، وما يعني بها ، ثم نلحظ أنه يخص بذلك الضم والكسر ، فيخرج الفتح من ذلك ، إذ يرى أن الفتحة تخرج من خرج الفم بلا كلفة[٩٢]» ، وهو رأي يقترب مما ذهب إليه سيبويه في تعريف الالف من (انه ليس منها علاج على اللسان والشفة ... انما هي بمنزلة النفس)[٩٣] .

ثم يشير الفرّاء إلى دور الشفتين في الضمة والكسرة ، فيذهب الى أن (الشفتين تنضم الرفعة بهما ، ويمال أحد الشدقين إلى الكسرة)[٩٤] ، ثم يخرج الفتحة من ذلك ايضا بما يشعر بأن الشفتين عنده تأخذان في أثناء نطقها وضعا محايدا .

ويمكن أن نلحظ أيضا ما يأتي :

١ ـ ان الفراء نظر إلى أصوات المد الثلاثة على أنها تمثل قسمين من الأصوات :

القسم الاول : ويضم الكسرة والضمة ، وهما في رأيه صوتان ثقيلان .

---

٨٦ ـ الكتاب ٧٢/٢ .
٨٧ ـ المصدر السابق ٧٣/٢ .
٨٨ ـ المصدر السابق ٧٤/٢ .
٨٩ ـ المصدر السابق ٧٥/٢ .
٩٠ ـ المصدر السابق ٧٦/٢ .
٩١ ـ معاني القرآن ١٣/٢ .
٩٢ ـ المصدر السابق ١٣/٢ .
٩٣ ـ الكتاب ٣٥٧/٢ .
٩٤ ـ معاني القرآن ١٣/٢ .

القسم الثاني : ويضم الفتحة وحدها ، وهي في رأيه صوت ليس ثقيلا[٩٥] .

اصوات المد عند ابي حاتم الرازي (ت ٢٧٧هـ) :

ذهب ابو حاتم إلى أن (الالف والياء والواو هوائية ، ليس لها جروس ولا اصطكاك لانها تنسل من جوف الحنك)[٩٦] .

وفي هذا التعريف نقف أمام صفات ثلاث لم يكن الخليل وسيبويه والفراء قد اشاروا اليها هذه الاشارة الصريحة :

الاولى : انها أصوات بلا جروس .

فما الذي يريد الرازي بهذه الصفة ؟! ، إن من معاني الجرس في اللغة الصوت الخفي[٩٧] ، غير ان من الواضح انه يريد بذلك معنى غير هذا لقد أشار في بعض تعليقاته إلى أن من معاني الجرس الطنين[٩٨] ، فهل يعني بهذا خلو هذه الاصوات من الطنين noise ؟! وهل هو يريد بهذه الصفة ما يذهب إليه البحث الحديث من خلو هذه الاصوات من الضوضاء أو الضجيج بسبب من خلوها من الاحتكاك ؟![٩٩] .

أرجح أن ذلك هو ما يذهب إليه ، ولعل ما يعزز هذا ما ورد من اشارات صوتية اخرى من المتأخرين عن الرازي من نحو اشارة ابن جني الى أن أجراس الحروف وهو يعني بذلك الصوامت تكون بحسب اختلاف مواضع الاحتكاك[١٠٠] ، فكأنه يشير بمصطلح جرس الى القوة التصويتية التي تنتج عن الاحتكاك ، ثم إشارة اللسان والتاج إلى أن الاصوات اللغوية نوعان : أصوات مجروسة وهي سائر الاصوات اللغوية سوى الألف والواو والياء ، وأصوات جوف هي هذه

---

٩٥ ـ ينظر تعليق الفراء على اصوات المد في معاني القرآن ١٣/٢ : (يستثقل الضم والكسر لان لمخرجيهما مؤونة على اللسان ، والشفتين تنضم الرفعة بهما ، ويمال احد الشدقين الى الكسرة فترى ذلك ثقيلا . والفتحة تخرج من خرج الفم بلا كلفة .

٩٦ ـ الزنينة ٦٤/١ .

٩٧ ـ اللسان ٣٦/٦ .

٩٨ ـ الزينة ٢٨/٢ .

٩٩ ـ عرف الدكتور تمام حسان الجرس noise بانه (اثر سمعي غير ذي ذبذبة مستمرة ، كالنقرة على الخشب او الطبلة ، وكالاصطدام وضجيج حركة المرور وما يسمع نتيجة سقوط جسم على جسم آخر ، وصك جسم بجسم وهلم جرا) ينظر مناهج البحث في اللغة /٥٩ ، وينظر ايضا ص ٥١ من أن علماء الاصوات يعدون «الصامت» : مكونا في جوهره من جرس ناتج عن الاحتكاك .

١٠٠ ـ سر الصناعة ٦/١ ـ ٨ .

الالف والواو والياء[101] ، مما يدلل على أن مصطلح جرس مصطلح ذو علاقة بفكرة الاحتكاك وما ينتج عنها من قوة تصوتية ، فسرها الرازي بالطنين .

الصفة الثانية : انها اصوات لا يحدث في أثناء اصدارها اصطكاك ، ومن المؤكد أن الرازي يعني بهذا المصطلح معنى (الاحتكاك) ، إذ ان معنى الصك في اللغة (الضرب الشديد بالشيء العريض ، وقيل هو الضرب عامة بأي شيء كان .... ومنه اصطك الجرمان صك أحدهما الآخر)[102] ، وبهذا المصطلح يكون الرازي أول من أشار إشارة صريحة لفكرة عدم الاحتكاك في هذه الاصوات .

الصفة الثالثة : انها تنسل من جوف الحنك ، وهو بهذا يختلف عن سابقيه إذ نظر إليها على أنها تصدر من موضع واحد هو جوف الحنك ، وفي الحق ان هذا الموضع هو الموضع الحقيقي الذي تأخذ فيه هذه الاصوات صفاتها الصوتية ، بسبب من الهيأة التي يتخذها اللسان ثمة .

وقد يكون من المؤسف حقا الا يذكر الرازي ههنا شيئا من عمل اللسان أو الشفتين في اصدار هذه الاصوات ، وكأنه عني اشد ما عني بالكلام على صفاتها الصوتية .

أصوات المدّ عند ابن جني (ت ٣٩١هـ) :

ذهب ابن جني إلى أن الصوت اللغوي إنما هو (عرض يخرج مع النفس مستطيلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا ، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها ... فان اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتدا ... والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف ثم الياء ثم الواو واوسعها وألينها الألف الآ ان الصوت الذي يجري في الياء مخالف للذي يجري في الالف والواو ، والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الاشكال أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته وتفاج – أي تباعد – الحنك عن ظهر اللسان فجرى الصوت متصعدا هناك ، فلأجل تلك الفجوة ما

---

١٠١ – اللسان ٣٦/٦ ، التاج ١١٩/٤ .

١٠٢ – اللسان ٤٥٦/١٠ .

استطاع وأما الواو فتضم لها معظم الشـفتين ، وتدع بينهمـا بعض الانفـراج ليخرج فيه النفس ، ويتصل الصوت ، فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر)[١٠٣]

ويمكننا أن نلاحظ في هذا النص ما يأتي :

ان الاصوات اللغوية على نوعين :

الاول :

نوع يتم اذا اعترض الهواء الخارج من الصدر شيء من الحلق والفم والشفتين، وهو يعني بذلك الصامت ، ثم يذهب الى أن اختلاف أصـوات هـذا النوع فيمـا بينها يرجع إلى اختلاف (أجراسها) بآختلاف مواضع اعتراض الهواء .

الثاني :

نوع يتم إذا لم يعترض الهواء الخارج مـن الصـدر شيء مـن الحلق والفـم والشفتين وادرج تحت هذا النوع أصـوات الألف والياء والواو ، وهـي إشـارة دقيقة إلى حرية مرور الهواء إلى خارج الفـم حـرية تامـة في أثناء أداء هـذه الأصوات .

ثم ذهب إلى أن الاختلاف في تصويت هذه الأصوات إنما يرجع إلى اختلاف في هيأة جهاز النطق في أثناء ادائها وهو تعليل سليم جدا ، ويكاد يطابق ما يذهب إليه البحث الحديث من أن الاختلاف في التصويت هـهنا إنما يرجـع إلى اختلاف ما اصطلح عليه بحجرة الرنين resonance chamber داخل جهاز النطق .

لكننا نلاحظ أيضا أن ابن جني لايحدد هذا الاختلاف في جهـاز النطـق بتغير وضع pose عضلة اللسان في داخل الفم في أثناء أداء هذه الأصوات ، بل يذهـب في تفسيره لحدوث كل واحد من هذه الأصوات الثلاثة إلى فصل كل وضع يتخـذه جهاز النطق في أثناء أداء أيّ صوت منها عنه في أثناء أداء أي صوت مـدّ آخـر ، وهو أمر قد يعلل بعدم فهم وظيفة عضلة اللسان في أداء هـذه الأصـوات . وعلى أية حال نلمح هـهنا أن ابن جني قد فرق تفريقا واضحا بين مـا يمـكن أن نطلق عليه (القوة التصويتية) في الصوامت ، و (القـوة التصـويتية) في اصـوات المد ، ولعله من أجل ذلك استعمل للدلالة على كل ضرب مـن هـذه القـوة التصـويتية مصطلحا بعينه فنراه يشير بمصطلح «جرس» الى تلك القوة التصـويتية التي في الصوامت ويبدو انه قد فهم من هذا المصـطلح أن القـوة التصـويتية في هـذه

---

١٠٣ ــ سر الصناعة ٦/١ ــ ٨ ..

الاصوات إنما ترجع إلى ظاهرة الاحتكاك ، بل هو يشير إلى ذلك بشيء من الصراحة ، إذ يذهب إلى أن (أجراس) الحروف تختلف باختلاف مقاطعها (أي أماكن إعاقة الهواء في أثناء نطقها) ، ثم يشير إلى القوة التصويتية في أصوات المد بمصطلح «صدى» ، وهو كما أحسب مصطلح دقيق في التلميح إلى كون هذه القوة لم تنتج من جراء حدوث احتكاك .

ولم يرد في هذا النص ذكر لطبيعة اصوات المد القصيرة ، ولعل ذلك راجع الى الفكرة العربية التي تذهب إلى أن هذه الاصوات القصيرة انما هي ابعاض من الالف والواو والياء ، وهو ما نجد ابن جني يشير اليه في مواضع شتى ، فيذهب[١٠٤] الى ان الفرق بين اصوات المد القصيرة واصوات الالف والواو والياء انما الاختلاف في الكمية حسب ، وان الحركة (حرف صغير ، الا ترى ان من متقدمي القوم من كان يسمي الضمة الواو الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والفتحة الالف الصغيرة)[١٠٥] .

لكننا نلاحظ من جانب آخر أن فكرة «الكمية»ههنا تؤثر بعض التأثير في نظرة ابن جني الى هذه الاصوات ، بجانب ما تكلمنا عليه سابقا من أن هذه الاصوات تؤلف نظام (الزوائد) في النظام الصوتي العربي . فيذهب الى أنها اصوات ناقصة[١٠٦] ، لا تقوم من غير أن تلحق بالصامت[١٠٧] ، وان الصامت كالمحل أو الاناء للحركة وهي كالعروض فيه[١٠٨] ، وكأنه يريد أن يشير بذلك الى أن الحركة هي التي تخرج الصامت الى التحقق الصوتي ، ثم جنح الى أن ذلك هو العلة في تسميتها بالحركة[١١٠] .

وبجانب هذا ذكر ابن جني بعضا من صفات اصوات المد ، فذهب الى انها جميعا من المجهورات[١١١] ، وانها أصوات متوسطة بين الشدة والرخاوة[١١٢] ، وهو رأى واضح الخطأ ، اذ ان ذلك يعني أنها اصوات احتكاكية ، لان الشدة

---

١٠٤ ــ سر الصناعة ٣٠/١ ، وينظر ٧/١ .
١٠٥ ــ الخصائص ٣١٥/٢ .
١٠٦ ــ سر الصناعة ٨/١
١٠٧ ــ المصدر السابق ٣٦/١ ــ ٣٧ .
١٠٨ ــ المصدر السابق ٣٢/١ .
١٠٩ ــ المصدر السابق ٧/١ .
١١٠ ــ المصدر السابق ٣٠/١ .
١١١ ــ سر الصناعة ٦٩/١ .
١١٢ ــ المصدر السابق ٦٩/١ .

والرخاوة صفتان لا تكونان الآ في الاصوات الاحتكاكية ، ويبدو أن ابن جني قد فهم كلام سيبويه على الاصوات اللغوية من قبل الشدة والرخاوة فهما خطأ ، اذ ان سيبويه في كلامه ذلك عدّ اصوات الالف والواو والياء اصواتا لينة ، ليست من الشديدة أو الرخوة[١١٣] فكأن ابن جني قد فهم من ذلك أن هذه الاصوات تتوسط الشدة والرخاوة فأدخلها مع تلك الاصوات التي اشار اليها سيبويه بانها اصوات تتوسط الشدة والرخاوة ، من نحو العين واللام والراء والنون في طائفة واحدة .

فكرته عن الالف والواو والياء :

١ ــ ذهب ابن جني إلى أن اصوات الالف والواو والياء اصوات (توابع للحركات ومتنشئة عنها ، وان الحركات اوائل لها ، وأجزاء منها ، وان الالف فتحة مشبعة ، والياء كسرة مشبعة والواو ضمة مشبعة ، يؤكد ذلك عندك أن العرب ربما احتاجت في اقامة الوزن الى حرف مجتلب من لفظ البيت فتشبع الفتحة فيتولد من بعدها الالف ، وتشبع الكسرة فتتولد من بعدها ياء ، وتشبع الضمة فتتولد من بعدها واو)[١١٤] .

٢ ــ ان الالف لا تخرج عن المدّ ، والواو والياء تخرجان من المد بأن تتحركا أو تكون قبل كل واحدة منهما حركة من غير جنسها[١١٥] ، وهي ملاحظة ليست جديدة على البحث الصوتي العربي في هذا المجال ، اذ ان الخليل وسيبويه قد اشارا الى هذا الامر صراحة ، على نحو ما رأينا من قبل ، غير ان ابن جني يشير اضافة الى ذلك الى أن هذا الخروج عن المد يختلف درجة من سياق الى آخر فيذهب الى :

أ ــ اذا انفتح ما قبلهما وكانتا ساكنتين ، فانهما لا تخرجان من المد كل الخروج ، بل فيهما بقية منه ، ثم يعلل ذلك بوقوع المدغم بعدهما في نحو اصَيْمّ ومَخْيِقّة ودوَيْبّة ، وقولهم : هذا ثوْبّكر وجَيْبّكر يريدون : ثوب بكر وجيب بكر ذلك ان هذا الضرب من التأليف الصوتي لا يأتي في العربية الاّ اذا كان قبل المدغم صوت مد طويل من نحو ما نجد في شابّة ودابّة ، فاستساغة العربية لهذا الضرب ههنا ما كانت الا لأن الواو والياء الساكنتين لم تخرجا من المد كل الخروج ثم اكد ذلك

---

١١٣ ــ ينظر الكتاب ٢/٤٠٦ .

١١٤ ــ سر الصناعة ١/٢٦ .

١١٥ ــ المنصف ١/٢٢٤ .

باننا لا نجمع في القوافي بين عَوْم وصَوْم وكَرْم وجَرْم ، مما يدلل على ان سكون هذين الصوتين اذا سبقا بالفتح لم يخرجهما من المدّ[116] .

لقد حاول ابن جني تفسير احتفاظ الياء أو الواو الساكنتين المسبوقتين بالفتح تفسيراً يشعرنا بأنه قد فطن بعض الشيء الى أن ثمة تداخلا بين صوت الفتحة القصيرة وصوت الواو أو الياء في هذا السياق ، اذ ذهب الى أن ذلك كان لأن (الفتحة وان كانت مخالفة الجنس للياء أو الواو فان فيهما سرا له ، ومن أجله جاز أن تمتد الياء والواو وبعدها في نحو ما رأينا ، وذلك أن اصل المد وأقواه واعلاه وانعمه وانداه انما هو للالف وانما الياء والواو محمولان عليها وملحقان في الحكم بها ، والفتحة بعض الالف فكأنها اذا قدمت قبلها في نحو بيت وسوط انما قدمت الالف ، اذ كانت الفتحة بعضها فاذا جاءتا بعد الفتحة جاءتا في موضع قد سبقتهما اليه الفتحة التي هي الف صغيرة فكان ذلك سببا للانس بالمد لا سيما وهما بعد الفتحة لسكونهما اختا الالف ، وقريبتا الشبه بها فصار ثوب وشيخ نحوا من شاخ وثاب فلذلك ساغ وقوع المد بعدهما فاعرف ذلك[117] .

لكنه لم يفطن الى ان هذا الامر قد ادى بصوت الفتحة مع الياء أو الواو الساكنتين الى تكوين ما نطلق عليه مصطلح صوت المد المركب مما يجعل هذا الصوت المركب الجديد قريبا في صفاته وسلوكه من صوت المدّ الطويل ، وعلى أية حال ستكون ملاحظة ابن جني هذه احدى منطلقات الدكتور هنرى فليش في دراسة صوت المد المركب في العربية[118] .

لقد لاحظ ابن جني أن الواو والياء لا تخرجان من المد كل الخروج ايضا في حالة الادغام ، يقول : (ان ادغام الواو والياء لا يخرجهما من المدّ كل الاخراج كما تخرجهما الحركة ، ويدلك على أن الحركة في الياء والواو أشد اخراجا لهما من ادغامهما اذا وقعتا مدغمتين في حرف الروى لم يجز موضع كل واحدة منهما غيرهما نحو ولّي وعلو مع عدّو كما أن الحركة لما كانت تخرجهما من المد اصلا جاز مع كل واحد منهما اذا وقعت قبل الروى غيرها من سائر الحروف الصحاح ، إلا ترى أنه يجوز مع الغيرَ الخبرَ والسمَر ، ويجوز مع الطَول العمَل والسمَل)[119] .

---

١١٦ ــ المنصف ٢/٢٢٥ .

١١٧ ــ الخصائص ٣/١٢٧ ــ ١٢٨ .

١١٨ ــ ينظر : Traite de phiioiogie Arabe p. VIII فقد كان الخصائص وسر الصناعة من مصادره .

١١٩ ــ المنصف ١/٣٢٨ .

لقد فطن ابن جني في هذا النص الى أن الواو المدغمة أو الياء المدغمة لا يمكن أن تتطابق أي منهما مع التحليل الى ساكن ثم متحرك ، وعلل ذلك بأنهما في هذه الحالة ما تزالان تحتفظان بشيء من المدّ

٣ ـ ان الالف والواو والياء اصوات على غاية من الضعف ، (ولو لم يعلم تمكن هذه الحروف في الضعف الاّ بتسميتهم اياها حروف العلة لكان كافيا وذلك انها في اقوى احوالها ضعيفة ، الا ترى أن هذين الحرفين ـ يعنى الواو والياء ـ اذا قويا بالحركة فانك حينئذ مع ذلك مؤنس فيهما ضعفا ، وذلك أن تحملهما للحركة اشق منه في غيرهما ، ولو لم يكونا كذلك الاّ لأن مبنى امرهما على خلاف القوة ، يؤكد ذلك عندك ان اذهب الثلاث في الضعف والاعتلال الالف)[١٢٠] ثم يورد بعضا من احوالهن فيرى انهن لضعفهن (اذا وقف عليهن ضعفن وتضاءلن ولم يف مدهن ، واذا وقعن بين الحرفين تمكن واعترض الصدى معهن ، ولذلك قال ابو الحسن : ان الالف اذا وقعت بين الحرفين كان لها صدى ، ويدل على ذلك أن العرب لما ارادت مطلهن للندبة واطالة الصوت بهن في الوقف وعلمت ان السكون عليهن ينتقصهن ، ولا يفي بهن اتبعتهن الهاء في الوقف توفية لهن وتطاولا الى اطالتهن وذلك قولك وزيداه ، واجعفراه)[١٢١] .

وهذا يعني أن درجة الضعف فيهن تختلف من موضع الى آخر ، بل هو يشير في نص آخر الى ذلك صراحة فيذهب الى أن هذه الاصوات اذا كنّ في موضع العين كان أقوى لهن من موضعهن في الفاء أو اللام (لانها واسطة لها ومكنوفة بهما فصارا كأنهما سياج لها ، ومبذولان للعوارض دونها ، فأما حذف الفاء ففي المصادر من باب وعد نحو العدة والزنة والطدة والتدة والابة ، واما اللام فنحو اليد والدم والفم والاب والسنة والمائة والفئة وقلما نجد الحذف في العين)[١٢٢] ، ثم يذهب الى ان اضعف مواقع الاعتلال هو اللام (لأنها اضعف من العين يدلك على ذلك قولهم في تكسير فاعل مما اعتلت لامه انه يأتي على فعلة نحو قاض قضاة وغاز غزاة وساع سعاة ، فجاء ذلك مخالفا للصحيح الذي يأتي على فعلة نحو كافر كفرة وبارّ بررة)[١٢٣] .

---

١٢٠ ـ الخصائص ٢/ ٢٩٠ .

١٢١ ـ الخصائص ١٢٩/٣ وينظر ايضا ٢٣٤/١ .

١٢٢ ـ المصدر السابق ٤٨٤/٢ .

١٢٣ ـ المصدر السابق ٤٨٤/٢ .

وهذا يعني أن ظاهرة الاعتلال اصلا مرتبطة عند ابن جني بفكرة درجة ضعف هذه الاصوات في أثناء التأليف الصوتي ، وهو كما نرى متابع في ذلك للخليل وسيبويه ، لكننا نلاحظ من جانب آخر أنه قد ذهب الى أن ظاهرة الاعتلال ليست امراً طارئاً في العربية ، وهو ما يمكن أن نستنتجه من اشارته الى ان ما نطلق عليه (اصل) المعتل ليس سوى صيغة مفترضة ، يقول في هذا الصدد : (هذا الموضع كثير الايهام لاكثر من يسمعه ، لاحقيقة تحته ، وذلك كقولنا الاصل في قام قوم وفي باع بيع وفي طال طول وفي خاف ونام وهاب خوف ونوم وهيب وفي شدّ شدد وفي استقام استقوم وفي يستعين يستعون وفي يستعد يستعدد ، فهذا يوهم أن هذه الالفاظ وما كان نحوها ــ مما يدعي أن له اصلا يخالف ظاهر لفظه ــ قد كان مرة يقال ، حتى انهم كانوا يقولون في موضع قام زيد قومَ زيد وكذلك نوم جعفر وطول محمد ... ولبيس الامر كذلك ، بل بضده ، وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به الآ على ما تراه وتسمعه . وانما معنى قولنا : انه كان اصله كذا : أنه لو جاء مجيء الصحيح ولم يعلل لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا ، فأما أن يكون استعمل وقتا من الزمان كذلك ثم انصرف عنه فيما بعد الى هذا اللفظ فخطأ لايعتقده أحد من اهل النظر)[١٢٤] .

اصوات المد العربية الفرعية :

حاول ابن جني ايضا تصنيف اصوات المد العربية الفرعية ، التي عرفها اللسان العربي في لهجاته القديمة ، وفي القراءات القرانية ، ويلاحظ المدقق أن هذا التصنيف قد تم وفاقا لمعيارين اثنين ، الاول : معيار التغير في جهاز النطق في اثناء التلفظ والثاني : معيار الكمية .

وفي الحق أن ابن جني لا يشير الى المعيار الاول صراحة ، لكننا نستطيع أن نستشف ذلك من طبيعة الاصوات التي اوردها في هذا المجال ، اما المعيار الثاني فهو صريح في الكلام عليه[١٢٥] .

ويمكن اجمال هذه الاصوات التي تحدث بسبب من تغير في هيأة جهاز النطق فيما يأتي : الفتحة المشوبة بالكسرة والف الامالة والضمة المشوبة بالكسرة والواو المشوبة بروائح الياء والكسرة المشوبة بالضمة والياء المشوبة بروائح

---

١٢٤ ــ الخصائص ٢٥٦/١ ــ ٢٥٧ وينظر ايضا المنصف ١٩٠/١ .

١٢٥ ــ سر الصناعة ٦٤/١ ــ ٦٥ .

الواو والف التفخيم[١٢٦] ويلاحظ في هذه الاصوات جميعا . انها تحدث لاشمام صوت المد شيئا من روائح صوت مد آخر ثم يذهب الى أن هذا الاشمام ليس مطردا بين أي صوتي مد ، فاذا كان من الممكن أن ينحى بالفتحة (نحو الكسرة والضمة ، وفي الكسرة أن ينحى بها نحو الضمة ، وفي الضمة أن ينحى بها نحو الكسرة .. لم يجز في واحدة من الكسرة ولا الضمة ان ينحى بها نحو الفتحة[١٢٧] وعلل ذلك بأن (الفتحة أول الحركات وادخلها في الحلق ، والكسرة بعدها ، والضمة بعد الكسرة ، فاذا بدأت بالفتحة وتصعدت تطلب صدر الفم والشفتين اجتازت في مرورها بمخرج الياء والواو فجاز أن تشمها شيئا من الكسرة او الضمة لتطرفها اياهما ، ولو تكلفت أن تشم الكسرة او الضمة رائحة من الفتحة لاحتجت الى الرجوع الى أول الحلق ، فكان في ذلك انتقاص عادة الصوت بتراجعه الى ورائه وتركه التقدم الى صدر الفم والنفوذ بين الشفتين ، فلما كان في اشمام الكسرة او الضمة رائحة الفتحة هذا الانقلاب والنقض ، ترك ذلك فلم يتكلف البتة فان قيل نراهم نحوا بالضمة نحو الكسرة في مذعور ومنقور ... فالجواب أن بين الضمة والكسرة من القرب والتناسب ما ليس بينهما وبين الفتحة ، فجاز أن يتكلف نحو ذلك بين الضمة والكسرة ، وهو مع ذلك مستكره ، الا ترى الى كثرة قيل وبيع وغيض ، وقلة نحو مذعور وابن بور)[١٢٨] .

اما الاصوات التي تعتمد معيار الكمية فهي : الحركة الضعيفة المختلسة كحركة همزة بين بين ، وغيرها من الحروف التي يراد اختلاس حركاتها تخفيفا[١٢٩] ثم حركتي الاشمام والروم[١٣٠] وسنفصل الحديث فيها في الفصل القادم في الكلام على اصوات المد الفرعية .

لقد لاحظ ابن جني في هذا المجال ايضا أن اصوات المد الطويلة قد تكون اكثر طولا في سياقات بعينها ، اذ «قد تجدهن في بعض الاحوال اطول واتم منهن في بعض ، وذلك قولك يخاف وينام ويسير ويطير ويقوم ويسوم فتجد فيهن امتداد واستطالة ما ، فاذا أوقعت بعدهن الهمزة او الحرف المدغم ازدن طولا وامتدادا

---

١٢٦ ـ سر الصناعة ٥٨/١ ـ ٥٩

١٢٧ ـ سر الصناعة ٦٠/١

١٢٨ ـ المصدر السابق ٦٠/١ ـ ٦١

١٢٩ ـ المصدر السابق ٦٤/١

١٣٠ ـ المصدر السابق ٦٨/١ والخصائص ١٤٥/٢

وذلك نحو يشاء ويسؤ ويطيب بكرويسير راشد ، وتمود الثوب وقد قوص زيد بما عليه ، افلا ترى زيادة المد فيهن بوقوع الهمزة والمدغم بعدهن)[131] .

اصوات المد عند ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) :

تعرض ابن سينا لاصوات المد العربية في كتابه «اسباب حدوث الحروف» ولقد كانت اهم ملاحظاته في هذا المجال تفريقه بين حالتي الواو والياء المشار اليهما سابقا لكننا نلاحظ انه صنفهما الى :

١ ــ واو وياء صامتتين ، وقد بيّن مخرج كل واحدة منهما ، فأشار الى أن الواو تحدث حيث تحدث الفاء ، وأن الياء تحدث حيث تحدث الطاء والجيم ، لكنه فطن الى أن الاحتكاك في اثناء نطقهما في هذه الحالة قليل جداً»[132] .

٢ ــ واو وياء مديتين ، ولقد اعترف ابن سينا في هذا المجال بأن طبيعة اصوات المد مشكلة عليه ، وهي اشارة الى صعوبة فهم عمل جهاز النطق في اثناء حدوث هذه الاصوات ، لكنه ذهب الى أن اهم صفة لجهاز النطق في اثناء ذلك هي حرية خروج الهواء خروجا ، سلِسا غير مزاحم)[133] ، وهي اشارة الى عدم وجود اعاقة في جهاز النطق في اثناء احداث اصوات المد عامة .

ويلفت الانتباه ايضا نظرته الى وحدة اصوات المد الطويلة والقصيرة ، وعدّه اياهما مجموعة واجدة ، فالطويلة لا تختلف عن القصيرة الا في الكمية حسب[134] ، وهي نظرة قد تختلف بعض الاختلاف عن نظرة سابقيه ، الذين وأن كانوا قد نظروا الى أصوات المد القصيرة ، او ما اصطلحوا عليه بالحركات ، على انها اجزاء من الالف والياء والواو ، الا انهم فرقوا بينهما في تقسيماتهم الصوتية ، فوضعوا الالف والواو والياء في الاصول ، ووضعوا الحركات في الزوائد ، ولم يشيروا الى وحدة الالف والواو والياء في حالة المد المحض واصوات المد القصيرة في الوظيفة اللغوية ، بل ذهبوا الى القول بسكون اصوات المد الطويلة ، اذ هي متألفة عندهم من الالف والواو والياء في حالة سكون ، سبق كل منها حركة من جنسه ، وكأن ما يحدث من تأثير لهذا الصوت في الصامت الذي يسبقه في اثناء التأليف بينهما انما يرجع الى تلك الحركة المجانسة ، وقد يكون لنظرتهم هذه مسوغ من الناحية الصرفية ،

---

١٣١ ــ سر الصناعة ١٩/١ .

١٣٢ ــ اسباب حدوث الحروف/ ١٩

١٣٣ ــ المصدر السابق /١٩

١٣٤ ــ المصدر السابق /١٩

بيد أن الامر من الناحية الصوتية خطأ واضح .

اصوات المد عند مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)

اورد مكي طائفة من الملاحظات في اصوات المد ، منهـا مـا يتصـل بطبيعتهـا وصفاتها من نحو ذهابه الى أن هذه الاصوات من المجهورات[١٣٥] ، وانها ليسـت من الشديدة او الرخوة[١٣٦] وبذلك اخرجها من الاصوات اللغـوية التي تنشـأ عن الاحتكاك ، بل هو يشير الى ذلك بشيء من الصراحة ، اذ يذهب الى انها اصوات (يخرجن من اللفظ في لين من غير كلفة على اللسان واللهـوات بخـلاف سـائر الحروف ، وانما يتسللن بين الحروف عند النطق بهن انسـلالا بغير تكلف)[١٣٧] ، لكننا نلاحظ من جانب آخر انه ينكر أن يكون لهذه الاصوات كلفة على اللسان ، وهـي اشـارة ، وأن كانت تعني أنه ليس ثمـة اثر للاحتكاك باللسـان في اثناء حدوثها ، الا انها تشير من جهة اخرى الى أن مكيا لم يفطن الى عمل اللسان في اثناء نطق اصوات المد .

لقد ذهب مكي الى ان وظيفة هذه الاصوات مد الصوت بها ، بل ان هـذا المد ، (لا يكون في شيء من الكلام الافيهن)[١٣٨] لكنه وجد اختلافا في درجة هـذا المد بين الالف من جهة ، والواو من جهة اخرى ، فالالف اكثر التصاقا بالمدّ منهما ، لانها امكن في هواء الفم عند خروجها[١٣٩] في حين أن الواو والياء قد يخـرجان عن المد الى ما يشبه «الصحة» في حالة تغير حركة ما قبلهما عن جنسـهما[١٤٠] وقـد اطلق عليهما مكي اذا صارا في هذه الحالة مصطلح «حـرفي اللين» حسـب ، مسـقطا عنهما صفة «المد» ، وعلل هذه التسمية بانهما (يخـرجان في لين وقلة كلفـة على اللسان ، لكنهما نقصتا عن مشابهة الالف لتغير حركة ما قبلهمـا عن جنسـهما فنقصتا المد في الالف ، وبقي فيهما اللين لسكونهما فسميتا بحرفي اللين)[١٤١] .

ونلمح في هذا النص اشارة الى أن هذا الخروج عن صفة المد انما كان لانهمـا خرجا في قلة كلفة على اللسان ، وكأنه يشير بذلك الى أن هذا التحـول مـن المد

---

١٣٥ ـ الرعاية /٩٢

١٣٦ ـ المصدر السابق /٩٣ ـ ٩٤

١٣٧ ـ المصدر السابق /١٠١

١٣٨ ـ المصدر السابق/ ١٠١

١٣٩ ـ المصدر السابق /١٠٢

١٤٠ ـ الرعاية/ ١٠١ ـ ١٠٢

١٤١ ـ المصدر السابق /١٠١ ـ ١٠٢

المحض – الذي وصفهما فيه انهما يخرجان من غير كلفة على اللسان كما مرّ بنا سابقا – الى حالة اللين حسب ، انمـــا كان لظهــور بعض الاحتكاك عن طــريق اللسان وهي في الحق ملاحظة جديدة في البحث الصوتي العربي ، لكننا نلاحظ ان مكيا ينصرف عنها تماما في كلامه على تحديد مخرج الواو اللينة ، اذ انه يرجــع الى الرأي السائد في وصف هذه الواو من انها صوت شفوي(١٤٢) .

ثم يشير الى سلوك هذين الصوتين في اثناء التأليف ، فيذهب الى انهما صوتان ثقيلان في النطق ، ولا سيما في احوال اكتنافهما باصوات مد قصيرة ، او لحقهما تشديد او نبر ، فالياء عنده (حرف ثقيل ، واذا تكرر تكرر الثقل ، واذا تحرك كان اثقل واذا تحركت الياء بكسرة وقبلها فتح او بفتح وقبلها كسر وجــب أن تخــف الحركة على الياء ، وسهل اللفظ بحركتها لئلا يشوبها شيء من التشديد او النبر ، أو يسبق اللسان بهمزة في موضعها وذلك نحو لا شية فيهــا)(١٤٣) ، وكذلك الواو اذ أن فيها خفاء اذا سكنت وفيها ثقلا اذا تحركت ويذهب الى أنه (لو كانت الحركة التي علاها ضمة ازدادت ثقلا فان كانت الحركة التي عليها كسرة فــذلك اثقــل عليها من الضمة لانها مؤاخية للضمة)(١٤٤) .

ويتضح من كلامه هذا ان ظاهرة «الاعلال» مرتبطة عنده بامرين :

الاول : ثقل الواو والياء في النطق

الثاني : شدة تعامل هذين الصوتين مع اصوات المد القصيرة التي تكتنفها وشدة التاثر بها .

مصطلح العلة عند مكي :

ومن ملاحظات مكي الجليلة في مجال دراسة اصوات المد ، فصله مصطلح «علة» عن مصطلح «مد» فصلا تاما ، اذ انه عند تقسيمه الاصوات اللغوية الى طــوائف بسبب من اختلاف مخارجها او اختلاف صفاتها ، او اختلاف مسلكها ، تحــدث تحت مصطلح «اصوات المد واللين» عن هذه الاصــوات التي اصــطلح عليهــا في الانكليزية بمصطلح Vowels وهي عنده (ثلاثة احرف الالف والواو الساكنة التي قبلها ضمة والياء الساكنة التي قبلها كسرة)(١٤٥) ، ثم تحدث تحت مصطلح حروف (العلة) عن أربعة أصوات هــي الهمــزة والالف والواو والياء ، ولم يشــترط في

١٤٢ – المصدر السابق /٢٠٩

١٤٣ – المصدر السابق /١٥٥

١٤٤ – الرعاية /٢٠٩

١٤٥ – الرعاية /١٠١

صوتي الواو والياء ههنا خلوصهما للمد خلوصا كاملا كما فعل في الكلام على «اصوات المد واللين ، ثم فسر جمعه لهذه الاصوات الاربعة بأت التغير والاعتلال والانقلاب لا يكون في جميع كلام العرب الا في احدها ، تعتل الياء والواو وقد تقلبان الفا مرة وهمزة مرة نحو كال وقال وسقاء ودعاء ، وتنقلب الهمزة ياء مرة وواو مرة والفا مرة فتقول راى وبوس وبير)[١٤٦] ، وعلى هذا يكون مصطلح علة مصطلحا صرفيا بحتا يشير الى كثرة الانقلاب والتغير في هذه الاصوات الاربعة ، ولا يشير الى فكرة (المد) أبدا .

وهو أمر يعني أن القدماء كانوا يفصلوا بين المصطلحين فصلا تاما وعليه يسقط اعتراض المحدثين على هؤلاء القدماء من انهم يدخلون صوت الهمزة الصامت مع اصوات العلة ، ذلك أن هؤلاء المحدثين قد فهموا من هذا المصطلح معنى (المد) Vowel ، وهو أمر يدلل على انهم لم يفهموا فكرة «العلة» عند اولئك القدماء .

ثم عرض مكي لطائفة من الاراء الفلسفية التي تبحث في اصوات المد والصوامت وهي أراء كان قد عرض لها ابن جني من قبل ، ويبدو أنها كانت متداولة بين اللغويين عامة ، وقد أشار كلاهما الى ذلك[١٤٧] .

وفي الحق ان ما يهمنا من ذلك تعليقات مكي على هذه الاراء ، اذ انه حاول أن يوجه هذه الافكار وجهة لغوية بحتة .

فمما اورده في هذا المجال :

١ ـ اختلاف النحويين واهل النظر في الحروف والحركة ايهما قبل الاخر ، وقد عرض آراء ثلاثة في هذا الشأن ، ذهب الرأي الاول الى أن الحرف قبل الحركة معللا ذلك بعلل منها أن الحرف يسكن ويخلو من الحركة ثم يتحرك بعد ذلك ، فالحركة ثانية أبدا ، وذهب الثاني الى أن الحروف بعد الحركات والحركات أول ، واستدل على ذلك بأن الحركات اذا شبعت تولدت منها الحروف وقد ذهب مكي الى ضعف هذا الرأي (لان الحركات التي تتولد منها الحروف لا تنفرد بنفسها ، ولا بد أن تكون على حروف ، فكيف تسبق الحروف وهي لا تنفرد من الحروف ، وذهب الرأي الثالث ، وهو الرأي الذي مال مكي الى الاخذ به الى أن الحروف والحركات لم يسبق احدهما الاخر في الاستعمال ، بل استعملا معا ، ثم يعلل ذلك بعلة لغوية سليمة ، اذ ذهب الى

---

١٤٦ ـ الرعاية/ ١٠٣ ـ ١٠٤

١٤٧ ـ الرعاية /٧٧ وينظر سر الصناعة ٣٢/١ ـ ٣٨ .

أن (الدليل على صحة هذا القول : أن الكلام الذي جيء به للافهام مبني على الحروف : والحروف ان لم تكن في أول امرها متحركة فهي ساكنة ، والساكن لا يمكن ان يبتدأ به ، ولا يمكن ان يتصل به ساكن آخر في سرد الكلام لافاصل بينهما ، فلا بد ضرورة من كون حركة مع الحرف لا يتقدم احدهما الاخر ، اذ لا يمكن وجود حركة على غير حرف ، وايضا فان الكلام انما جيء به لتفهم المعاني التي في نفس المتكلم ، وبالحركات واختلافها تفهم المعاني ، فهي منوطة بالكلام مرتبطة به ، ونيطت به اذ بها يفرق بين المعاني التي من اجلها جيء بالكلام ، وهذا القول اولى من غيره)[١٤٨]

وفي الحق أن اختيار مكي لهذا الرأي مبني على فهم دقيق لوظيفة اصوات المد في اللغات عامة وفي العربية خاصة ، فقد بيّن أن لهذه الاصوات وظيفتين .

الاولى : وظيفة عامة تتصل بكون الصوامت اصوات لا يمكن أن تنطق من غير أن تكتنفها الحركات ، اذ ذهب الى أن الساكن لا يمكن الا بتداء به ، ولا يمكن أن يتصل به ساكن اخر في سرد الكلام لافاصل بينهما ، فلابد ضرورة من كون حركة مع الحرف .

الثانية : وظيفة خاصة تتصل بما تؤديه هذه الاصوات في النظام الصرفي العربي من تغير معاني الجذر الواحد ، فقد ذكر (ان الكلام انما جيء به لتفهم المعاني فهي منوطة بالكلام مرتبطة به ، ونيطت به اذ بها يفرق بين المعاني التي من اجلها جيء بالكلام)[١٤٩] .

٢ ـ ومن الاراء التي عرض مكي لها ايضا فكرة (الاختلاف في حروف المد واللين والحركات الثلاث ايهما مأخوذ من الاخر وعلل ذلك) ، وقد بين في هذا المجال اختلاف اللغويين ، فذهب الى أن اكثر هؤلاء قد جنح الى القول بأن الحركات الثلاث مأخوذة من الحروف الثلاثة ، الضمة من الواو ، والكسرة من الياء والفتحة من الالف ، ومنهم من ذهب الى أن حروف المد واللين الثلاثة مأخوذة من الحركات الثلاث ، واستدلوا على ذلك بأن الحركات اذا اشبعت حدثت منها هذه الحروف[١٥٠] وهو راي قد بينا من قبل أن ابن جني

---

١٤٨ ـ الرعاية /٧٧ ـ ٨٠

١٤٩ ـ الرعاية/ ٨٠

١٥٠ ـ المصدر السابق /٨١ ـ ٨٣

كان من مؤيديه والاخذين به[151] وذهبت جماعة من هؤلاء الى انه ليست هذه الحروف مأخوذة من الحركات الثلاث ولا الحركات مأخوذة من الحروف ، اذ لم يسبق أحد الصنفين الاخر ، وهو الرأي الذي جنح مكي الى الاخذ به[152]

اصوات المد عند علي بن مسعود الفرغاني (من رجال القرن السادس الهجري) :

يكاد الوصف العام لاصوات الالف والواو والياء عند الفرغاني مشابها لما ورد عند من تقدم عليه من اللغويين العرب ، فقد ذهب الى أن الالف تنطلق باطلاق الهواء سلسا الى فوق مع فتح جميع التجويف الواصل بين الرئة وبين الهواء الخارج قدام الشفتين[153] ، والى أن الواو تحدث باطلاق الهواء وحفزه الى قدام حفزا بادنى تضييق ، وكذلك الياء مع ميل بالهواء الى اسفل[154] وفي كل ذلك اشارات الى حرية مرور الهواء في اثناء نطق هذه الاصوات ، ثم ذهب الى أن هذه الاصوات مجهورة[156] .

غير اننا نلاحظ انه يخص بهذا الوصف اصوات المد المحضة ، اما الياء في حالها غير المدية ، وكذلك الواو ، فقد ذهب الى أن لهما مخرجاهما ، ووضع الياء بعد الجيم والشين في ترتيبه للاصوات اللغوية[157] ، لان مخرجها من مخرجيهما بادناء طرف اللسان من وسط الحنك[158] ، ولكن بضغط للهواء أقل واضعف مما فيهما[159] ثم وضع الواو حيث الباء والميم . و مخرجهما من بين الشفتين[160] ولكن الهواء يتسرب معها تسربا[161] .

وهذا يعني ان الفرغاني قد لاحظ ان ثمة فرقا في كيفية النطق بين الواو في

---

١٥١ ــ سر الصناعة ١/ ٢٦ .

١٥٢ ــ الرعاية / ٨١ ــ ٨٣

١٥٣ ــ المستوفي في النحو /٥٨٩

١٥٤ ــ المصدر السابق /٥٩٠

١٥٥ ــ المصدر السابق /٥٩٠

١٥٦ ــ المصدر السابق /٥٨٢

١٥٧ ــ المصدر السابق/ .

١٥٨ ــ المصدر السابق/ ٥٨٥

١٥٩ ــ المصدر السابق/ ٥٨٥

١٦٠ ــ المصدر السابق/ ٥٨٨

١٦١ ــ المصدر السابق /٥٨٨

حالتها المدية ، وحالتها غير المدية[١٦٢] ، ولقد أضاف الى هذا ملاحظة اخرى جليلة هي أن الاختلاف في هاتين الحالتين لا يكون في الكيفية حسب ، بل في الكمية ايضا ، وهو في ذلك أول لغوي عربي يشير صراحة الى اختلاف الكمية في الواو والياء بين حالة المد Vowel وحالة نصف المد semi vowel ثم يرى أن هذه الكمية تنقص كلّما ابتعد صوت المد عن صفاته المدّية[١٦٣] .

ويبدو أن الفرغاني قد استنتج ذلك من بعض التطبيقات العروضية وهي تطبيقات صحيحة جداً ، لان الشعر العربي اذا غضضنا النظر عن نظامه الايقاعي يعتمد على التوازن الكمي[١٦٤] ، يقول الفرغاني في بيان اختلاف الكمية في الواو والياء من سياق الى آخر : (ان لكل واحدة من الواو والياء ثلاثة احوال الاول منها : ان تكون متحركة مشابهة للحروف الصحيحة في الكمية والكيفية ولذلك جاز أن يجمع في القوافي بين عور وعكر ، الثاني أن تكون ساكنة سكونا مصوتا فتكون مشاكلة للالف في الامتداد ، وأطول والين من كل واحد من الحروف الصحيحة بكثير ، ولذلك جاز أن يقع بعد كل واحدة منها في الدرج ساكن يستعان على سكونه بما فيها من الطول الجاري ، الثالث ان تكون ساكنة سكونا ساكنا ... أن يكون قبل الواو والياء فتحة تشبهان بها الالف من حيث أن ما قبلها لا يكون إلاّ مفتوحا وأن كانت كل واحدة منهما الين من سائر الحروف الصحيحة يدلك على هذا انهم لا يكادون يجمعون في القوافي بين عير وعصر)[١٦٥] .

ومما يمكن أن يلاحظ ايضا في هذا النص فكرته عن «السكون» في أصوات المد ، ذلك انه ذهب الى أن السكون نوعان :

١ ـ سكون «ساكن» وقد وصف به سكون الصوامت ، او سكون صوتي الواو والياء في حالة اللين .

٢ ـ سكون «مصوت» ووصف به «سكون» اصوات المد الطويلة المحضة وذلك لان من خصائص هذه الاصوات انها لا تعتقب بصوت مد قصير البتة .

وهذا يعني أن الفرغاني قد وصل الى أن هذا السكون الذي في اصوات المدّ ليس أمرا حقيقيا ، وأحسب انه من أجل ذلك اطلق عليه مصطلح «مصوت» وكأن الامر كان توفيقا بين الفكرة العامة عن سكون اصوات المد ، وعما يحس به هو

---

١٦٢ ـ المستوفي في النحو /٥٥٧ ـ ٥٥٨ ، ٥٨٥ ، ٥٨٨

١٦٣ ـ المصدر السابق /٥٥٧ ـ ٥٥٨

١٦٤ ـ في البنية الايقاعية للشعر العربي

١٦٥ ـ المستوفي /٥٥٧

من أن هذا السكون الذي هو عدم اعتقاب اصوات المد بالحركة ، ليس من ذلك القبيل من السكون الذي في الصوامت .

اصوات المدّ عند الفخر الرازي (٦٠٦هـ)

ذهب الرازي الى أن مباحث دراسة الاصوات (لاتتم دلالتها الا عند الوقوف على علم التشريح)[١٦٦] ، ذلك أن الحروف (تتولد عند تقطيع الصوت ، وهي مخارج مخصوصة في الحلق واللسان والاسنان والشفتين ، فيجب البحث عن احوال تلك المحابس ويجب أيضا البحث عن احوال العضلات)[١٦٧] ، ثم قسّم الاصوات الى قسمين :

١ ـ الصوامت : ويعني بها ما اصطلح عليه في الانكليزية بال consonants، وقد قسمها هي ايضا ، فمنها مالا يحدث الا في (الان) الذي هو آخر زمان حبس النفس وأول زمان ارساله كالباء والدال والطاء[١٦٨] ، وهو تعبير موفق عن فكرة «الانفجارية» ، ومنها ما يمكن تمديده بعض التمدد كالخاء والحاء في طائفة والسين والشين في اخرى ، ويعني بذلك الاصوات الاحتكاكية الاخرى[١٦٩] .

٢ ـ المصوتة ويعنى بها اصوات المد[١٧٠]، او على وجه الدقة اصوات الألف والواو والياء ، ثم يرى أن لهذه الاصوات المصوتة ابعاضا هي الحركات[١٧١] وقد جعل المصوتة اصولا لهذه الحركات ، ذلك أن لهذه المصوتة عنده قابلية للزيادةاوالنقصان ولاطرف في جانب النقصان الا هذه الحركات ، ولان الحركات اذا مدّت حدثت المصوتات[١٧٢] ، الا أنه ذهب الى أن المصوتات هيئات عارضة للاصوات ، فكأن اصوات اللغة عنده تتألف اصلا من الصوامت ، اما المصوتات فانما هي ملحقة بها ، وعلل ذلك بأنه لا يمكن نطق الصائت من غير أن يقترن بالصامت بل ذهب الى أن (الصامت سابق على

---

١٦٦ ـ التفسير الكبير ١/١١

١٦٧ ـ المصدر السابق ١/ ١٥

١٦٨ ـ المصدر السابق ١/ ٢٩ ـ ٣٠

١٦٩ ـ المصدر السابق ١/٣٠

١٧٠ ـ المصدر السابق ١/٣١

١٧١ ـ المصدر السابق ١/٣٠

١٧٢ ـ المصدر السابق ١/٣٠

المصوت المقصور الذي يسمى بالحركة ، بدليل أن التكلم بهذه الحركات موقوف على التكلم بالصامت ، فلو كانت الحركات سابقة على هذه الصوامت لزم الدور ، وهذا محال)(١٧٣) ، وبسبب من هذا فسر الحركة بانها «عبارة عن الصوت الذي يحصل التلفظ به بعد التلفظ بالحرف)(١٧٤) ، وكأنه يريد أن يشير بذلك الى ضعف هذه الاصوات ، وانها تستمد القوة من الصامت ، وفي هذا الرأي كثير من انكار الاهمية الوظيفية اللغوية لاصوات المد . .

وأكبر ظني أن الرازي قد فهم فكرة السابقين من أن الحركات زوائد تعتور الحروف فهما خطأ ، اذ أن اولئك ارادوا بهذا الوصف انها لا تدخل في (الاصول) ولعل ما صرح به الخليل من بيان الاهمية الوظيفية اللغوية يؤكد ذلك ، اذ ذكر انها انما تأتي ليوصل الى التكلم بالصامت(١٧٥) ، وهو رأى على الضد مما ذهب اليه الرازي من أن الصوامت هي التي تساعد هذه المصوتات على أن تنطق .

لم يعطنا الفخر الرازي وصفا دقيقا لصوت المد ، اذ أن اهم عبارة وصلت الينا في وصف هذا الصوت هي ماذهب اليه من أن المصوت (انما حدث لجريان نفسه وامتداده)(١٧٦) وهي عبارة تشير اشد ما تشير الى قدرة هذا الصوت على الاستمرار ، وان كان من المحتمل انها تشير الى معان اخرى من نحو الجهر او حرية مرور الهواء ، بيد اننا لانستطيع تأكيد شيء من ذلك .

ثم نلاحظ من جهة اخرى أن الرازي قد عني بالكلام على دور عضلات الشفتين في تنويع اصوات المد ، فذهب الى أن من (اراد التلفظ بالضمة فانه لابد له من ضم شفتيه اولا ثم رفعهما ثانيا . ومن التلفظ اراد بالفتحة فانه لابد له من فتح الفم بحيث تنتصب الشفة العليا عند ذلك الفتح ، ومن اراد التلفظ بالكسرة فانه لابد له من فتح الفم فتحا قويا ، والفتح القوي لا يحصل الا بانجرار اللحي الاسفل وانخفاضه)(١٧٧) وهو كلام يشير الى أن الرازي لم يفطن لشيء من عمل اللسان في اثناء حدوث اصوات المد بل هو كلام يوضح

١٧٣ ـ التفسير الكبير ٣٠/١ وينظر ص ٢/٩ ٣/٩ أيضا

١٧٤ ـ المصدر السابق ٤٧/١

١٧٥ ـ الكتاب ٣١٥/٢

١٧٦ ـ التفسير الكبير ٤٨/١

١٧٧ ـ المصدر السابق ٤٧/١

أن الشفتين عنده هي الموضع الذي تتحدد فيه صفات هذه الاصوات اساسا .

ثم يرتب هذه الاصوات وفاقا لعمل عضـلات الشـفتين فيرى أن (اثقـل الحركات الضمة لانهـا لا تتم الآ بضـم الشـفتين ، ولا يتم ذلك الآ بعمـل العضلتين الصلبتين الواصلتين الى طرفي الشفة ، وأما الكسرة فانه يكفي في تحصيلها العضلة الواحدة الجارية ثم الفتحة يكفي فيها عمل ضـعيف لتلك العضلة ، وكما دلت هذه المعالم التشريحية على ما ذكرناه ، فالتجربة تظهره أيضا)[١٧٨] .

ثم يذهب الى أن تنوع اصـوات المد الى انواع اخـرى انمـا يرجع الى اختلاف امزجة البلدان في حركة عضلات الشفتين بعضها عن البعض الاخرى ، فمن ذلك أن (اهل اذربيجان يغلب على جميع لفظهم اشمام الضـمة ، وكثير مـن البلاد يغلب على لغاتهم اشمام الكسرة)[١٧٩] .

اصوات المد عند رضي الدين الاستراباذي (٦٨٨هـ)

١ ـ تابع الاستراباذي من سلف في ملاحظاتهم في اصوات المد ، فقد ذهب الى أن مخارجها تتسع لخروج الهواء اتسـاعا شـديدا[١٨٠] ، وهـو تعبير يشـير به اللغويون العرب عادة الى مرور الهواء الى خارج الفم مرورا حـرا في اثناء نطق هذه الاصوات وأشار ايضا الى الاختلاف بين الالف من جهـة ، والواو والياء من جهة اخرى من قبل وضع جهاز النطق في اثناء النطق ، اذ أن نطق الالف لا يتطلب الضم بشفة أو لسان أو حلق[١٨١] ، اما الواو او الياء فقد ذهب الى انهما صوتان مستعليان او مرتفعان[١٨٢] ، وفسر الاستعلاء بانه ارتفـاع اللسان في اثناء نطق الصوت[١٨٣] ، وفي هذا اشارة واضحة الى عمل اللسان في اثناء نطق الواو والضمة والياءاوالكسرة ، بل هو أشار الى ذلك صراحـة في الكلام على الياء ، اذ يرى أن نطقها يتطلب تضييقا للمخرج ورفعا للسان قبل

---

١٧٨ ـ التفسير الكبير ٤٧/١

١٧٩ ـ المصدر السابق ٤٧/١

١٨٠ ـ شرح الشافية ٢٦١/٣

١٨١ ـ المصدر السابق ٢٨٥/٢

١٨٢ ـ المصدر السابق ١٢٢/١

١٨٣ ـ المصدر السابق ٢٦٢/٣

الحنك[184] ، لكنه يشير في موضع آخر الى صعوبة معرفة ما يجري في داخل جهاز النطق في اثناء اصدار هذه الاصوات ، لان ذلك محجوب بالشفتين والاسنان فلا يمكن لنا ادراك طريقة اخراج هذه الاصوات[185]

٢ ـ اشار الى شيء من صفات هذه الاصوات ، فذهب الى انها جميعا مجهورة[186] ذات قدرة على الترديد والترجيع[187] ، وكأنه يشير الى اتصافها بالقدرة على الاستمرار او انها تحمل صدى وانتظاما موسيقيا ، ثم ذهب الى انها اصوات خفية[188] .

٣ ـ اشار اشارات واضحة الى أن الحركات ابعاض من الالف والواو والياء ، وأن مخارجها من مخارج هذه الاصوات[189] فالفتحة من مخرج الالف والضمة من مخرج الالف والضمة من مخرج الواو والكسرة من مخرج الياء .

ونلاحظ ان الاسترابادي يشير كثيراً الى وحدة اصوات المد الطويلة والقصيرة[190] والى أن وظيفتهما اللغوية واحدة[191] ، ثم يرى أن الاختلاف الرئيس بينهما يكمن في الكمية ، ليذهب الى أن (الحركة في الحقيقة بعض حروف المد بعد الحرف المتحرك بلا فصل ، فمعنى فتح الحرف الاتيان ببعض الالف عقيبها ، وضمها الاتيان ببعض الواو عقيبها ، وكسرها الاتيان ببعض الياء بعدها)[192] .

---

١٨٤ ـ المصدر السابق ٢٦١/٣

١٨٥ ـ المصدر السابق ٢٧٦/٢

١٨٦ ـ المصدر السابق ٢٥٩/٣

١٨٧ ـ شرح الشافية ٣١٦/٢

١٨٨ ـ شرح الشافية ٣/ ٢٦١ ، مصطلح «خفي» مصطلح عربي قديم بالنسبة للدراسات الصوتية العربية ، ينظر كتاب سيبويه ٤٠٦/٢ ، ونحن لا نستطيع أن نفهم ما يريد اللغويون العرب بهذا المصطلح فهما دقيقا ، هل يعنون به عدم وجود احتكاك في اثناء نطق الصوت ؟ ليس ذلك بالضبط ، ولكنه شيء قريب من ذلك اذ احسب انهم ارادوا بمصطلحهم هذا تصوير درجة الاحتكاك في الصوت ، فكلما قلّ الاحتكاك زاد الخفاء في الصوت ، ومن اجل ذلك ادرجوا في قائمة الاصوات الخفية تلك الصوامت التي تكون درجة الاحتكاك فيها واطئة جدا كالهاء مثلا ينظر الكتاب ٢٨٧/٢ ولعل عبارة الاسترابادي من أن الالف والواو والياء (اخفى الحروف لاتساع مخرجها) تشير الى شيء من هذا ، ينظر شرح الشافية ٢٦١/٣

١٨٩ ـ المصدر السابق ٢٢/١ ، ٢٧٦/٢

١٩٠ ـ المصدر السابق ١/ ١١٨ ، ١٢٢/١ ، ٢٧٦/٢

١٩١ ـ المصدر السابق ٢١١/٢

١٩٢ ـ شرح الشافية ١/ ١١٨

٤ ـ أشار الى وظيفة هذه الاصوات اللغوية ، فذهب الى انها (هـــي الروابط بين حروف الكلمة بعضها ببعض ، وذلك انك تأخذ ابعاضها أعني الحركات فتنتظــم بها بين الحروف ولولاها لم تتسق)[١٩٣] ، وهي فكرة قريبة جداً ممــا يذهــب اليه البحث الحديث من أن اهمية هذه الاصوات اللغة تكمــن في قــدرتها على تجميع الصوامت[١٩٤] .

٥ ـ ذهب الى أن ظاهرة «الاعتلال» مرتبطة بطبيعة اصوات الالف والواو والياء في التأليف الصوتي ، من انها «لا تسلم ولا تصح ، ولا تبقى على حــالها في كثير من المواضع بل تتغير بالقلب والاسكان والحذف)[١٩٥] .

٦ ـ أما أهم ملاحظات الاستراباذي فهي تلك التي تتعلق بالاشــارة الى التتابع الذي نطلق عليه في البحث الصوتي الحديث مصطلح صوت المد المركب اذ ذهب في اثناء الكلام على صفة المد في صوتي الواو والياء الى ان هذا المد يقلّ «في حروف اللين اذا كانت حركة ما قبلها من غير جنسها نحو قَوْل وبَيْع ، وذلك لان في نحــو قُول المضموم قافه تتهيأ بعد النطق بالقاف للواو وذلك لان الضــمة بعض الواو ، فيسهل عليك المجيء بعد الضمة بالواو ، كاملة لأنه لم يخالطها اذن نوع آخر من المد كما خالطها في نحو قول المفتوح قافه ، فاك اذ تهيأت فيه بعــد القــاف للمــد الالفي اي الفتحة ، ثم انتقلت في الحال الى المد الواوي شائبا شيئا من المد الاول بالمد الثاني وميل كل واحد من المدين الى جانب غير جانب الاخر ، فــلا جــرم لم تتمكن من اشباع المد الواوي تمام التمكن)[١٩٦] .

ويمكن ان نلاحظ في هذا الفصل أن الاستراباذي قد فطن الى أن تتابع الفتحة ونصف المد الساكن يؤدي الى اختلاط الصوتين بسبب من الانتقال المباشر مــن وضع جهاز النطق في اثناء اداء الفتحة الى وضعه في اثناء اداء نصــف المد مــن غير أن يفصل بينهما صامت وهو وصف قريب جداً من الوصف الصوتي الحديث لصوت المد المركب[١٩٧] ثم نلاحظ ماذهب اليه من أن نصف المد هنا مازال محافظاً على صفته المدية» ، وفسّر ذلك بسلوك نصف المد هذا في اثناء التأليف الصــوتي ، اذ انه يسلك سلوك صوت المد الطويل ومثل لذلك بأن العــربية تســتسيغ مجــيء

---

١٩٣ ـ شرح الشافية ١/ ٢١١

١٩٤ ـ دراسة الصوت اللغوي /١١٤ .

١٩٥ ـ المصدر السابق /٣٣

١٩٦ ـ شرح الشافية ٢/ ٢١١ ـ .

١٩٧ ـ ينظر مبحث صوت المد المركب في الفصل الاول

صامت مدغم بعد صوت مد طويل من نحو قولنا مآد وتمودّ الثوب[198]، ثم راى ان ذلك جائز بعد هذا الضرب من التتابع، ومثل لذلك بأمثلة مـن نحـو خَـويْصّة[199] ودويبّة[200] وجيب بكّر وثوب بكر بادغام الباء[201] ورأي أن استساغة العـربية لمجيء المدغم الصامت ههنا انما كان لما ذكرنا سابقا من أن نصف المد الساكن في هذا الضرب من التتابع مازال محتفظا بصفته المدية، وأن كان المد فيه اقل مـن المد الذي في صوت المد الطويل، فكان أن جعله ذلك مشـابها في السـلوك في هـذا السياق لسلوك المد الطويل[202].

لقد انطلق الدكتور هنري فليش من هذه الملاحظة، ومن ملاحظة ابن جني التي سبقت الاشارة اليها الى اثبات ان العربية عرفت المد المركب مـن قبل الوظيفـة اللغوية، والى انها عاملته معـاملة صـوت المد الطـويل[203] وأن كان الصرفيون العرب لم يفطنوا الى ذلك بسبب من نزعتهم الصرفية التي تنظـر الى اسـتقلال صوت الفتحة عن نصف المد الساكن، اللاحق له استقلالا تاما، وهو ما سنفصل القول فيه في الفصل الرابع.

اصوات المد عند شهاب الدين القسطلاني (ت ٨٥١هـ)

١ ـ تابع القسطلاني من سبقه من اللغويين العـرب في أن اصـوات المد لا احياز لها[204] وانها اصوات مجهورة[205]، لكننا نلاحظ بجانب ذلك انه لم يفطن الى عمل اللسان في اثناء نطقها، بل ذهب الى أن اللسان ينحط في اثناء ذلك الى قاع الفم، فهي عنده اصوات مستفلة[206]، وكان قـد عرّف الاسـتفال بانه: «انحطاط اللسان الى قاع الفم»[207].

---

١٩٨ ـ شرح الشافية ٢/ ٢٤٦ وينظر ايضا ٢/٢١٢

١٩٩ ـ المصدر السابق ٢/٢١٢

٢٠٠ ـ المصدر السابق ٢/ ٢٥٠

٢٠١ ـ شرح الشافية ٣/ ٢٤٧

٢٠٢ ـ المصدر السابق ٣/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨

٢٠٣ ـ ينظر في: Traite de phiioiogie p. 65- 69 وينظر ايضا في ٣ من كتابه هذا، فقد ورد فيه أن مصادره كتاب شرح الشافية لرضي الدين الاستراباذي.
وينظر في القراءات القرانية في ضوء علم اللغة الحديثة /٤٣ ـ ٤٤

٢٠٤ ـ لطائف الاشارات ١/١٨٩

٢٠٥ ـ المصدر السابق ١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٦

٢٠٦ ـ المصدر السابق ١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٦.

٢٠٧ ـ المصدر السابق ١/ ١٩٨

ثم أشار الى وظيفة هذه الاصوات في الكلام ، فذهب الى انها انما تأتي ليوصل بوساطتها الى نطق الكلام .

٢ ـ فصل فصلا صوتيا تاما بين اصوات المد المحضة وانصاف المد فسمى الواو والياء في حالة نصف المد الواو غير المدية ، او المتحركة ، والياء غير المدية او المتحركة ، ثم اشار الى مخرجيهما فمخرج الواو من بين الشفتين حيث الباء والميم ، الا أن الشفتين لا تنطبقان في اثناء نطقها ، اما الياء فمخرجها وسط اللسان بينه وبين الحنك الاعلى ثم أشار الى أن كلا من الواو والياء تمثل وحدة واحدة مهما اختلفت حالتها .

٣ ـ أشار الى ترتيب اصوات المد القصيرة في جهاز النطق ، فذهب الى أن (الحركات ثلاثة النصب والرفع والخفض ، واولها واخلاها في الحس على النفس فعل النصب لانه على الانفتاح الذي هو أصل الصوت ، ثم يعرض له الضم والكسر ، واثقلها فعل الرفع ، ودونه فعل الخفض ، والفتحة فصل بين الضمة والكسرة) . ويمكن أن نلاحظ في هذا النص ما يأتي :

أ ـ ان الحركة في الاصل عبارة عن انفتاح جهاز النطق ليجري فيه الصوت .

ب ـ أن التنوع في الحركة امر عارض في ذلك الانفتاح

ج ـ أن الفتحة تتوسط الضمة والكسرة .

وهي ملاحظات قريبة جدا مما تذهب اليه الدراسات الصوتية الحديثة ، من نحو ما اشرنا اليه في الفصل السابق من أن صوت المد انما يحدث لانفتاح جهاز النطق انفتاحا تاما ليجرى فيه الهواء الى الخارج حرا من غير احتكاك او ضغط ، اما التنوع في ذلك الصوت فانه راجع الى تغير في وضع اللسان في اثناء ذلك والى تغير اوضاع الشفتين .

٤ ـ ومن ملاحظات القسطلاني المهمة ايضا ، كلامه على السكون في اصوات المد الطويلة وهو كلام قريب من كلام الفرغاني السابق في هذا المجال .

لقد كان مفهوم السكون عند اللغويين العرب غامضا بعض الغموض ولعل ذلك كان لانهم لم يعالجوه معالجة صوتية بحتة ، بل نظروا اليه من خلال منهج «كتابي» اذ ذهبوا الى أن الساكن صوت لا تلحقه حركة[٢٠٨] ، فادخلوا من جراء ذلك اصوات المد الطويلة في طائفة السواكن ، لانها لا تلحقها الحركة .

لقد فطن القسطلاني الى أن «السكون» حالة صوتية بحتة ، وهي في حقيقتها لا

---

٢٠٨ ـ ينظر كتاب التعريفات للجرجاني/

تكون الا في الاصوات التي لها احياز اي في الصوامت ، وبذلك نفى عن اصوات المد صفة السكون هذه ، الا انه ما كان ليستطيع أن يخرج عن منهج اسلافه خروجا كليا ولا سيما ان فكرة سكون اصوات المد الطويلة قد صارت جزء من الدراسات الصرفية والعروضية ، فكان أن ذهب ـ من اجل أن يوفق بين فكرته عن السكون ، وفكرة اسلافه ـ الى أن السكون نوعان : نوع يكون في الاصوات التي لها احياز وهو السكون المعروف ، وقد اطلق عليه القسطلاني مصطلح السكون «الحي» وهو تعبير قد يكون موفقا في الاشارة الى حقيقة هذا السكون .

ثم نوع من السكون يكون في تلك الاصوات التي ليس لها احياز «وهي الالف واختاها) وقد اطلق القسطلاني على هذا الضرب من السكون مصطلح السكون «الميت» وكأنه كان يريد بذلك نفي حقيقة هذا السكون[٢٠٩] .

اما ما بقي من كلام القسطلاني على اصوات المد ، فيكاد يكون منقولا بحرفه عمن سبقه ، ولا سيما مكي في الكلام على طائفة اصوات العلة[٢١٠] ، او الكلام على الحرف والحركة ايهما اسبق من صاحبه[٢١١] ، وهي افكار كنا قد عرضنا لها في مواضعها من هذا البحث .

نخلص مما سبق الى أن ملاحظات اللغويين العرب في اصوات المد تمثل في مجملها فهما جيداً لطبيعة هذه الاصوات من قبل اوضاعها التشريحية ، وصفاتها الصوتية ووظائفها اللغوية .

ويمكن اجمال هذه الملاحظات فيما يأتي :

١ ـ انهم فطنوا الى الميزة الاساسية في اصوات المد ، وهي حرية مرور الهواء الى خارج الفم من غير أن يحدث احتكاك ، ثم أشاروا الى شيء من عمل اللسان في تأديتها وأن بدا وصف ذلك امرا صعبا بالنسبة اليهم ، اذ أن عمل اللسان امر باطن لا يظهر للعيان[٢١٢] ، ثم وصفوا الهيئات التي تتخذها الشفتان في اثناء تصويت هذه الاصوات وصفا دقيقا ، بل أن الاشارة الى تلك الهيئات كانت أول ماوصل الينا من هؤلاء في هذا المجال .

٢ ـ انهم تحدثوا ايضا عن صفات هذه الاصوات ، فذهبوا الى انها اصوات

---

٢٠٩ ـ لطائف الاشارات ١/ ١٨٧ .
٢١٠ ـ لطائف الاشارات ١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١ وينظر الرعاية / ١٠١ ـ ١٠٣
٢١١ ـ لطائف الاشارات ١/ ١٨٦ ـ ١٨٧ وينظر الرعاية / ٧٧ ـ ٨٣ .
٢١٢ ـ شرح المفصل/
٢١٣ ـ شرح الشافية ٢٧٦/٢

مجهورة ، تمتاز بقوتها على الاستمرار في التصويت ، وامكان مد الصوت بها ، ولقد أشار بعضهم هو ابو حاتم الرازي الى انها خالية من الجرس او الطنين ولعل في هذا شيء مما يذهب اليه البحث الحديث من انها اصوات تخلو من الضوضاء .

٣ ـ لقد فطن العرب ايضا الى فكرة المدّية ، فأشاروا الى أن اصوات المدّ القصيرة تختلف عن الطويلة في الكمية حسب ، فالحركات اجزاء من الالف والواو والياء ، ثم ذهبوا الى أن اطول الاصوات اللغوية عامة هو صوت المدّ الطويل .

ولقد أشار بعضهم هو الفرغاني الى أن الكمية تختلف أيضا في الواو والياء من سياق الى آخر ، وحدد ذلك في ثلاثة احوال .

الاول : حال المدّ المحض : ويكون صوت المد فيها اطول الاصوات اللغوية .

الثاني : حال الواو والياء ساكنتين بعد فتح ، يكونان فيها اقصر من صوت المدّ المحض واطول من الصوامت .

الثالث : حال الواو والياء المتحركتين ، وكمية كل منهما تكاد تكون مساوية لكمية الصوت الصامت .

٤ ـ فرق اللغويون العرب تفريقاً واضحا بين الياء والواو في حالة المد المحض Vowel وحالة نصف المدّ semi-vowel

٥ ـ اشاروا الى وظيفة اصوات المدّ في الكلام ، فذهبوا الى أن هذه الاصوات انما تأتي ليوصل بوساطتها الى التكلم بالصوامت ، اذ لا يمكن لهذه الصوامت أن يتصل بعضها ببعضها الاخر في سرد الكلام من غير أن تفصل بينها اصوات المدّ .

بجانب هذه الملاحظات الصوتية العامة ، كان للغويين العرب تصورهم عن هذه الاصوات وسلوكها في العربية ، وفي الحق أن كثيراً من ذلك التصور كان مستمداً من سلوك هذه الاصوات في اللغة العربية نفسها ، من ذلك :

١ ـ انهم نظروا الى اصوات المد الطويلة وانصاف المد على انها جميعها مجموعة واحدة هي الالف والواو والياء ، ولقد سوغ ذلك أن العربية لم تفصل حالة المد في الياء والواو عن حالة نصف المد فصلا تاما ، فكان من جراء ذلك ما نلاحظ من تبادل المواقع بين صوت المد الطويل ونصف المد في اثناء التصريف من نحو :

يقول < اقوالا

يبيع > بيعا

وفي الحق أن هؤلاء اللغويين قد فطنوا الى اختلاف حالتي الواو والياء في الكيفية والكمية ، الا انهم انطلاقا من نظرة العربية السالفة الذكر عتوا هذا الاختلاف اختلافا في الحالة السياقية حسب ، ومن الممكن القول ههنا إن طريقة الكتابة العربية ـ بل طرائق الكتابة السامية عامة ـ توضح أن العرب والساميين ـ لم يحاولوا البتة الفصل بين الحالتين ، فكان من جراء ذلك أن ادرجوا الياء في حالتي المد الكامل ونصف المد تحت رمز واحد هو «ي» وكذلك الواو في الحالتين تحت رمز «و» على حين نلاحظ مثلا أن لغة كالانكليزية قد فصلت بعض الفصل بين الحالتين ، فاستعملت لنصفي المد رمزي Y و W وللمد المحض رموزا من قبيل a, i, o, u .

٢ ـ أن اللغويين العرب فصلوا فصلا يكاد يكون تاما بين طائفة اصوات المد القصيرة او ما اصطلح عليه بالحركات ، وبين اصوات الألف والواو والياء ، وأن كانوا قد ذهبوا الى أن الحركات انما هي ابعاض من تلك الالف والواو والياء ، الا انهم ذهبوا الى أن الحركات تمثل نظام «الزوائد» في النظام الصوتي العربي ، في حين أن الالف والواو والياء تمثل جزء من نظام «الاصول» ذلك انها تصلح ان تكون عناصر للجذر في الكلمة العربية ومن اجل ذلك نلاحظ أن اللغويين العرب حينما يتكلمون على حروف الهجاء يدرجون هذه الاصول حسب ، قال القسطلاني : «الحروف الأصول : وتسمى في العربية حروف الهجاء والتهجي ، وسماها سيبويه والخليل حروف العربية اي اللغة العربية وهي التي يتركب منها الكلام العربي ، وتسمى حروف المعاجم ، لانها مقطعة لا تفهم الا باضافة بعضها الى بعض)[٢١٤] .

إن النظام الكتابي العربي يوضح هذا الأمر ايضا ، إذ ان ما يكتب في صلب الكلمة هو اصوات الاصول حسب ، اما اصوات المد القصيرة ، فلا يكون لها أن تدرج في اثناء حروف الكلمة مع تلك الاصول ، انما توضع فوق تلك الاصول كما في الضمة والفتحة او تحتها كما في الكسرة .

ثم ذهبوا الى أن اصوات الالف والواو والياء اصوات ضعيفة معتلة ، كثيرة الانقلاب والتغير والسقوط في اثناء التصريف ، ومن اجل ذلك اطلقوا عليها مصطلح (حروف العلة) ثم ادخلوا معها في هذا صوت الهمزة الذي هو صامت

---

٢١٤ ـ لطائف الاشارات ١/ ١٨٣

انفجاري .

لقد انتقد الباحثون المعاصرون ادخال اللغويين العرب القدماء الهمزة مع هـذه الاصوات في طائفة صوتية واحـدة ، ويلاحـظ في انتقـادهم انهـم ركزوا على الاختلاف الصوتي phonetics بين الالف والواو والياء من جهة وصوت الهمزة من جهة اخرى[٢١٥] ، من غير أن ينظروا الى تلك العلائق الفونولوجية القـوية بين هذه الاصوات جميعا ثم لانهم فهموا من مصطلح العلة عند القـدماء معنى المد ، وهذا واضح في ترجمتهم لمصطلح vowel الانكليزي بمصطلح «علة»[٢١٦] ، وهو أمر بين الخطأ ، لان القدماء كانوا قد ارادوا بمصطلح «العلة» تلك الفـكرة الصرفية التي تشير الى عدم اسـتقرار هـذه الاصـوات في اثناء التصريف ، أو التأليف وكثرة انقلابها وسقوطها وليس التعبير عن خصائصها الصوتية .

غير أن ما يمكن ان يوجه لاولئك اللغويين القدماء من نقد في مجال نظرتهم الى اصوات الالف والواو والياء هوما يتعلق بفكرتهم عن هذه الاصوات في حالة المدّ المحض ذلك انهم نظروا اليها على انها اصـوات «سـاكنة» مسـبوقة بحـركات مجانسة لها ، وهذا يعني ما يأتي :

١ ـ أن صوت المد الطويل عندهم متألف من صوتين ، همـا حـركة مجـانسة ثم واحد من الالف والواو والياء .

٢ ـ ان الصوت الثاني صوت «ساكن»

أن فكرة تألف صوت المد الطويل من صوتين ، قد تكون جاءت للبحث الصـوتي العربي من الدراسة العروضية ، اذ أن العروض عامل هذا الصوت على انه يمثل «حركة فصامت» وهو امر قد يوضح أن النظام الصرفي قد يكون نظر اليه من هذا المنظار ايضا ، ولعل لشيء من هـذا ذهـب كانتنيو الى القـول (أن كثيرا مـن الحركات التي هي طويلة مـن حيث علم الاصـوات ليسـت كذلك مـن حيث علم الوظائف)[٢١٧] وهذا يعني ان نظرتهم هذه على ما فيها من خطأ تحمل مسوغا من قبل الوظائف الصرفية لهذا القبيل من الاصوات .

غير أن هذه النظرة قادتهم الى الوقوع في خطأ اخر ، هو مـا ذهبوا اليه مـن سكون صوت المد الطويل ، بالحرى سكون ذلك الصوت الثاني الذي يتبع الحركة المجانسة لتفسير عدم اعتقابه بحركة ، بيد انهم شعروا باختلاف هـذا السـكون

---

٢١٥ ـ ينظر مثلا القراءات القرانية في ضوء علم اللغة الحديث / ٤٨ ، ٥١

٢١٦ ـ ينظر مثلا ، دراسة الصوت اللغوي عامة في ترجمة vowel بالعلة

٢١٧ ـ دروس في علم اصوات العربية /١٦٦

عن السكون الذي في الصوامت ، ففسر بانه سكون مصوت عند بعض ، وانه سكون «حي» عند آخر تمييزا له من سكون الصوامت .

ويبدو أن عدم تخليهم عن فكرة السكون في اصوات المد الطويلة وأن شعروا بارتباكها ، كان لاسباب تتعلق بما وضعوه من قواعد صرفية ولان ذلك سينهي فكرتهم عن «ثنائية» صوت المد الطويل ، التي كانت تيسر لهم حلّ كثير من المشكلات الصرفية والعروضية ، ولعدم استطاعتهم فهم تأثير فكرة «الكمية» في النظام الصرفي العربي .

وبعد ، فهذه نظرة عامة في دراسة أصوات المد عند اللغويين العرب بيد أن علينا ان نشير هنا الى أن لغويين عرب آخرين قد أدرجوا كثيرا من الملاحظات في دراسة هذه الاصوات ، غير انه ما كان في كل ما ادرجوه شيء جديد ، اذ كانوا في كل ذلك متابعين لمن تقدم عليهم ، ومن هؤلاء ابن يعيش[٢١٨] وابن الجزرى[٢١٩] ، وغيرهما ، فكان أن اهملت ذكر ارائهم ، واكتفيت بايراد اراء من اضاف جديداً للبحث الصوتي العربي في هذا المجال .

---

٢١٨ – ينظر شرح التشريح ، الصفحات/ ٥٩ ، ٦٥ ، ١٧٧ ، ٦٤٠ ، ٦٧٧ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٥٩ ، ١٤٦٦ ، ١٤٧١ .

٢١٩ – ينظر النشر ١/ ٢٠٤ و ٢/١٢١ .

الفصل الثالث

أصوات المد في العربية
نظرة تاريخية

ينبغي لدارس اصوات المد في اللسان العربي ، ان يعرج بعض التعريج على دراسة هذه الاصوات في اللغات السامية[1] ذلك لاننا نجد ان لكثير من المشكلات والظواهر المتعلقة بهذه الاصوات في العربية صدى في مشكلات اصوات المد في اللغات السامية عامة ، بل لعلنا لا نستطيع ان نفهم تطور اصوات المد العربية وقوانين تعاملها ، من غير ان نضع امامنا طبيعة هذه الاصوات في تلك الساميات ، لان الارتباط وثيق بين هذه اللغات ، فهي ــ وهذا امر معروف عند اللغويين عامة ــ من شجرة واحدة تفرعت بتقدم الزمن وتغير البيئة واختلاط الاقوام .

واول ما يلفت النظر في اللغات السامية من قبل النظر الى اصوات المد فيها ، امران اثنان انتظما هذه الساميات ، وان شذت طائفة قليلة في احدهما وهذان الامران هما :

---

١ ــ ان مصطلح «سامي» الذي وضعه ا . ل . شلوتسر عام ١٧٨١ اقتباسا من جدول الانساب الوارد في الاصحاح العاشر من سفر التكوين ، مصطلح غامض لا يستوعب الحقيقة التاريخية للاقوام التي اطلقت هذه التسمية عليها اذ لا يوجد شعب اطلق عليه هذا الاسم تاريخيا البتة .
انظر الحضارات السامية القديمة/ ٤٨ ــ ٥١ .
وعلم اللغات السامية المقارن/ ادورد الندرف .

١ ـ تميز هذه اللغات بكثرة الصوامت Consonants فيها ، فهي تتجـاوز عشرين

ترجمة د . عرفة مصطفى/ مستل من مجلة بين النهرين في الموصل العدد/ ٢٢ ـ ٢٣/ السـنة ٦. ٧٨ ص /١٦٨ .

تاريخ العرب قبل الاسلام/ جواد علي ٧/ ٧

وقد اقترحت طائفة من الباحثين العرب تجنب هذا المصطلح ، واطلاق مصطلح اللغات العربية ، او لغات الجزيرة العربية على لغات هؤلاء الاقوام وفاقا للنظرية التي تذهب الى ان هؤلاء انما نزحوا في ازمان غابرة متعاقبة من جزيرة العرب ، وسكنوا مواطنهم المعروفة .

انظر : لغات الجزيرة العربية : العربية ام اللغات السامية د . باكزة رفيق حلمي/ مسـتل مـن المجلد ٢٤ من مجلة المجمع العلمي العراقي/ ١٩٧٤ الصفحات / ١٧٢ ـ ١٧٦ .

مجلة آفاق عربية ، مقالة الاستاذ طه باقر «خواطر واراء في تراثنا الحضاري : للمناقشـة ص ٧٤ ـ ٧٥ السنة الثانية/ العدد السابع / اذار ١٩٧٧ .

لكنني ارغب عن استعمال مصطلحهم الجديد هـذا ، وابقـي على مصـطلح «السـاميات» لسببين :

الاول : ان مصطلح الساميات مصطلح عالمي معروف ، وهو عند من يسـتعمله لا يعني اقـواما من اصل واحد ، بل عائلة لغوية بعينها .

الثاني : ان مصطلحهم الجديد يثير اللبس ، بمصطلح العربية المعروف وعلى اية حـال فـانني استعمل مصطلح الساميات للتعبير عن طائفة اللغات المعروفة .

تتألف هذه الطائفة من :

أ ـ اللغات السامية الشرقية (لغات ما بين النهرين) كالاكادية التي كانت تستعمل في بلاد مـا بين النهرين في (٢٥٠٠) ق . م والتي حلت محل اللغة السومرية (غير السامية) وتضم الاكادية لهجتين اساسيتين هما : البابلية في الجنوب ، والاشورية في الشمال وتنقسم البابلية الى خمسة اقسام : ١ ـ البابلية القديمة (بين القرن ٢٠ و ١٧ ق . م) ٢ ـ البابلية الوسـطى (بين القـرن ١٦ و ١٢ ق . م) ٣ ـ البابلية الفتية (من الالف الثاني الى منتصـف الالف الاول قبل الميلاد) ٤ ـ البابلية الحديثة (من الالف الاولى الى ٦٠٥ ق . م) ٥ ـ البابلية المتأخرة (من بداية الحكم الكلداني في بابل الى نهاية انقراض الاكديين ب . م) اما الاشورية فتنقسم الى ثلاثة اقسـام : ١ ـ الاشورية القديمة (من ٢٠٠٠ الى ١٧٥٠ ق . م) ٢ ـ الاشـورية المتوسـطة (في النصـف الثاني من الالف الثاني ق . م)

٣ ـ الاشورية الحديثة (القرون الاربعة الاولى من الالف الاول ق . م)

ينظر

The Akkadian Langauge p. 61

ب ـ اللغات السامية الشمالية الغربية (لغات منطقة الشام) وقد ظهـرت شـواهدها الاولى في الالف الثاني قبل الميلاد واهم لغات هذه الشعبة ، الامورية والكنعـانية بلهجاتها الاوغاريتية والبونية والعبرية) واخيرا الارامية بلهجـاتها المتعـددة كارامية الدولة (الارامية القـديمة)

صوتا بقليل او كثير ، على حين تقل فيها اصوات المد حتى تصل الى اصوات ثلاثة اساسية[٢]

ويعلل الغنى في صوامت هذه اللغات بكون اللغات السامية لغات اشتقاقية تقوم الصيغ فيها على نظام الجذور (وهي في معظمها تتكون من ثلاثة اصوات صامتة

والارامية الغربية والارامية الفلسطينية والارامية الشرقية التي منها السريانية) .

جـ ـ اللغات السامية الجنوبية : وفيها ثلاث شعب هي :

١ ـ العربية الجنوبية بلهجاتها المتعددة كالسبئية والمعينية والقتبانية وقد استعملت من حوالي القرن الثامن ق . م الى القرن السادس الميلادي .

٢ ـ الحبشة واهم لهجاتها الجعزية ، وتظهر نقوشها في القرون الميلادية الاولى ، ولقد صارت فيما بعد لغة ادب مسيحي .

٣ ـ العربية الشمالية : وهي عربيتنا المعروفة ، وسنتحدث عن لهجاتها بالتفصيل في اثناء البحث .

انظر علم اللغات السامية المقارن/ الندورف/ ١٧٣ ـ ١٧٦ .

٢ ـ الحضارات السامية القديمة/ موسكاتي/ ٤٤ ، وينظر العربية الفصحى / ٣٥ والوجيز في فقه اللغة/ الانطاكي/ ٢٣٠ ، لكن ثمة من يرى ان اصوات المد الاساسية في الساميات صوتان حسب ، هما الفتحة ، وصوت اخر ضيق closed قد يكون بين الضمة والكسرة ، ثم تفرع هذا الصوت الى صوتين اثنين هما الضمة والكسرة صاحب هذا الرأي هو الدكتور برجستر اسر Bergstraesser الذي ذهب الى ان ثمة اثارا كثيرة تدل على ان الكسرة والضمة لا فرق بينهما في الاصل معنى ووظيفة منها ان كثيرا من الافعال ماضيها اما فعَل او فعِل ، وقد يوجد فرق بين الصيغتين لكنه قليل الاهمية بالنسبة الى الفرق بين فعل وفعل او بين فعل وفعل ، وكثير من الافعال مضارعة اما يفعل او يفعل والفرق ؟ بينهما اقل من الفرق بين فعل وفعل) هذا في العربية ، ثم ذهب الى ان المقارنات السامية تؤكد ذلك . اذ كثيرا ما نجد كلمة في الضم في لغة تجنح في لغة سامية اخرى في الكسر وهكذا .

لقد سوغ ذلك في راي الدكتور برجستراسر ان المواضع التشريحية لصوتي الضمة والكسرة متقاربة في انهما حدثا بسبب ارتفاع يحصل في اللسان ، الا ان الاختلاف في النغمة انما كان لاختلاف الجزء الذي يرتفع من اللسان ، اي انه يتصور ان صوت المد السامي القديم لم يكن يتطلب سوى ارتفاع اللسان في اثناء النطق ، اما اي جزء كان ينبغي ان يرتفع في اثناء ذلك ، فهو امر لا يكاد يكون ذا اهمية معنوية يومذاك .

(ينظر : التطور النحوي/ ٣٤ ـ ٣٦)

وبجانب ذلك ذهبت طائفة من الباحثين ، منهم برجستراسر ايضا الى ان اللغات السامية عرفت في حقبها القديمة اصوات مد طويلة اربعة ، هي الضمة الطويلة والكسرة الطويلة والفتحة الطويلة وصوت رابع بين الكسر والفتح (الف امالة) يمثل كل واحد منها صوتا مستقلا عن الاخر بحيث يؤدي تغيره الى تغير في المعنى ، اي ان هذه الطائفة ذهبت الى ان

تعبر عن المعنى الاساسي للكلمة ثم يحدد معنى الكلمة الدقيق ووظيفتها باضافة الحركات ، وكذلك باضافة مقاطع من حروف في صدر الكلمة اووسطها او اخرها ، فالحروف الثلاثة ك ـ ت ـ ب مثلا هي الجذر الاساسي للكتابة)[٣]

وهذا الامر ، وان كان صحيحا بيد ان علينا ان نحترز فيه ذلك اننا نواجه احيانا حالات قليلة يكون المعنى الاساسي فيها متغيرا بسبب من تغير في بعض اصوات المد ، وهو امر عرفته العربية مثلا في ظاهرة المثلثات وهو ما اشار ادوارد الندرف Edward Ullendorff اليه من ان (الصلة بين الصامت والمصوت ـ اي صوت المد ـ في كثير من الاسماء لا تختلف اختلافا ذا بال عن الحاصل في لغات كثيرة غير سامية ، ومن امثلة هذه الاسماء ab أب و eb برعم و eb زق في العبرية)[٤] وهو مما يعد من الثنائي وكذا ما جاء في هذه اللغات من الثلاثي من نحو ما يأتي :

(العربية : جِمال (ج جمل) ـ جَمال (حُسن)

العبرية : herb سيف ـ horeb جفاف ، خراب

الحبشية samuri اسبوع ـ samerí شمال)[٥]

اي ان اصوات المد تملك زيادة على وظيفتها في الدلالة الصرفية في الكلمة (اهمية دلالية ثانوية على اقل تقدير) في المعنى العام[٦]

وفقر اصوات المد لا يثير اية مشكلة صوتية في اللغات السامية ابدا ، بل قد يكون مما يزيد في قوة انظمتها الصرفية واستقرارها ، ولقد لوحظ بوجه عام ان (فقر الفونيمات ـ اي فونيمات اصوات المد ـ لا يعني فقر الاصوات بل العكس

صوت الف الامالة كان يمثل في الساميات القديمة صوتا رابعا مستقلا ، ثم اخذ في بعض من هذه اللغات يفقد استقلاله ، ويتحول الى صورة نطقية Allophone من نحو الف الامالة في العربية .

(ينظر التطور النحوي/ ٣٤

ويفترض الدكتور بروكلمان ان السامية الأولى كانت تعرف اصوات المد الطويلة حسب ثم جنحت الى ان تميز بين درجتي طول هما درجة الطول Long ودرجة القصر Short

(ينظر فقه اللغات السامية/ ١٠٥ .

٣ ـ الحضارات السامية القديمة / ٤٤ .

٤ ـ علم اللغات السامية المقارن/ ١٨٠ .

٥ ـ المصدر السابق نفسه/ ١٨١ .

٦ ـ المصدر السابق نفسه/ ١٨٠ .

هو الصحيح ، فقد ظهر انه كلما قلت فونيمات لغة كثرت تنوعاتها الصوتية ـ الفوناتها alluphones حتى تستطيع ان تعوض نقصها في عدد الوحدات)

٢ ـ والامر الثاني ، امر ليس من صلب خصائص هذه اللغات ، وهو امر اقلامها ، اذ نزعت معظم هذه اللغات الى اهمال كتابة اصوات المد في ثنايا الكلمة[٨] ولعل ذلك جاء من جراء ما ذكرنا سلفا من ان صيغ المفردات في هذه الساميات تتألف من جذور تكون في الغالب من الصوامت وهذه الجذور هي التي تعطي للكلمة معناها الاساسي ، اما المعنى الصرفي ، فهو امر مرتبط غالبا باصوات المد في الكلمة ، فكأن الساميين القدماء كانوا يعنون في كتاباتهم ببيان المعاني الاساسية حسب ، ويتركون المعاني الصرفية لادراك القارىء نفسه ، ثم كأنهم اعتادوا ذلك فصار من المألوف المستحب عندهم ، ويعلل مونين هذه الظاهرة بان اللغات السامية تضم : «كلمات ذات بنية مقطعية قوية ، بالاضافة الى تصريف للافعال والاسماء مستند الى تناوب منتظم لاصوات المد يعتور جذورا ثابتة جدا ، فكان بالامكان دائما تعرف جذر الكلمة[٩] ويرى مور Moret ان الكتابة الصوتية الكاملة قد تكون اقل وضوحا من ناحية فك الرموز في اللغات السامية[١٠]

غير ان عدم كتابة اصوات المد في الكتابات السامية اوجد صعوبات كثيرة لاننا على مر التأريخ اللغوي للساميات ، نلاحظ معاناة هؤلاء الاقوام في كتاباتهم الناقصة هذه ، ولعل المحاولات الكثيرة التي قام بها العبرانيون والاراميون واخيرا العرب من اجل تقويم ابجدياتهم وادخال نظام كتابة اصوات المد في الكلمة شاهدة على الصعوبات التي لقيها هؤلاء الاقوام في قراءة كتاباتهم .

ويرجع بعض الباحثين عدم كتابة اصوات المد في معظم الابجديات السامية الى كون هذه الابجديات قد استعيرت في الاصل من كتابة صورية بدائية هي الكتابة المصرية القديمة التي تطورت على ايدي الساميين الكنعانيين الى ابجدية ترمز كل صورة فيها الى صوت معين هو الصوت الاول من اللفظ الذي يشير اليه الرمز الصوري المصري القديم ، وبسبب من انعدام اصوات المد في صدر الكلمات

---

٧ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٢٢٩ .

٨ ـ ينظر : تاريخ العرب قبل الاسلام ٧/ ٢٩ .

وينظر : علم اللغة العربية/ ١٩٤ يستثنى من هذه اللغات الاكدية والحبشية .

٩ ـ تاريخ علم اللغة/ مونين/ ٤٣ .

١٠ ـ المصدر لسابق نفسه/ ٤٦ .

المصرية ، انعدمت الرموز الكتابية لاصوات المد في الكنعانية ومن ثم في الساميات عامة[١١]

غير ان هذا الرأي مردود للاسباب الاتية :

١ ــ ان العلاقة بين الكتابات السامية والكتابة المصرية القديمة غير واضحة لحد الان[١٢] وبها حاجة الى تمحيص واكتشاف ادلة دقيقة لاثبات ذلك .

٢ ــ لو فرضنا صحة اخذ الساميين كتاباتهم عن المصريين القدماء لصح ايضا انهم لما احسوا بانعدام رموز اصوات المد في هذه الكتابة ، ابتدعوا رموزا تدل عليها ، على نحو ما فعل الاغريق ، اذ ان هؤلاء الاغريق لما اخذوا الابجدية الكنعانية ، اخذوها خلوا من رموز اصوات المد ، ثم اضافوها بعد ذلك لحاجتهم الشديدة اليها ، اذ انه ليس من الممكن في لغتهم ان تخمن اصوات المد التي في الكلمة تخمينا ، ولولا الاشارة اليها في اثناء الكلمة ما كانت تلك الكلمة لتفهم قطعا[١٣]

وعلى اية حال ، فان الساميين ، وان شعروا بحاجة الى كتابة اصوات المد في الكلمة ، فقد جنحوا الى عدم اقحام رموز هذه الاصوات في صلب الكلمة فكانت نتيجة ذلك انهم نزعوا في محاولاتهم لابتداع رموز لاصوات المد الى وضع هذه الرموز المبتدعة فوق رموز الصوامت المؤلفة لجذر الكلمة ، او تحتها ، وليس في اثنائها ، وكأنهم كانوا يبتغون من ذلك المحافظة على هيأة الكلمة الاساسية .

وهناك من الباحثين من يرى ان عدم كتابة اصوات المد القصيرة في الكلمة انما كان لان الرموز التي وضعها الساميون لكتاباتهم ليست رموزا لاصوات مجردة وانما هي رموز لمقاطع غاية في البساطة ، فرمز (ك) مثلا يرمز الى ثلاثة مقاطع تتشابه في الصوت الصامت منها ، هي الـ (كُ) و (كَ) و (كِ)[١٤] والتمحل واضح في هذا الرأي ، ولعل ابسط ما يمكن ان يرد به عليه ، هو اننا كثيرا ما نلاحظ ان هذه الرموز ترد في الكتابات السامية للتعبير عن صامت ساكن ، وليست عن مقطع ، مما يوضح ان الساميين انما كانوا يعنون بها رموزا للاصوات الصامتة الساكنة .

---

١١ ــ تاريخ علم اللغة/ مونين/ ٥٥ ، وينظر نفسه/ ص ٤٤ .

١٢ ــ ينظر العرب في سوريا / رينه ديسو/ الصفحات ٧٦ ــ ٧٩ وهامش الصفحة / ٧٧ وانظر ايضا فقه اللغات السامية/ ٣٥ .

١٣ ــ تاريخ علم اللغة/ ٨٣ ــ ٨٤ .

١٤ ــ المصدر السابق نفسه/ ٧٤ ــ ٧٦ .

ان عدم كتابة اصوات المد في اللغات السامية جعل الخوض في دراستها ودراسة قوانين تعاملها تأريخيا امرا صعبا ، فكان على الباحث من اجل تذليل الصعوبة ان يستعير وسائل اخرى ومن هذه الوسائل :

١ ـ ان بعض اللغات السامية كالاكادية كانت تكتب بأبجدية مقطعية استعارتها من لغة غير سامية هي اللغة السومرية «التي كانت تهتم بكتابة اصوات المد»[١٥] وكانت هذه الابجدية ترسم الصوت الصامت وقد الصق صوت المد به ، وكذلك نلاحظ ان اللغة الحبشية ، وهي لغة سامية اخرى كانت تنزع الى تدوين اصوات المد ملحقة بالاصوات الصامتة[١٦] وكذلك اللغة المندعية ، التي هي بالاصل احدى اللهجات السريانية ، اذ كانت تميل الى كتابة اصوات المد ايضا[١٧] غير اننا نلاحظ وهذا ما سنعرض له فيما بعد ، ان ابناء هذه اللغات ما كانوا ينظرون الى اصوات المد على انها اصوات مستقلة ، بل رأوا اليها وكأنها اصوات ملحقة بالاصوات الصامتة ، ومن اجل ذلك كانوا يشيرون اليها بتغير طفيف يصيب رمز الصوت الصامت نفسه ليدل على صوت المد الملحق به .

٢ ـ ان طائفة من الكتابات الدينية السامية كالتوراه مثلا قد اشكلت منذ زمن بعيد ، صحيح انها ما كانت قد اشكلت في زمنها ، لكن هذا الشكل القديم يعطينا صورة واضحة عن قوانين اصوات المد في اللغة في حقبة متقدمة وهو امر نافع في بيان طبيعة تعامل المد في اللغات السامية[١٨]

٣ ـ دراسات اللغويين والنحاة الساميين كالعبرانيين والسريان وملاحظاتهم في اصوات المد في لغاتهم يمهد كثيرا لدارسي هذه الاصوات في اللغات السامية ، ولعل كتاب (الافعال ذوات حروف اللين) لابي زكريا بن داود المعروف بحيوج وما درس فيه من احوال (حروف اللين والمد العبرية والتنبيه على انحائها وتصاريفها[١٩] وكتب ورسائل ابي الوليد مروان بن جناح القرطبي من نحو كتاب المستلحق ورسالة التقريب والتسهيل ، مما يوضح اهتمام هؤلاء اللغويين بدراسة

---

١٥ ـ تاريخ علم اللغة/ ٥٥ و ٦٣ .
وتاريخ اللغات السامية/ ولفنسن/ ٣٥ ـ ٣٧ .
وقواعد اللغة السومرية/ د . فوزي رشيد/ ٣٧ ـ ٤٢ .
١٦ ـ تاريخ اللغات السامية/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .
١٧ ـ الصابئة المندائيون/ دراور/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧ .
١٨ ـ فقه اللغات السامية/ بروكلمان/ ٢٠ .
١٩ ـ كتاب الافعال ذوات حروف اللين/ حيوج/ ١

الاحوال الصرفية المتعلقة باصوات المد[٢٠]

ثم ان اهتمام العرب بشكل المصحف منذ وقت مبكر ، واهتمامهم بالقراءات القرآنية ولهجات القبائل العربية القديمة ، ودراساتهم الصرفية ، ولا سيما في ظاهرة الاعلال ، امور تسهم اسهاما كبيرا في فهم طبيعة اصوات المد في العربية خاصة واللغات السامية عامة وفي فهم قوانين تعامل هذه الاصوات .

٤ ـ المقارنات التي تقوم بين الصيغ الصرفية في اللغات السامية عامة تسهم هي ايضا في فهمنا لتطور هذه الاصوات التأريخي ، وتيسر لنا اكتشاف بعض النواحي الغامضة في اللغات السامية المندثرة[٢١]

٥ ـ النقوش السامية القديمة كنقوش الاكادية والكنعانية والعربية الجنوبية ، واللهجات العربية البائدة ، وما يكشف فيها احيانا من ميل لكتابة اصوات الالف والواو والياء في مواضع المد ، او ما يكشف فيها من طرائق في كتابة المعتلات كلها امور تسهم في رسم صورة هذه الاصوات في اللغات السامية .

ولعل من المستحسن قبل ان نعرض لاصوات المد العربية التي هي موضوع بحثنا هنا ، النظر بشيء من الايجاز في اصوات المد في اللغات السامية ذلك ان تمهيدا من هذا القبيل قد يوضح لنا جانبا من جوانب مشكلة اصوات المد في العربية ، او في الاقل يرينا الطريق التي سلكت فيها تلك الاصوات ، في لغات هن شقيقات لها .

في الاكادية :

قلنا فيما سبق من الكلام ان الاكاديين اخذوا كتابتهم من السومريين ، وتمتاز الكتابة السومرية بانها كتابة شبه مقطعية تدون اصوات المد فيها في صلب تلك الرموز القريبة من «المقطعية»[٢٢] وعندما اخذ الاكاديون هذه الكتابة ابقوا على طبيعتها تلك ، فنلاحظ ان الرمز الاكادي يتألف من صوت صامت قد الحق به صوت مد قصير ، او صوت صامت قد سبقه صوت مد من نحو :[٢٣]

---

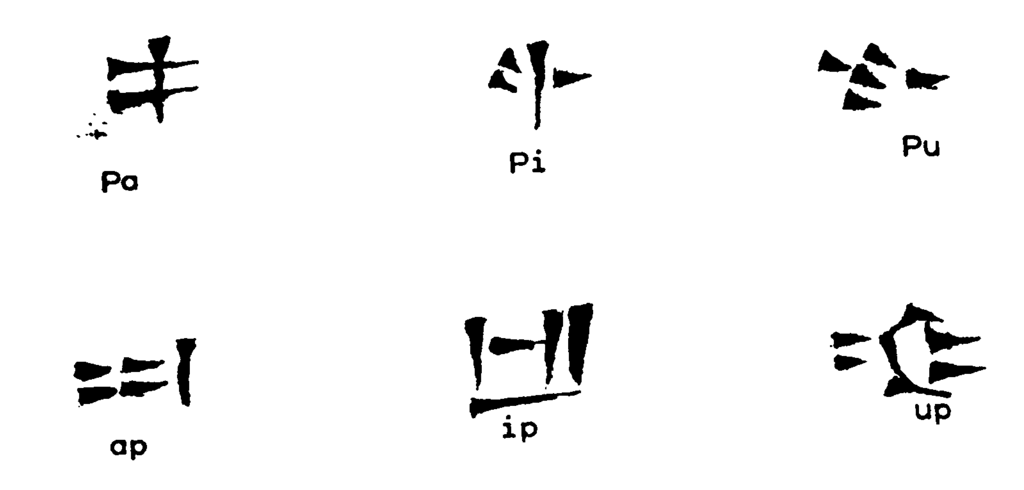
٢٠ ـ انظر كتب ورسائل لابي الوليد مروان بن جناح القرطبي بوجه عام .

٢١ ـ ينظر An introduction To The compartive Grammar of semitic Langauges p. 47

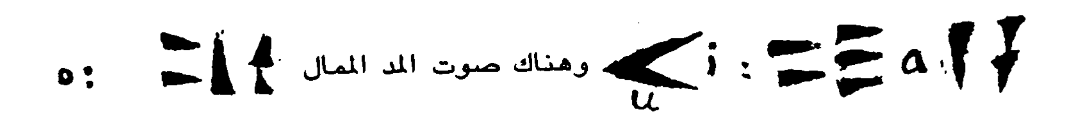
٢٢ ـ انظر : تاريخ اللغات السامية/ ٣٥ ـ ٣٧ .

وتاريخ علم اللغة/ ٥٥و ٦٣ .

٢٣ ـ تاريخ اللغات السامية/ ٣٦ ـ ٣٧ . وللفائدة ينظر كتاب Gelb Old Akkadian Writing and Grmmar p. 24- 28



لكننا نلاحظ وجود اصوات مد مستقلة في الكتابة الاكادية ايضا ولعلهــا كانت تستعمل للهمزة او انصـاف المد Semi- Vowels وهي



ويرى موسكاتي ان الصوت الاخير قد يكون مستمدا من a او من «j»[٢٤]
وقد لوحظ في هذا المجال ان ثمة تناوبا في بعض المواضع بين «j» وصوت الامالة e في البابلية الجنوبية القديمة[٢٥]

وهناك في الكتابة الاكادية رموز لاصوات المد المركبة diphthongs هي : ai ia لكننا لا نجد رموزا لـWa- aw من الاصوات المركبة ، ولعل ذلك كان بسبب من اختفاء الواو التي في اول الكلمة كما سيمر بنا بعد قليل ، او بسبب من تحوله الى صوت مد منفرد اذا كان في وسط الكلمة[٢٦] لكن Gelb يشير الى ان الاكاديين قد استعملوا رمز p السومري للتعبير عن الواو ، ورمز p بالطبع رمز مقطعي ، مما قد يعني انه كان يمثل صوت مد مركبا عند الاكاديين[٢٧] ولعل في هذا ما يشير ايضا الى ان تغيرا اصاب صوت الواو نصف المد في الاكادية فصار :p وهو ما يسوغه تقارب الصوتين في بعض من صفاتهما .

اما قوانين تعامل اصوات المد في هذه اللغة ، فتكاد تكون القوانين نفسها التي في كل اللغات السامية[٢٨] وان كان ذلك امرا غير معروف بالدقة[٢٩] لكن المقارنات توضح انه امر قريب من الحقيقة واهم الظواهر التي يمكن ان تلاحظ في اصوات المد في اللغة الاكادية ما يأتي :

١ ـ ان الواو التي في اول الكلمة مالت بمرور الزمن الى الاختفاء ، والمقارنة بين البابلية القديمة والبابلية الحديثة توضح ذلك[٣٠] وبعض النصوص توضح انها انقلبت الى ميم ايضا[٣١] وقد اختفت هذه الواو من الاشورية كذلك[٣٢]

ويلاحظ ايضا ان الياء التي في اول الكلمة جنحت الى الاختفاء في البابلية القديمة ، وكذلك في الاشورية (فالكلمة السامية يوم هي البابليةUmu وكذلك الحال في وسط الكلمة بعد صوت صامت مثل Nikya صارت Niku «قربان» مع مد الحركة

٢٤ ـ An Introduction To The Compative Grammar of Semitic Langauges, P. 47

٢٥ ـ المصدر السابق/ 47

٢٦ ـ المصدر السابق /54

٢٧ ـ Oid AKKadian Writing Grammar, p. 28

٢٨ ـ An Introduction To The Comparative Grammar OfSemitic Langauges, p. 57

٢٩ ـ ينظر المصدر السابق /٥٧

٣٠ ـ An Introduction To The Comparative Grammar Of Semitic Langauge, P. 57 وينظر فقه اللغات السامية/٥٢ .

٣١ ـ An Introduction To The Comparative Grammar Of Semitic Langauge, P. 45

٣٢ ـ فقه اللغات السامية/٥٢ .

السابقة للتعويض ، وعلى العكس من ذلك تبقى الياء في وسط الكلمة بين حركتين قصيرتين مثل iliya الهي ومثل dyanu قاض[٣٣]

ونلاحظ ايضا ان صوت المد المركب Diphthang تطور في الاكادية حتى صار صوت مد منفردا single vowel من نحو ما حدث في الاشورية من تحول ay و aw الى 'و' u في Baytu فصارت Bitu «بيت» Muwtu فصارت Mutn «موت»[٣٤].

ويظهر الانسجام المدي Vowel Harmony واضحا في كثير من امثلة الاكادية ، ولا سيما في تلك المواضع التي يبدو انها مواضع نبر في تلك اللغة من ذلك ما نلاحظه في الاشورية من جنوح الفتحة القصيرة a والفتحة الطويلة المنبورتين الى الامالة اي ـ التحول الى e و ē بتأثير اصوات المد المجاورة ، السابقة او اللاحقة ، اما صوت المد a غير المنبور فانه ينقلب الى كسرة «i» بتأثير e او e' السابقة لها[٣٥].

ويبدو ان صوت الامالة (E) قد تطور في طائفة من الامثلة الى نطق قريب من نطق الكسرة الخالصة «i» في البابلية ـ الاشورية الحديثة ، ولذلك نجد ان الخط يترجح دائما بين e و i[٣٦]

ومن ظواهر الانسجام ايضا ما يلاحظ في البابلية ـ الاشورية من تماثل صوتي المد الملتقيين بعد سقوط اصوات الحلق مثل Rahamu Rehemu Remu «يحب» .

وثمة امثلة في الاكادية توضح تأثير اصوات المد في الصوامت المحيطة بها ، او تأثير تلك الصوامت فيها . ويذهب بروكلمان الى ان ذلك آمر يكاد ينتظم اللغات السامية كلها[٣٧] من ذلك ما نلاحظ في الاشورية من انقلاب الكاف قافا بتأثير الضمة التالية لها ، او انقلاب التاء في بعض الاحيان سينا بتأثير الكسرة[٣٨]

اما تأثير الصوامت في اصوات المد فيبدو واضحا في تأثير (اصوات الشفة في حركة الفتحة والكسرة غالبا اذا كانتا سابقتين ونادرا اذا كانتا لاحقتين

---

٣٣ ـ المصدر السابق/٦٦ .

٣٤ ـ المصدر السابق/٥٥ ، وانظر ص ١٣٩ .

٣٥ ـ فقه اللغات السامية/٦٥ .

٣٦ ـ المصدر السابق/ ٥٤ ، وانظر ص ٥٥ أيضا .

٣٧ ـ المصدر السابق نفسه /٧٠ .

٣٨ ـ المصدر السابق نفسه/٧١ .

فتنقلبان الى الضمة[39] او ما يلاحظ في الاشورية من ميل الاصوات المائعة الى قلب الفتحة الطويلة ā الى حركة ممالة طويلة ē [40]

ويلاحظ ايضا تناوب اصوات المد في طائفة من المواضع في نحو تناوب الكسرة i والضمة u او تناوب الضمة u والفتحة a [41].

في الكنعانية :

كتابة اللغة الكنعانية ككتابة معظم اللغات السامية لا تشتمل الا على الصوامت ، وان كنا نلاحظ ان رمز صوت الواو موجود فيها ، وهو في قلم (قرت حدشت) يكتب هكذا تقريبا ﺡ وكذلك الياء التي كانت تكتب هكذا اما رمز صوت الالف فهو رمز صوت الهمزة نفسه وهو « ≮ »[42]

لكن الكنعانية لم تكن تستعمل هذه الرموز الكتابية لتأدية معاني اصوات المد الطويلة او القصيرة في كتاباتها بل تستعملها في تلك المواضع التي تكون فيها الواو والياء نصفي مد ، اي حين يسلكان في النظام المقطعي سلوك الصوامت ، اما رمز الالف ، فقد كان يستعمل رمزاً للهمزة ، ونلاحظ ان رمزي الواو والياء قد حذفا ايضا في طائفة من حالات الاعتلال «اي حين يكون الصوتان نصفي مد ، ويؤديان وظيفة الصامت وهي الحالات التي اشير اليها على ان صوت المد فيها هو صوت مد مركب من نحو كتابتهم (ب ي ت) : (ب ت) و (ق و ل) : (ق ل) و (ص ى د و ن) : (ص د ن)[43].

ولعل هذا يشير الى ان صوت المد المركب (من فتحة ونصف مد) قد تحول عند هؤلاء الكنعانيين الى صوت مد طويل بسيط فكانوا يقولون بيت بدلا من بَيْت وقول بدلا من قَوْل ، او انهم يقولون ذلك ممالا . غير ان الامر يبقى ظنا لان ما بين ايدينا من وثائق لغوية لا يسعنا في معرفة حقيقة اداء الكنعانيين لهذه الكلمات[44]

---

٣٩ ــ فقه اللغات السامية/ ٧٢ .

٤٠ ــ المصدر السابق نفسه/ ٧٢ .

٤١ ــ An Introduction To The Comparative Grammar Of Semitic Langauges, P, 47

٤٢ ــ تاريخ اللغات السامية/ ٦١ .

٤٣ ــ المصدر السابق نفسه/٦١

٤٤ ــ An Introduction To The Comparative Grammar Of Semitic Langauges, P. 55

ان طائفة من الاسماء بمقارنتها بمثيلاتها في العبرية توضح ايضا بعض مظاهر اصوات المد في الكنعانية من ذلك ما ذكره الدكتور اسرائيل ولفنسون من ان ثمة كلمات كثيرة تستعمل في العبرية بصوت المد (E) وينطق بها في الكنعانية بصوت المد (i) من نحو قولهم [illegible] مقابل قول العبرانيين [illegible] [٤٥] وما ذكره موسكاتي من انه قد لوحظ في طائفة من المواضع من خلال المقارنات التي جرت في الكتابات الاكدية والاغريقية واللاتينية للالفاظ الفينيقية ، تطور في نطق اصوات المد ، فالفتحة a كانت تنطق نطقا ممالا فتصير e وكذلك الكسرة (i) اذ انها تميل في طائفة من هذه المواضع الى ان تكون e ايضا[٤٦] وقد لوحظ في هذا المجال ايضا ان الفتحة الطويلة قد تحولت في بعض لهجاتها الى فتحة طويلة نصف ضيقة بسبب من موقعها النبري[٤٧]

في العبرية :

لم تكن العبرية تستعمل رموزا لاصوات المد في كتاباتها[٤٨] غير انها اخذت حوالي عهد سبي بابل وبعده في استعمال رموز اصوات الالف والواو والياء في بعض الاحيان للتعبير عن اصوات المد الخالصة[٤٩]

ولقد استدعى ضبط قراءة (التوراة) العبري وهو الكتاب المقدس عند اليهود ، دقة في ضبط الكلمات فيه ، فاستعمل الاوائل منهم كما قلنا سابقا رموز الالف والياء للتعبير عن اصوات المد الطويلة الخالصة غير ان هذه الرموز ما كانت لتكفي لضبط النص بعد ان ظهر اليهود في ارجاء متباعدة من العالم القديم ، وبعد ان ازداد الاختلاف في نطق الكلمات عند الاجيال الجديدة ، فابتدعوا من اجل ذلك رموزا جديدة لاصوات المد ، وكان ذلك في القرن الخامس للميلاد .

ولقد وضع لذلك نظامان اثنان عرف الاول منهما بالنظام البابلي وعرف الثاني بالنظام الطبري نسبة الى مدينة طبرية بفلسطين وهو المألوف الى الآن ورموز

---

٤٥ ـ تاريخ اللغات السامية/ ٦١ .

٤٦ ـ An introduction To The Comparative Grammar Of Semitic Langauges, P. 49

٤٧ ـ دروس في علم اصوات اللغة العربية/١٦٣ .

٤٨ ـ تاريخ اللغات السامية/ ١٠٣ .

٤٩ ـ المصدر السابق نفسه /٦١ و ١٠٣ و فقه اللغات السامية/ ٣٧ .

٥٠ ـ تاريخ اللغات السامية/ ١٠٣ . وانظر : An introduction To The Comparative Grammar Of Semitic Langauges, P, 49

اصوات المد فيه ولا سيما القصيرة منها لا تدخل في حشو الكلمة ، بل توضع تحت الاصوات الصامتة ، واحيانا فوقها كما في حالة الحولام قطان (الضمة القصيرة الممالة) .

لقد قسمت اصوات المد العبرية حسب النطق الى ثلاثة اقسام :

اصوات مد كبرى ، واصوات مد صغرى ، واصوات مختلسة ، اي ان اصوات المد العبرية تتنوع وفقا للكمية الى ثلاثة اقسام(٥١)

١ ـ اصوات طويلة ، من نحو الضمة الطويلة (الشوروق) او الكسرة الطويلة (الحيريق جدول) او الفتحة الطويلة (القماص)

٢ ـ اصوات قصيرة من نحو الفتحة القصيرة (البتاح) والكسرة القصيرة (الحيريق قطان) والضمة القصيرة (القبوص) .

٣ ـ اصوات قصيرة جدا من نحو (الحطف بتاح) و (الحطف سيجول) وحركة ثالثة مختلسة جدا هي الشفا ناع .

وثمة اربعة اصوات ممالة ، اثنان منها الى الضم هما حولام جادول وحولام قطان واثنان الى الكسر هما الصيرية والسيجول(٥٢)

بيد ان اللغويين العبريين ذهبوا الى ان الاصوات الاساسية في اللغة العبرية ثلاثة ، هي نفس ما في العربية من اصوات مد ، اي الضمة والكسرة والفتحة ، ويرون ان ما تبقى من اصوات مد انما اصوات فرعية غير اصلية نشأت عن تلك الاصوات الثلاثة الاساسية(٥٣)

والهاء تمثل في العبرية ايضا ، اذا جاء متطرفة ، صوت مد ، ويختلف نطقها وفاقا للكلمات وتأليفاتها الصوتية ، فمن الممكن ان تكون e او a او o (٥٥) ونلاحظ ان الافعال الثلاثية التي تنتهي بهذه الهاء تخضع لظواهر الاعلال ، شأنها شأن الافعال التي تنتهي بصوت مد محض(٥٦)

اما اهم قوانين تعامل اصوات المد في العبرية فيمكن ان يلحظ في ما يأتي :

---

٥١ ـ ينظر : الاساس /٦٣/٦٤ .

٥٢ ـ كتاب الاساس ٦٣ ـ ٦٤ و دروس العبرية /٧٢ و ٧٦ .

٥٣ ـ انظر كتاب الافعال ذوات حروف اللين/ حيوج/ ٧ ، وكتب ورسائل ابي الوليد مروان بن جناح القرطبي ، ورسالة التقريب والتسهيل /٢٧٥ ـ ٢٧٧ ، وانظر ٢٩٠ ـ ٢٩١ .

٥٤ ـ An introduction To The Comparative Grammar Of Semitic Langauges, P. 50.

٥٥ ـ ينظر الاساس / ٦٨ و ١٨٢ و ٢٢٩ ـ ٢٣٤ .

١ ـ ان اصوات المد المركبة Diphtongs تخضع الى كثير من التغييرات بسبب مكانها من موضع النبر ، فقد اورد بروكلمان ان ay و aw في المقاطع المغلقة المنبورة مثل bayt و Mawt تخضع للتغيير فـ aw قد صارت منذ وقت طويل ow واحيانا ó اي ضمة ممالة الى الفتح مثل ما في yóm اما ay فقد تحولت في المقاطع المفتوحة المنبورة ، او في المقاطع المغلقة غير المنبورة نبرا جانبيا الى كسرة طويلة ممالة é ونلاحظ ايضا ان yi قد خضعت ايضا الى التغيير فصارت كسرة طويلة اي i في بعض المواضع(٥٦) .

وكذلك اصوات المد المنفردة ، اذ انها تخضع لطائفة من التغييرات وفاقا لموقعها من مكان النبر ، فالفتحة مثلا اذا كانت منبورة نبرا رئيسا تتحول الى كسرة ممالة بتأثير كسرة ممالة اخرى مجاورة لها(٥٧)

٢ ـ يلاحظ ايضا تأثير الصوامت في اصوات المد العبرية ، من ذلك تأثير الاصوات الحلقية ، وهو ما ذكره بروكلمان من ان حركة المقاطع التي تزاد في اول الكلمة التي من نحو Wa, Ka, bi, la تخضع لتأثير حركة الصوت الحلقي المخطوفة اذا كان هذا الصوت يلي هذه المقاطع ، فتتحول الى نظير مخطوف(٥٨)

السريانية(٥٩)

كان القلم السرياني يشتمل على رموز الصوامت حسب ، غير ان اتساع استعمال اللغة السريانية ، ولاسيما في الشؤون الدينية المسيحية قد دفع السريان

---

٥٦ ـ فقه اللغات السامية/ ٦٧ .

٥٧ ـ المصدر السابق/ ٦٥ ، ويلاحظ في هذا المجال ان دراسة النبر في العبرية ، ذات اهمية بالنسبة لدراسة التغيرات الصوتية التي تخضع لها اصوات المد ، ولعله من أجل ذلك قد عني دارسو اللغة العبرية به . انظر دروس العبرية/ ٨٩ ـ ٩٠ .

٥٨ ـ فقه اللغات السامية/ ٦٩ .

٥٩ ـ اللغة السريانية في الاصل فرع من الارامية ، غير انها صارت تطلق بوجه عام على اللغة الارامية والبحث يستعمل هذا المصطلح بهذا المعنى ايضا . ويشير الباحثون الى أن المسيحين من الاراميين استعملوا كلمة سريانيين وسريانية بدلا من آرامية من منطلق ديني بحت ، اذ أن كلمة ارام صارت في نظرهم متعلقة بحقبة الوثنية السابقة على المسيحية . فتركوا استعمالها تجنبا للوثنية وتبرؤا منها .

ينظر المفصل في قواعد اللغة السريانية/ ٣ ـ ٤

الى ادخال (بعض الوسائل للتعبير بوضوح عن الحركات)[٦٠] غير ان هذه المحاولات الاصلاحية تمت بعد ان تفرعت السريانية الى لهجتين ادبيتين هما اللهجة الشرقية النسطورية واللهجة الغربية اليعقوبية مما جعل اصحاب كل لهجة من هاتين اللهجتين يحاول ابتكار رموز لاصوات المد الخاصة بلهجته[٦١] فنشأت من جراء ذلك في اللغة السريانية طريقتان لكتابة اصوات المد هما :

١ ــ الطريقة الشرقية النسطورية ، وتمتاز رموزها بكونها نقطا توضع فوق الحروف او تحتها ، باشكال مختلفة ، وهي اكثر دقة وضبطا وتتفق كثيرا مع النطق القديم ، نطق السريان القدماء[٦٢]

٢ ــ الطريقة الغربية اليعقوبية : وقد استعملت رموز اصوات المد اليونانية في التعبير عن أصوات المد فيها وهي رموز اسهل من الرموز الشرقية[٦٣] ويبدو أنها استعيرت في القرن السابع الميلادي ، حين كان اليونان يسيطرون على منطقة السريان[٦٤] ويذهب بعض الباحثين الى ان السريان (تنبهوا الى استخدام الحروف اليونانية مكان الحركات ، لما اراد ناظم الالياذة ضبط الاعلام اليونانية فيها)[٦٥]

وعلى اية حال فقد كانوا اول استعمالهم لها ان ادخلوا هذه الرموز في اثناء الكلمة على طريقة اليونانيين لكنهم لم يستسيغوا ذلك ، وفكروا في وضعها فوق رموز الاصول او تحتها على نحو ما يفعل الساميون عامة[٦٦]

لكننا نلاحظ ان لهجة سريانية ثالثة ، انفصلت عن اللغة السريانية ، لتستقيم لغة مستقلة ، هي المنداعية[٦٧] قد استعملت طريقة اخرى في التعبير عن اصوات المد فيها ، وذلك بالحاق رمز صوت المد القصير برمز الصامت ، عن طريق بعض التغييرات التي تصيب الطرف الاخير من رمز الصامت ، وهي بهذا ادخلت رموز

---

٦٠ ــ المفصل في قواعد اللغة السريانية/ ١١

٦١ ــ المصدر السابق /٢٤

٦٢ ــ المفصل في قواعد اللغة السريانية/ ١١ وينظر ايضا السريانية نحوها وصرفها ٤٧ ــ ٤٨

٦٣ ــ المفصل في قواعد السريانية/ ١١

٦٤ ــ السريانية نحوها وصرفها/ ٤٦

٦٥ ــ المفصل في قواعد السريانية/ ١١

٦٦ ــ المصدر السابق/ ٢٤ .

٦٧ ــ تاريخ الادب السرياني/

اصوات المد في اثناء الكلمة[68] ولعل النموذج الاتي يوضح هذا الامـــر بابه : بَ
بي : بر بيه : بُ هب

ومما يلاحظ في هذا المجال ايضا ان نظام اصوات المد في هذه المنداعية يشـــبه نظام اصوات المد العربي كل الشبه ، فهو يتألف من ثلاثة اصوات فقط ، متباعدة في مواقعها التشريحية ، بحيث يختلف احدها عن الاخر اختلافـــا كبيرا ، وهـــي الفتحة والكسرة والضمة .

تعامل اصوات المد في السريانية :

قلنا فيما سبق ان السريانية تفرعت الى لهجتين رئيستين هما اللهجة الشرقية النسطورية ، واللهجة الغربية اليعقوبية ، واول مـــا يلفـــت النظـــر في هـــاتين اللهجتين ، هو اختلافهما في نطق اصوات المد ، ويبدو ميل كل لهجـــة منهمـــا الى صوت مد معين واضحا فاللهجة الشرقية بوجه عام تنزع الى الفتح على حين ان اللهجة الغربية تنزع الى الضم ، وهو ما يدلل عليه كثير من الالفاظ مـــن ذلك ان الشرقيين يقولون مارن ، اثا ، شبقتاني ، طليثا على حين يقول الغربيون في هذا : مورن اثو ، شبقتوني ، طليثو[70]

ونلحظ ايضا ان الضمة u في اللهجة الغربية تتحول الى ضمة نصف ضيقة هي o في اللهجة الشرقية ، في المقاطع المغلقة المنبورة من نحـــو كلمـــة Kdus الغـــربية تصير Kdos[71] او ان الكسرة الطويلة الممالة «ē» في اللهجة الشرقية تتحـــول الى كسرة طويلة محضة في اللهجة الغربية[72] .

اما اهم قوانين تعامل هذه الاصوات في اللهجتين فهي :

١ ـ تؤثر الراء واللام غالبا في الضمة والكسرة فتتحولان الى الفتحة[73] واصوات الصفير تؤثر كذلك في صوت الفتحة a فتقلبه الى صوت الكسرة الممالة او الكسرة

---

٦٨ ـ الصابئة المندائيون/ دراور/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧

٦٩ ـ المصدر السابق /٣٣٦ ـ ٣٣٧

٧٠ ـ اللمعة الشهية/ ٥٣ ـ ٥٤

٧١ ـ فقه اللغات السامية/ ٥٥

٧٢ ـ المصدر السابق/ ٥٣

٧٣ ـ المصدر السابق/٧٢

الخالصة[٧٤] اما اصوات الحلق فانها لا تقبل قبلها كسرا ، اذا كانت في آخر الكلمة ، وكلما اقتضى القياس ان يكون قبلها كسر قلب الى الفتح[٧٥]
٢ ـ ان السريانية تجنح الى قلب الواو في اول الكلمة الى ياء[٧٦]
٣ ـ تنزع الى قلب صوت المد المركب من ياء + كسرة ممالة الى صوت مد منفرد محض هو الكسرة الطويلة ، وكذلك صوت المد المركب من واو + كسرة طويلة ممالة الى صوت مد محض هو الضمة الطويلة[٧٧]
٤ ـ تؤثر اصوات الصفير في صوت a فتقلبه الى e او i [٧٨]
٥ ـ تؤثر اصوات الشفة في حركتي الفتح والكسر اذا كانتا سابقتين فتنقلبان الى الضم[٧٩]
٦ ـ تتأثر طائفة من الاصوات الشديدة ((K. G. T, D. p. B) اذا جاءت بعد حركة فتحول الى نظائرها الرخوة[٨٠] فكان مجيء هذه الاصوات بعد صوت مد يمنع حبس الهواء حبسا تاما ، فتتحول هذه الاصوات من جراء ذلك الى نظائرها الاستمرارية (الرخوة) .

الحبشية :

كان الخط الحبشي ، وهو خط مشتق من المسند ، يعتمد اول الامر الصوامت حسب ، على نحو ما في اللغات السامية الاخرى ، ثم اخذ بعد ذلك يستعمل رموزا لاصوات المد ، بيد ان طريقة كتابة هذه الرموز كانت تختلف اختلافا تاما عن الطرائق السامية في هذا الشأن ، إذ ان الكتابة السامية قد جنحت الى وضع رموز اصوات المد القصيرة فوق الصوامت التي تؤلف اصل الكلمة او تحتها ، اما هذه الكتابة الجبشية فقد مالت الى الحاق علامات تدل على اصوات المد بالصوامت[٨١]

---

٧٤ ـ المصدر السابق/ ٧٢
٧٥ ـ اللمعة الشهية/ ٥٩
٧٦ ـ فقه اللغات السامية/ ١٣٩
٧٧ ـ المصدر السابق/ ٦٦
٧٨ ـ المصدر السابق/ ٧٢
٧٩ ـ المصدر السابق/ ٧٢
٨٠ ـ المصدر السابق/ ٦٩ ـ ٧٠
٨١ ـ تأريخ اللغات السامية/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

ولقد حاولت طائفة من الباحثين تفسير هــذه الطــريقة في كتابه اصــوات المد بتأثيرات اجنبية ، فقد ذهب العــالم ســاسي cacy الى ان الاحباش قــد اتخــذوا لانفسهم نموذجا من اصوات المد اليونانية(٨٢) وذهب وبر Weper الى ان اصــوات المد الحبشية شبيهة باصوات المد الهندية(٨٣) وهناك اراء اخرى في هذا الصدد من نحو راى الدكتور انوليتمان الذي يذهب الى ان المبشرين المســيحيين هــم الذين اخترعوا علامات اصوات المد الحبشية في القرن الرابع بعد الميلاد(٨٤)

ويرد اسرائيل ولفنسن على هذه الاراء بان الخطوط الحبشية جرت في طــريق نشأتها الطبيعية ، وان آثار الكتابات الحبشية تدل على ان خطها قــد مــر بثلاثة اطوار (فهناك اثار ليس فيها شيء مــن الحــركات ثم اخــرى تبرز فيهــا بعض الحركات كما هي في الكتابات المتأخرة)(٨٥)

نموذج من الخط الحبشي

حرف الهاء :

مع صوت المد a :u

مع صوت المد u :.u

مع صوت المد í :.y

مغ صوت المد ǻ :y

مع صوت المد e :y

مع صوت المد é او مستقلا :

مع صوت المد ó : ص.

ومما يلاحــظ ايضــا في الكتابة الحبشــية ان نصــفي المد semi vowels الياء والواو ، يعاملان كالصوامت ، فتدخل عليهمــا هــذه التغييرات التي تشــير الى اصوات المد القصيرة(٨٧) لكننا نلاحظ الى جانب ذلك ان اصوات المد المركبة مــن نحو aw, ay قد تحول الى اصوات مد بسيطة فــال ay تحــول الى é و aw تحــول

٨٢ ــ المصدر السابق/ ٢٥٥ .

٨٣ ــ المصدر السابق/ ٢٥٥ .

٨٤ ــ مجلة كلية الاداب ، جامعة القاهرة/ م ١٠/ ج ٢ديسمبر ١٩٤٨ ص ٥

٨٥ ــ تاريخ اللغات السامية/ ٢٥٦ .

٨٦ ــ المصــدر الســابق/ ٢٦٣ وينظــر An introduction to The comparativ Grammar of semitic Langauges p. 53

٨٧ ــ تاريخ اللغات السامية/ ٢٦٣ .

الى[88] ولكنهما بقيا في بعض المواضع بتأثير اصوات مــن قبيل الواو او الياء اذا جاءت بعدها[89].

ومما يلاحظ ايضا ميل الحبشية الى المخــالفة بين اصــوات المد المتمــاثلة في كلماتها ، من نحو ما ذكره بروكلمان من ميل الكسرة i التي تتلوها i اخــرى الى المخالفة الى «e» [90] او ميل الاصوات المركبة « uw wa» yiوix الى المخالفة ايضــا الى ew و we و ey و ey و ye[91] وقد لوحــظ ايضــا تأثير الصــوامت في هـــذه الاصوات من ذلك نزوع حركة عين الفعل المضارع من الضم او الكسر الى الفتح بتأثير الاصوات الحلقية[92] او تحول حركة e الى a بتأثير الصوت الحلقي التالي المشكل بحركة a[93]

العربية الجنوبية :

وتشمل لهجــات عدة اهمهــا : المعينية والســـبئية والقتبانية والاوســـانية والحضرمية[94] غير ان اشهرها لهجتان هما المعينية وهــي اقــدم مــن ســائرها والسبئية[95]

لقد وصلت الينا طائفة من نقوش هذه اللغة مكتوبة بالخط المسند خــالية مــن نظام «الشكل» مما يجعل البحث في هيأة النطق الحقيقــي لكلمــاتها وبيان تأثير الاصوات بعضها في البعض الاخر امرا صعبا ، ومما يخضعنا لامور هي اقــرب الى التخمين منها الى الحقيقة التأريخية ، وعلى اية حال فان الراجــح في نطــق هذه اللغة انه نطق قريب من نطق العربية الشمالية[96]

وقد نستطيع الى ذلك استنتاج بعض من قوانين تعــامل اصــوات المد في هــذه

---

88 – An introduction To The comparative Grmmar of semitic Langauges, p. 103

٨٩ ـ فقه اللغات السامية/ ٦٧ ـ ٦٨ .

٩٠ ـ المصدر السابق/ ٧٨ .

٩١ ـ المصدر السابق/ ٧٧ .

٩٢ ـ المصدر السابق/ ٧١ .

٩٢ ـ المصدر السابق/ ٦٤ .

٩٤ ـ المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة/ غويدي/ ١

٩٥ ـ المصدر السابق/ ١ .

٩٦ ـ المصدر السابق/ ٣ .

اللغة بوساطة كتابتهم للمعتل من الافعال والاسماء ومن خلال تدوينهم لانصاف المد Semi- vowels في كثير من الاحيان ومن ذلك انهم يكتبون بيت بالياء وكذلك يوم بالواو[97] مما يرجح انهم كانوا ينطقون هاتين الكلمتين نطق العرب الشماليين لهما .

لكننا نلحظ ايضا انهم قد استعملوا الياء في المد المحض ولكن ذلك كان نادرا جدا كما يشير جويدي من نحو كتابة اسم الاله سين وهو اكبر الهتهم هكذا بياء المد [98] ولعل استعمالهم لرمز الواو في اخر الافعال المسندة للجميع[99] يدلل ايضا على انهم كانوا يستعملون هذا الرمز للضم ايضا .

يلاحظ في الكتابة العربية الجنوبية ايضا انهم قد استعملوا في بعض الاحيان رمز الهاء في التعبير عن الفتحة او الكسرة ويرى جويدي ، ان هذا كان في النقوش المعينية دون غيرها ويعلل ذلك بان المعينية كانت اقل ضبطا من السبئية[100] ولكن هذا الامر قد يدلل من جانب اخر على وجود علاقة بين صوت الهاء واصوات المد في الساميات القديمة ، وهو امر قد تشير اليه العبرية بعض الاشارة[101]

ويلاحظ جويدي ايضا ان كثيرا من حالات الاعتلال في العربية الجنوبية مشابه لما في العربية الشمالية من حالات ، من ذلك ان الافعال الجنوبية التي تبدأ بالواو تجنح الى حذف هذه الواو في المضارعة من نحو ورد يصير في المضارع يرد بحذف صوت الواو[102] وكذلك الفعل الاجوف اذ لم يلاحظ اختلاف بينه وبين الفعل الاجوف الشمالي[103] وكذلك الافعال الناقصة[104] ولكن مما لوحظ في هذا الشأن ان صوت المد المتأخر في هذا الضرب من الافعال قد يسقط من الكتابة من نحو كتابتهم بن عوضا عن بني اي بني ، ولكنه كان امرا نادرا جدا[105]

٩٧ـ المصدر السابق/ ٣ .

٩٨ ـ المصدر السابق/ ٣ .

٩٩ ـ المصدر السابق/ ٣ .

١٠٠ ـ المصدر السابق/ ٣ .

١٠١ ـ An introduction yo The comparative Grammar of semitic Langauges,p. 50

١٠٢ ـ المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة .

١٠٣ ـ المصدر السابق/ ١١ .

١٠٤ ـ المصدر السابق/ ١١ .

١٠٥ ـ المصدر السابق/ ١١ .

ومما يلحظ في هذا المجال ايضا انهم كتبوه في الحـــالة الثانية بالياء חלף(١٠٦) ولعل ذلك كان لانهم ينطقونه بالياء ، وهو ما سنلاحظه فيمـــا بعــد في الصـــفوية ايضا ، اذ ان الصفويين قد كتبوا افعالا من نحو بكى واتى ورعى بالياء(١٠٧) مما يرجح انهم كانوا ينطقون هذه الافعال بالياء ايضا (١٠٨) وهو امر قـــد يدلل تاريخيا على ان اصل الافعـــال المعتلة التي تنتهـــي بالالف ـ الالف المقصـــورة خاصة ـ كان بالياء ثم تطورت هذه الياء في العربية الشـــمالية الى الف بمـــرور الزمن .

وخلاصة الحديث في ذلك ان دراسة احوال اصوات المد في الساميات ذات نفع في معرفة الاطوار التاريخية لاصوات المد العربية اذ يلاحظ في حـــالة المقـــارنة بين اصوات المد في هذه اللغات ، انها اكثر الاصوات السامية عرضة للتغير والتطـــور والتأثر بالاصوات الصامتة المجاورة لها(١٠٩) وانها تتناوب فيما بينهـــا مـــن لغـــة سامية الى اخرى ، ففي كثير من الاحوال نجد ان الواو في العربية تقابل الياء في العبرية او الارامية ، فكلمة ولد العربية تقـــابلها في العبرية ילד (يلد) وكذلك في السريانية(١١٠) اما الحبشية فقد حافظت على الواو التي في اول الكلمة مـــن (نحـــو warh الحبشية تصبح في العبرية Yérah وفي الارامية yarhá واما البابلية فيلاحظ ان الواو اخذت تختفي في التدرج من اول الكلمة)(١١١)

ونلاحظ ايضا ان الضمة قد تقابل الكسرة من لغة الى اخرى ودراسة الصـــيغ الصرفية في هذه اللغات توضح هذه الحقيقة ، اذ نجد ان الف المد العربية تتحول في طائفة من الصيغ الى الف مفخمة اي o في العبرية وكذلك في الارامية الغربية ، فقاتل العربية هي في العبرية Kótél وفي الارامية الغربية Kotel (١١٢)

والمقارنة تنفعنا ايضا في معرفة اعتلالات تاريخية وقعـــت في الكلمـــات في حقبة متقدمة من نحو الفعل (نفر) نجده في الحبشية (وفر) وهي حالة تؤكد ما نلاحظه

---

١٠٦ ـ المصدر السابق/ ١١ .

١٠٧ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ٧/ ٢٥٠ .

١٠٨ ـ المصدر السابق/ ٧/ ١٥٠ .

١٠٩ ـ فقه اللغات السامية/ ٧١ .

١١٠ ـ فقه اللغات السامية / ٥٢ وانظر ص/ ١٣٩ ايضـــا واللمعـــة الشـــهية / ٦٢ ومقـــالة انوليتمان في مجلة كلية الاداب جامعة فؤاد الاول/ م ١٠/ ج ١/ ص ٣١

١١١ ـ فقه اللغات السامية/ ٥٣ .

١١٢ ـ محاضرات الاستاذ بول كراوس/ المحاضرة الرابعة .

في العربية من قربى بين نصب ووصب ونشر ووشر[١١٣] او من نحو اسم ك (كوكب) اذ ان المقارنة توضح لنا ان الاصل فيه كان كبكب Kabkib في الامهرية و Kabkapum في الاكادية ، ثم حدث له في العربية في طور من اطوارها المتقدمة ما يعد مخالفة Dissimillation كراهية تكرار صوتين متماثلين ، فكان ان مات الاصل كبكب واختفى من الاستعمال في العربية[١١٤] مما يوضح ان العربية قد عرفت قانون المخالفة في المواضع التي من هذا القبيل في طور متقدم من اطوار حياتها المديدة .

ومن القوانين الصوتية التي تكاد تنتظم اللغات السامية في هذا المجال ما اشار اليه بروكلمان من ان حركة عين الفعل المضارع تتحول من الضم او الكسر الى الفتح اذا كانت عين الفعل او لامه صوتا حلقيا[١١٥] وقد علل نلك بان الاصوات الحلقية تحتاج الى اتساع في مجراها في الفم ، ولهذا ناسبها من اصوات المد اكثرها اتساعا وهو الفتحة[١١٦]

ولقد لوحظ ايضا ان للاصوات الشفوية تأثيرا قويا (في الفتحة والكسرة وغالبا اذا كانتا سابقتين ، ونادرا اذا كانت لاحقتين ، فتنقلبان الى الضمة)[١١٧]

ومما لوحظ ايضا ميل اصوات المد الموجودة في الكلمة في اللغات السامية الى الانسجام مع صوت المد الموجود في المقطع المنبور[١١٨] او ان خضوعها للنبر يؤثر في طريقة نطقها من نحو ما رأينا من ميل صوت المد المنبور في الكنعانية الى التفخيم[١١٩] او في الاشورية الى الامالة[١٢٠]

وفي الحقيقة ان الانسجام المديّ مظهر صوتي عرفته اللغات السامية منذ زمن موغل في القدم ، ويلاحظ ايضا ان اصوات المد تتأثر تأثرا كبيرا بالاصوات الصامتة المجاورة[١٢١] بيد ان هذا التأثير بقي غير ملحوظ بالنسبة لنا في كثير من

---

١١٣ ـ المصدر السابق/ المحاضرة الرابعة .
١١٤ ـ محاضرات الاستاذ بول كراوس/ المحاضرة الثالثة .
١١٥ ـ فقه اللغات السامية/ ٧١ ـ ٧٢ .
١١٦ ـ في اللهجات العربية/ ١٥٨ وانظر القراءات القرانية في ضوء علم اللغة الحديث/ ٢٠٥ .
١١٧ ـ فقه اللغات السامية/ ٧٢ .
١١٨ ـ المصدر السابق/ ٦٤ .
١١٩ ـ دروس في علم اصوات العربية/ ١٦٣ .
١٢٠ ـ فقه اللغات السامية/ ٦٥ .
١٢١ ـ فقه اللغات السامية/ ٧١ .

الاحيان لان ما وصل الينا من نصوص ، انما وصل الينا مدونا وليس منطوقا ثم لان كتابته كانت منقوصة ، لم تسجل اصوات المد وهي ان سجلتها فليس بدقة النطق .

١ ــ ان دراسة طائفة من ظواهر اصوات المد في اللغات السامية قد توضح تاريخيتها في عربيتنا ، من ذلك ما نلاحظه من شيوع الامالة والتفخيم وكسر حروف المضارعة في هذه الساميات ، مما يقودنا الى التفكير بان هذه الظواهر وهي ظواهر عرفتها اللهجات العربية القديمة ايضا(١٢٢) مما كان في العربية في زمن موغل في القدم ، ثم جعل يختفي بالتدرج حتى زال تماما من العربية الموحدة ، وان بقيت اثاره في طائفة من لهجاتها القديمة والحديثة ، او ان العربية احتفظت باصول سامية قديمة زالت من اللغات الاخرى لسبب من الاسباب .

٢ ــ ان رموز اصوات الالف (والهمزة) والواو والياء قد تطورت في كل هذه اللغات الى رموز تعبر عن اصوات المد الطويلة الخالصة بجانب وظيفتها في التعبير عن الهمزة وانصاف اصوات المد (تلك التي تسلك سلوك الصوامت في النظام المقطعي) وان مشكلة الشكل في اللغات السامية عامة كانت مرتبطة بايجاد نظام لرموز اصوات المد القصيرة حسب .

٣ ــ حاولت معظم الساميات المحافظة على جذر الكلمة (اي الاصوات الصامتة التي تؤلف المعنى الاساسي) في الكتابة ولم تجنح الى ادخال رموز اصوات المد القصيرة في اثناء هذا الجذر ، فكان معظم ما ابتدعته هذه اللغات من رموز اصوات المد القصيرة مما يوضع فوق الاصوات الصامتة المؤلفة للجذر ، او تحتها وهو امر بالغ الاهمية في تحديد مفهوم الساميين عموما لهذه الاصوات ، اذ ان ذلك يعني انهم رأوا اليها وكأنها اصوات طارئة او زائدة ، وهو مفهوم سنرى ما يماثله في الدراسات الصوتية والصرفية العربية فيما بعد .

لقد كانت العربية واحدة من اللغات السامية التي انتظمتها هذه المظاهر والدراسة التفصيلية لاصوات المد فيها ستوضح طبيعة هذه الاصوات وطرائق تعاملها داخل التأليف الصوتي العربي ، غير ان هذا يحتاج ايضا الى ان نضع في الحسبان امورا تعد من تاريخ هذه اللغة ومن اجل ذلك كان علينا ان نمهد

---

١٢٢ ــ ينظر شرح المفصل مثلا ، ص ٢/ ١٢٥٢ في الامالة في هذه اللهجات ، وينظر سر الصناعة ١/ ٥٦ والبحر المحيط ٦/ ١٧٢ في التفخيم في طائفة من هذه اللهجات وينظر الكتاب ٢/ ٢٥٦ ــ ٢٥٧ في كسر حرف المضارعة .

لدراسة اصوات المد وتعاملها في العربية بدراسة في المراحل التاريخية لهذه الاصوات في لغتنا العربية وتأثير تلك المراحل في ظواهر هذه الاصوات في العربية الادبية .

في العربية التاريخية[123] :

يمكن أن نحدد بايجاز ثلاث مراحل مرت بها العربية التاريخية ، وهذه المراحل هي :

١ ـ مرحلة اللهجات العربية البائدة : وهي لهجات النقوش العربية التي تسبق آثار الكتابات العربية الفصحى ، واهم هذه اللهجات : اللحيانية والصفوية والثمودية[124] ثم تليها بعد ذلك اللهجة النبطية واللهجة التدمرية[125] .

٢ ـ مرحلة اللهجات العربية القديمة : وتمتد في حقبة تسبق ظهور الاسلام ، وتتداخل مع المرحلة الثالثة التي تم فيها التوحيد اللغوي عند العرب ولا يمكن باية حال الفصل بينهما ، ولم تصل الينا آثار لهجات هذه المرحلة مكتوبة ، بل اننا استخلصنا خصائصها العامة من خلال الملاحظات التي دونها عنها اللغويون العرب ومن خلال تسجيلهم لطائفة من مفرداتها في كتب المعاجيم واللغة والنحو والتفسير ومن خلال دراسة القراءات القرآنية ، واهم لهجات هذه المرحلة ، اللهجات الحجازية ومنها لهجات قريش وهذيل واهل العالية ، واللهجات النجدية ومنها لهجات تميم وربيعة واسد

---

١٢٣ ـ يذهب هذا البحث الى التفريق بين مصطلحين اثنين هما :

أ ـ العربية التاريخية ، ويقصد به مجمل العربية في اطوارها التاريخية المختلفة وهي مرحلة اللهجات البائدة ثم مرحلة اللهجات العربية القديمة ثم مرحلة العربية الفصحى او الموحدة .

ب ـ العربية الموحدة : والمقصود بها لغة الاثار الادبية الجاهلية والاسلامية والاموية ، اي لغة القرآن ، وهي المعروفة عندنا ايضا بالعربية الفصحى ، وسيجد القارىء ايضا ان البحث قد يستعمل مصطلح العربية الادبية ويعني بذلك هذه العربية الموحدة .

وهذه اللغة هي التي استنبط اللغويون والنحاة العرب القواعد النحوية والصرفية منها وجعلوها معياراً للخطأ والصواب ، وقد وقفوا بها الى نهاية ما اسموه بعصور الاحتجاج حوالي ١٤٠هـ

١٢٤ ـ انظر تاريخ العرب قبل الاسلام ٧/ الصفحات ١٣٩ ـ ١٨٧و ١٨٨ ـ ٢١٨ ٢١٩ ـ ٢٧٠ وعلم اللغات السامية المقارن/ ١٧٦

١٢٥ ـ انظر تاريخ العرب قبل الاسلام/٧ الصفحات ٢٧١ ـ ٣٢٥و ٣٢٦ ـ ٣٣٢ .

وقيس[١٢٦] .

٣ ـ مرحلة العربية الموحدة ، وهي المرحلة التي ظهرت فيها الاثار الادبية المعروفة من شعر ونثر في الجاهلية ، ثم نزل بها القرآن ، وقد اطلق على لغة هذه الاثار ، العربية الفصحى ، وهي اللغة التي درسها اللغويون العرب ، وقعدوا قواعدها ووضعوا المعاجيم في مفرداتها ، ولقد اعترف بها وحدها لغة للادب والعلم ، ولغة مشتركة لجميع العرب وبقيت كذلك الى يومنا هذا .

ولقد دخل في هذه العربية كثير من خصائص اللهجات العربية القديمة بعد أن تمثلتها ، مما يجعلنا لا نستطيع أن نذهب الى أن هذه اللغة كانت في الاصل احدى اللهجات العربية القديمة تطورت ، وسادت على غيرها من اللهجات القديمة وسنرى فيما بعد أن كثيراً من خصائص اصوات المد والابنية الصرفية المرتبطة بها في العربية ، قد انتشر في اللهجات العربية القديمة .

وعلى اية حال فان هذا البحث يحاول دراسة اطوار اصوات المد في العربية التاريخية في المرحلة البائدة ثم في المرحلة القديمة ليخلص من ذلك الى أن خصائص اصوات المد في العربية الموحدة (اي العربية الفصحى او الادبية) قد مرت باحوال كثيرة قبل أن تستقر فيها .

وقبل الحديث عن احوال اصوات المد في مراحلها الثلاث ينبغي لنا أن نتحدث قليلا عن اصوات المد في الخط العربي وعن تاريخ (الشكل) ، اذ أن ذلك سيضع امامنا صورة شبه كاملة لنظرة العرب الى هذه الاصوات ، وعن معالجاتهم للمشكلات المتعلقة بها .

تاريخ رموز اصوات المد في الخط العربي :

اشتقت الاقلام اللحيانية والثمودية والصفوية من القلم المسند[١٢٧] بعد أن عدّل

---

١٢٦ ـ انظر بوجه عام مميزات لغات العرب لحفني ناصف وفي اللهجات العربية لابراهيم انيس والقراءات واللهجات لعبدة الراجحي واللهجات العربية في التراث لاحمد علم الدين الجندي وانظر Ancient West- Arapian لرابين ولهجة تميم واثرها في العربية الموحدة لغالب المطلبي ، فقد حاولت كلها دراسة اللهجات القديمة من خلال ملاحظات القدماء في كتبهم ورسائلهم في هذه اللهجات .

١٢٧ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ٥٤/٧

فيه بعض التعديل[128] غير أن هذه الاقلام بقيت شأنها شأن المسند خالية من الشكل ودراسة تاريخ هذا الخط قد لا تنفع هنا في دراسة تاريخ الشكل واصوات المد في عربيتنا ذلك لان العرب انقطعوا عن استعماله في كتاباتهم، واستعاروا خطا آخر مشتقا من الخط الارامي، بعد أن ادخلوا عليه تغيرات اعتمدت الخطوط الاخرى المعاصرة له مثل القلم العبري المربع والتدمري[129].

لقد استعملت الخط الجديد أول الامر لهجة من اللهجات العربية البائدة هي النبطية، ومن الممكن أن يوصف هذا الخط في أول امره بانه (خط شبيه بالخط الكوفي ارتبطت اكثر حروفه فيه بعضها ببعض)[130] واهم ما يمكن أن يلاحظ فيه أيضا انه ورث عن الخطوط السامية فكرة عدم كتابة رموز اصوات المد القصيرة وكذا الطويلة في غالب الاحوال)، لكننا نلاحظ ايضا ان اشكال رموز اصوات الالف والياء والواو قد اخذت في التغير، اذ أن هؤلاء الانباط ابتدعوا رمزا جديدا لصوت الالف هو (6)، وهو رمز ليس ثمة ما يشابهه في (الخطوط الاخرى، وان كان هذا لا يعني ان النبط لم يستعملوا الشكل القديم (?) لحرف الالف المتطور بشكل مباشر عن الالف الارامية،[131] بيد انه قد لوحظ ان هذا الشكل القديم آخذ بالاختفاء في النقوش النبطية حتى اننا لا نجد له أثراً في النقوش المتأخرة منها، اذا حل محله الرمز الجديد، ومما لوحظ ايضاً ان هذا الرمز الجديد كان في مراحله الاولى عبارة عن (خط مائل ينتهي باسفله من الجهة اليمنى بدائرة شبه بيضوية،[132] لكن هذه الدائرة تنفرج في مرحلة من النقوش المتأخرة (6) ثم تختفي كليا ليصير الرمز خطا مائلا من غير انحناء هكذا / وهو ما نجده واضحا في الخط النبطي السينائي ثم تطور هذا الرمز في الكتابات العربية قبل الاسلام الى هذه الاشكال[133] : \ ((\ /

اما الياء فقد كانت في النقوش النبطية القديمة على هذه الصورة(S)، غير انها تطورت في الخطوط النبطية المتأخرة الى اشكال اخرى من نحو ? ? ? ? ? S

---

١٢٨ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام /٢٧

١٢٩ ـ اصل الخط العربي /٢٧

١٣٠ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ٧/ ٢٧١

١٣١ ـ اصل الخط العربي/ ٢٧ ـ ٢٨

١٣٢ ـ المصدر السابق نفسه/ الصفحات نفسها

١٣٣ ـ المصدر السابق/ ٤٤

ويذهب بعض الباحثين الى أن هذه الاشكال من الرموز (اشــكال لا يرى مــا يقابلها في الخطوط المعاصرة اللهم الا في شكل واحد وهو (ک)، وهذا الشــكل معروف في الخط الارامي ، اما البقية الباقية من اشكال حرف الياء ، فلا نجد ما يقابلها في الخطوط الاخرى ، والظاهر انها من ابتكار النبط)[١٣٦] .

اما رمز الواو ، فقد لوحــظ انه لم يتطــور الا قليلا اذ انه في النقــوش النبطية المتقدمة كان يميل الى الاستقامة (٩) ، غير انه قد أخذ في النقــوش المتأخــرة بالانحناء الى اليسار حتى صار هكذاو[١٣٧] .

ولم تكن هذه الرموز تستعمل في النقوش النبطية للتعبير عن اصوات المد بوجه عام ، فالالف كانت تستعمل للتعبير عن صوت الهمزة ، ولكنها استعملت في بعض الاحيان للتعبير عن الف المد[١٣٨] ، ومن المحتمــل ان تكون هــذه الالف همــزة في الاصل ، ثم تطورت الى صوت مد خالص بمرور الزمن ولاسباب صوتية .

ونلاحظ ايضا ان رمزي الواو والياء لم يستعملا في حالات نصف المدّ -semi vowel حسب ، بل في حالات يكون فيها هذان الصوتان صوتي مد خالصين Long Vowels وهو ما نجده في نص هو من اقدم نصوص اللهجــة النبطية ، اذ يرجــع تاريخه الى سنة ١٠٦ بعد الميلاد وهو نقش (فهر بن ســلي) اذ وردت فيه كلمــة جنيمة بياء المد ( ) ، ووردت فيه كلما تنوخ بواو المد ( ) وفيما يأتي نص النقش[١٣٩] :

نص نقش فهر بن سلي

وهو امر سنجده ايضا في النقوش الاخرى ، مثل نقش النمــارة ، الذي يرجــع تاريخه الى عام ٣٢٦ بعد الميلاد ، اذ وردت فيه كلمة تي (هــذه) بياء المد وكلمــة (نو) أي الذي ، و روم بواو المد ، وهو ما يلاحظ في النقش[١٤٠]

---

١٣٥ ـ اصل الخط العربي/ ٤٤

١٣٦ ـ المصدر السابق/ ٣٠

١٣٧ ـ المصدر السابق نفسه/ ٤٤

١٣٨ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ٧/ ٢٩١

١٣٩ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ٧/ ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣

١٤٠ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ٧//٢٧٢ ـ ٢٧٣

نقـــــــش النمــــــارة

وهذا يعني أن هذه الرموز قد اخـذت تعبر عن اصـوات المد الطـويلة ايضـا اضافة الى تعبير رمز الالف عن الهمزة ورمزي الواو والياء عن هذين الصوتين حين يكونان نصفي مد وهو أمر سيظهر في الكتابة العربية واضحاً جداً فيما بعد

لقد تطورت اشكال الخط النبطي كثيراً على ايدي العرب ، غير أن الحقبة التي انتقل فيها هذا الخط الى العـرب عامـة غير واضـحة[١٤١] وثمـة روايات عربية اسطورية تتحدث عن ذلك لامجال لذكره هنا[١٤٢] .

وعلى اية حال كان النقش الذي عثر عليه في حران وهـو نقش مـكتوب بالقلم النبطي ، وبلغة عربية سليمة و (خطه قريب جداً من الخط الاسلامي القـديم ، بل يكاد يكون هو نفسه)[١٤٣] يوضح تلك القربى القوية بين الخـط النبطـي والخـط العربي ، ونلاحظ في هذا النقش ان كاتبه استعمل رمز الالف للتعبير عن صـوت الف المد في «أنـا» (أنا) واستعمل رمـز الياء للتعبير عن ياء المد كمـا في شرحيل «حيل» ، غير اننا نلاحظ ايضا انه لم يصنع رمزاً لصوت الف المد في كلمة «ظالم» «اذ كتبها» «كلمو» وكلمة بعام اذ كتبها «لـلام»[١٤٤].

نص نقش فهر بن سلـــــــــي

وهو امر سنجده في خطوط المصاحف ، اذ انها استقرت على استعمال رمـزي الواو والياء للتعبير عن واو المد وياء المد ، زيادة على استعمالها للتعبير عن الياء

---

١٤١ ـ دراسات في تاريخ الخط العربي/ المنجد/ ١٣ وانظر دراسات في اللغة العربية نامي/ ٨١ ودروس في علم اصوات العرب/ كانتينو/ ١٥٠ ومقدمة ابن خلدون ٤١٧ ـ ٤١٩

١٤٢ ـ الفهرست /١٢ ـ ١٣

١٤٣ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام/ ٢٧٩ وانظر جدول

١٤٤ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ٧/ ٢٨٠ ـ ٢٨١ الخطوط فيه ص ٢٩٣ وانظر دراسات في اللغة العربية /٨٠

والواو في حالة كونهما نصفي مد ، اما رمز الالف فلم تكن هذه الخطوط تستعمله في التعبير عن الف المد الا قليلا[١٤٥] ثم صار استعماله للتعبير عن الف المد مألوفا بعض الالفة[١٤٦] بل انه استعمل في طائفة من الكلمات القرانية للتعبير عن الفتحة القصيرة في نحو ماذكره الداني (٤٤٤هـ) في المحكم في باب نقط مازيدت الالف في رسمه : (ولأاضعوا خلالكم ؛ وكذا في النمل : اولأ اذ بحنه ، وفي يوسف : وتايئسوا من روح الله ، وفي الرعد : افلم يايئس الذين آمنوا ، وحكى محمد بن عيسى الاصفهاني : ان في المصاحف كلها ولا تقولن لشاىء في الكهف بالف بين الشين والياء ، وكذلك في مصاحف عبدالله في كل القرآن)[١٤٧] .

ويلاحظ ايضا ان رمز الياء استعمل في طائفة من المواضع للتعبير عن صوت الكسرة القصيرة كما في (قوله : أفاين مات او قتل . آل عمران ، وفي قوله : من نباى المرسلين ، الانعام ، وفي قوله : من تلقائي نفسي ، يونس ، وفي قوله : وايتائي ذي القربى ، النمل وفي قوله ومن أنائي اليل ، طه ، وفي قوله : أو من ورائي حجاب الشورى ، وفي قوله : والسماء بنيناها بأييد ، الذاريات ، وفي قوله : بأييكم المفتون القلم)[١٤٨] .

وذكر ابو عمرو الداني أن في كتاب الغازي بن قيس بلقائي ربكم ، ولقائي الاخرة في الروم بالياء في الحرفين وذكر ايضا انه رأى في مصاحف اهل المدينة واهل العراق وغيرهما «وملايه وملايهم» في جميع القرآن بالياء بعد الهمزة[١٤٩] ولقد ذهب الى أن هذه الطريقة كانت معروفة في الكتابات العربية القديمة بسبب من ان العرب لم يكونوا اصحاب شكل ونقط ، فكانوا يصورون (الحركات لان الاعراب قد يكون بها كما يكون بهن فتصور الفتحة الفا والكسرة ياء والضمة واوا ، فتدل هذه الاحرف الثلاثة على ما تدل عليه الحركات الثلاث من الفتح والكسر والضم)[١٥٠] ، ولعل الداني يشير في هذا الى ما نلاحظه في نهاية الاعلام في

---

١٤٥ ــ دروس في علم اصوات العربية /١٥١

١٤٦ ــ دروس في علم اصوات العربية /١٥١

١٤٧ ــ المحكم/ ١٧٤

١٤٨ ــ المحكم /١٨٠ (قال المحقق : انه اخذ النص من مخطوط اخر الكتاب اذ لم يكن النص موجودا في النسخة الام وينظر في مجلة كلية الامام الاعظم جـ ١٩٧٨/٤ من ٣٨٥ ــ ٤٤٧ مقالة الاستاذ غانم قدوري حمد : اوراق غير منشورة من كتاب المحكم لابن عمرو الداني .

١٤٩ ــ المحكم/ ١٨٠

١٥٠ ــ المحكم /١٧٧

النقوش النبطية من الحاق حرف الواو بها ، فقد ذهب بعض الباحثين الى انه علامة اعرابية(١٥١) وذهب الاستاذ انوليتمان الى انها علامة على ان الاسم معرب وليس مبنيا(١٥٢) وذهب بعض آخر الى انه علامة على العلمية لكن لوحظ ان من بين هذه النقوش ، من يستعمل الياء علامة على الجر ، بيد ان الامر ما زال غير متثبت منه(١٥٣) .

ومما يلاحظ في خطوط المصاحف ايضا انها استعملت الواو في طائفة من الكلمات للتعبير عن الالف في نحو صلوة زكوة ومشكوة وحيوة ومنوة وغدوة : في صلاة وزكاة ومشكاة وحياة ومناة وغداة ، ولقد علل ابن جني هذه الكتابة بانها انما كانت على طريقة الحجازيين اذ انهم كانوا يلفظون الالف في هذه الكلمات لفظا مفخما يقربها من الواو ، فكان ان كتبوا هذه الألف المفخمة واوا لبيان ذلك(١٥٤) .

ويلاحظ ابو عمرو الداني انه في الحالات التي يختفي فيها التفخيم تكون الكتابة بالالف ، كأن تكون هذه الكلمات منصوبة أو مجرورة ، اذ انها تميل في هاتين الحالتين ، وبسبب من الانسجام المدى Vowel Harmony الى التخلص من التفخيم ، والجنوح الى الالف المحضة ، وذلك من نحو ما في الامثلة (ما كان صلاتهم ، وعلى صلاتهم ، وعن صلاتهم ، وفي صلاتهم حيث وقع ، وقل ان صلاتي ، الانعام ، ولا تجهر بصلاتك في الاسراء ، وصلاته وتسبيحه ، النور ، وقوله : حياتنا الدنيا حيث وقع في حياتكم ، في الاحقاف ، ولحياتي ، في الفجر)(١٥٥) لكن الداني يشير ايضا الى أن هذا الامر غير مطرد في كل الخطوط ، اذ وجد في مواضع اخرى نصوصا من نحو (من زكوة)(١٥٦) .

تاريخ الشكل في العربية :

لقد احس العرب بعد انتشار الاسلام في اجزاء شتى من العالم القديم بالحاجة

---

١٥١ ــ دراسات في اللغة العربية/ ٢١ ــ ٢٣

١٥٢ ــ مجلة كلية الاداب/ جامعة القاهرة : م ١٠/ج ١٩٤٨/٢/ ص ٤٣

١٥٣ ــ دراسات في اللغة العربية /٢٣

١٤٥ ــ سر صناعة الاعراب ٥٦/١ كتاب الكتاب/٥١

١٥٥ ــ المقنع/ ٥٤

١٥٦ ــ المصدر السابق/ ٥٤

الى شكل لغتهم ، وثمة اخبار تشير الى خوف العرب من فساد لسانهم بعد أن دخل كثير من الاروام غير العربية في الاسلام[157] ، فكان أن ظهرت محاولات اصلاح الخط العربي في الشكل والاعجام .

بيد أن ذلك ، على ما أحسب ، ما كان السبب الرئيس ، وأرجح أن الامر كان يتعلق باحساس اولئك المسلمين بالحاجة الى ضبط اللفظ القرآني الذي هو قدس اقداسهم ، ولعل مما يؤيد ذلك أن هذه الاصلاحات قد جرت أول ما جرت على المصحف ، من نحو محاولة أبي الاسود الدؤلي .

لقد كانت اولى محاولات الاصلاح ، محاولة وضع رموز للشكل أي رموز لاصوات المد القصيرة في الخط العربي ، وثمة اراء في تاريخ الشكل ، منها ما يذهب الى أن الشكل قديم في العربية ،و ويستند في ذلك الى ماورد من أن الصحابة قد جردوا المصاحف من الشكل[158] وما ورد عن الاوزاعي من أنه سمع (قتادة يقول : بدأوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا)[159] ويفسر أبو عمر الداني هذا الكلام بانه (يدل على أن الصحابة واكابر التابعين هم المبتدئون بالنقط ورسم الخموس والعشور لان حكاية قتادة لاتكون الا عنهم)[160] بيد انه ليس ببعيد ان يكون المقصود بهذا التنقيط ، تنقيط الاعجام ، ولعل ما يرجح ذلك ، مالوحظ من أن نقط الاعجام كان معروفاً في بعض الاثار المتقدمة ، فقد ذكر الدكتور صلاح الدين المنجد انه عثر على بردية مصرية مؤرخة بسنة ((٢٢)) هجرية ، كان على بعض حروفها رقش ، وكذلك عثر على كتابة حجرية على سد الطائف ظهر النقط على بعض حروفها[161] ، ولعل ما يعزز هذا انهم لما وضعوا نقط الشكل ، نقطوا بلون مخالف للون الحروف ، فكأن ذلك كان خوفاً من التباسه بنقط آخر .

ويذهب رأي ثان الى أن (المبتديء بذلك هو أبو الاسود الدؤلي ، وذلك أنه أراد أن يعمل كتابا في العربية يقوّم ما فسد من كلامهم ، اذ كان ذلك قد فشا في الناس ، فقال : أرى ان ابتديء باعراب القرآن أولا فاحضر من يمسك المصحف واحضر صبغاً يخالف لون المداد ، وقال للذي يمسك المصحف عليه اذا فتحت فاي

---

١٥٧ ـ المصدر السابق /٥٤

١٥٨ ـ النشر ٣٣/١

١٥٩ ـ المحكم /٣

١٦٠ ـ المحكم /٣

١٦١ ـ تاريخ الخط العربي /١٢٦

فاجعل نقطة فوق الحرف ، واذا كسرت فاي فاجعل نقطة تحت الحرف ، واذا اضممت فاي فاجعل نقطة امام الحرف ، فان اتبعت شيئا من هذه الحركات غنة فاجعل نقطتين ، ففعل ذلك حتى اتى على آخر المصحف)[١٦٢] .

ومن اصحاب الاراء من يذهب الى أن اصل الشكل كان «لعبدالله بن أبي اسحق الحضرمي معلم ابي عمرو بن العلاء ، أخذه الناس عنه)[١٦٣] .

وذهب رأي الى أن المبتديء بذلك نصر بن عاصم[١٦٤] وذهب آخر الى أن المبتديء بذلك يحيى بن يعمر[١٦٥] .

غير أن اكثر مؤرخي الشكل يرجحون أن ابا الاسود الدؤلي هو أول من شكل المصحف ، ومن هؤلاء ابو عمر الداني ، الذي فسر ورود الاسماء الاخرى بانه (يحتمل أن يكون يحيى ونصر أول من نقطاها للناس بالبصرة ، واخذا ذلك عن أبي الاسود ، اذ كان السابق الى ذلك والمبتديء به)[١٦٦] .

ويورد الداني في كتابه ايضا عن أبي حاتم سهل بن محمد ما يشير الى أن ثمة شكلا في المدينة كان يختلف عن شكل أبي الاسود «والنقط لاهل البصرة أخذه الناس كلهم عنهم حتى اهل المدينة وكانوا ينقطون على غير هذا النقط فتركوه ونقطوا نقط اهل البصرة)[١٦٧] .

ولعل نقط اهل المدينة كان اصعب من نقط اهل البصرة ولعله ايضا منقول عن اليهود او السريان ، ولا سيما اذا لاحظنا أن اليهود سكنوا المدينة حقبة طويلة مما يعني انه قد يكون ثمة مسوغ لتأثر الكتابة العربية بكتاباتهم .

ان طائفة من الباحثين ترجح أن شكل ابي الاسود الدؤلي قد تأثر هو ايضا بالشكل السرياني[١٦٨] غير انه ليس ثمة ما يؤيد هذا الامر ، ولا سيما اذا لاحظنا ان شكل ابي الاسود كان شكلا بسيطا لا يتعدى وضع رموز للحركات الاساسية في العربية الموحدة ، لكن هذا لا يمنع من أن يكون ابو الاسود قد سمع بطريقة

---

١٦٢ ـ صبح الاعشى ١٥٦/٣

١٦٣ ـ المحكم/ ٦

١٦٤ ـ المحكم /٧ وصبح الاعشى ١٥٦/٣

١٦٥ ـ المحكم /٧ وصبح الاعشى ١٥٦/٣

١٦٦ ـ المحكم /٦

١٦٧ ـ المحكم /٧

١٦٨ ـ السريانية نحوها وصرفها /٢٣ دروس في علم اصوات العربية/١٧٣ ، اصل الخط العربي/ ١٦٥ مجلة كلية الاداب ـ القاهرة /م ٢٣/ج١/ ١٩٦٥ ص ٢١٦ .

السريان في شكل لغتهم ، او انه عرف طريقة اهل المدينة ، بيد أن الامر يبقى ظنا وتخمينا لعدم وجود ما يؤيد ذلك من الاسانيد والوثائق .

ان الاصلاحات الاخرى التي جرت على الخط العربي من نحو الاعجام ، وهو نقط الحروف المتشابهة للتفريق بينها[169] جعلت من العسير على طريقة الشكل هذه أن تستمر في التطبيق ، اذ أن ذلك يثير اللبس والغموض ، فكان أن ظهر نظام جديد للشكل وهو النظام الذي يرمز لاصوات المد القصيرة بحروف صغيرة الصورة توضع فوق الحرف او تحته (فالضمة واو صغيرة الصورة في اعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة والكسرة ياء تحت الحرف ، والفتحة الف مبطوحة فوق الحرف[170] وتذهب بعض الروايات الى أن هذا النظام ظهر في عصر عبدالملك بن مروان (٢٦ ــ ٨٦هـ) بل انه وضع بأمره للتفريق بين الاعجام والشكل[171] غير اننا لا نستطيع ترجيح هذا الامر ، ولعله نشأ من جراء خلط بعض الرواة حركة التعريب التي حدثت في عصر الملك بهذه الاصلاحات الكتابية .

ويبدو أن الخليل بن احمد الفراهيدي (١٠٠ ــ ١٧٠هـ) هو واضع الشكل الجديد وهو ما أورده ابو الحسن بن كيسان عن محمد بن يزيد المبرد ، من أن (الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل ، وهو مأخوذ من صور الحروف ، فالضمة واو صغيرة في اعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة والكسرة ياء تحت الحرف والفتحة الف مبطوحة فوق الحرف)[172] وهذا امر اقرب الى الصحة ، اذ أن كثيراً من الاصلاحات الكتابية كان من عمل الخليل نفسه ، كوضع رمز الهمزة

---

١٦٩ ــ لاحظ ابو عمرو الداني ان نقط الاعجام اخذ بمعاني نقط الشكل القديم في تفريقها بين الحروف المتشابهة ، اذ انهم مثلا (جاؤوا الى الجيم والحاء والخاء وهن ثلاثة احرف متشابهات الصور ، ليس في حرف المعجم ما يشبهن فابتدؤوا بالأولى وهي الجيم نقطوها بواحدة من تحت واختاروا ان يجعلوا النقطة من تحت لان الجيم مكسورة ، واخلوا الحاء من النقط فرقا بينها وبين الجيم ، واما الخاء فاختاروا النقط من فوق اللفظ لان اللفظ بالخاء مفتوح ، ثم جاءوا الى الدال والذال وهما حرفان متشابهان فاخلوا الدال من النقط فرقا بينها وبين اختها ولان ما قبلها منقوط ، ونقوط الذال واحدة من فوق لان اللفظ مفتوح ثم يفسر جميع النقط العلة ، انظر المحكم /٣٧ ، ويمكن الاستنتاج من هذا النص ايضا ان نقط الشكل اذهب في القدم من نقط الاعجام .

وانظر في نقط الاعجام ايضا كتاب الكتاب/ ٥٣ ــ ٥٦

١٧٠ ــ المحكم/٧

١٧١ ــ مقدمتان في علوم القرآن /٢٧٥ ، ينظر لطائف الاشارات ٦٤/١

١٧٢ ــ المحكم /٧ وانظر تاريخ الادب/ حنفي ناصف/٧٦

والتشديد وعلامات الروم والاشمام[١٧٣] يزاد على ذلك أن الخليل قد أشار في بعض اقواله الى تصوره أن الضمة واو صغيرة وان الكسرة ياء صغيرة ، وأن الفتحة الف صغيرة ، وهو ما طبق في نظام رموز الشكل الجديد[١٧٤] ، ومما يلاحظ في هذا المجال أيضاً أن مواضع هذه الرموز في الكلمة تعتمد تذوقا دقيقا في طبيعة هذه الاصوات ، فكأن وضع الضمة فوق الحرف علامة على استعلاء الضم ، ووضع الكسرة تحت الحرف علامة على استفال الكسر ، ووضع الفتحة الفا مبطوحة علامة على استواء الفتح[١٧٥] وهو أمر لا يتيسر الا لمن خبر طبيعة هذه الاصوات ، وما اجدر الخليل بن احمد بهذا .

ويذهب بعض الباحثين الى أن النظام الجديد تأثر ايضا بالحركات السريانية[١٧٦] لكن ليس ثمة ما يؤكد هذا الامر ، يزاد على ذلك أن صلة القربى بين الرموز الجديدة ، ورموز اصوات المد الطويلة في العربية واضحة قوية ، مما يؤكد اصالة هذه الرموز واستنباطها من الخط العربي نفسه .

وخلاصة الحديث في رموز اصوات المد العربية :

١ ـ ان العرب استعملوا رمزي الواو والياء للتعبير عن اصوات المد الطويلة اضافة الى عملهما في التعبير عن الواو والياء في حالة نصف المد Semi Vowel اي حين يسلك هذان الصوتان سلوك الصوامت في النظام المقطعي .

٢ ـ انهم جعلوا رمز الالف للمد حسب ، اذ وضعوا للهمزة رموزا اخرى (أ ، ؤ ، ئ ،) ، ومعنى هذا ايضا ان رموز الهمزة الجديدة بقيت محتفظة زيادة على معنى الهمزة ـ بمعنى صوت مد قصير ، هو في بعض الاحيان صوت المد السابق للهمزة ، وفي احيان اخرى صوت المد اللاحق لها ، وهو أمر غريب ما اعتادته الكتابة العربية ، ومن اجل ذلك بقي امر هذا الرمز مشكلا على الكتبة لقلقه وغرابته ، فكان أن وضعت الرسائل في كتابة الهمزة لكثرة غلط الناس فيها[١٧٧] ولعل هذا حاصل لأن هذا الرمز خارج عن نظام الكتابة

---

١٧٣ ـ المحكم/٦

١٧٤ ـ الكتاب ٣١٥/٢ وينظر المحكم/٧

١٧٥ ـ للفائدة ينظر/ المحكم/ الداني/ ٤٢

١٧٦ ـ دروس في علم اصوات العربية /١٧٣

١٧٧ ـ انظر التهذيب ٦٨٣/١٥ وشرح الشافية ٣٢٠/٣ ـ ٣٢٢ وكتاب الكتاب لابن درستويه/١٠ ـ ١٩ ، وانظر في رموز الهمزة ص ٥٨

العربية . وفي الحقيقة لا يوجد تعليل منطقي لهذا ، ولعله يشير الى تلك العلاقة الفونولوجية بين الهمزة واصوات المد في العربية واللغات السامية . وكتابة الهمزة في العربية تذكرنا بما كان في الكتابة الاوغاريتية ، اذ ان لصوت الهمزة فيها ثلاث اشارات صوتية مختلفة هي أ ـ ئ ء ؤ ، على حين لم يكن للاصوات الاخرى سوى رمز واحد لكل صوت[١٧٨] .

لقد ذهب ابن جني الى أن من حق الهمزة ان تكتب برمز ثابت هو (أ) بيد انها كتبت على مذهب اهل الحجاز في التخفيف ، واوا مرة وياء اخرى[١٧٩] وذهب ابن درستويه الى انه لما وضع الخليل رمز الهمزة لم يستعمله الناس وانما كتبوا الهمزة على صورة اصوات المد الطويلة وصيروا ما وضعه الخليل شكلالها[١٨٠] ، ولعل هذا يفسر ظهور عدة اشكال للهمزة .

٣ ـ ان نظام الشكل بقي على حاله في الساميات ، اي أن اصوات المد القصيرة لا توضع في اثناء الكلمة بل فوق الحروف او تحتها كل رمز حسب مكانه ، غير أن العرب في كتاباتهم قلما استعملوا هذه الرموز ، فكان اهمالهم لها من المشكلات الكتابية التي تعاني العربية منها الى يومنا هذا .

ومن اجل ذلك ظهرت دعاوى تدعو الى نبذ الخط العربي واستبداله بالخط اللاتيني الذي يوفر كتابة اصوات المد في صلب الكلمة ، وهي دعاوى مشبوهة اذ انها تحاول الغاء خط مرتبط بروح الامة ، وتراثها وفنها ، كما ان اصحابه لم ينظروا الى نظام اللغة العربية (الصرفي ـ الدلالي) الذي يعتمد الاصول الصامتة في اداء المعاني[١٨١] .

---

١٧٨ ـ تاريخ علم اللغة /٧٦

١٧٩ ـ سر الصناعة ١/ ٤٦ وانظر كتاب بالكتاب : ملاحظات ص ١٠١ ـ ١٠٢

١٨٠ ـ كتاب الكتاب /٥٨ و ٦٦ وانظر ص ١٠١

١٨١ ـ ينظر في ذلك مقالة الاستاذ حامد عبدالقادر : مقال في الدفاع عن الابجدية والحركات العربية : في مجلة اللغة العربية القاهرة /ج ١٢/١٩٦٠ب ٩٢ .

ويلاحظ ايضا ان اللغات التي تكتب اصوات المد في صلب الكلمات ، تعاني هي ايضا من اختلاف نطق هذه الاصوات في مفرداتها يذكر الاستاذ حامد عبدالقادر في مقالته السابقة أن الحركات الانكليزية مثلا تختلف في النطق من كلمة الى اخرى ، مع أن الرمز يبقى ثابتا من نحو أن الحركة يختلف النطق بها باختلاف الكلمات ، فالنطق بها في Man, Father غير النطق بها في Postman ولها نطق اخر في Warm, Water, War, Waii وقد ينطق بها بصورتين Foreman مختلفتين في كلمة واحدة كما في arabia, area ، وهكذا جميع الحركات الانكليزية .

٤ ـ ان بعض رموز الخط العربي تفسر لنا شيئا من ظواهر صوتية قديمة زالت من عربيتنا الموحدة ، من نحو احتفاظ الخط العربي بصورتين لالف المد ،، هما الالف الطويلة «ا» والالف المقصورة «ى» اذ أن ورود الالف المقصورة في طائفة من الكلمات كـ «يرضى ، رمى ، بكى ، عسى ، موسى ... الخ) قد يفسر لنا أن هذه الالف انما كانت ياء في الاصل ولا سيما اننا سنلاحظ فيما بعد ان التردد بين الالف المقصورة والياء واضح جداً ، من ذلك ورود الفعلين بكى ، واتى بالياء في الصفوية[١٨٢] ومن أن الكلمات التي من قبيل يرضى ، رمى ، بكى كانت تنطق في اللهجات النجدية القديمة بالف مما لة قريبة من الياء ، وكان حمزة والكسائي ، وهما من قراء الكوفة يميلان الكلمات التي تنتهي بألف مقصورة[١٨٣] . ولقد ذهب الاستاذ كانتينو الى انه من المحتمل أن الالف المقصورة انما كانت تستعمل للدلالة على صوت الامالة[١٨٤] ، ولعل ماورد عن لهجة طيء من انها تقول في بقي ورضي ونسي ، واشباهها بقى ورضى ونسى[١٨٥] يفسر لنا أن العربية في طور من اطوارها القديمة قد تحولت عن الياء الى الالف ومن ثم بقيت آثار هذا التحول في كتابة هذه الالف على هيأة رمز الالف المقصورة الذي هو رمز الياء ايضا .

اصوات المدّ في اللهجات البائدة :

من الممكن تقسيم اللهجات العربية البائدة الى قسمين :

الاول : اللهجات التي كتبت بالخط المسند : وهي اللحيانية والثمودية والصفوية ، وتتميز بوجود تأثيرات عربية جنوبية فيها ، كما انها تشارك بعض اللغات السامية كالعبرية والارامية في بعض من قواعدها[١٨٦] ، لكن صلتها بلغتنا العربية

ويذكر الاستاذ Ladefoged في كتابه Acours in phonetics ص ان من مشكلات الكتابة الانكليزية ان هناك اصوات مد في اللغة الانكليزية اكثر من رموزها في الالفباء .

١٨٢ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ٧/ ٢٥٠ وينظر العرب في سوريا /٨٩

١٨٣ ـ النشر ٣٥/٢

١٨٤ ـ دروس في علم اصوات العربية/ ١٦١

١٨٥ ـ اللسان ٨٠/١٤

١٨٦ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ١٤٤/٧ و ١٨٠ .

تبدو اكثر وضوحا ، في النقوش التي وصلت الينا من هذه اللهجات[187] .

الثاني : اللهجات التي كتبت بالخط الآرامي ، وهي النبطية والتدمرية وتتميز باقترابها الشديد من العربية الفصحى وان كانت متأثرة بعض التأثر بالارامية بسبب من السيطرة الثقافية الآرامية في منطقة هاتين اللهجتين .

وسنحاول في هذا المبحث الكلام على اصوات المد في هذه اللهجات بشيء من التفصيل ، من خلال النقوش والكتابات التي وصلت الينا منها غير ان الصعوبة الكبيرة في هذا المجال ، تكمن ايضا في أن هذه اللهجات ما كانت تدون اصوات المد في كتاباتها ، فاقلامها خالية من أي نظام للشكل أو أية علامات تدل على ذلك ، بيد ان من الممكن الوصول الى بعض الحقائق الصوتية المتعلقة بهذه الاصوات من كتاباتها لطائفة من الكلمات المعتلة ، ومن مقارنة هذه المعتلات بمثيلات لها في عربيتنا الفصحى .

١ ـ اللحيانية :[188]

أ ـ وردت في الكتابات اللحيانية كلمة (أوس) مكتوبة (أس) ، ولعل هذا يعني ان صوت المد المركب (من الفتحة القصيرة والواو نصف المد) قد تحول فيها الى صوت مد محض مفرد Single Vowel ولعل نطقها هذا ينطبق على نطقها لكثير من الكلمات التي من هذا القبيل من نحو (موت) و (بيت) .. الخ[189] .

ب ـ ونلاحظ ايضا ان اللحيانية تعامل الاسماء المؤلفة من الاصول الثلاثية المعتلة الآخر ، معاملة الاسماء المؤلفة من اصول صحيحة الآخر مثال : نكو ، وطلي[190] .

---

١٨٧ ـ المصدر السابق ١٨٠/٧ .

١٨٨ ـ اللحيانيون : قوم من العرب ، كانوا يسكنون في شمالي وادي القرى جنوب مدين ، ويبدو أن اصلهم من جنوبي الجزيرة العربية ، بيد أن لهجتهم عربية شمالية (ينظر التاريخ العربي القديم/ نيلسن وآخرون /٤٦ ـ ٤٨

ـ تاريخ الجاهلية/ ٤٦ ، تاريخ العرب قبل الاسلام ١٣٩/٧ ـ ١٨٧) ، وقد عثر على النقوش اللحيانية في شمال الحجاز ، وفي مدائن صالح ، وفي الخربة والعلا وتلعة الحمادي واماكن اخرى مجاورة ، وتبدأ من القرن الرابع قبل الميلاد وتنتهي بالقرن الرابع بعد الميلاد . (ينظر لغات النقوش العربية الشمالية وصلتها باللغة العربية/ د . مراد كامل/ البحوث والمحاضرات/ مؤتمر ١٩٦١ ـ ١٩٦٢/ مجمع اللغة بالقاهرة/ ص ١٨٠ ـ ١٨١) .

١٨٩ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ١٤٣/٧

١٩٠ ـ المصدر السابق ١٦٣/٧ .

اللهجة الثمودية(١٩١) :

أ ــ نلاحظ ان النقوش الثمودية استعملت رموز الالف والواو والياء في بعض الاحيان للتعبير عن اصوات المد الخالصة ، كما في اموت ونور كما في حيث قامت الواو بالتعبير عن صوت المد(١٩٢) ، وعظيم ودين ولي حيث قام رمز الياء بالتعبير عن صوت ياء المد وكما في أتا حيث قام رمز الالف بالتعبير عن الف المد(١٩٤) .

ب ــ نلاحظ ايضاً ان الثموديين كانوا يكتبون الواو والياء في الكلمات التي من قبيل موت وبيت ، ولعل هذا يعني انهم كانوا ينطقون بهذه الكلمات نطق عربيتنا الفصحى اي موت وبيت ، أو نطقا قريباً ممالا يحافظ على ثنائية صوت المد أي Mowt و Bewt (١٩٥) .

٣ ــ اللهجة الصفوية :(١٩٦)

أ ــ نلاحظ ان الكلمات التي هي من قبيل بيت وموت وزيد وجيش وأوس كانت تكتب خالية من رمزي الواو والياء اي على هذه الصورة : بت ، مت زد ، جش(١٩٧) ، وهو أمر قد يعلل ــ كما قلنا ذلك في الكلام على اللحيانية ــ بان هؤلاء العرب كانوا ينطقون بهذه الاصوات اصوات مد خالصة مفردة ممالة ، أو غير

---

١٩١ ــ نسبة الى قوم ثمود ، كانوا قوما اصحاب تجارة ، سكنوا الحجر بين الشام والحجاز ، وتسمية الثمودية تسمية حديثة اطلقت على مجموعة الكتابات المتقاربة التي عثر عليها العلماء في المنطقة ، وتمتد حقبة هذه الكتابات بين القرن الخامس قبل الميلاد الى القرن الرابع بعد الميلاد . ينظر : تاريخ العرب قبل الاسلام ١٨٨/٧ ــ ٢١٨ ، تاريخ الجاهلية /٤٧ .

١٩٢ ــ تاريخ العرب قبل الاسلام ١٩١/٧ ، لغات النقوش العربية الشمالية /١٨٠ .

١٩٣ ــ المصدر السابق نفسه /١٩٢/٧ .

١٩٤ ــ المصدر السابق نفسه ١٤٣/٧ .

١٩٥ ــ المصدر السابق نفسه ١٩١/٧ .

١٩٦ ــ الصفوية مصطلح حديث نسبة الى الصفاة في بلاد الشام ، اطلق على مجوعة الكتابات المتقاربة التي وجد بعضها في هذه المنطقة ، وعلى القوم الذين كتبوها ، وهم قوم عرب ، يبدو أن اصلهم من جنوب الجزيرة العربية وحقبة هذه الكتابات تمتد بين القرن الثاني قبل الميلاد وتنتهي بالثالث بعد الميلاد ينظر لغات النقوش العربية الشمالية /١٨٠ ، العرب في سوريا ٢٣/١ تاريخ العرب قبل الاسلام ٢١٩/٧ ــ ٢٧٠ .

١٩٧ ــ تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٤٠/٧ والعرب في سوريا /ديسو /٨٦ .

ممالة ، ويذهب ديسو Dussaad الى ان حالة التحول مـن الصـوت المركب الى المفرد في مثل هذه الكلمات امر عرفته معظم اللغـات السـامية ، وقـد لوحـظ في الفينيقية والعبرية[١٩٨] .

ب ـ تأتي الافعال الماضية المعتلة الآخر من قبيل بكى ونجا وأتى ورعى وبنى في الكتابات الصفوية مكتوبة بالياء[١٩٩] ، ويرى الاسـتاذ انوليتمـان ان الصـفويين كانوا ينطقون هذه الافعال بالياء السـاكنة ، اذ انهـم (لو كانوا ينطقـون بهـذا الحرف الفا لأسقطوه من الكتابة ولما اثبتوا الياء ولقـالوا : أت لأتى ورع لرعي وهكذا . فمن عادة الصفويين اسقاط الالف الممدودة من نهاية الكلمات)[٢٠٠] وقـد استند في فيما توصل اليه الى ماورد من هذه الكلمات مكتوبا بحروف يونانية[٢٠١] ، ومن الممكن ان يكون هؤلاء الصفويون ينطقون بهذه الافعال نطقنا للافعال التي من قبيل نسي ورضي وبقي[٢٠٢] ، او نطقا مما لا /ومن الممكن ايضا أن تكون طـائفة الافعال الماضية التي تنتهي بالالف المقصورة في عربيتنا قد تطـورت عن النطـق بالياء الى النطق بالالف وهو قانون بقي سـاريا في احـدى اللهجـات العـربية القديمة ، هي لهجة طيء على حين توقف عن عمله في العربية الادبية فنجد افعالا من نحو رضي وبقي ومشي ونسي تستمر في التطور في لهجة طيء فتتحول الى رضى وبقى ومشى ونسى[٢٠٣] وهو امر سنتحدث عنه في مكانه .

جـ ـ يذهب انوليتمان ايضا الى ان هذه الافعـال المعتلة الآخـر بالياء اذا دخلت على لفظة اخرى ليتكون من اللفظتين اسم مركب ، فان هذه الياء تتحول الى الف ممدودة من نحو قولهم مشال في مشي إل[٢٠٤] .

د ـ اسم الفاعل من المعتل الوسط في العربية تتحول فيه العين المعتلة الى همزة ، فيقولون في سار : سائر ومن قال : قائل ، ويبدو أن الصفويين كانوا يسيرون على هذا المنوال اذ انهم كتبوا سائر هكذا «س أ ر» بالهمزة مما يوضح ان نطقهم كان مطابقا للنطق العربي في هذا المجال[٢٠٥] .

---

١٩٨ ـ العرب في سوريا/ ٨٦ ـ ٨٧ .

١٩٩ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ٧/ ٢٥٠ .

٢٠٠ ـ المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

٢٠١ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ٧/ ٢٥٠ .

٢٠٢ ـ انظر : Ancient West- Aradian, P. 161

٢٠٣ ـ اللسان ١٤/ ٨٠ .

٢٠٤ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ٧/ ٢٥٠

٢٠٥ ـ العرب في سوريا /٨٨ .

٤ ـ النبطية[٢٠٦] :

أ ـ نلاحظ ان النبطية قد استعملت في بعض الاحيان رموز الالف والواو والياء للتعبير عن اصوات المد الطويلة[٢٠٧] ، وهو امر تحدثنا عنه في كلامنا على تاريخ اصوات المد في الخط العربي ، الا انهم لم يكونوا يرمزون لالف المد ، الا اذا وقعت آخراً[٢٠٨] ، ولعل ذلك حصل مصادفة ، اذ انه يبدو ان هذه الالف المتطرفة كانت في الاصل همزة ثم ضعفت لتطرفها ضعفا شديداً تطورت فيه الى صوت الف مدّ .

ب ـ ان طريقة التصغير في النبطية تماثل طريقة العربية الادبية ، اذ ان هذا التصغير يكون باضافة ياء ساكنة بعد ثاني حرف من الكلمة مثل مليكت من ملكت وكليب من كلب[٢٠٩] غير اننا لا نستطيع أن نعرف اصوات المد القصيرة التي تصاحب ادخال الياء في الكلمة بسبب من عدم وجود علامات للشكل في الكتابات النبطية كما سبق أن قلنا ، غير ان من المرجح أنها قريبة مما في العربية الفصحى .

جـ ـ النسبة في النبطية تكون بالحاق الياء في آخر الاسم ، فاذا اردنا أن نقول رجل من تيمن (تيمان) قلنا تيمني ، واذا نسبنا الى الحارث قلنا : حرثي (او حارثي) وهو امر قد يتطلب ان يكسروا ما قبل هذه الياء من نحو ما في العربية المناسبة[٢١٠] .

د ـ نلاحظ ان الانباط يكتبون بيت خالية من رمز الياء ، ولعل هذا يعني ما ذهبنا اليه في الكلام على اللهجات البائدة من انها تميل الى النطق بهذه الياء مدا خالصا[٢١١] .

---

٢٠٦ ـ الانباط : قوم من العرب كانوا في المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة العرب اخبارهم مستمدة من مؤلفات المؤرخ يوسفوس ومن النقوش التي كتبوها هم وقد عرفت مملكة النبط من القرن الثالث قبل الميلاد وازدهرت بين القرنين الاول قبل الميلاد والاول بعد الميلاد .
ينظر تاريخ الادب السرياني /٨ ، تاريخ العرب قبل الاسلام ٣/٥ و ٧/٢٧١ ـ ٣٢٥ .

٢٠٧ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ٧/٢٧٢ ، ٢٩١ .

٢٠٨ ـ دروس في علم اصوات العربية/ ١٥٠ .

٢٠٩ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ٧/٣٠٦ .

٢١٠ ـ المصدر السابق ٧/٣١٤

٢١١ ـ المصدر السابق نفسه ٧/٢٨٥ .

ان اللهجة التدمرية قريبة الشبه في خصائصها من اللهجة النبطية وتقابلنا في دراستها الصعوبات نفسها التي تقابلنا في دراسة اللهجة النبطية[٢١٢] وعلى أية حال فان امر اصوات المد في اللهجات العربية البائدة غير واضح تماما لكوننا لا نملك الدلائل الكافية لاعطاء رأي دقيق فيها ، وكل ما يمكن أن يقال في هذا المجال ان الآراء في ذلك اقرب الى الظن والتخمين منها الى الحقيقة التاريخية ، وهو أمر سيزول في دراسة اصوات المد في اللهجات العربية القديمة ، اذ أن النحاة واللغويين العرب قد سجلوا ملاحظاتهم الجليلة في هذا الميدان ، ولقد احتفظت كتب اللغة والتفسير والادب بكثير من هذه الملاحظات يزاد على ذلك ان القراءات تمثل مادة جيدة لدراسة الواقع اللغوي والصوتي في هذه اللهجات في حقبة متقدمة من تاريخ اللغة العربية .

ان اهمية دراسة خصائص هذه اللهجات عامة تتبع من تأثيرها القوي في العربية الموحدة ، بل ان هذه العربية الموحدة على ما احسب انما نشأت نتيجة لتجانس هذه اللهجات وتداخلها[٢١٣] ، فجاءت هذه العربية آخذة بطرف من خصائص كل لهجة ، ومن اجل ذلك ما يكون للباحث أن يغض الطرف في دراسة أي ظاهرة من الظواهر المتعلقة بهذه اللغة عن جذور هذه الظاهرة في اللهجات العربية القديمة .

اللهجات العربية القديمة :

يمكن تقسيم اللهجات العربية القديمة الى قسمين رئيسين هما[٢١٤] :

---

٢١٢ ــ التدمريون ، وهم قوم من العرب كانوا مستعمرين من قبل الآراميين ، وكانوا متصلين ايضا بالرومان واليونان ، عاشوا في الحقبة (١٠٠ق . م ــ ٣٧٣ب . م) ، تاريخ الادب السرياني/٧ ، تاريخ العرب قبل الاسلام ٣٢٦/٧ ــ ٣٤٨ .

٢١٣ ــ انظر لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة /الصفحات ٣٨ ــ ٣٩ ، ٥٤ ، ٥٦ .

٢١٤ ــ ينظر بوجه عام كتاب سيبويه ، اذ اورد كثيراً من الحالات الاعرابية واللغوية ومقارنات بين الكتلتين ، الصفحات ٢٨/١ ، ٣٦ ، ٧٣ ، ١١٤ . ٢/ ١٦١ ٢٥٥ ، ٢٥٦ ... الخ .

وينظر منهج الدكتور رابين Rabin في كتابة Ancient West- Arabian في تقسيمه اللهجات العربية القديمة الى كتلة شرقية وكتلة غربية ، وقد حاول ــ

ــ ابراز ظواهر الكتلة الغربية الصوتية واللغوية بمقارنتها بظواهر الكتلة الشرقية وابرز مثال لذلك دراسته لاصوات المد في الكتلة الغربية من ص ٩٧ ــ ١٢٤ وينظر ايضا بعض الآراء في

١ ـ اللهجات الشرقية، وهي لهجات مناطق نجد وشرق الجزيرة العربية واهم هذه اللهجات واكبرها لهجة تميم، القبيلة العربية المعروفة[٢١٥]، وتنتظم هذه المجموعة لهجات أسد وقيس وربيعة ايضا[٢١٦].

٢ ـ اللهجات الغربية، وهي لهجات اهل الحجاز واهمها لهجة مكة تنتظم ايضا لهجات المدينة وهذيل وخزاعة وكنانة[٢١٧].

غير ان علينا ان نلاحظ انه ليس من الممكن فصل هذه اللهجات بعضها عن البعض الآخر فصلا تاما، اذ ان بعض القبائل متوزعة على حدود هذه الخريطة اللغوية مما يجعل تأثيرات كل من لهجات المجموعتين عاملة بعضها في البعض الآخر[٢١٨]. ومن اجل ذلك نجد ان كثيراً من خصائص هذه اللهجات تتداخل فيما بينها، أو أن لهجة من اللهجات النجدية تميل الى حيث تميل اللهجات الحجازية، أو العكس.. لقد جعل هذا الامر دراسة خصائص اصوات المد في كل لهجة على حدة أمرا ليس له ما يسوغه من الناحية العلمية، اذ ان الظواهر ستكرر، فكان على الباحث اذن أن يدرس جملة خصائص أصوات المد في اللهجات القديمة عامة، مشيراً الى اللهجات التي تميل الى تلك الظاهرة أو التي لا تميل اليها، لان الامر لا يتعلق بهذه اللهجات قدر تعلقه بطبيعة اصوات المد في اللغة العربية وبيان مراحلها التاريخية[٢١٩].

١ ـ تناوب اصوات المد في اللهجات القديمة:

أول ما يلاحظ في هذه اللهجات عامة تناوب اصوات المد القصيرة في طائفة من المفردات في لهجة بالضم، وفي لهجة اخرى بالكسر، أو الفتح وهلم جرا.

هذا التقسيم ص ١ من الكتاب المذكور.

وينظر كتاب اللهجات العربية في التراث للدكتور احمد علم الدين الجندي في الحديث عن هذا المنهج، ورده عليه.

٢١٥ ـ ينظر لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة، عامة.

٢١٦ ـ ينظر شرح المفصل ٢/٢٥٢ والبحر المحيط ١/٦١ في النظر الى لهجات هذه القبائل.

٢١٧ ـ ينظر كتاب Ancient West Arabian: Rabin بوجه عام وينظر ايضا البحر المحيط ١/٦٠ في النظر الى هذه اللهجات.

٢١٨ ـ اللهجات العربية في التراث/ ٣٢ ـ ٣٧.

٢١٩ ـ انظر: Ancient West- Arabian P. 100- 102

الكسرة مقابل الفتحة :

من نلك :

١ ـ الوِتر بكسر الواو : الفرد ، والوتَر بالفتح الزحل . هذه لغة اهل العالية ، واما لغة اهل الحجاز فبالضد منهم ، واما لغة تميم فبالكسر فيهما[٢٢١] .

٢ ـ قالت تميم الحج بكسر الحاء وقال غيرهم بالفتح[٢٢٢] .

٣ ـ تميم تقول ضِباري بكسر الضاد وبالياء وغيرهم بفتح الضاد والالف المقصورة[٢٢٣] .

٤ ـ الرضاعة وهي في كل شيء مفتوحة الراء وبعض بني تميم يكسرها[٢٢٥] .

٥ ـ شرَب بالفتح لغة اكثر اهل نجد وبنو سعد من تميم يقولون نلك بالكسر .

٦ ـ تميم تقول الكِثرة بكسر الكاف وغيرهم بالفتح[٢٢٦] .

٧ ـ نَعجة بفتح النون وبكسرها لغة لبعض تميم[٢٢٧] .

٨ ـ تميم تقول تِمام بالكسر واهل الحجاز يقولون نلك بالفتح[٢٢٨] .

٩ ـ صارعته فصرعته صرَعا وصرعا ، الفتح لتميم والكسر لقيس[٢٢٩] .

١٠ ـ تميم تقول عَجلزة بالفتح وقيس تقول نلك بالكسر[٢٣٠] .

١١ ـ الحصَاد بالفتح لغة تميم وبالكسر لغة اهل الحجاز[٢٣١] .

---

٢٢٠ ـ

٢٢١ ـ الصحاح ٨٤٢/٢ امالي القالي ١٣/١ المزهر ٢٧٧/٢ .

٢٢٢ ـ المزهر ٢٧٦/٢ ، البحر المحيط ١٠/٣ بالكسر لغة نجد .

٢٢٣ ـ التكملة ٨١/٣ .

٢٢٤ ـ معاني القرآن/ الاخفش ٧٦/ ١

٢٢٥ ـ زاد المسير ١٤٥/٨ .

٢٢٦ ـ البحر المحيط ٢٤/٥ .

٢٢٧ ـ المخصص ٣٤/١٤ امالي القالي ٢١٤/٢ .

٢٢٨ ـ الازمنة والامكنة ٣٢٩/١ المزهر ٢٧٧/٢ .

٢٢٩ ـ اصلاح المنطق/ ٣١ الصحاح ١٢٤٢/٣ .

٢٣٠ ـ المخصص ٨٤/١٥ اصلاح المنطق/ ١٠٣ اللسان ٣٧٣/٥ .

٢٣١ ـ المزهر ٢٧٦/٢ البحر المحيط ٢٣٤/٤ .

الضمة مقابل الكسرة :

من ذلك :

١ ـ اسم الشيء بالكسر هي اللغة المشهورة والضم لغة عمرو بن تميم[٢٣٢] .

٢ ـ الرجز بضم الراء لغة الصعدات من تميم ولغة غيرهم بالكسر[٢٣٣] .

٣ ـ قبل بضم القاف لغة تميم وبالكسر لغة كنانة[٢٣٤] .

٤ ـ زعم بالضم لغة تميم والكسر لغة بعض بني قيس ومثلها فتك وود[٢٣٥] .

٥ ـ غلطة ورُفقة ورُحلة لغة تميم فيها بالضم ولغة غيرهم فيها بالكسر أو الفتح[٢٣٦] .

٦ ـ اهل الحجاز يقولون إسوة وقِدوة بالكسر وتميم تقول ذلك بالضم[٢٣٧] .

٧ ـ تميم تقول صُنوان ورُضوان بالضم ، واهل الحجاز يقولون ذلك بالكسر[٢٣٨] .

٨ ـ تميم تقول القثاء بالضم ، واهل الحجاز بكسر القاف[٢٣٩] .

الضمة مقابل الفتحة :

من ذلك :

١ ـ فواق بضم الفاء لغة تميم واسد وقيس واهل الحجاز يفتحون[٢٤٠] .

٢ ـ تميم تقول عُشوة وعُدوة بالضم ، واهل الحجاز يفتحون[٢٤١] .

٣ ـ زعم بالضم لغة تميم والفتح لغة اهل الحجاز[٢٤٢] .

---

٢٣٢ ـ التاج ١٨٣/١٠ .

٢٣٣ ـ البحر المحيط ٢١٨/١ .

٢٣٤ ـ ماورد في القرآن من لغات القبائل ـ هامش تفسير الجلالين ١٣٧/١ .

٢٣٥ ـ التهذيب ١٥٨/٢ التاج ٣٢٤/٨ التبيان ٢٨٤/٤ .

٢٣٦ ـ اصلاح المنطق ١١٥/ .

٢٣٧ ـ المزهر ٢٧٧/٢ زاد المسير ٣٦٧/٦ .

٢٣٨ ـ التبيان ٤١٣/٢ زاد المسير ٣٦٠/١ البحر المحيط ٣٥٧/٥

٢٣٩ ـ زاد المسير ٨٨/١ .

٢٤٠ ـ الاتحاف ٢١٧/ ؟

٢٤١ ـ المزهر ٢٧٧/٢ .

٢٤٢ ـ التهذيب ١٥٨/٢ التاج ٣٢٤/٨ التبيان ٢٨٤/٤

٤ ـ قُرح بالفتح لغة اهل الحجاز وبالضم لغة بني تميم[٢٤٣] .

٥ ـ ثمرة بالضم لغة تميم ، وبالفتح لغة كنانة[٢٤٤] .

٦ ـ الرُفغ لغة اهل العالية والحجاز بالضم ، والفتح لغة تميم[٢٤٥] .

٧ ـ ضَعف بالفتح لغة تميم ، وبالضم لغة غيرهم[٢٤٦] .

٨ ـ السم والشهد ، اهل العالية بالضم وتميم بالفتح[٢٤٧] .

٩ ـ لغة أسد تُذنوب بضم التاء ، ولغة تميم بفتح التاء[٢٤٨] .

١٠ ـ تميم تقول سَكارى وكَسالى وغَيارى بفتح الفاء فيها كلها واهل الحجاز بالضم[٢٤٩] .

١١ ـ تميم تقول ميسرَة بفتح السين وكذا مقبَرة ومشرفَة ومسَربة ومفعلَة بفتح العين واهل الحجاز يضمون[٢٥٠] .

ان ظاهرة تناوب اصوات المد ظاهرة واضحة في العربية الموحدة ونلحظ ان هذه الظاهرة امتدت الى الواو والياء في حالتي المد الخالص ، ونصف المد ، وهو ما اطلق عليه ظاهرة (المعاقبة) نحو قولهم : (حكوت وحكيت مقوت مقوا ومقيت مقيا ، النثي والنثو ، يقال نثوت ونثيت ، القلو والقلي دهياء ودهواء ، قنية وقنوة وقد قنوت المال وقنيته ، الحزو والحزى ، نقاوة ونقاية ، عزوته وعزيته ، حثوت التراب حثوا وحثيته حثياً فهو محثي ومحثو)[٢٥١] .

بل نلحظ تناوبا قويا بين الالف والواو من نحو (اجاد في كلامه واجود اللحياني : احاش على الصيد احاشة واحوشه أحواشا أي حاشة ، وقد اطال حمائل سيفه واطولها وقالوا هؤلاء قوم قافه وقوفه جمع قائف ، ويقال قد جهلت المرأة توحم وتاحم اذا اشتهت في حبلها شيئا وقد أقال فلان فلانا مالم يقل

---

٢٤٣ ـ اللغات في القرآن /٢١ ماورد في القرآن من لغات القبائل ٦٩/١

٢٤٤ ـ اللغات في القرآن /٢٤ ماورد في القرآن من لغات القبائل ١٣٦/١ .

٢٤٥ ـ المخصص ١٥/ ٧٦ التاج ١٣/٦ .

٢٤٦ ـ زاد المسير ٣٧٨/٣ الجامع لاحكام القرآن ٤٦/١٤ البحر المحيط ٤/ ٥١٧ ـ ٥١٨ . اصلاح المنطق /٩ المخصص ٧٦/١٥ التاج ٣٤٦/٨ .

٢٤٨ ـ التهذيب ١٤/ ٤٤٠ اللسان ٣٩٠/١ .

٢٤٩ ـ اصلاح المنطق/ ١٣٢ .

٢٥٠ ـ البحر المحيط ٣٤٠/٢ .

٢٥١ ـ الابدال لابي الطيب ٤٩٤/٢ ـ ٤٩٦ .

واقوله مالم يقل اي ادي عليه انه قاله .....)[٢٥٢] .

ان هذا التناوب قد يوضح أن اصوات المد في العربية في طائفة من الحـــالات لا تستقل فونيميا بعضـــها عن البعض الاخـــر ، ويبدو أن هـــذه الحـــالات كانت في الاصل صوراً من نطق اللهجات العربية القديمة لمفردات بعينها ، كما هو واضـــح فيما سبق .

غير ان علينا أن نوضح حقيقة معينة في هذا المجال ، هي أن هـــذا التناوب غير خاضع للقياس ، اذ اننا سنجابه في كثير من الاحيان بتغير المعنى من جراء ذلك ، وقد يكون هذا التغير كليا ، كما في ظاهرة المثلثات .

بعبارة اخرى يمكن القول ان كثرة التناوب بين اصوات المد انما نشـــأت مـــن جراء دخول مستويات اللهجات العربية القـــديمة في العـــربية الموحـــدة لكن ثمـــة تفسيرا اخر قدمه الاستاذ براجستراسر يرى فيه أن من الجائز أن يكون التناوب قد نشأ من كون اللغات السامية قد نظرت في حقبة ما الى الضـــمة والكسرة على انهما يمثلان صوتا واحداً[٢٥٣] (اوفونيما واحداً) ، أو أن هذين الصـــوتين كانا في الاصل صوتا واحداً ، وهو رأى وان كان يسنده ما نلاحظ من وجود تناوب قوي بين هذين الصوتين في اللغات السامية عامة ، ومن تلك القربى (التشريحية) بين الصوتين[٢٥٤] لكنه لا يستطيع أن يفسر لنا مثلا هذا التناوب بين الالف والواو ، او بين الالف والياء .

ان هذا التناوب يرجع كمـــا قلت ذلك ســـابقا الى تلك القـــرابة بين الاصـــوات الثلاثة من الناحية الصوتية وهو ما اشرت اليه في الفصل الاول من تقـــارب عدد الذبابات بين هذه الاصوات الثلاثة تقاربا شديداً مما قد يجعل وقعهـــا على اذن السامع واحداً في بعض الظروف ، هذا الى جـــانب عدم اســـتقرارها ، وقـــدرتها العالية على التغير[٢٥٥] فكان أن اختلفت اللغات السامية واللهجات العربية في ترديد هذه الاصوات فيما بينها ، فما كان بالضم في لغة قد يكون بالكسر او الفتح في لغة اخرى او ما كان بالضم في لغة قد يكون بالكسر او الفتح في لغة اخرى او ما كان

---

٢٥٢ ـ الابدال /ابو الطيب ٢/٥٢٠ ـ ٥٢١ وانظر الصفحات ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ٥٢٥ ، ٥٢٦ في امثلة من هذا القبيل .

٢٥٣ ـ التطور النحوي ٣٤ ـ ٣٦ وانظر لهجة البدو في اقليم ساحل مريوط/ لعبد العزيز مـــطر ٦٦

٢٥٤ ـ ينظر الفصل الاول في دراسة اصوات المد من قبل الوضع التشريحي لجهاز النطق .

٢٥٥ ـ ينظر الفصل الاول من هذا الكتاب : الابدال والتناوب في اصوات المد .

بالضم في لهجة قد يكون مفتوحا او مكسورا في لهجة اخرى .

أن التناوب بين اصوات المد لا يوضح طبيعة تعامل اصوات في اللهجات العربية القديمة ، ولا يعطي صورة واضحة لميل أية لهجة منها الى صوت مد معين ومن اجل ذلك ينبغي لنا دراسة الخصائص الصوتية المتعلقة باصوات المد في هذه اللهجات عامة ، ولعل الدارس سيلاحظ ان الاختلاف الاساسي بين هذه اللهجات انما هو ميلها الى اصوات مد بعينها او الى طرائق معنية لتعامل هذه الاصوات في كل لهجة منها ، غير اننا سنجد انه ليس من الممكن هنا دراسة ظواهر اصوات المد في كل لهجة من هذه اللهجات الا بمقارنة اصوات المد فيها باصوات المد في لهجة اخرى وعلى اية حال سأحاول هنا دراسة خصائص كلتا الكتلتين الشرقية والغربية بوساطة المقارنة بين احوال اصوات المد في كلتيهما .

اصوات مد لهجية :

عرفت مجموعة اللهجات العربية القديمة اصوات المد العربية الاساسية وهي الفتحة والكسرة والضمة لكنها عرفت ايضا اصوات مد فرعية اخرى ، لم تعرفها العربية الموحدة ، او انها عرفتها ، ثم لم تستسغ استعمالها فكان أن اهملتها وهذه الاصوات هي الامالة والتفخيم والروم والاشمام .

قلت ان هذه الاصوات انما هي اصوات فرعية بسبب من انها نشأت من جراء تعامل اصوات المد العربية الاساسية فيما بينها في هذه اللهجات ، ولم تستقل هذه الاصوات يوما ما لتعبر عن قيم فونيمية خاصة بها بل بقيت صورة نطقية حسب ، تميز لهجة من لهجة اخرى من غير أن تثير اشكالا دلاليا أو صرفيا ، وهذه الاصوات هي :

الامالة :

عرّفت الامالة بانها : عدول بالالف عن استوائه وضوح به الى الياء ، فيصير مخرجه بين مخرج الالف المفخمة ومخرج الياء ، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الامالة ، وبحسب بعدها تكون خفتها[٢٥٦] .

---

٢٥٦ ـ شرح المفصل ١٢٥٢/٢

ويمكننا من خلال هذا أن نستنتج ما يأتي :

١ ـ أن الامالة في حقيقتها ليست الا صورة من صور نطق الالف ، أو صورة من صور نطق الفتحة ، ولا تحمل اية قيمة فونيمية خاصة بها .

٢ ـ ان درجة امالة الالف تختلف من سياق الى اخر شدة وخفة ، لكننا على اية حال نستطيع تحديد درجتين اساسيتين من درجات الامالة :

أ ـ امالة قصيرة : نشأت نتيجة النحو بالفتحة نحو الكسرة ، ومن الممكن أن نرمز لها هنا بالرمز (e) وذلك من نحو الامالة في من الضرر ، ومن الكبر ومن الصغر ، ومن المحاذر[٢٥٧] .

ب ـ امالة طويلة : نشأت نتيجة النحو بالالف نحو الياء ، ومن الممكن ان يرمز لها بالرمز e .

وقد عرف المحدثون صوت الامالة بأنه صوت مدّ (يحدث من ارتفاع مقدم اللسان نحو منطقة الغار ، ارتفاعا يزيد على ارتفاعه مع الفتحة المرققة ويقل عن ارتفاعه مع الكسرة ، ويكون وضع الشفتين مع الامالة وضع انفراج الا انه دون الانفراج الذي يكون مع الكسرة)[٢٥٨] .

ومن المرجح أن هذا الصوت كان اقرب الى الالف منه الى الياء ، بدليل انه الف في الاصل في كثير من الامثلة ، من نحو امثلة سيبويه التي سيرد ذكرها ثم تعبيره عن قيمة فونيمية خاصة بالالف ، ولعل هذا يعني انه قريب في وضعه التشريحي من الصوت المعياري رقم «٣» الذي وصف بانه نصف واسع Half Opened

لقد عزيت الامالة الى طائفة اللهجات النجدية من تميم وقيس وأسد[٢٥٩] مقابل ميل اهل الحجاز الى الفتح والتفخيم[٢٦٠] .

بيد أن علينا أن نلاحظ ان اللهجات ما كانت تنطق بالامالة في كل الاحوال بل في حالات سياقية معينة ، فأمالة الفتحة الى الكسرة مثلا جاءت كلها في كلمات تشتمل على صوت الراء المكسور ، مما يعني أن لذلك الامر صلة بالامالة ولقد فسر اللغويون العرب ذلك بأن صوت الراء المكسور يبدو كأنه «حرفان

---

٢٥٧ ـ نفس المصدر السابق /١٢٦٥

٢٥٨ ـ المحيط/ محمد الانطاكي ٤٢/١

٢٥٩ ـ شرح المفصل /١٢٥٢

٢٦٠ ـ المصدر السابق/ ١٢٥٢

مكسوران»[٢٦١] ، لان الراء حرف تكرير فاذا انطلقت به خرج كأنه متضاعف ... فاذا كان مفتوحا ، او مضموما منعت امالة الحرف نحو قولك هذا راشد ، فلم يميلوا ، واجروا مجرى المستعلى لما ذكرناه ولانهم لما نطقوا كأنهم تكلموا برائين مفتوحتين فقويت على نصب الالف وصارت بمنزلة القاف فهي في منع الامالة اقوى من غيرها من الحروف ، ودون المستعلية في ذلك ، فاذا كانت مكسورة فهي تقوى الامالة اكثر من قوة غيرها من الحروف المكسورة لان الكسرة تتضاعف فهي من اسباب الامالة)[٢٦٢] .

اما امالة الالف نحو الياء ، فقد جاءت في حالات سياقية معينة حددها سيبويه بالحالات الاتية :

١ ـ تمال الالف اذا كان بعدها حرف مكسور ، وذلك قولك : عابد ، وعالم ومساجد ، ومفاتيح وهابيل[٢٦٣] .

٢ ـ واذا كان بين الحرف المكسور وبين الالف حرف متحرك نحو عماد[٢٦٤] وبها وبنا وفي مضربها[٢٦٥] .

٣ ـ واذا كان بين أول حرف مكسور من الكلمة وبين الالف حرفان الاول ساكن نحو سربال وشملال[٢٦٦] .

٤ ـ واذا كان بين الحرف المكسور وبين الالف حرفان الاول منهما مفتوح والثاني هاء خفيفة نحو يريد أن ينزعها ، ويريد أن يضربها[٢٦٧] .

٥ ـ وتمال الالف اذا كان قبلها حرف مفتوح قبله ياء نحو يريد ان يكيلها[٢٦٨] وهي حالات يبدو فيها أن هذه الامالة جاءت بسبب سياقي[٢٦٩] وهو وجود

---

٢٦١ ـ شرح المفصل ١٢٦١/ ـ ١٢٦٢

٢٦٣ ـ الكتاب ٢٥٩/٢

٢٦٤ ـ المصدر السابق ٢٥٩/٢

٢٦٥ ـ المصدر السابق ٢٦٢/٢

٢٦٦ ـ المصدر السابق ٢٥٩/٢

٢٦٧ ـ المصدر السابق ٢٦٢/٢

٢٦٨ ـ المصدر السابق ٢٦٢/٢

٢٦٩ ـ للاستزادة انظر المقتضب ٤٢/٣ والاشموني ٧٦٢/٣ وشرح التصريح ٣٤٧/٢ ٣٤٨ والاشباه والنظائر ١٣٤/٢ واسباب الامالة عندهم كون الالف مبدلة من ياء متطرفة او من عين فعل يؤول عند اسناده الى الياء ، أو أن الالف واقعة قبل الياء او بعدها من غير حاجز ، او وقع الالف بعد كسرة ، والموضح ٣/ب يرى الداني انه (لا يجوز أن يمال الا عند وجود سبب يدعو الى امالته كالياء او الكسرة) .

الكسرة في سياق الكلمة ، وليس مهما أن تكون قبل الالف كما في عماد وسربال أو بعده كما في عايد وهابيل ، وهذا يعني أن نطق الالف بهذه الصورة ، وفي هذه الاحوال انما كان للانسجام بين الاصوات ، ولقد علل سيبويه ذلك (بانهم امالوا الكسرة التي بعد الالف ، ارادوا ان يقربوها منها)[٢٧٠] وفسر خالد الازهرى ذلك بأن الامالة انما كانت من اجل (تناسب الاصوات وصيرورتها من نمط واحد ، وبيان ذلك انك ، اذا قلت عابد كان لفظك بالفتحة والالف تصعدا واستعلاء ، فاذا عدت الى الكسرة كان انحداراً وتسفلا فيكون في الصوت بعض اختلاف ، فاذا املت الالف قرب من الياء ، وامتزج بالفتحة طرف من الكسرة فتقارب الكسرة الواقعة بعد الالف وتصير الاصوات من نمط واحد)[٢٧١] وهذا امر يوضح أن الامالة انما جاءت لضرب من المماثلة بين اصوات المد ، اذ أن الشرط الرئيس في هذه الامالة وجود الكسرة في الكلمة .

غير أن ثمة حالات اخرى من الامالة لم تشترط وجود الكسرة في الكلمة ، من ذلك ما ذكر من أن الامالة تكون في بعض اللهجات في (كل شيء من بنات الياء ، والواو كانت عينه مفتوحة)[٢٧٢] ، ويعلل سيبويه هذا في انه ما كان من بنات الواو فأمالوها لغلبة الياء على هذه اللام)[٢٧٣] ، وذكر ايضا انها تكون في نحو غزا ودعا وهي افعال واوية ثم اضطروا الى تعليل ذلك بالركون الى صيغة المبنى للمجهول من نحو غزى او صيغ المزيد نحو اغزى لوجود الياء فيها[٢٧٤] وذكر ابن يعيش ان الالف تمال (ان كانت في فعل كطاب وخاف ... ولم ينظر الى ما انقلبت عنه)[٢٧٥] ، ولقد ذهب سيبويه قبله الى جواز امالة خاف[٢٧٦] بالرغم من وجود الخاء وهي من الاصوات المانعة للامالة كما سنبين بعد قليل ولعل الامالة كانت في هذه المواضع لاسباب تتعلق بالنبر ، فلقد ذكر الاستاذ بروكلمان ان جنوح الالف والفتحة في الاشورية الى الامالة بتأثير اصوات المد المجاورة ، انما كان بتأثير النبر في ذلك

---

٢٧٠ ـ الكتاب/ ٢٥٩

٢٧١ ـ شرح التصريح ٣٤٦/٢

٢٧٢ ـ الكتاب ٢٦٠/٢

٢٧٣ ـ المصدر السابق ٢٦٠/٢

٢٧٤ ـ الكتاب ٢٦٠/٢

٢٧٥ ـ شرح المفصل ٢/ ١٢٥٧

٢٧٦ ـ الكتاب ٢٦٠/٢

الموضع[٢٧٧] .

وعلى اية حال ، فان كثرة هذه الحالات تفسر مدى انتشار الامالة في اللهجات العربية القديمة وقوتها ، ولقد ذهب ابن يعيش الى أن (الامالة اكثر كلام العرب)[٢٧٨] وهو أمر يكاد يكون دقيقا في التعبير عن حقيقة خريطة الامالة ، اذ نلاحظ ان هذه الامالة قد وصلت الى طائفة من الحجازيين فقد ذكر (ومنهم من لم يمل الا في مواضع قليلة وهم أهل الحجاز)[٢٧٩] ، كما ان انتشار هذه الامالة في غير الحالات الاساسية التي ذكرها سيبويه توضح أن هذه الامالة تحتل معظم مكان الالف في نطق اللهجات القديمة ، وما كانت قاصرة على سياقات معينة مشروطة وانما قد خرجت الى غيرها من السياقات ، لدرجة جعلت سيبويه نفسه يرى أن من الصعوبة وضع قوانين صوتية محددة لظاهرة الامالة ذلك (انه ليس كل من امال الالفات وافق غيره من العرب ممن يميل ، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه[٢٨٠] .

ولا نستطيع تحديد تأريخ الامالة في هذه اللهجات بدقة ، لكننا نستطيع ان نشير الى ان اللغات السامية كلها تقريبا عرفت الامالة ؟؟ انها ظاهرة عربية قديمة اذا انها لوحظت في الاسماء العربية التي كتبت بحروف يونانية في طائفة من النقوش القديمة[٢٨١] ، كما انه ليس من المستبعد ان يكون رمز الالف المقصورة في خط عربيتنا مما يشير الى صوت الف ممالة في بعض الحقب[٢٨٢] فلقد كان حمزة والكسائي يميلان الكلمات التي تنتهي بالف مقصورة[٢٨٣] يزاد على ذلك ان الافعال والاسماء التي تكتب بهذه الالف المقصورة كانت تنطق في طائفة من اللهجات العربية القديمة الفا ممالة من نحو رمى وقضى وسعى في الفعل وفتى ورحى في الاسم[٢٨٤] ، وهو أمر يذكرنا بما لاحظناه في بعض اللهجات البائدة من

---

٢٧٧ ـ فقه اللغات السامية/ ٦٥

٢٧٨ ـ شرح المفصل ١٢٦٣/٢

٢٧٩ ـ الهمع ٢٠٠/٢

٢٨٠ ـ الكتاب ٢٦٣/٢

٢٨١ ـ دروس في علم اصوات العربية/ ١٥٩

٢٨٢ ـ لطائف الاشارات ٨١/١ وينظر دروس في علم اصوات العربية/ ١٦١

٢٨٣ ـ النشر/٣٥/٢

٢٨٤ ـ شرح المفصل ١٢٥٦/٢

انها تكتب الافعال التي من قبيل بكى واتى برمز الياء ، مما يجعلنا نتصور انهم انما كانوا ينطقون هذه الافعال اما بالياء ، واما بالامـالة ، فهـل يعني هـذا أن الامالة كانت يوما ما صوتا مستقلا عن غيره من اصوات المد في العربية ؟ اي هل كانت العربية قد احتفظت الى حقبة متأخـرة بذلك الصـوت الرابع الذي تشـير طائفة من الباحثين الى انه كان احـد اصـوات المد الاسـاسية في اللغـات السامية[٢٨٥] ، ثم فقد بعد ذلك قيمته الفونيمية ، وصار صورة نطقيه Allephone حسب .

لقد ذهب برجستراسر الى ذلك في تفسيره وجـود الامـالة في بعض اللهجـات العربية القديمة ، اذ رأى أن الامالة فيها انما كانت بقية مـن آثار ذلك الصـوت الرابع الموجود في اللغة السامية القديمة[٢٨٦] .

غير أن علينا أن نحترز في الذهاب الى ذلك فيما أوردناه مـن امثلة الامـالة في العربية ، ولا سيما تلك الامثلة اللهجية التي تشير الى أن علة الامالة فيهـا كانت الجنوح الى الانسجام المدّي ، ثم أن الامـالة في العـربية لاتمثل قـطعا فـونيما مستقلا بل هي صورة نطقية Allephone من صور نطق الالف حسب .

ومن جانب آخر ، من الممكن أن تكون الامالة قد نشأت في طائفة من المفـردات من تغير حدث في نطق الياء بأن نحت نحو الالف ، فنطقت في حقبة من الحقب الفا ممالة ثم خلصت في العربية الموحدة الى الف محض ، وهو امر قد يفسر من طرف آخر وجود رمز الالف المقصورة (الشبيه برمز الياء) في تلك الطائفة من الكلمات ، فكأن ياء متطرفة جنحت الى التطور شيئا فشيئا ، فاذا بهـا تصـير الى صـوت ممال ثم الى الف محض .

موانع الامالة :

حدد سيبويه[٢٨٧] الاصوات التي تمنع الامالة باصوات الاطباق ، وهـي الصـاد والضاد والظاء والطاء ، وبثلاثة اصوات اخرى منها صوتان حلقيان همـا الغين والخاء ثم صوت لهوى هو القاف وذلك (اذا كان حرف منهـا قبل الالف والالف

---

٢٨٥ ــ ينظر التطور النحوي /٣٤ فقه اللغات السامية ــ ٥٣

٢٨٦ ــ التطور النحوى/ ٣٩ وينظر ايضا فقه اللغات السامية/ ٥٣

٢٨٧ ــ الكتاب ٢/٢٦٤

تليه وذلك قولك قاعد وغائب وخامد وصاعد وطائف وضامن وظالم)[٢٨٨] ، او كان الحرف منها بعد الالف[٢٨٩] نحو عاظل ، وعلل منعها للامالة بكونها (حروفا مستعلية الى الحنك الاعلى ، والالف اذا خرجت من موضعها استعلت الى الحنك الاعلى ، فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها ، كما غلبت الكسرة عليها في مساجد ونحوها فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الالف تستعلى وقربت من الالف كان العمل من وجه واحد اخف عليهم ، كما أن الحرفين اذا تقارب موضعهما كان رفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم فيدغمونه[٢٩٠] .

غير أننا لاحظنا أن طائفة من حالات الامالة وردت مع هذه الاصوات من نحو ماذكره سيبويه غزا وخاف ، او ماذكره ابن يعيش من امالة طاب ، وهو امر يؤكد ماذهبنا اليه من أن الامالة كانت منتشرة في اكثر كلام العرب في تلك الحقبة .

التفخيم :

جنحت اللهجات الحجازية بوجه عام الى تفخيم الألف في النطق ، ومعنى التفخيم أن تميل الالف نحو الواو[٢٩١] وفسر المحدثون صوت الالف المفخم هذا بانه صوت مدّ (يحدث من ارتفاع مؤخر اللسان نحو مؤخر الحنك ارتفاعاً يزيد على ارتفاعه مع الفتحة المفخمة التي تلي اصوات الاستعلاء ويقل عن ارتفاعه مع الضمة ، ويكون وضع الشفتين مع الف التفخيم وضع انضمام لا يبلغ الاستدارة التامة كما هو الشأن مع الضمة)[٢٩٢] .

ان الف التفخيم ليست الاصورة من صور نطق الالف ، وهي بهذا لا تحمل اية قيمة فونيمية خاصة بها خارجة عن فونيم الالف العربية المعروفة ، مثلها في ذلك مثل الامالة في اللهجات النجدية .

ونلاحظ ان التفخيم لم يكن مقصوراً على الحجازيين وحدهم اذ ورد في اللسان (أن اهل اليمن يقولون الحيوة بواو قبلها فتحة ... وكذلك يفعل اهل اليمن بكل

٢٨٨ ـ الكتاب ٢٦٤/٢

٢٨٩ ـ المصدر السابق ٢٦٤/٢

٢٩٠ ـ الكتاب ٢٦٤/٢)

٢٩١ ـ سر الصناعة ٥٦/١ البحر المحيط ١٧٢/٦ شرح الشافية ٢٥٥/٣

٢٩٢ ـ المحيط /الانطاكي ٤٣/١ وانظر اللغة العربية معناها ومبناها/ ٥٣ ودروس في علم اصوات العربية/ ١٦٣

الف منقلبة عن واو كالصلوة والزكوة)[٢٩٣] .

لقد ظهرت آثار الميل الى تفخيم الالف عند الحجازيين في كتابتهم المصاحف ، اذ وردت كلمات من قبيل : الحياة والصلاة والزكاة والربا مكتوبة بالواو هكذا : الحيوة والصلوة والزكوة والربو[٢٩٤] ، ولقد ذكر ابن جني أن هذه انما كانت (لان الالف مالت نحو الواو)[٢٩٥] ، غير ان ظاهرة التفخيم لم تكن مطلقة في كل الف ، ولعل ما يعزز ذلك اننا نجد الامثلة السابقة مكتوبة بالالف في تلك الاحوال التي تكون فيها منصوبة او مجرورة من نحو ماذكره ابو عمرو الداني من أنهم كانوا يكتبون بالالف في (ماكان صلاتهم ، وعلى صلاتهم ، وعن صلاتهم وفي صلاتهم ، حيث وقع ، وقل ان صلاتي ، الانعام ، ولا تجهر بصلاتك ، في الاسراء ، وصلاته وتسبيحه ، النور وقوله حياتنا الدنيا حيث وقع ، في حياتكم الاحقاف ولحياتي في الفجر)[٢٩٦] .

غير أن ابا عمرو الداني يلاحظ أيضا ان الامر غير مطرد على هذه الحال في كل كتابات المصاحف ، ذلك ان المرء قد يجد في مواضع اخرى نصوصا من قبيل «من زكوة»[٢٩٧] بيد ان هذا لا يعني أن هؤلاء كانوا يفخمون الالف في هذه الاحوال ، اذ لعل الامر كان تعودا على طريقة في الكتابة ما كانوا ليغيروها لامر طارىء .

ويذهب كانتينو الى أن التفخيم ظاهرة مقيدة تقيداً شديداً ، ولعلها كانت لاسباب تتعلق بالنبر ، فقد لوحظ ان الفتحات الطويلة القديمة ، التي يقع عليها النبر تصير في العربية والفنيقية اصوات مد خلفية نصف ضيقة اي الفات مفخمة[٢٩٨] .

بقيت لدينا اصوات مد فرعية اخرى ، ذكرها اللغويون العرب القدامى ودارسو القراءات ، ولكننا لا نستطيع أن نعزوها الى لهجات بعينها لعدم وجود ما يسند ذلك ولعلها كانت معروفة في طوائف شتى من العرب ، بيد انها ما كانت شائعة في الكلام العربي ، بل مقصورة على مواضع معينة ، وظهرت لامور تتعلق بالسياق

---

٢٩٣ ـ اللسان ٢١١/١٤

٢٩٤ ـ المقنع /٥٤ المحكم /١٨٨

٢٩٥ ـ سر الصناعة ٥٦/١

٢٩٦ ـ المقنع /٥٤

٢٩٧ ـ المصدر السابق نفسه/ ٥٤

٢٩٨ ـ دروس في علم اصوات اللغة العربية/ ١٦٣

(الفونولوجي) ، وهذا يعني انها لم تكن اصواتا مستقلة بنفسها ، بل فروعا عن اصوات المد الاساسية ، تنوب عنها في طائفة من المواضع يعينها السياق وهي بهذا اصوات لا تملك استقلالا فونيميا :

١ ـ الكسرة المشوبة بالضمة :

اشار اللغويون الى أن طائفة من العرب كانت تشم الكسرة شيئاً من الضمة وتشم الياء رائحة الواو ، في الامثلة التي من نحو سيق وقيل وبيع وغيض[٢٩٩] ، ومعنى هذا اننا امام صوت مد مختلط يترجح نطقه بين الكسرة والضمة ، او بين ياء المد وواو المدّ ، ويبدو من مجمل كلام ابن جني ان نطق الكسرة في هذا الصوت أوضح من نطق الضم فيه واعلى درجة بدليل ما أورده بعد ذلك من انه يوجد صوت آخر هو ضمة مشوبة بروائح الكسرة[٣٠٠] .

ولعل هذا الوضوح في نطق الكسرة متأت من أن اللسان كان قد اخذ وضع النطق بالكسرة ، الا أن الشفتين استدارتا وكأنهما تريدان النطق بالضمة فنتج من جراء ذلك هذا الصوت ، وهو علي اية حال صوت معروف في لغات شتى من نحو اللغة الفرنسية واللغة الالمانية[٣٠١] ويبدو أن هذا الصوت كان لغة لكثير من أهل نجد ، فقد ذكر ابو حيان في البحر المحيط : (ان الفعل الثلاثي الذي انقلبت عين فعله الفا في الماضي ، اذا بني للمفعول اخلص كسر أوله وسكنت عينه ياء في لغة قريش ومن جاورهم من بني كنانة ، وضم أوله عند كثير من قيس وعقيل ومن جاورهم وعامة بني اسد .... وفي ذلك لغة ثالثة وهي اخلاص ضم فاء الكلمة وسكون عينه واوا .. وهي لغة هذيل وبني الدبير)[٣٠٢] وفقعس[٣٠٣] .

٢ ـ الضمة المشوبة بالكسرة :

وقد مثل ابن جني لهذا الصوت بقولهم في الامالة : «مررت بمذعور ، وهذا ابن بور» اي ان العرب نحت بضمة العين في مذعور وضمة الياء في بور نحو الكسرة

---

٢٩٩ ـ الكتاب ٣٦٠/٢ وانظر المحكم للداني/ ٤٧

٣٠٠ ـ سر الصناعة /١

٣٠١ ـ انظر دراسة الصوت اللغوي /١٠٤ ،

٣٠٢ ـ البحر المحيط ٦٠/١ ـ ٦١

٣٠٣ ـ اوضح المسالك ٣٨١/١

اذا شموّها شيئا من تلك الكسرة[٣٠٤] وهو بهذا يختلف عن الصوت السابق بانه انما يكون اللسان قد اتخذ فيه وضع النطق بالضمة في حين كانت الشفتان قد اتخذتا وضع النطق بالكسرة ، فنتج جراء ذلك هذا الصوت المختلط .

ويلاحظ من سياق الامثلة التي وردت سابقا أن الضمة التي تخضع لمثل هذا التأثير من الكسرة تأتي قبل صوت الراء في الكلمة ، ولعل ذلك يعني أن هذا التحول من الضمة الخالصة الى الضمة المشوبة بالكسرة ، انما كان بسبب من صوت الراء المكسور ، اذ كثيراً ما نجد أن صوت الراء المكسور يجنح بالكلمات التي يرد فيها الى الكسر او الامالة ، وهو امر تحدثنا عنه في الكلام على الامالة ، وقلنا ان سيبويه قد علل ذلك بأن الراء المكسورة تبدو و (كأنها حرفان مكسوران[٣٠٥] وفسر ابن يعيش ذلك (بأن الراء حرف تكرير فاذا نطقت به خرج كأنه متضاعف .. فاذا كان مفتوحاً او مضموما منعت امالة الحرف نحو قولك هذا راشد فلم يميلوا واجروه مجرى المستعلى لما ذكرناه ، ولانهم نطقوا كأنهم تكلموا برائين مفتوحين فقويت على نصب الالف وصارت بمنزلة القاف فهي في منع الامالة اقوى من غيرها من الحروف ، ودون المستعلية في ذلك ، فاذا كانت مكسورة فهي تقوى الامالة اكثر من قوة غيرها من الحروف المكسورة لان الكسرة تتضاعف فهي من اسباب الامالة)[٣٠٦] ، فنجد من أجل ذلك ان العرب تميل للراء المكسورة مالا يمال مع غيرها نحو طارد وغارم[٣٠٧] .

ان هذا الكلام يعني ان هذا الصوت متعلق بسياق محدد تحديداً دقيقا مما يدلل على قلة استعماله ، وعلى اية حال فانه ليس بميسورنا ان نحدد اللهجات التي كانت تجنح الى استعماله في كلامها ، بيد أن ما تقدم من كلام يوضع انه اقرب الى استعمال اللهجات المميلة ، وهي لهجات نجد .

اختلاس اصوات المد في اللهجات القديمة :[٣٠٨]

لقد تحدثنا فيما سبق عن درجتين من الطول في اصوات المد العربية الاساسية

---

٣٠٤ ـ سر الصناعة ١/

٣٠٥ ـ الكتاب ٢٧٠/٢ وانظر الصفحات ٢٦٧/٢ ـ ٢٧١ عامة

٣٠٦ ـ شرح المفصل ١٣٦١/٢ ـ ١٣٦٢

٣٠٧ ـ المصدر السابق ١٣٦١/٢

٣٠٨ ـ للفائدة انظر التفسير الكبير/ الفخر الرازي ٤٦/١

والفرعية ، بيد أن اللغويين العرب اوردوا ملاحظات عن درجات اخرى في صوت المد ، يكون فيها هذا الصوت قصيراً جداً ، بل مختلساً ، بحيث يفقد قيمته الصوتية في داخل المقطع العربي في بعض الحالات .

ومن المكن أن نحدد درجتين من هذا الاختلاس اقتباساً مما اورده اللغويون العرب ، هما :

١ ـ درجة الاشمام[٣٠٩] : عرف اللغويون هذه الدرجة بأنها اذاقة الحرف الضمة او الكسرة بحيث لا تسمع ، وانما يتبين ذلك بحركة الشفتين ، ولا يعتد بها لضعفها ، والحرف الذي فيه الاشمام ساكن او كالساكن[٣١٠] .

ويبدو أن صوت المد في هذه الحالة يفقد قيمته المقطعية فقداناً كاملاً ، ولعل اشارة سيبويه الى أن هذا الصوت لا يكسر وزن الشعر دليل على ذلك ، اذ انه (حين انشد :

متى انام لا يؤرقني الكرى   ليلا ولا اسمع اجراس المطي

مجزوم القاف ، قال بعد ذلك : وسمعت بعض العرب يشمها بالضم كأنه قال متى أنام غير مؤرق ، ونقل الجوهري عن سيبويه بعد انشاد هذا البيت ما نصه : ان العرب تشم القاف شيئاً من الضمة ، ولو اعتددت بحركة الاشمام لا تكسر البيت)[٣١١] .

وثمة ما يشير الى أن الاشمام في صوت المد قد أدى عند التميميين وأهل نجد الى سقوط الحركة سقوطاً تاماً ، اذ ورد أن اختلاس اصوات المد مذهب ابي عمرو بن العلاء في طائفة من السياقات ، من ذلك انه قرأ بالفتحة المختلسة في الهاء والخاء من قوله أمن لا يهدي في يونس ، وهم يخصمون ، في يس ، وبالكسرة المختلسة في قوله تعالى : الى بارئكم ، وعند بارئكم ، وفي قوله ارنا وارني حيث

---

٣٠٩ ـ من المستحسن هنا الاشارة الى اختلاف الكوفيين عن غيرهم في مصطلح الاشمام والروم فقد (حكى عن الكوفيين انهم يسمون الاشمام روما ، و الروم اشماما ، قال مكي وقد روى الكسائي الاشمام في المخفوض ، وأراه يريد به الروم ، لان الكوفيين يجعلون ما سميناه روما اشماما وما سميناه اشماما روما ونكر نصر بن علي الشيرازي في كتابه الموضح ان الكوفيين ومن تابعهم ذهبوا الى أن الاشمام هو الصوت الذي يسمع انه عندهم بعض حركة والروم هو الذي لا يسمع لانه روم الحركة من غير تفوه به ، قال والاول هو المشهور عند اهل العربية) انظر النشر ١٢١/٢ .

٣١٠ ـ التاج ٣٦٠/٨ وللاستزادة انظر الحكم للداني /٤٤ والنشر ١٢١/٢

٣١١ ـ التاج ٣٦٠/٨

وقعتا ، وبالضمة المختلسة في قوله ويأمركم ، ويأمرهم ، وما يشعركم او ينصركم[٣١٢] اذ أن هذه الامثلة وردت في مظان اخرى بحذف صوت المد حذفا تاما . وسأناقش هذا في مكانه في الكلام على ظاهرة التخفيف ، حيث سيتضح ان حذف صوت المد القصير انما كان كراهية توالي ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة في سياق واحد ، ولعل الاختلاس هنا يمثل مرحلة سابقة لمرحلة حذف صوت المد في هذه الحالة .

وظاهرة التخفيف او حذف صوت المد ظاهرة معزوة الى تميم وكثير من اهل نجد[٣١٣] ، ويشير الدكتور هنري فليش الى أن هذا الحذف قد يكون بسبب من أن هؤلاء انما كانوا ينبرون في هذا الموضع[٣١٤] .

٢ ــ درجة الروم : عرف اللغويون العرب الروم بانه (حركة مختلسة مخفاة بضرب من التخفيف ، وهي اكثر من الاشمام لانها تسمع)[٣١٥] وهو عند القراء : (عبارة عن النطق ببعض الحركة وقال بعضهم هو تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها)[٣١٦] .

فنحن اذن امام صوت مد قصير جداً له ما لصوت المد ، لانه يسمع وقد اورد سيبويه ما يبين أن هذا الصوت بقي محتفظا بقدرته على اداء دوره في النسيج المقطعي ، قال : (وهي بزنة الحركة وان كانت مختلسة)[٣١٧] ، اذ انها تعامل في اوزان الشعر العربي معاملة الحركات من نحو الضمة والكسرة والفتحة وهو ماذكره سيبويه ايضا في كلامه على :

أألن زم احمال وفارق جيرة

وصاح غراب البين أنت حزين

من أن (قوله أألن زم تقطيعه فعولن ولا يجوز تسكين العين وكذلك قوله شهر رمضان فيمن اخفى ، انما هو بحركة مختلسة ولا يجوز أن تكون الراء الاولى ساكنة لان الهاء قبلها ساكن)[٣١٨] .

ان دراسة السياقات التي وردت فيها حركة الروم توضح انها حركة غير

---

٣١٢ ــ المحكم للداني /٤٥

٣١٣ ــ ينظر لهجة تميم واثرها في العربية /١٤٨

٣١٤ ــ العربية الفصحى/٤٩

٣١٥ ــ النشر ١٢١/٢

٣١٧ ــ النشر ١٢١/٢ التاج ٣٢٠/٨

٣١٨ ــ التاج ٣٢٠/٨ وانظر سر الصناعة ٦٤/١

شائعة الا في سياقات محددة ، اذ انها وردت في امثلة من قبيل أأن زم أو شهر رمضان .... الخ ، مما اجتمع فيه مثلان ، ولعل نطقهما كان بسبب من أن اصحابها استثقلوا الفصل التام بين المثلين ، فخففوا من ذلك الفصل بأن قصّروا الحركة الفاصلة تقصيراً يكاد يذهبها ، ولعل لذلك صلة بميل طائفة من اللهجات العربية القديمة الى ادغام المثلين او لعله كان مرحلة مرت بها هذه اللهجات قبل الادغام ثم بقيت اثاره في سياقات قليلة معلما على ما حدث ، ذلك أن العرب لمّا ادغمت انما كان ذلك ابتغاء أن يرفع اللسان رفعة واحدة ، اذ انه (لما كان الصوتان من موضع واحد ثقل عليهم أن يرفعوا السنتهم من موضع ثم يعيدوها الى ذلك الموضع للحرف الاخر فلّما ثقل عليهم ذلك أرادوا أن يرفعوا السنتهم رفعة واحدة[٣١٩] .

حذف الحركة (التخفيف) :

لقد لاحظنا أن طائفة من العرب مالت الى اختلاس الحركة في بعض كلامها ولقد ذهبنا من قبل الى أن ذلك قد أدى الى حذف الحركة فيما بعد حذفا تاما فكان من جراء ذلك أن نشأ ما اطلق عليه اللغويون العرب ظاهرة «التخفيف» وفسرّوا بانه حذف للحركة نتيجة لتوالي الحركات ، سواء كان ذلك في اسم أم فعل وسواء كان في كلمة ام كلمتين متجاورتين[٣٢٠] .

لقد اجمع اللغويون العرب على ان التخفيف من خصائص لهجة تميم[٣٢١] ، بيد أن ثمة اشارات توضح أنه كان عاما في لهجات اهل نجد ، فقد ذكر سيبويه (أن من العرب من يقول نَعْم الرجل ، كان اصله نَعم الرجل ثم خففه باسكان الكسرة على لغة بكر بن وائل)[٣٢٢] ، بل وردت بعض النصوص التي تشير الى أن ربيعة عامة ـ وبكر بن وائل منها ـ كانت تميل الى هذا التخفيف ، فقد كانت تقول الثلْث باسكان اللام الى العُشر ، واهل الحجاز يقولون الثُلث الى العُشرُ)[٣٢٣]

---

٣١٩ ـ الكتاب ١٥٨/٢ وانظر للفائدة المقتضب ١٩٧/١ والاصوات اللغوية /١١٥

٣٢٠ ـ الكتاب ١٥٧٢/٢

٣٢١ ـ الكتاب ١٩٢/٢ و ٢٥٧ ـ ٢٥٨ المقتضب ١١٧/١

٣٢٢ ـ اللسان ٦٦/١٦

٣٢٣ ـ تفسير القرطبي ٦٣/٥ ـ ٦٤

وانها تقول رُسْل في رُسُل وعَضْد في عَضُد[٣٢٤] .

ويلحظ ان هذا التخفيف يطرد في صيغة (فعل) فيسكنون عين الكلمة من غير أن ينظروا الى الحركات ، ويلحظ ايضا انهم كانوا يخففون بعض الصيغ الملحقة بصيغة (فعل) مثل (فعلة)[٣٢٦] او (فعل) من (انفعل)[٣٢٧] أو بعض المقاطع التي تجتمع فتكون صيغة (فعل) داخل الكلمة من نحو (تعل) من (مفتعل)[٣٢٨] ويكون هذا داخل الجملة ايضا ، وهو ما أشرنا اليه من قبل في الكلام على اختلاس الحركة في طائفة من قراءات ابي عمرو بن العلاء من نحو : (ان الله يأمركم)[٣٢٩] باسكان الراء و (فتوبوا الى بارئْكم) باسكان الهمزة .

وتفسير ذلك ان التخفيف يكون في هذه اللهجات اذا اجتمعت ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة ، وهذا يعني ان هذه اللهجات لا تستسيغ اجتماع ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة معا ، فتتحيلّ على ذلك بأن تحولها الى مقطعين الاول منهما مقطع طويل مغلق ، والثاني مقطع قصير مفتوح في اغلب الاحوال ، على النحو الاتي :

١ ـ فُعُل تصير الى فُعْل من نحو عُنقْ في عنق[٣٣٠] ورُسْل في رُسُل[٣٣١]

٢ ـ فَعُل تصير الى فَعْل من نحو عَضدْ في عَضُدَ[٣٣٢]

٣ ـ فِعَل تصير الى فِعْل من نحو قِمعَ في قِمَع[٣٣٣]

٤ ـ فِعِل تصير الى فِعْل من نحو إبْل في إبِل[٣٣٤]

٥ ـ فَعِل تصير الى فَعْل من نحو كَتْف في كَتِف[٣٣٥]

---

٣٢٤ ـ الاصول ٢/٤٨٠

٣٢٥ ـ مخطوطة كوبرلي ١١٠/أ

٣٢٦ ـ البحر المحيط ٢/٣٤٠ .

٣٢٧ ـ الاصول ٢/٤٨٠ ، وينظر لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة/ ١٥٢ .

٣٢٨ ـ المصدران السابقان ، الصفحات .

٣٢٩ ـ النساء /٥٨ ، والقراءة في همع الهوامع ١/٥٤ .

٣٣٠ ـ الاصول ٢/٤٨٠

٣٣١ ـ تفسير القرطبي ٢/٢٤البحر المحيط ٧/٢٩٧

٣٣٢ ـ الكتاب ٢/٢٥٧ الاصول ٢/٤٨٠ المخصص ١٤/٢٢٠

٣٣٣ ـ جوامع اصلاح المنطق /٥٦

٣٣٤ ـ الاصول ٢/٤٨٠

٣٣٥ ـ المصدر السابق نفسه ٢/٤٨٠

٦ ــ ولم يرد تحول فَعَل الى فَعْل الا في قراءة لابي السمال[٣٣٦] إذ قرأ شَجْرٌ في شَجَر[٣٣٧] ، ويبدو أن اللجات النجدية ما كانت تنزع الى تخفيف حركات الفتح المتوالية بوجه عام[٣٣٨] ولقد فسر سيبويه ذلك بأن الفتح أخف عليهم من الضم والكسر[٣٣٩] .

ونلحظ ان ظاهرة التخفيف هذه واضحة في الافعال ايضا من ذلك ماورد في :

١ ــ فَعِل فصارت الى فَعْل ممن نحو عَلْم في عَلِم[٣٤٠]

٢ ــ فَعُل فصارت الى فَعْل من نحو كَرْم في كَرُم[٣٤١] وظَرْف في ظَرُف[٣٤٢]

٣ ــ فُعِل (البناء للمجهول) فصارت الى فُعْل من نحو عُصْرٌ في عُصِر[٣٤٣] وفُصْد في فُصِد[٣٤٤] .

٤ ــ بناء فعل فصارت الى فَعْل من نحو سَلْفَ في سَلَف[٣٤٥] ونَصْبَ في نَصَب[٣٤٦]

ويدخل في باب التخفيف ايضا ماورد في أن اهل نجد يسكنون هاء «هــو» اذا جاءت بعد الواو والفاء واللام[٣٤٧] وبذلك قرأ ابو عمرو والكسائي[٣٤٨] وقرأ الكسائي ايضا باسكان الهاء بعد ثم[٣٤٩] في قوله (ثم هــو يوم القيامــة مــن المحضرين)[٣٥٠] ، وقد خففوا بعد الهمزة ايضا كقوله :

---

٣٣٦ ــ هو : قعنب بن أبي قعنب ، له اختيار في القراءة ، شاذ عن العامة ينظر في ترجمته غاية النهاية ٢٧/٢

٣٣٧ ــ البحر المحيط ٢٨٤/٣

٣٣٨ ــ الكتاب ٢٥٨/٢ ، وانظر البحر المحيط ٢٨٤/٣

٣٣٩ ــ الكتاب ٢٥٨/٢

٣٤٠ ــ الاصول ٤٨٠/٢ المخصص ١٤ /٢٢٠ البحر المحيط ٢٨٤/٣ و ٣٠٧

٣٤١ ــ الكتاب ٢٥٧/٢

٣٤٢ ــ البحر المحيط ٢٤/٥

٣٤٣ ــ الكتاب ٢٥٨/٢ الاصول ٤٨٠/٢ المخصص ١٤/ ٢٢٠

٣٤٤ ــ المصادر السابقة نفسها والصفحات نفسها

٣٤٥ ــ اللسان

٣٤٦ ــ شرح نهج البلاغة ٤٤٨/٤

٣٤٧ ــ شرح التسهيل /لابن ام قاسم /١٥١

٣٤٨ ــ المصدر السابق نفسه /١٥١

٣٤٩ ــ المصدر السابق نفسه/ ١٥١

٣٥٠ ــ القصص /٦١

فقمت للطيف مرتاعا فأرقني فقلت أهْيَ سرت أم عادني حلم[351]

وبعد كاف الجر كقوله :

وقد علموا ماهن كَهْنَ فكيف لي سلوا ولا انفك صبا متيما[352]

وقد سكنت الهاء من (هو) عندهم ايضا اذا جاء قبلها حرف متحرك (مقطع قصير مفتوح)[353] فقد قرىء (لكن هْوَ الله ربي)[354] و (ان يملّ هْوَ)[355] .

ومن الواضح انه قد اجتمعت في كل هذه الامثلة ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة او مقطعان قصيران مفتوحان ثم مقطع طويل مغلق ، فمالت اللهجات النجدية الى أن تمنع هذا التوالي بأن تحول المقطعين الاولين من مقطعين قصيرين مفتوحين الى مقطع طويل مغلق واحد ، وذلك بحذف صوت المد من المقطع القصير المفتوح الثاني ، على حين نجد أن اللهجات الحجازية تستسيغ اجتماع ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة ، او مقطعين قصيرين مفتوحين ومقطع طويل مغلق على التوالي بل لعلها كانت تجنح الى ذلك جنوحا ، فكان أن احتفظت باصوات المد القصيرة في نحو ما مثلنا من قبل من قولهم عُنُق وكَبِد وقِمَع ... الخ .

ومما يمكن أن يلاحظ في ظاهرة التخفيف أيضا ، انه قد يصاحب هذا التخفيف بعض التغيرات في اصوات المد في الكلمة من ذلك ماورد من أن تميما تقول شِهْد في شَهِد[356] ونِعْم في نَعِم[357] وبِئْسْ في بَئِس[358] ، فكأن هذه الافعال قد خضعت أول الامر الى قانون الاتباع (الانسجام المدّي harmony Vowel فصارت شِهِد ونِعِم وبِئِس ، ثم خففت فصارت شِهْد ونِعْم وبِئْسْ ، ولعل ما يسوغ هذا أن عين هذه الافعال من اصوات الحلق ، وهو قيد للاتباع في هذا القبيل من الصيغ ، كما سنرى ذلك في مبحث لاحق[359] بيد أن هذا الامر لا يفسر تغييرات اخرى من نحو ابدال الكسرة من الفتحة في الامثلة التي جاءت على وزن (فَعِلَة) اذ ان تميما قالت

---

٣٥١ ـ شرح التسهيل /لابن ام قاسم /١٥٢

٣٥٢ ـ المصدر السابق نفسه/ ١٥٢

٣٥٣ ـ المصدر السابق نفسه /١٥٢

٣٥٤ ـ الكهف /٣٨

٣٥٥ ـ البقرة /٢٨٢

٣٥٦ ـ الاصول ٤٨٠/٢

٣٥٧ ـ الكتاب ٢٥٩/٢ شرح الكافية ٣٤٥/٢

٣٥٨ ـ الكتاب ٢٥٩/٢ ، الكشاف ٣٤٦/١ التبيان ٣٤٦/١ وتفسير الطبري ٣٣٨/٢

٣٥٩ ـ انظر الكتاب

في كَلِمَة : كِلْمة[٣٦٠] وفي نِقمة : نِقْمة[٣٦١] وفي صَدُقَة : صَدْقَة[٣٦٢] وفي مَثُلَة : مُثْلَة[٣٦٣] .

ويلاحظ ايضا في طائفة اخرى من الامثلة انهم حذفوا الحركة الاعرابية نفسها طلبا للتخفيف ، في تلك الحالات التي اجتمعت فيها ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة أو مقطعان قصيران ومقطع طويل مغلق على التوالي من نحو قراءات أبي عمرو بن العلاء (ان الله يأمركم) باسكان الراء من يأمركم و (فتوبوا الى بارئكم) باسكان الهمزة من بارئكم ، مما يعني أن هذا التخفيف كان ذا اهمية صوتية ، او سياقية كبيرة عند هؤلاء التميمين ، ويبدو أنه لاسباب تتعلق بالنبر ، اذ أن الدارس للهجة تميم يجد انها كانت تنبر في موضع سقوط صوت المد نبراً توتريا ، ومن يراجع خصائص هذه اللهجة الصرفية والصوتية ، يلاحظ انها كانت تجنح الى أن يكون المقطع الاول من الكلمة مقطعا طويلا مغلقا ، وذلك بحذف صوت المد ، مما يشير الى انها كانت تنبر في ذلك الموضع نبراً توتريا لا يسمح للهواء بالخروج ، فأدى ذلك الى سقوط صوت المد ، اذ أن صوت المد يعتمد اساسا حرية خروج الهواء في اثناء النطق به ، فلما تعذر ذلك سقط[٣٦٤] .

أن ظاهرة التخفيف تتصل بعض الاتصال بظاهرتين اخريين في اللهجات النجدية عامة ، ولهجة بني تميم خاصة وهاتان الظاهرتان هما :

١ ـ ادغام المثلين :

لقد اطردت اللهجات العربية القديمة في أن تلزم الفعل الذي عينه ولامه من موضع واحد اذا تحركت اللام منه الادغام[٣٦٥] ، وذلك نحو يشدّ ، ومدّ ونحوهما[٣٦٦] وعلل الخليل وسيبويه الادغام في الصوتين المتماثلين بانهما لما كانا من موضع واحد ثقل عليهم أن يرفعوا السنتهم من موضع ثم يعيدوها الى ذلك الموضع للحرف الاخر ، فلما ثقل عليهم ذلك ارادوا أن يرفعوا السنتهم رفعة واحدة)[٣٦٧] ، فاضطروا جميعا الى حذف حركة العين من اجل الادغام فكان أن (لاحركة بين

---

٣٦٠ ـ التهذيب ٢٦٤/١٠ الصحاح ٢٠٢٣/٥ شرح المفصل ٢٢/١
٣٦١ ـ شرح الشافية ١٠٨/٢
٣٦٢ ـ معاني القران للفراء ٥٩/٢ معاني القران للاخفش ب/ ٩٣
٣٦٣ ـ معاني القران للفراء ٥٩/٢ التبيات ٢٢٢/٦
٣٦٤ ـ لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة /٢١٧
٣٦٥ ـ الكتاب ٣٩٨/٢
٣٦٦ ـ شرح المفصل ١٤٥٦/٢ ـ ١٤٥٧
٣٦٧ ـ الكتاب ١٥٨/٢ وانظر للفائدة الاصوات اللغوية /١١٥

المثلين تفصل بينهما ، وانما يعتمد لهما اللسان اعتماده واحدة لان المخرج واحد ولا فصل[٣٦٨] .

بيد أن اللهجات القديمة اختلفت في الحالة التي تكون فيها لام الفعل ســاكنة في نحو المضارع المضعف المجزوم ، او الامر ، فقد مالت تميم في هذا الادغام فقالت لم يرتد في المضارع المجزوم وردّ في الامر ، ومال اهل الحجاز الى الفك فقالوا لم يردد واردد[٣٦٩] ، فنلحظ هنا أن تميمــا حــذفت حــركة العين في الفعلين ابتغــاء الادغام وعدم الفصل بين المثلين ، فكان من جراء ذلك ان التقى ساكنان وهو امر لا تستسيغه العربية عامة ، فحركوا اللام تجنبا لهذا الالتقاء فقالوا لم يردّ وردّ .

٢ ـ الهمز والتسهيل :

اختلفت اللهجات العربية القديمة في الهمز والتسهيل ، فقد جنحت طائفة منهــا الى الهمز ، على حين جنحت اخرى الى التسهيل .

ويمكن أن نلحظ ظاهرة الهمز بوضوح في واحدة من اهم اللهجات النجدية فقد أشار اللغويون العــرب الى أن الهمــز كان متلئبا في لهجــة تميم حين يكون (في موضع العين من الفعل الف ساكنة ماقبلها مفتوح نحــو رأس وفــأس وكأس في راس وفاس وكاس ، او ياء ساكنة ما قبلها مكسور نحو ذئب وبئر في ذيب وبير ، او واو ساكنة ما قبلها مضموم نحو شؤم ولؤم في شوم ولوم)[٣٧٠] على حين كانت اللهجات الحجازية تجنح الى التسهيل في ذلك كله ولقد ذكر اللغويون العرب مــن ذلك لهجات قريش[٣٧١] وهذيل[٣٧٢] وسعد بن بكر[٣٧٣] .

ان المقارنات السامية توضح أن الهمز طور تاريخي اذهب في القدم مــن طــور التسهيل[٣٧٤] وهذا يعني أن اللهجات الحجازية قد عرفت الهمز في طور متقدم مــن حياتها ، والسؤال الذي يمكن أن يسأل هنا هو : لماذا جنحت هذه اللهجــات الى تسهيل الهمزة ، على حين احتفظت اللهجات النجدية بها ؟

---

٣٦٨ ـ المقتضب ١/١٩٧

٣٦٩ ـ الكتاب ٢/٣٩٨ البحر المحيط ٥/٢٨٠

٣٧٠ ـ الكتاب ٢/١٦٣ ـ ١٣٤ ، الجمهرة ٣/٢٩٣ المخصص ١٤/ ١٣٠

٣٧١ ـ البحر المحيط ٧/ ٢١١ النشر ١/٤٠٤

٣٧٢ ـ المخصص ٥/٥٤٠

٣٧٣ ـ مقدمتان في علوم القرآن /جفرى ٢٨٣ ـ ٢٨٤

٣٧٤ ـ ينظر فقه اللغات السامية/ ٤١

اكبر ظني ان اللهجات الحجازية كانت تلفظ الكلمات التي من قبيل بئر وشؤم وكأس مثلما تفعل في الكلمات التي من قبل رُسلُ وإبِل وقِمَع ... الخ وهـــذا يعني أن الهمزة كانت تجيء بين صوتي مد قصيرين فــكان أن خضـــعت الى قـــانون صوتي اطلق عليه قانون الوقوع بين صوتي مدّ intervocalic position اذ ان موقعا من هذا القبيل قد يؤدي بالصامت الى الاضـــمحلال او الضـــعف او الانحـــراف عن مخرجه[٣٧٥] مثلمـــا بينا ذلك في الفصـــل الاول وقـــد لوحـــظ ان معظم الاصوات التي تخضع لتأثيرات هذا القـــانون مـــن تلك الطـــائفة مـــن الاصوات التي اطلقنا عليها مصطلح الاصوات الانفجارية . ومنها صوت الهمزة هذا[٣٧٦] ــ ولعل ذلك كان بسبب من أن الصوت الانفجاري هو صـــوت يكاد يكون الضد الرئيس لصوت المد ، اذ انه يتم بحبس الهواء حبسا تامـــا ثم اطـــلاقه على هيأة انفجار[٣٧٧] ، في حين أن اصوات المد تعتمد في حدوثها حرية خروج الهـــواء ، وعدم وجود اثر للاحتكاك ، ومن اجل هذا التناقض في طبيعة الاصـــوات تحـــاول اصوات المد أن تقلل من حدة هذا الانفجار أو هي تلغيه الغاء تاما ، وهو ما يبدو قد حدث في لهجات اهل الحجاز فكان أن أدى وجـــود الهمـــزة بين صـــوتي مـــد قصيرين بها الى السقوط ثم تبع ذلك أن اتحد صوتا المد القصـــيران المتمـــاثلان فصارا صوت مد طويلا بسيطا واحداً[٣٧٨] .

لقد اثبتت التسجيلات الطيفية أن صـــوت الهمـــزة يكون في حـــالة وقـــوعه بين صوتي مد صوتا غير مستقر ، وشبيها بصوت المد[٣٧٩] وفي الحقيقة إن له ما يربطه باصوات المد على الرغم من كونه على الضد منها اذ انه من الممـــكن أن يحـــدث نتيجة انغلاق فجائي في صوت المد[٣٨٠] ، وهـــو أمـــر يســـوغ ســـقوطه ، اذ ان ذلك السقوط يحدث اذا تيسر لصوت المد اللاحق أن يمنع ذلك الانغلاق ، فيتسبب مـــن جراء ذلك الاّ تنطق الهمزة فيلتقي حينذاك صوتا المد القصيران ليتحدا في صـــوت مد واحد طويل .

اما اللهجات النجدية فقد اختارت طريقا غير هذا ، اذ انها اسقطت صـــوت المد

٣٧٥ ــ انظر اسس علم اللغة/ ١٤٣

٣٧٦ ــ اسس علم اللغة /١٤٣

٣٧٧ ــ الاصوات اللغوية /٢٤ وانظر /٨٥ ــ ٨٦

٣٧٨ ــ انظر فقه اللغات السامية/ ١٤٤

٣٧٩ ــ دراسة الصوت اللغوي/ ٢٩٧ وانظر مجلة مجمع اللغة العربية/القاهرة /ج ١٩٦٨/٢٣

٣٨٠ ــ مجلة مجمع اللغة العربية/ القاهرة/ ج ١٩٦٨/٢٣/ ص ٦٢ ، وانظر : ص ٦١

الثاني كما فعلت في الكلمات التي من قبيل عنق وكتف ، وابل وقمع ... الخ وبذلك احترزت للهمزة من أن تخضع لتأثير القانون السالف الذكر .

اننا نلاحظ في هذا الشأن اختلافا واضحا في ميل كل من الكتلتين اللهجتين في تعاملها مع اصوات المد ، فعلى حين كانت اللهجات الحجازية تميل الى الاحتفاظ باصوات المد القصيرة حتى لو كان ذلك على حساب صوت صامت من الاصول الثلاثة كانت اللهجات النجدية تطرّد في حذف أحد اصوات المدّ القصيرة ، في الحالات نفسها ، ولعل هذا ما يفسر ميل كل كتلة منهما الى نسج بعينه من المقاطع ، ولعل هذا الميل الى التخفيف والهمز في اللهجات النجدية يعود الى نظام النبر فيها اذ انه قد لوحظ أن النبر التوتري يجنح في كثير من الاحيان الى حذف صوت المد الموجود في نهاية المقطع المنبور[٣٨١] ثم يجنح هذا الضرب من النبر أيضا الى المحافظة على صوت شديد مثل الهمزة اذا كان في موضع النبر ، ذلك أن النبر التوتري كما اسلف القول يتطلب توترا في اعضاء النطق لا يسمح بخروج الهواء ، وهو امر توفره الهمزة في وجه ، ويوفره سقوط صوت المد في وجه آخر .

ان ميل لهجات اهل الحجاز الى اتخاذ سبيل آخر في نسج المقاطع يعني انها اختارت ايضاً ضرباً آخر من النبر يخالف نبر النجديين ، ولعلنا نلاحظ من الامثلة السابقة في ميلها الى التثقيل ، او التسهيل ، انها كانت تعني بالنبر الكمي (نبر الارتفاع بالصوت) وهو (النبر الذي يحدث فيه في المقطع المنبور ارتفاع في الصوت ينشأ من ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين ليفرغ ما فيهما من هواء فتؤدى كمية الهواء الخارجة الى اتساع في مدى ذبذبة الاوتار الصوتية فيكون من ذلك ارتفاع في الصوت)[٣٨٢] ولعلها من اجل ذلك احتفظت باصوات المد القصيرة المتوالية ، لان اصوات المد اكثر الاصوات اللغوية قدرة على احداث مثل النبر لقوة الاسماع فيها Sonority ولمدى اتساعها ، ولعلها لذلك ايضا كرهت بقاء الهمزة ، وهي الصوت الشديد الذي يتطلب توترا وحبسا للهواء ، في موضع النبر فكان أن اسقطتها .

ان ما سبق من كلام لا ينطبق على كل احوال الهمز في اللهجات القديمة بله في العربية عامة ، ذلك لان علاقة الهمزة باصوات المد في العربية علاقة فونولوجية قوية اذ انها تتحد معها في بعض السياقات في التعبير عن قيمة فونيمية واحدة

---

٣٨١ انظر اسس علم اللغة /١٤٧ والعربية الفصحى /٤٩

٣٨٢ ـ اللغة العربية ومعناها ومبناها /١٧١

(اي تكوّن ما اطلق عليها الفونيم الرئيس Archiphoneme) ولعله من اجل ذلك عدّها الخليل مع اصوات المد مجموعة واحدة لاعتلالها وتغيرّها ولقد أشار الازهري الى ذلك بقوله (الهمزة كالحرف الصحيح ، غير أن لها حالات من التليين والحذف والابدال والتحقيق تعتل فيها فالحقت بالاحرف المعتلة الجوف ، وليس من الجوف انما هي حلقية في اقصى الحلق)[٣٨٣] ، فنلاحظ مثلا أن اللهجات النجدية ابقت على الهمزة بين صوتي مد في طائفة من الامثلة من غير أن تتأثر تلك الهمزة بشيء ، وان كنا لا نعرف طريقة نطق هؤلاء النجديين للهمزة في هذا الموقع ، اذ انها قد تكون ضعفت بعض الضعف ، غير انه لم يتوفر عندنا ما يمكن أن يدلنا على ذلك ، ومن هذه الامثلة قولهم عظاءة وعباءة .. الخ[٣٨٨]

لكننا نلاحظ في هذا المجال أن الهمزة جاءت في مكان غير المكان الذي جاءت فيه امثلة الطائفة الاولى من نحو بئر وشؤم وكأس ، الذي هو موضع النبر ، ولعل هذا قد ساعدها على البقاء ، ويعلل الخليل ذلك بانه ربما كان قياساً على المفرد المنكر من نحو عباء ، عظاء ... الخ[٣٨٥] .

ويرى ابن جني أن اصل عظاءة عظاء ثم دخلت عليها الهاء بعد أن وجب الهمز[٣٨٦] .

اما اللهجات الحجازية ، فقد جنحت في هذا القبيل من المفردات الى ابدال الهمزة ياء (في حالة نصف المد) نحو قولها عظاية مما يدلل على أن تلك الهمزة كانت آخذة في الضعف والانحراف عن مكانها ، حتى تحولت آخر الامر الى صوت مد ، وهو أمر قد يفسر اطراد تسهيل الهمزة عند الحجازيين من جانب آخر .

بقيت حالة ثالثة في هذا المجال ، هي ميل اهل نجد و هذيل (من اللهجات الحجازية) الى ابدال الواو المكسورة التي تبتدأ بها طائفة من الكلمات من نحو وشاح ووسادة ووقاط الى الهمزة المكسورة فيقولون اشاح واشادة واقاط على حين احتفظت اللهجات بالواو في صدر الكلمة فقالت وشاح ووسادة ووقاط[٣٨٧] ويبدو من نلك أن اللهجات النجدية ولهجة هذيل قد احتفظت بقانون صوتي أثر في

---

٣٨٣ ـ تهذيب اللغة ١٥/ ٦٨٢ وانظر كتاب الكتاب/١٠

٣٨٤ ـ (٣٨٥) ـ سر الصناعة ١٠٦/١ ، المنصف ٢/ ١٢٨

٣٨٦ ـ المنصف ١٢٨/٢

٣٨٧ ـ نفس المصدر السابق

العربية منذ القديم بل وفي ساميات اخرى ، وهو ميل هـذه اللغـات الى احـلال الهمزة محل نصف صوت المد الذي يأتي في صدر الكلمة مـن نحـو ، مـارأينا في الكلام على الاكادية .

الاتباع : Vowel Harmony:

عرّف الاتباع ، او ما يسمى بالانسجام المدّي بأنه ظاهرة من ظواهر التطور في اصوات المد في الكلمات ، فالكلمات التي تشتمل على اضوات مد متباينة ، تميل في تطورها اثناء النطق الى الانسجام حتى لا ينتقل اللسان من صوت مد الى صوت مد آخر مغاير له[٣٨٨] .

وتختلف اللغات واللهجات في درجة الميل الى هذا الاتباع اختلافـا بينا ، اذ أن بعضها بسبب من طبيعة الاداء البطيء يجنح الى نطق اصـوات الكلمـة نطقـا متأنيا ، فيسمح لها ذلك بنقل اللسـان مـن الضـم الى الكسر ، او الى الفتح ، في اصوات المد المتوالية من غير أن يشعر المتكلم بثقل ذلك ، على حين تجنح اللغات أو اللهجات ذوات الاداء السريع بوجه عام الى الاتباع ومجانسة الاصوات كيلا يثقل عليها الانتقال من موضع الى موضع آخر بعيد .

ولو طبقنا ذلك على اللهجات العربية القديمة ، نجـد الميل الى الاتباع واضـحا قويا في اللهجات النجدية ولا سـيما لهجـة تميم ، قليل الحـدوث في اللهجـات الحجازية . فمما نلاحظه في لهجات تميم وأهل نجد ما يأتي :

١ ـ أن تميما تنزع الى الاتباع في طائفة من الحالات اللغوية فقد ذكر سيبويه ان في فعيل ، وفعل لغتين فتح الفاء وكسرهـا ، وقيدّ ذلك بأن تكون عين الكلمـة صوتا حلقيا (وذلك قـولك لئيم بكسر اللام وشـهيد وسـعيد ورغيف ونِحيل وشِهِد بكسر الشين والهاء ولِعِب وضِحِك) اما اهل الحجاز فلا يميلون في هذا الى الاتباع ، بل يجرون في ذلك على القياس[٣٨٩] .

ولا نسـتطيع هنا تعليل تقييد ميل التميميين الى الاتباع في هـذا بكون عين الكلمة صوتا حلقيا ، اذ أن الاصـوات الحلقية (تحتاج الى اتسـاع في مجـراها بالفم ، فليس هنا ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم ، ولهذا ناسبها من اصـوات

---

٣٨٨ ـ في اللهجات العربية /٨٦

٣٨٩ ـ الكتاب ٢/٢٥٥

اللين اكثرها اتساعا ، وتلك هي الفتحة)[٣٩٠] على حين نلاحظ في اللهجة التميمية جنوحا الى الكسر للاتباع وسنلاحظ ايضا فيما بعد أن هذه اللهجة تجنح في الافعال الثلاثية التي عينها أو لامها صوت حلقي الى أن تكون هذه الافعال من باب «فرح» من نحو ولهم برئت في برأت[٣٩١] ورضع في رضَع[٣٩٢] وفرغ فرغ[٣٩٣] ، او شغِف في شغَف[٣٩٤] وفي الحق اننا نجد شيئا شبيها بهذا النزوع الى الكسر مع الصوت الحلقي في بعض اللغات السامية ، ولا سيما في حالات الاتباع فلقد ذكر كارل بروكلمان ان صوت الفتحة يتحول الى صوت ممال الى الكسرة بتأثير اصوات الحلق التالية لها والمشكلة بالكسرة «i» او الممالة «e» ووفي احيان اخرى بالضمة ايضا[٣٩٥] مما يدل على قدم هذه الظاهرة في اللغات السامية .

أن التأثيرات المتبادلة بين اصوات الحلق واصوات المد في التأليف الصوتي السامي واضحة جداً ، وهو امر قد لحظناه في الكلام على تعامل اصوات المد في اللغات السامية .

ان ظاهرة الاتباع في فعيل قد خرجت في طائفة من الامثلة عن قيد كون عين الكلمة صوتا حلقيا فاطردت عند جماعة من العرب في غير ذلك فقد ذكر (أن من العرب قوما يقولون في كل ما كان على فَعيل فعيل وان لم يكون فيه حرف حلقي ، يقولون وكِثير وكبير وجِليل وكِريم وما أشبه ذلك)[٣٩٦] .

ويبدو أن هؤلاء طائفة من تميم اطردت عندها القاعدة فقد ذكر صاحب التاج انهم بنو تميم[٣٩٧] ولكن ليس لدينا ما يؤيد انتشار هذه الظاهرة عندهم ، ولعله قاس ذلك على ما تفعله تميم في فعيل وفعل مما عينه صوت حلقي ، لكننا سنلاحظ في امثلة اخرى أن كثيراً من حالات الاتباع عند التميميين في غير فعيل وفعل لا تتقيد بوجود صوت حلقي وهو أمر يؤكد أن الاتباع ظاهرة مطردة عندهم لاسباب تتعلق بطريقة الاداء ، اذ أن التميميين كانوا يميلون الى السرعة في النطق فكان

---

٣٩٠ ـ في اللهجات العربية /١٥٨

٣٩١ ـ التهذيب ٢٦٩/١٥ الصحاح ٣٦/١ المزهر ٢٧٦/٢ ـ ٢٧٧

٣٩٢ ـ الصحاح ١٢٢٠/٣

٣٩٣ ـ البحر المحيط ١٩٤/٨

٣٩٤ ـ البحر المحيط ٤٥/١ ، ٢٩٩

٣٩٥ ـ فقه اللغات السامية /٦٤

٣٩٦ ـ تثقيف اللسان /٢٢٧

٣٩٧ ـ التاج/٢٤٠/٣

ان تأثرت الاصوات عندهم بعضها بالبعض الاخر[٣٩٨] .

ويتضح مما اوردناه من حالات الاتباع في فعيل وفعل أن صوت المد المتأخر هو الذي يؤثر في صوت المد المتقدم ليماثله وهذا الضرب من الاتباع يسميه المحدثون اتباعا رجعيا Regressive أي تأثر الصوت الاول بالصوت الثاني[٣٩٩] ، وسنلاحظ في ضرب آخر من امثلة الاتباع عند التميميين ان الاتباع يكون للصوت الاول ، وهو ما اطلق عليه الاتباع التقدمي[٤٠٠] Progressive

٢ ـ أن تميما تكسر الهاء المضموم في بهُ وعليهُ فتقول بهِ وعليهِ ، وهو ما أخذت به العربية الموحدة ، اما اهل الحجاز فانهم ابقوا على ضم الهاء فقالوا بهو وعليهو ، ومنه قراءتهم (وخسفنا بهو وبدارهو الارض)[٤٠١]

٣ ـ ان قوما من ربيعة (وهي قبيلة نجدية) يقولون مِنهِم بكسر الهاء في منهم اتباعا للكسر[٤٠٢] .

٤ ـ قرأ التميميون (الحمدِ لله) بكسر الدال لاتباع اللام في حركتها[٤٠٣] اي أن الاتباع قد غلب الحركة الاعرابية التي هي الضمة ، ولقد ذهب الزمخشري الى أن هذه اللغة ضعيفة ذلك انه لا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع[٤٠٤] .

٥ ـ قال التميميون انبؤك واجؤوك في انبئك واجيئك[٤٠٥]

٦ ـ ان تميما مالت الى الاتباع في صيغة فُعالى فقالت فعالى بفتح الفاء فقد ورد أن اهل الحجاز يقولون سُكاري وكسالى وغُيارى بضم الفاء فيها كلها ، اما بنوتميم فقد مالوا الى الاتباع فقالوا سَكارى وكَسالى وغَيارى ، اتبعوا الفتحة الفتحة[٤٠٦] .

٧ ـ قال اهل الحجاز هي مَفْعُلَة بضم العين ، ومنه قولهم ميسُرة ومقبُرة ومشرُعة

---

٣٩٨ ـ لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة /٢٢٤

٣٩٩ ـ Elements Of Generai Phonetics, P. 134 وينظر الاصوات اللغوية/١٠٩

٤٠٠ ـ المصدران السابقان ، الصفحات نفسها

٤٠١ ـ المصدر السابق ٢/٢٩٤

٤٠٢ ـ المصدر السابق ٢/٢٩٤

٤٠٣ ـ التبيان ١/٣٠

٤٠٤ ـ الكشاف ١/١٢٧ وانظر البحر المحيط ١/١٥٢

٤٠٥ ـ الكتاب ٢/٢٢٥ ـ ٢٥٦ والمخصص ١٤/٢١٤ شرح الشافية ١/٤٠

٤٠٦ ـ اصلاح المنطق /١٣٢

ومسُربة ، واهل نجد يميلون في هذا كله الى اتباع الفتحة الفتحة[٤٠٧] .

٨ ـ ذكر سيبويه أن بني اسد وبني تميم يقولون في رُد رُدُ وفي فِرَ فِرِ فهم يحركون الاخر كتحريك ما قبله فان كان مفتوحا فتحوه وان كان مضموما ضموه وان كان مكسوراً كسروه[٤٠٨]

٩ ـ نلحظ في بعض حالات الوقف على الهمزة أن الاتباع عند تميم يكون وفقا للحركة الاصيلة في الكلمة فاذا كانت ضمة كان الاتباع اتباعاً للضم واذا كانت الحركة الاصيلة كسرة كان الاتباع اتباعاً للكسر ، من ذلك ما ذكره سيبويه من أن اكثر تميم يقولون (هو الردىء ، ففعلوا هذا في النصب كما فعلوا هذا في الرفع ، وقالوا من البُطؤ لانه ليس في الاسماء فُعِل ، وقالوا رأيت البُطؤ ارادوا أن يسوا بينهما)[٤٠٩] .

أن من يدقق في امثلة الاتباع السابقة يجد أن لتميم فيها النصيب الاكبر ويلاحظ بوجه عام في امثلة اللهجة التميمية جنوحا الى اتباع الكسرة الكسرة ، في الغالب ولعل هذا يعني أن حركة الكسرة في هذه اللهجة هي الحركة القوية المؤثرة ، اما حالات اتباع الضمة الضمة ، او الفتحة الفتحة ، فيبدو انها حالات اتباع خاص غير مطرد ، ومقيد على الاغلب بتتابع هذه الاصوات في الكلمة لكي تكون قادرة على التأثير في الصوت الباقي فتقلبه الى جنسها ، كما في أنبؤك وسكارى ، ومقبرَة ، ولقد لاحظنا من قبل ذلك أن تميما تميل في طائفة من الحالات الى تقريب الف المد الطويلة الى الياء ، والفتحة الى الكسرة ، وهو مادرسناه في ظاهرة الامالة ، وهو امر يؤكد حقيقتين :

الاولى : قوة الاتباع في هذه اللهجة ، اذ أن الامالة ضرب من الاتباع وهو ما أشار اليه اللغويون العرب من قبل[٤١٠] .

الثانية : قوة صوت الكسرة في هذه اللهجة ، ولعله كذلك ايضا في طائفة اللهجات التي تميل الى الامالة عامة .

اما اهل الحجاز فانهم في كل الامثلة التي سبق الكلام عليها يبقون على مخالفة اصوات المد في الكلمة ، ولعل ذلك راجع كما قلنا الى نطقهم المتأني غير

---

٤٠٧ ـ البحر المحيط ٣٤٠/٢

٤٠٨ ـ الكتاب ٢٥٩/٢

٤٠٩ ـ الكتاب ٢٨٥/٢

٤١٠ ـ شرح التصريح ٣٤٦/٢

أن هذا ما كان ليمنع أن يتبعوا في احوال . لانه ما مـن لغـة او لهجـة لا يعمـل الاتباع فيها عمله ، ولكن بدرجات متفاوتة .

أبنية الافعال بين اللهجات :

اختلفت اللهجات العربية القديمة ايضا في حـركة عين الفعـل مـاضيا كان أو مضارعا في طائفة من الافعال ، غير اننا لا نستطيع تحديد ميل أية لهجة من هذه اللهجات الى صوت مد بعينه ، والامثلة التي بين ايدينا توضـح ذلك ، مـن نحـو مانجد بين لهجات اهل نجد ولهجات اهل الحجاز من فروق في حركة عين الفعل ، مثال :

١ ــ تميم تقول بطَش يبطُش ، واهل الحجاز يكسرون عين المضارع منه فيقولون يبطِش[٤١١] .

٢ ــ ركِن يركَن من باب فرح لغة قريش واهل الحجاز ، وركَن يركُن من باب نصر لغة تميم[٤١٢] .

٣ ــ جنح يجنح من باب فتح لغة تميم ومن باب نصر لغة قريش[٤١٣]

٤ ــ ظللَت اضل لغة عامة اهـل نجـد[٤١٤] الا تميمـا فـانها تكسر عين الماضي ايضا[٤١٥] ، واهل الحجاز يقولون اضلّ بالفتح[٤١٦]

٥ ــ لببت تَلّب لغة اهل الحجاز ، ولغة اهل نجد لَب يلبّ[٤١٧] .

٦ ــ اهل الحجاز يقولون برَأت من المرض وتميم تقول برئت من المرض[٤١٨]

٧ ــ اهل الحجاز يقولون فرغ يفرغ مـن باب نصر ، وتميم تقـول ذلك مـن باب فرح[٤١٩] .

---

٤١١ ــ المزهر ٢٧٥/٢
٤١٢ ــ البحر المحيط ٢٦٩/٥ ، ١٠٨/٩
٤١٣ ــ البحر المحيط ٥١٤/٤ الجامع لاحكام القرآن ٣٩/٨
٤١٤ ــ اصلاح المنطق /٢٠٧ اللسان ١١/ ٣٩٠ التاج ٤١١/٧
٤١٥ ــ الجامع لاحكام القرآن ٤٣٨/٦ اللسان ٣٩٠/١١ التاج ٤١١/٧
٤١٦ ــ اصلاح المنطق /٢٠٧ اللسان ٣٩٠/١١ التاج ٤١١/٧
٤١٧ ــ اللسان ٧٣٠/١ المزهر ٢٧٦/٢ التاج ٤٦٥/١
٤١٨ ــ التهذيب ٢٦٩/١٥ الصحاح ٣٦/١ المزهر ٢٧٦/٢ ــ ٢٧٧
٤١٩ ــ البحر المحيط ١٩٤/٨

٨ ـ نكل ينكل من باب فرح لغة تميم ومن باب نصر لغة اهل الحجاز[٤٢٠]

٩ ـ رضع يرضع من باب فرح لغة قيس وتميم وعامة اهل نجد ، ولغة اهل الحجاز من باب ضرب[٤٢١]

وهناك امثلة كثيرة في هذا المجال ، توضح لنا أن حركة العين غير مستقرة في افعال العربية ولهجاتها ، واحسب أن العرب القدماء ما كانوا ليعنوا بها قال ابو زيد (طفت في عليا قيس وتميم مدة طويلة أسأل عن باب فعل ويفعل بالضم والكسر ، لاعرف منه ما كان بالضم اولى وما كان منه بالكسر اولى فلم اجد لذلك قياسا وانما يتكلم كل امرىء منهم على ما يستحسن ويستخف)[٤٢٢] .

وقال ابن درستويه : (كل ما كان ماضيه على فعلت بفتح العين ولم يكن ثانية ولا ثالثة من حروف اللين ولا الحلق فانه يجوز في مستقبله يفعل بضم العين ويفعل بكسرها كضرب يضرب وشكر يشكر وليس احدهما اولى به من الاخر ، ولا فيه عند العرب الا الاستحسان والاستخفاف ، فما جاء واستعمل فيه الوجهان قولهم نفر ينفُر وينفِر وشتم يشـتُم ويشـتِم ، فهذا يدل على جواز الوجهين فيهما ، وانهما شيء واحد لان الضمة اخت الكسرة في الثقل كما أن الواو نظيره الياء في الثقل والاعلال ، ولان هذا الحرف لا يتغير لفظه ولاخطه بتغير حركته ، فاما اختيار مؤلف كتاب الفصيح الكسر في ينفر ويشتم فلا علة له ولا قياس بل هو نقض لمذهب العرب والنحويين في هذا الباب)[٤٢٣] وهو امر موضح ما تكلمنا عليه فيما سبق من أن اصوات المد تتناوب في طائفة من الحالات فيما بينها من غير أن يؤدي ذلك الى تغير في المعنى .

لكننا نستطيع أن نلمح بعض الاستقرار في ابنية الافعال التي عينها اولا مهـا صوت حلقي في لهجة من اللهجات النجدية ، هي اللهجة التميمية من ذلك قولهم بعد يبعد ، وشغف من باب فرح[٤٢٤] ، وما مر بنا من امثلة سابقة من نحو قولهم برئت أبرأ في برأ ، وفرغ يفرغ ورضِع يرضع ، ولقد مر بنا من قبل في الكلام على التخفيف انهم يقولون شِهْد ونْعم وبِئْس وضِحْك ولِعْب ، فكأن هذه الافعال كانت على وزان فَعِل ثم خضعت الى الاتباع فصارت الى وزان فِعِل ثم خففت ، اي

---

٤٢٠ ـ المخصص ٦٤/٣

٤٢١ ـ الصحاح ١٢٢٠/٣ التاج ٣٣٥/٥

٤٢٢ ـ المزهر ٢٠٧/١ ـ ٢٠٨ ويستخف في نص المزهر يستحق والتصحيف فيها واضح

٤٢٣ ـ المزهر ٢٠٧/١

٤٢٤ ـ البحر المحيط ٤٥/٥ و ٤٩٩

كأن هذه الافعال كانت عندهم من باب فرح ثم طرأ عليها ذلك التغيير.

كسر حرف المضارعة:

جنحت اللهجات العربية القديمة كلها الا لهجات اهل الحجاز الى كسر حرف المضارعة سوى الياء في الثلاثي المبني للفاعل، اذا كان الماضي فعل بكسر العين يقولون: أنا اعلم، ونحن نعلم وانت تعلم[٤٢٦] وكذا في المثال[٤٢٧] والاجوف والناقص اذا كان على بناء فعل بكسر العين نحو ايجل واخال واسقى[٤٣٧] والمضاعف نحو اعض[٤٢٨]، وكذا فيما اوله همزة وصل مكسورة نحو تستغفر وتحرنجم[٤٢٩] وفيما اوله تاء من ذوات الزوائد نحو تكلّم وتغافل وتدحرج[٤٣٠].

وقد علل امتناع كسر حرف المضارعة في الياء، المكسورة[٤٣١]، ولعل العرب تجنبوا ذلك ايضا خشية انقلاب الياء المكسورة اذا هم كسروها، الى همزة، من نحو ما حدث في طائفة من الكلمات العربية التي انقلبت فيها الياء المكسورة التي في اول الكلمة الى همزة. مثال اسرائيل في يسرائيل، واسماعيل في يسماعيل، وهو ما تشير اليه المقارنات السامية[٤٣٢].

بيد أن ذلك ما منع كسر الياء في احوال قليلة، وصفت بالشذوذ من نحو كسر ياء المضارعة اذ كانت فاء الفعل الثلاثي الذي على بناء فعل واوانحو وجل، فقد قالت طائفة من العرب ييجل لاستثقالهم الواو بعد الياء المفتوحة، فكأنهم كرهوا قلب الواو من غير كسر ما قبلها، فأجازوا الكسر مع الواو في الياء لتخف الكلمة بانقلاب الواو[٤٣٣]، وورد ايضا كسر ياء المضارعة في يَحبّ، فقالوا يحبّ، وفي يأبى ايضا، وذهب اللغويون الى أن ذلك كله شاذ[٤٣٤]، ولكننا نلاحظ أن فاء

---

٤٢٥ ـ الكتاب ٢٥٧/٢ الموضح للداني ١٣ /ب الجامع لاحكام القرآن ١٤٦/١ ١١٥/٤، ١٦٧

٤٢٦ ـ الكتاب ٢٥٦/٢

٤٢٧ ـ الكتاب ٢٥٦/٢ المخصص ١٤ /٢١٦ شرح الشافية ١٤١/١

٤٢٨ ـ ٤٢٩ ـ المصادر السابقة نفسها، الصفحات نفسها

٤٣٠ ـ

٤٣١ ـ ينظر العربية الفصحى/ ٢٠٤

٤٣٢ ـ ينظر سر الصناعة ٢٤٥/١ والعربية الفصحى / ١٠٩ ـ ١١٠

٤٣٣ ـ الكتاب ٢٥٦/٢

٤٣٤ ـ الكتاب ٢/ ٢٥٦ شرح الشافية ١٤٢/١

الفعل في المثلين الاخيرين صوت حلقي ، وهو امر قد يسوغ الكسر في بعض اللهجات القديمة من نحو لهجة تميم ، اذ لاحظنا انها تميل الى الاتباع الى الكسر في فعيل وفعل اذ كانت العين فيهما صوتا حلقيا ، او انها تميل في الافعال الثلاثية التي عينها اولامها صوت حلقي ، الى أن تكون هذه الافعال من باب فَعِل ، فلعل ما جاء في هذين المثلين شيء قريب من ذلك بأن كسروا للصوت الحلقي .

لقد حاول اللغويون العرب تفسير ظاهرة سر حرف المضارعة في بناء فعِل بأنه كان تنبيها على كسر العين في الماضي[435] لكن ذلك ليس صحيحا ، لان بين ايدينا امثلة من غير باب فِعل يفعَل من نحو أبى[436] وركن[437] وخال[438] وصنع[439] وفعل[440] وكلها من باب فَعل يفعَل ، فلعل كسر حرف المضارعة في الاصل كان متعلقا بصيغة (يفعَل) المفتوحة العين ، بغض النظر عن حركة العين في الماضي[441] .

لقد أشار الدكتور جاكوب بارت J. Barth الى أن حروف المضارعة تكون مكسورة في الافعال المضارعة المفتوحة العين في اللغات السامية الغربية . ثم عد هذه الظاهرة قانونا صوتيا عاما في هذه اللغات[442] لكننا لا نستطيع تعليل ذلك ، ولعله كان في الاصل شيئا من المخالفة الصوتية حدث في حقبة زمنية بعينها ، ثم مالت اللغات السامية الى الاطراد فيه في غير هذا الموضع ايضا ، فقد اشار بارت ايضا الى ان كسر حرف المضارعة طارىء عليها وليس اصلا فيها اذ انه انتقل في اللغتين العبرية والسريانية من وزن فعِل يفعَل الى الاوزان الاخرى فصارت كلها مكسورة احرف المضارعة الا في اللغة العربية في الافعال الحلقية الفاء

---

٤٣٥ ـ شرح الشافية ١٤١/١

٤٣٦ ـ الكتاب ٢٥٦/٢ خزانة الادب ٤٩٥/٤

٤٣٧ ـ التاج ٢٤١/٧

٤٣٨ ـ الكتاب ٢٥٦/٢

٤٣٩ ـ خزانة الادب ٤٩٥/٤

٤٤٠ ـ المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها

٤٤١ ـ دراسات في اللغة العربية/ ناجي /٤٠ وانظر اللسان ٤/ ١٤ : في انه ربما كان كسر حرف المضارعه في فعل يفعل (من باب فتح) لان مضارعة مشاكل لمضارع فعل (من فرح) فكما كسر في اول مضارع فعل كذلك كسروا يفعل هنا .

٤٤٢ ـ دراسات في اللغة العربية /٤٠

والجوفاء والمضعفة فقد بقيت فيها حروف المضارعة مفتوحة)[٤٤٣] ومن وجهة النظر هذه يظهر لنا أن فتح حرف المضارعة اذهب في القدم من الكسر .

وعلى أية حال يبدو ان كسر حرف المضارعة ظاهرة لغوية سامية قديمة ، اذ انه اطرد في لغتين ساميتين غربيتين هما العبرية والسريانية . وهما اللغتان اللتان وصلتا الينا سماعا واثارا ، وفي طائفة كبيرة من اللهجات العربية القديمة والحديثة ولعله كان مطردا في اللغات السامية الاخرى كالاكادية والعربية الجنوبية ولكننا لا نستطيع أن نذهب في ذلك مذهبا يطمئن اليه لاندثار هذه اللغات وعدم وجود أدلة جازمة فيه ، غير اننا نستطيع أن نقول أن العربية قد جنحت الى كسر حرف المضارعة في بعض اطوارها التاريخية ، بيد انه لم يطرد فيها ، واذا هي تلفظه بعد أن استقامت لغة ادبية للعرب عامة ، لتبقى محافظة على الاصل السامي القديم الذي هو فتح حرف المضارعة .

تاريخية المعتلات في العربية :

ان التغيرات التي تطرأ على المعتلات في الابنية الصرفية جعلت منها واحدة من المشكلات الاساسية في انظمة الصرف في اللغات السامية ، ذلك لان اصوات المد في هذه المعتلات كثيرة التغير والتحويل ، ولها في كثير من الاحيان طرائق خاصة بها تستند الى مواضعها والاصوات التي تكتنفها فلقد لوحظ مثلا نزوع نصف المد الواقع بين صوتي مد قصيرين الى الضعف او الاختفاء[٤٤٤] ويشير الدكتور هنري فليش الى ان هذه (قاعدة ذات تأثير في ادراك التغييرات الصرفية في الافعال التي يكون ثاني اصولها او ثالثها واوا او ياء)[٤٤٥] كما لوحظ ايضا في طائفة من الامثلة وجود علاقة قوية بين ظاهرة الهمز ، ووقوع هذه الاصوات في مواضع بعينها من الكلمة .

تاريخ الافعال المعتلة :

قد توضح لنا دراسة تاريخ الاعتلال في الافعال العربية بعض الاتجاهات

---

٤٤٣ ـ المصدر السابق /٤٠

٤٤٤ ـ دروس في اصوات العربية/ ١٣٧ وينظر اسس علم اللغة /١٤٣

٤٤٥ ـ العربية الفصحى/ ٤١

الصرفية والصوتية التي سلكتها هذه الافعال في لغتنا .

لقد ذهبت طائفة من الباحثين المعاصرين الى ان الاصل في قام قومَ وفي خاف خوِف وباع بَيَع .. الخ[446] ولقد ذهب بعضهم في تفسير هذا التغير الصوتي الى ان نصف المد قد سقط بسبب من وقوعه بين صوتي مد قصيرين[447] وهو امر غامض بعض الغموض اذ ان كثيرا من الامثلة يوضح ان هذا القانون الصوتي المعروف لم يطرد في هذه اللغة هذا الاطراد القوي ، ومن اجل ذلك احتزر كانتينو في تطبيق هذا القانون في هذه الحالات ، وذهب الى انه قد يتعارض مع القياس الطرفي العربي[448] .

ويبدو ان ماجر هؤلاء الباحثين الى هذا التصور ، ما ورد عن اللغويين العرب القدامى من اقوال تشير الى امر من هذا القبيل[449] بيد ان الذي يدرس النصوص اللغوية العربية القديمة ، يجد ان اولئك اللغويين القدامى ما كانوا قد ذهبوا الى ما ذهب اليه المحدثون في هذا الشأن وان كل ما فعلوه انهم وضعوا صيغة مفترضة للدلالة على اصل مفترض لتسهيل دراسة النظام الصرفي العربي وهو ما يشير اليه ابن جني صراحة في قوله «هذا الموضع كثير الايهام لاكثر من يسمعه لا حقيقة تحته ، وذلك كقولنا الاصل في قام قوم وفي باع بيع وفي طال طول .. فهذا يوهم ان هذه الالفاظ وما كان نحوها مما يدعي ان له اصلا يخالف ظاهر لفظه قد كان مرة يقال حتى انهم كانوا يقولون في موضع قام زيد : قوم زيد .. وليس الامر كذلك ... وانما معنى قولنا انه كان اصله كذا : أنه لو جاء مجيء الصحيح ولم يعلل لوجب ان يكون مجيئه على ما ذكرنا فاما ان يكون استعمل وقتا من الزمان كذلك ثم انصرف عنه فيما بعد الى هذا اللفظ فخطأ لا يعتقده احد من اهل النظر)[450] .

لقد ذهب برجستراسر الى ان الافعال المعتلة قديمة في العربية ، بل ان هذه العربية تمسكت (بالصيغ القديمة السامية الاصل في اكثر الحالات)[451] فكأنه يذهب في هذا الرأي الى ان حالة الاعتلال ليست طارئة على العربية غير اننا لا

---

٤٤٦ ــ دروس في علم اصوات العربية/ ١٣٧ وابحاث في اللغة العربية/ ٣٥ ــ ٣٨

٤٤٧ ــ المصدران السابقان الصفحات نفسها .

٤٤٨ ــ دروس في علم اصوات العربية /١٣٧ ــ ١٣٨

٤٤٩ ــ المنصف ١/٢٣٤ ــ ٢٣٥ وسر الصناعة ١/٢٤

٤٥٠ ــ الخصائص ١/٢٥٦ ــ ٢٥٧

٤٥١ ــ التطور النحوي /٦١

نطمئن الى هذا كل الاطمئنان لاننا امام صيغ تنتظم اكثر الاصوات قدرة على التغير وعدم الاستقرار ، بل بين ايدينا ما يؤيد ان حالة الاعلال في الافعال انما هي حالة طارئة حصلت في حقبة متأخرة نسبيا ، وهو امر ذهب اليه جل من بحث في هذا الموضوع .

لقد ذهب بلاكBlake الى ان الفعل المعتل في العربية ، انما كان في الاصل فعلا ثنائيا تطور عن طريق اشباع صوت المد القصير الى فعل ثلاثي عوض فيه صوت المد الطويل عن العنصر الثالث (عين الفعل او لامه) اي ان فعلا من قبيل قل صار بعد الاشباع قال ، ثم خضع هذا الفعل بعد ذلك الى التصريف فتفرعت منه الصيغ الاخرى من نحو : يقول ، وقول ، وقائل ...[٤٥٢]

لقد ذهب النحاة العبرانيون الى ان الاشباع هو علة ظهور الافعال المعتلة العين في العبرية[٤٥٣] واجنح الى ان هذا حصل في العربية ايضا اما ظهور الافعال المعتلة الفاء او اللام فمن المحتمل انها نشأت عن تطور في افعال صحيحة ثلاثية ، على النحو الذي سنذكره فيما بعد .

ولعل ما يسوغ ذلك ايضا اننا نلاحظ في ما يتصرف عن الافعال المعتلة العين شذوذا عن القواعد التصريفية العامة اذ جنحت العربية في اسم الفاعل من هذا المعتل الى ايجاد صوت (تعويضي) عن تلك العين ايضا هو الهمزة (الذي ينظر اليه في الصرف العربي على انه منقلب عن صوت مد طويل) ثم ما نلاحظ في اسم المفعول من جنوح الى وزان اخر غير وزان مفعول ، فنقول في نحو باع مبيع ، وفي نحو قال مقول .

فمن الممكن اذن ان نفسر ظاهرة الاتمام في المعتلات بوساطة افتراض الاشباع تفسيرا اخر ، فقد ورد ان قياس اهل الحجاز في اسم المفعول من الثلاثي المعتل العين يائيا كان او واويا ان يقولوا مبيع ومخيط ومدين ومعين في المفعول اليائي العين من باع وخاط ودان وعان ويقولون في اسم المفعول الواوي مقود ومعود من قاد وعاد[٤٥٤]

اما تميم فتقول مبيوع ومخيوط ومديون في المفعول من الياء ومقوود ومعوود في المفعول من الواو[٤٥٥]

---

٤٥٢ ـ العربية الفصحى /٢٠١

٤٥٣ ـ كتب ابي الوليد مروان بن جناح /٣١١

٤٥٤ ـ الصحاح ١١٨٩/٣ الخصائص ٢٦٠/١ الاشباه والنظائر ٤٠/١ اوضح المسالك ٣٤٣/٣

٤٥٥ ـ المصادر السابقة نفسها

ولقد ذهب اللغويون العرب ، ومن تابعهم من المحدثين الى ان الاصل في ذلك هو ما ورد على لهجة تميم ، لان قياس العربية ان تقول في فعل يفعل : مفعولا وهو امر قد لا يكون صحيحا ، ذلك ان الفعل المعتل العين ليس على وزن فعل يفعل بل ان له وزانا خاصا به لا ينتظم على عين الفعل ، بل على صوت مد طويل يستعاض به عنها هو :

فال يفيل : في اليائي .

فال : يفول : في الواوي .

فاذا كان الامر كذلك فلابد ان يكون وزان اسم المفعول من هذا المعتل غير وزان اسم المفعول من الصحيح ، ولابد ان يكون غير منتظم على عين المفعول ، بل على صوت مد يستعاض به عنها ، ولعل ما جاء من امثلة على لهجات اهل الحجاز في اسم المفعول يوضح حقيقة هذا الوزان ، اذ ان امثلة هذه اللهجات قد جاءت على النحو الاتي :

في المعتل الواوي : مقول من قال يقول .

في المعتل اليائي : مبيع من باع يبيع .

فمن المعقول اذن ان يكون ما جاء على هذه اللهجات هو الوزان الاصلي للمفعول من المعتل العين اي :

ان وزان اسم المفعول من فال يفول هو مفول .

ووزان اسم المفعول من فال يفيل هو مفيل ، ويمكن ان نفسر ميل التميميين الى ان يتموا فيقولوا مديون ومخيوط ومقوود على انه اطراد في القياس على وتيرة واحدة فكان ان قاسوا المعتل على الصحيح ، او ان ذلك كان لاسباب تتعلق بالنظام المقطعي والنبر في لهجتهم[٤٥٦] ولعل هذا يعني ان ما جاء على لهجة اهل الحجاز من امثلة هذا الباب ، اذهب في القدم مما جاء على لهجة تميم .

ان افتراض «الاشباع» يفسر لنا ايضا ظهور طائفة من ابنية الفعل في العربية من نحو ما يمكن ان نلاحظه من تطور افعال من نحو شَهد الى شاهد ، او شُهد الى شوهد او ما نلاحظه من تطور بعض من ابنية الاسماء من نحو فَعِل الى فعيل ، وذلك يعني ان للاشباع دورا كبيرا في احداث صيغ صرفية جديدة لاداء معان جديدة .

وذهب هنري فليش الى ان الاشباع قد يؤدي الى ظهور صوت مد مركب

---

٤٥٦ ـ لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة /٢٠٦ ـ ٢١١ و ٢١٨

وافترض انه من الممكن ان تكون صيغة فعيل قد نشأت عن صيغة فعل عن طريق اشباع صوت المد القصير وتحوله الى صوت مد مركب ، فبقيت اثار ذلك في امثلة من نحو زُملَ وزمَيل[٤٥٧]

لقد ذهبت طائفة من الباحثين الى ان ثمة علاقة بين الفعل المضعف والفعل المعتل ، وان هذا المعتل انما نشأ عن طريق الابدال والتعويض في الفعل المضعف ، من ذلك ما ذكر من ان (مادة كن) الفعل المضعف اصل في كان ، وكذلك مادة غب اصل في غاب ، ومادة جب اصل في جاب)[٤٥٨]

ولقد اشار الدكتور ابراهيم السامرائي الى ان ثمة (معالم لغوية احتفظت بها العربية تشير اشارة واضحة الى الاصل التضعيفي الذي ذهبنا اليه ، وهو ان الكثير من هذه الافعال الجوف مصادر تحتفظ بالحرف المضعف) من نحو قولهم كان كينونة ودام ديمومة وبان بينونة وصار صيرورة وجاب جيبوبة وغاب غيبوبة وقال قيلولة وصال صليولة[٤٥٩]

وذهب الدكتور ابراهيم انيس الى ان هذا القبيل من الامثلة شائع في العبرية ايضا ، من ذلك : צרר صارت الى צלל ربط و קשש «لمس و דקק صارت الى דקה» سكت» و זכך صارت الى זכו «طهر»[٤٦٠] مما يعني ان الاصل في المعتل انما كان التضعيف ثم ابدل احد المثلين صوت مد للمخالفة ، وهو امر تؤيده ايضا امثلة اللهجات العربية القديمة من انها مالت في الافعال المضعفة الى المخالفة فابدلت احد المثلين فيها صوت مد من نحو ما ذكرنا من ان تميما تقول في يملل يملي ، وفي يفضض يفضي ، ومن ان اهل الحجاز يقولون في جل يجل : جلا يجلو ، وهو امر يؤيده ايضا ما نلاحظه في طائفة من الافعال المعتلة ، التي يبدو انها نشأت عن طريق الابدال في الفعل المضعف وهو ما يستند اليه اصحاب نظرية الثنائية التاريخية[٤٦١] من ان الافعال كانت في الاصل ثنائية ثم ضعفت ، ثم

---

٤٥٧ ـ العربية الفصحى /٧٩ ، ويظهر كتاب الاستاذ جاردنر The Phonetics Of Arahic ص ٣٥ في أن بعض اللغات كالانكليزية تعرف تحول صوت المد الى صوت مد مركب عن طريق الاشباع .

٤٥٨ ـ دراسات في اللغة /السامرائي /١٦٦

٤٥٩ ـ المصدر السابق نفسه /١٦٦

٤٦٠ ـ بحث في اشتقاق حروف العلة/ مجلة كلية الاداب ـ جامعة الاسكندرية /م ٢/ ١٩٤٤ ص ١١٥

٤٦١ ـ ينظر : دراسات في فقه اللغة /١٦١ ـ ١٦٥

حصلت تغيرات صوتية في احد المثلين ، فخالف صاحبه وكثرت بذلك الافعال ومعانيها ويوردون لذلك امثلة ، يرون انها تملك دلالة عامة واحدة هي المعنى الاصلي لها جميعا ، ومن هذه الامثلة قولهم ، قد وقط وقطع وقطف وقطن وقذ ... الخ ودلالتها العامة القطع وان كان لكل منها معنى خاص ويفسر ادورد الندرف ذلك بان التضعيف قد اتخذ وسيلة لخلق ثلاثيات من ثنائيات اصلية نحو Mdd مد و Frr الخ وذهب الى ان ذلك ليس تخمينا محضا ، بل ان اللغات السامية تدل عليه ، ويستنتج بعد ذلك ان الدلالة الاصلية مستكنة في اصلين ، اما الصوت الثالث فيؤدي دور المكيف حسب[٤٦٢] ومن اجل ذلك كان من الممكن في بعض الاحوال ان يكون هذا الصوت الثالث من اصوات المد او انصافها ، بل ان اصوات المد وانصافها ، اضافة الى الاصوات المائعة هي اكثر الاصوات اللغوية قبولا لهذا الابدال وهو امر يوضحه قانون المخالفة الصوتية كثيرا ، ولعل ما اورده سيبويه من ان العرب من يقول قصيت في قصصت وقضيت في قضضت كراهية التضعيف[٤٦٣] يوضح ذلك ، وكذلك ما ورد من مضعفات ابدل احد المثلين فيها نونا (وهو من الاصوات المائعة) من نحو جندل في جدل يؤكد هذا الامر كل التأكيد .

من جانب اخر يذهب الدكتور بول كراوس الى ان طائفة من حالات الاعتلال توضح ان هذا الاعتلال قد يكون مرحلة وسيطة بين مرحلة الثنائية ومرحلة الثلاثية ، يعزز ذلك ما نلاحظ من علاقة قوية بين افعال معتلة ، واخرى غير معتلة ، من قبيل نشر ووشر ونصب ووصب ونطأ ووطأ ونخز ووخز[٤٦٤] وما الى ذلك من امثلة ، او من قبل ما نلاحظ من قربى في امثلة سامية متفرقة من نحو ما بين دور ودهر ، او الفعل روض بمعنى جرى ومقابله في الارامية رهط بمعنى جرى ايضا ، والمادة العربية عهد وما يقابلها في اللغات السامية الاخرى ولا سيما العبرية : عود[٤٦٥] بيد ان هذا الامر قد يشير من جانب اخر الى ان بعض امثلة الاعتلال قد تكون ظهرت نتيجة ابدال تم بين اصوات صامتة Consonants

---

٤٦٢ ـ علم اللغات السامية المقارن /١٨٢ ، (مجلة بين النهرين العدد /٢٢ ـ ٢٣ سنة /٧٨)

٤٦٣ ـ الكتاب ٢/٤٠١

٤٦٤ ـ محاضرات بول كراوس /المحاضرة الرابعة

٤٦٥ ـ المصدر السابق /المحاضرة الرابعة

وانصاف مد somi- Vowels في بعض الحقب التاريخية[466] .

يوضح ما سبق اننا لا نستطيع ان نبت بأمر قاطع في نشأة المعتلات ولعل ذلك يرجع الى ان هذه المعتلات ما كانت قد نشأت عن طريق بعينه ، فاذا كان بعضها قد نشأ عن طريق الاشباع في صوت المد القصير في مادة ثنائية الاصول ، فان بعضا ثانيا لابد ان يكون قد نشأ عن طريق المخالفة في المضعف ، وان بعضا ثالثا قد نشأ من جراء حدوث تطور صوتي او ابدال في واحد من الاصول الصامتة ، والى ذلك لابد من الاشارة الى ان بعضا رابعا قد جاءنا من جراء تسهيل الهمزة من نحو ما نرى في يلوم من يلؤم[467]

وليس ببعيد ايضا ان بعضا اخر كان الاعتلال فيه اصلا ولا سيما اذا لاحظنا ان انصاف المد تعامل في العربية معاملة الصوامت في النظام المقطعي ، وانها في طائفة من الحالات تكون قوية جدا[468] بيد ان ذلك على ما احسب كان محدودا جدا .

يلاحظ في الافعال المعتلة ، في طائفة منها انها تترجح بين الياء والواو ، فهي بالياء مرة وبالواو مرة اخرى ، من غير ان يتغير المعنى اي ان كلا من الواو والياء فيها لا تملك استقلالا فونيميا عن صاحبتها ، ويبدو ان الامر متأت من اختلاف اللهجات العربية القديمة في النطق وليس حالة متلبثة في العربية[469] وهو ما نلاحظ في الامثلة التي وردت عن هذه اللهجات ، من نحو ما جاء في لغة بني عامر من قولهم سيد في سوّد[470] وقول بني عقيل جاب يجيب في جاب يجوب[471]

---

٤٦٦ ــ ينظر بحث في اشتقاق حروف العلة/ مجلة كلية الاداب/ مجلة كلية الاداب/ جامعة الاسكندرية/ م٢ ١٩٤٤ ص ١٠٨ من أن الواو والياء كانتا في الاصل احد الاصوات الثلاثة اللام والميم والنون .

٤٦٧ ــ كتاب الكتاب /١٣ وينظر دروس في علم اصوات العربية /١٣٤

٤٦٨ ــ ينظر العربية الفصحى/ ٢٠١

٤٦٩ ــ ينظر الخصائص ٧٥/١ ــ ٧٦ قال ابن جني (عن ابي حاتم سهل بن محمد السجستاني في كتابه الكبير في القراءات قال : قرأ علي اعرابي بالحرم ــ طيبي لهم وحسن ماب ــ فقلت طوبي ، فقال طيبي ، فاعدت فقلت طوبي فقال طيبي ، فلما اطال علي قلت طوطو قال طي طي ، أفلا ترى الى هذا الاعرابي وانت تعتقده صافيا كرّا لا دمثا ولا طيعا ، كيف نبا عن ثقل الواو الى الياء فلم يؤثر فيه التلقين ولاثنى طبعه عن التماس الخفه هزّ ولا تمرين وظنك به اذا خلي مع سومه وتساند الى سليقته) .

٤٧٠ ــ طبقات اللغويين للزبيدي /٢٩٥ ؟

٤٧١ ــ الافعال لابن القوطية/٥١

وقول اهل نجد لهوت وقول اهل العالية لهيت[٤٧٢] ، وقول تميم قليت واهل الحجاز قلوت[٤٧٣] ، ثم ما نجد من امثلة غير معزوة في كتب اللغة من نحو قولهم حكوت وحكيت ومقوت ومقيت ، ونثوت ونثيت وقنوت وقنيت ، وحثوت وحثيت ، ورثوت ورثيت وكنوت وكنيت ومحوت ومحيت وطغوت وطغيت[٤٧٤] وهو امر قد يعني ان هذه المعتلات لم تكن قد استقرت الى حقبة متأخرة جدا في العربية الموحدة ، او ان الامر كان متعلقا بتطور حدث في اصوات المد في اللهجات القديمة ، وهو ما يبدو واضحا فيما ذكر من ان (الفعل الثلاثي الذي انقلبت عينه الفا في الماضي اذا بني للمفعول اخلص كسر اوله وسكنت عينه)[٤٧٥] وهي لغة قريش ومجاوريهم وبنى كنانة[٤٧٦] غير ان بعض اللهجات القديمة كانت تميل الى ضم الاول وهي قيس وعقيل ومن جاورهم وعامة اسد[٤٧٧] فنشأ عن ذلك صوت الكسرة المشوب بالضمة وهو ما ذكرناه في نحو قولهم قيل وبيع وسيق فكان ان تطور هنا الى الضم المحض فقلبوا الياء واوا وهم هذيل وبني دبير وفقعس[٤٧٨]

اختلاف في الافعال المعتلة :

١ ـ قال التميميون : حالت عينه تحول[٤٧٩] وصاد يصاد[٤٨٠] وعار يعار[٤٨١] وهاف يهاف[٤٨٢] اما اهل الحجاز فقد ذهبوا في ذلك مذهبا اخر فقالوا حولت عينه

---

٤٧٢ ـ المصباح ٨٦٢/٢
٤٧٣ ـ المزهر ٢٧٧/٢
٤٧٤ ـ الابدال/ لابي الطيب ٤٩٤/٢ ـ ٥١٦
٤٧٥ ـ البحر المحيط ١/ ٦٠ ـ ٦١
٤٧٦ ـ المصدر السابق ٦٠/١ ـ ٦١
٤٧٧ ـ المصدر السابق /٦١/١
٤٧٨ ـ المصدر السابق ٦١/١ واوضح المسالك ٣٨٧/١
٤٧٩ ـ اللسان ١٩١/١١
٤٨٠ ـ اللسان ٢٦٢/٣
٤٨١ ـ اللسان ٢٦٢/٣
٤٨٢ ـ التهذيب ٤٥٠/٦

تحــول[٤٨٣] وصــيد يصــيد[٤٨٤] وعور يعــور[٤٨٥] وهيف يهيف[٤٨٦] اي ان التميميين استعملوا صوت مد طويل محض للتعويض عن عيل الفعل على حين ان الفعل في لهجة اهل الحجاز لم يخضع للاعتلال وان نصف المد كان قويا جــدا فيه ، بحيث لم يخضع للاعتلال في احوال الاشتقاق ، وقد حاول بعض اللغويين تعليل ذلك بان الياء والواو انما صحتا لصحتهما في الاصل[٤٨٧]

ان من الممكن ان يكون الاعتلال ظاهرة اصيلة في العربية ، وليس امرا طــارئا وهو ما اشار اليه الدكتور هنري فليش[٤٨٨] ولعلنا نلاحظ ان الفعل المضارع مــن هذه الافعال كلها بقي محافظا في اللهجات الحجازية على نصــف المد في وظيفته المقطعية نفسها ، بخلاف ما لاحظنا في قال يقول وباع يبيع ، واحسب انّ الصــيغ التميمية لهذه الافعال انما نشأت من جراء انسجام الاصوات من جهة ، ولتجنب توالي ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة مــن جهــة ثانية ، وهــو توالي لا تســتسيغه اللهجة التميمية بوجه عام .

ونستطيع ان نذهب في التفسير مذهبا اخر وفاقا لرأي بلاك في ان هذا الضرب من الافعال انما نشأ من اشباع في صوت المد فنقول ان الصــيغ التميمية هــاف وصاد وعار وحال هي الصيغ المتقدمة وانها اهملت في لهجات اهــل الحجــاز ، فكان ان اشتقوا افعالا جديدة من الاسماء او من افعال اخرى .

ظهرت لتؤدي معاني الافعال التميمية من نحو اعورّ واحيدّ واحــول ، فــظهرت هذه الافعال الجديدة عور ، وصيد ، وحول ، ولعل قوة الياء والواو فيها تدل ايضاً على تأخرها ، وعلى انها لم تخضع للتغيرات الصوتية بسبب من قلة اســتعمال ، او من تأخر في النشوء ، ان ماجاء في تفسير بعض اللغويين لصحة الياء والواو في هذه الافعال قد يشير اشارة خفية الى ما يذهب اليه هذا التفسير ، وهو ان الياء والواو صحتا هنا لصحتهما في الاصل[٤٨٩] وكذا قول الجوهرى من أن الياء انمــا صحت لصحتها في الاصل ، ولتدل عليه وهو أصــيد بالتشــديد وكذلك اعوّر ، لان

---

٤٨٣ ــ اللسان ١٩١/١١

٤٨٤ ــ اللسان ١٦٢/٣

٤٨٥ ــ نفسه ٢٦٢/٣

٤٨٦ ــ التهذيب ٤٥٠/٦

٤٨٧ ــ اللسان ٢٦٢/٣

٤٨٨ ــ العربية الفصحى /٢٠١ ــ ٢٠٢

٤٨٩ ــ اللسان ٢٦٢/٣

عور واعوّر بمعنى واحد[٤٩٠] .

بيد أن التفسير الاول يبدو أقرب الى روح اللغة ومنطقها من التفسير الثاني وان كان هذا الاخير غير ممتنع الحدوث .

٢ ـ ذكرت المصادر أن طيئا تقول بقَى وبقت مكان بقَي وبقيت ، وكذلك في اخواتها من المعتل من نحو رضىَ ونسى في نَسيِ ، وفنَى ، يجعلون الياء الفا[٤٩١] ويشير ح ـ رابين Rabin الى أن ذلك قد حدث في اللغة العبرية ايضا[٤٩٢] .

ويبدو أن قلب الياء الفا ظاهرة صوتية اطردت شيئا من الاطراد في هذا القبيل من الافعال في العربية ، في حقبة من حقبها ، فكان أن قلبت عسي : عسى واتي : اتى ، ورعي وهو ما تدلل عليه اشتقاقاتها ، او هذه الافعال نفسها في اضافتها لتاء الفاعل من نحو قولنا عسيت واتيت ورعيت ولكن الظاهرة لم تستقم في كل افعال العربية التي من هذا الضرب ، فكان أن بقيت افعال من نحو نسي ورضي وبقي .

ومما يدلل على الاصل اليائي في هذه الافعال جملة من الامور اهمها :

١ ـ انها تجنح في التصريف الى الياء ، فنقول في اتى : اتيت ويأتي واتيان والاتي .... الخ .

٢ ـ انها تكتب بالالف المقصورة التي قد تدل على الاصل اليائي

٣ ـ ان اللهجة الصفوية كانت تكتب هذه الافعال بالياء كما مر بنا سابقا ، ولعلها كانت تنطقها نطق العربية الادبية لها[٤٩٣] .

ومن امثلة لهجة طيء في هذه الافعال يبدو ان هذه الظاهرة قد اتلأبت فيها في حقبة متأخرة ، فكان أن انقلبت ياء الافعال التي بقيت في العربية غير خاضعة لهذه الظاهرة الى الف محض .

ويبدو أن ظاهرة قلب الياء الفا في لهجة طي اطردت في الاسماء ايضا اذ انهم قالوا طائي ، والاصل طيئي[٤٩٤] وقالوا خظاة بظاة في خظية بظية[٤٩٥] ، وقالوا :

---

٤٩٠ ـ المصدر السابق ٢٦٢/٣

٤٩١ ـ اللسان ٨٠/١٤

٤٩٢ ـ Ancient West- Arabian, P. 161

٤٩٣ ـ Ancient West- Arcbian, P. 161

٤٩٤ ـ الكتاب ٨٦/٢

٤٩٥ ـ اللسان ٢٣٢/١٤

عفراة في عفريت[٤٩٦] ، ولقد ورد (أن من العرب من يقلب في بعض الاحوال الواو والياء الساكنتين الفين للفتحة قبلهما وذلك نحو قولهم في الحيرة حارى ، وفي طيء طائي ، واجاز غير الخليل في آية أن يكون اصلها اية فقلبت الياء الاولى الفا لانفتاح ما قبلها ، قالوا ارض داوية ، منسوبة الى الدوّ ، واصلها دوّية ، فقلبوا الواو الساكنة الفا لانفتاح ما قبلها ، الا أن ذلك قليل غير مقيس عليه غيره[٤٩٧] .

حالات اعتلال لهجية اخرى :

من الطبيعي أن يظهر الاعتلال في صيغ اسمية ايضا من نحو ما ظهر في قلب الطائيين الياء الفا في طائفة من الاسماء[٤٩٨] ، ومن نحو ما نلاحظه في الحالات الآتية :

١ ـ أن اسم المفعول من الثلاثي المعتل العين يائيا كان أو واويا فقياس اهل الحجاز أن يقولوا فيه مبيع ونحيط ومدين في المفعول اليائي العين من باع وخاط و دان ، ويقولون في اسم المفعول من الواو ومقود ومعود من قاد وعاد[٤٩٩] .

اما التميميون فيقولون مبيوع ومخيوط ومديون في المفعول اليائي العين من باع وخاط ودان ، ويقولون مقوود ومعوود في الواوي العين من قاد وعاد[٥٠٠] وهو القياس في العربية[٥٠١] ، وسنرى في الفصل القادم في الكلام على تاريخية الاعتلال ، أن من الجائز أن تكون الصيغة التميمية اقرب عهدا (من الصيغة الحجازية ، وليست اصلا كما ذهب الى ذلك كثير من اللغويين العرب[٥٠٢] .

٢ ـ قول الهذليين هوّى وعصّى وقفيّ في هواى وقفاى وعصاى[٥٠٣] ولعل ذلك كان مجانسة صوتية[٥٠٤] ، مما يشير الى أن الصيغة الهذلية اقرب عهدا من

---

٤٩٦ ـ البحر المحيط ٧٦/٧

٤٩٧ ـ سر الصناعة ٢٦/١

٤٩٨ ـ سر الصناعة ٢٦/١

٤٩٩ ـ ٥٠٠ ـ الخصائص ٢٦٠/١ المتع ٢٦٠/٢ شرح الشافية ١٤٩/٣

٥٠١ ـ شرح الشافية ١٤٧/٣

٥٠٢ ـ شرح الشافية ١٤٧/٣ ـ ١٥٠

٥٠٣ ـ ٥٠٤ ـ ينظر المحتسب ٧٦/١

الصيغة العربية المعروفة التي تحافظ على الالف .

ويبدو أن ما حدث كان بسبب من تطرف الالف والياء ، وهو ما يشير اليه سيبويه في قوله (وناس من العرب يقولون بشرّى لان الالف خفية والياء خفية وكأنهم تكلموا بواحدة فارادوا التبيان كما أن بعض العرب يقول افعى لخفاء الالف في الوقف)[٥٠٥] .

٣ ـ قول الحجازيين صياغ في صواغ[٥٠٦] ، ولقد فسر ابن جني ذلك بقوله (انما قال بعضهم صياغ في صواغ[٥٠٦] ، ولقد فسر ابن جني ذلك بقوله (انما قال بعضهم صيّغ ، لانهم كرهوا الواوين لاسيما فيما كثر استعماله ، فابدلوا الاولى من العينين ياء ، كما قالوا في أما (ايما ونحو ذلك فصار تقديره الصيواغ ، فلما التقت الواو والياء على هذا ابدلوا الواو للياء قبلها فقالوا الصياغ)[٥٠٧] ، اي ان ما حدث في رأي ابن جني كان ضرباً من المخالفة Dissimiiation, ومن اجل ذلك وضع صيغة مفترضة هي الصيواغ في مرحلة وسطى مرت بها الكلمة ثم جنح بها الانسجام الى التحول الى صياغ ، والتحمل واضح في هذا الرأي لان ما حدث بعد ذلك اعاد الكلمة الى مثلين مدغمين ، ولعل الاقرب الى الصواب ان ما حدث كان ضربا من المعاقبة لكثرة الاستعمال ، ولقد بيّنا فيما سبق قدرة اصوات المد وانصافها على التناوب فيما بينها في اللغة العربية في كثير من المواضع .

تاثير اصوات المد في الصوامت :

لقد تحدثنا في الفصل الاول عن تأثير اصوات المد في طائفة من الصوامت من نحو تأثير اصوات المد الامامية في صوت الكاف في اللغات الايطالية والفرنسية والانكليزية ، فيتقدم مخرج هذا الصوت بعض التقدم ، مما يؤدي الى تغيره من نحو تحوله الى « Ch » في الايطالية ، والى « Ts » في الفرنسية[٥٠٨] والى سين في الانكليزية[٥٠٩] في طائفة من المواقع .

---

٥٠٥ ـ الكتاب ١٠٥/٢

٥٠٦ ـ اللسان ٤٤٢/٨

٥٠٧ ـ المصدر السابق ٤٤٢/٨

٥٠٨ ـ لغات البشر/ ٩٨

٥٠٩ ـ المصطلحات اللغوية الحديثة/١٥٦

وهذا امر واضح ايضا في اللهجات العربية القديمة، اذ أن صوت الكاف المكسور يتحول في بعض السياقات الى صوت اخر قريب منه بتأثير صوت المد الامامي، الذي هو الكسرة فيقدم مخرجه بعض التقدم، لكننا نلحظ هذا التغير، ارتبط في هذه اللهجات بوظيفة لغوية.

١ ـ لقد ذكرت طائفة من اللغويين العرب أن ناسا من تميم ومن اسد يجعلون مكان كاف المؤنث شينا في الوقف[٥١٠] وذكرت طائفة اخرى انهم ربما جعلوا بعد هذه الكاف شينا فيقولون انكش في انك[٥١١] وعلل سيبويه هذا التغير بأن هؤلاء انما (ارادوا البيان في الوقف فارادوا ان يفصلوا بين المذكر والمؤنث) وذهب ابن جني الى ذلك ايضا، اذ رأى فيه (حرصا على البيان لان الكسرة الدالة على التأنيث فيها تخفى في الوقف فاحتاطوا للبيان بأن ابدلوها شينا «فقالوا عليش ومنش ومررت بشر)[٥١٢]، وعلى هذا يمكن أن نحدد أنّ تحول الكاف الى هذا الصوت الجديد كان بتأثير ما يأتي:

١ ـ مجيء صوت مد امامي هو الكسرة بعدها.

٢ ـ أن هذه الكسرة تؤدي وظيفة نحوية ـ دلالية في التفرقة بين الصيغ النحوية مما يتطلب التشديد عليها، او تقويتها فكان أن قوى تأثيرها في الصامت المجاور.

٣ ـ تطرف الصامت في السياق.

بيد اننا قد نلاقي بعض الصعوبة في وصف الصوت الجديد، اذ أن طائفة من اللغويين، وهو أمر أسلف فيه القول، قد ذهبت الى أن صوت الكاف قد قلب الى شين محضة وذهبت طائفة اخرى الى انه شين الحقت بالكاف.

واكبر الظن، أن الصوت الجديد ليس بهذا ولا ذاك، وانما هو صوت مزدوج بين الجيم والشين، او الكاف والشين، هو صوت (Ch) حسب النطق الانكليزي، وهو صوت يختلف عن الكاف بانه صوت قد تقدم مخرجه عن مخرج الكاف بعض التقدم، وهو ما اشار اليه ابن دريد صراحة في قوله (واذا اضطر الذي هذه لغته، قال جيدش وغلامش بين الجيم والشين، لم يتهيأ له أن يفرده)[٥١٣]، ولعل هذا الصوت الجديد قد تطور عند طائفة من

---

٥١٠ ـ الكتاب ٢٩٥/٢

٥١١ ـ المفصل ٢٢٦/٢ شرح المفصل ١٣٤٥/٩ الافعال لابن القطاع ١٠٦/٣

٥١٢ ـ الكتاب ٢٩٥/٢

٥١٣ ـ الجمهرة ٥/١

العرب الى شين خالصة بعد حين من الدهر .

٢ ـ ثم ذكروا أن من العرب من يجعل بعد كاف المخاطبة سينا للسبب السابق نفسه ، أي بتأثير صوت المد الامامي ، وفي الموقع نفسها ، ولقد اختلف في من العرب يفعل ذلك ، فقد ذهبت طائفة من اللغويين الى أن ذلك معروف في ربيعة كلها[٥١٤] ، وذهبت طائفة اخرى الى انه معروف في هوازن (وهم من الحجازيين)[٥١٥] .

واكبر الظن انه ليس سينا تلحق الكاف ، وانما هو صوت مزدوج لعله بين الكاف والسين ، او بين التاء والسين ، وهو ما كنا قد لاحظناه في بعض من امثلة الفرنسية ، ولعله قد تطور في نطق طائفة من هؤلاء الاعراب الى سين محضة .

وعلى اية حال فاننا نلاحظ أن تأثير صوت المد الامامي في الكاف في هذا السياق قد امتد الى سياقات اخرى ، فقد ورد أن من العرب (من يجري الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه أيضا)[٥١٦] ، بل وصل الامر الى أن ابدلوا في سياقات لا يؤدي فيها الكاف المكسور وظيفة التمييز لغويا ، من نحو ما جاء في كسر كلمة الديك في بعض الامثلة[٥١٧] ، ولعل هذا يفسر لنا ايضا تفشي قلب الكاف الى «Ch» في طائفة من اللهجات العربية المعاصرة من نحو اللهجات العراقية .

غير أن هذا القلب مات في العربية الفصحى ، فلم يستعمل ، ولعل ذلك كان ايضا بتأثير الكتابة العربية التي لم تبتدع للصوت الجديد رمزا كتابيا ، فكان أن مات في هذه العربية الفصحى ، وبقي على لسان العوام الى زماننا هذا .

التحول الى الصامت :

أ ـ نلحظ أن طائفة من التميمين يبد لون من الياء الشديدة جيما[٥١٨] وزعم الفراء انها لغة طيء ايضا[٥١٩] ، ويبدو أن هذا الابدال يتم في الوقف وحده[٥٢٠] ولعل ذلك يعني انه كان بسبب من الضغط في هذا الموضع ، والياء اذا ضغطت انقلبت الى

---

٥١٤ ـ التهذيب ٤٢٤/٩

٥١٥ ـ ٥١٦ ـ شرح الشافية للرضي ٤٥٤/٢

٥١٧ ـ مجالس ثعلب ٢١٦/١ سر الصناعة ٢١٦/١

٥١٨ ـ الكتاب ٢٨٨/٢ الابدال ٢٥٧/١

٥١٩ ـ الابدال ٢٥٨/١

٥٢٠ ـ الكتاب ٢٨٨/٢ شرح الشافية ٢٨٧/٢

الجيم[٥٢١] ، ومن امثلة هذا القلب :

خالي عويف وابو علّج المطعمان اللحم بالعشج

وبالغداة فلق البرنّج

يريد علي والعشيّ[٥٢٢] والبرنّي ، وورد ايضا في الوصل في قوله

كان في اذنابهن الشوّل من عبس الصيف قرون الأجلّ

يريد الايل[٥٢٣] .

ولعل ما يسوغ هذا الابدال انه تم بين نصف المد وبين الصامت لكننا نلاحظ ان ابدال الجيم من الياء موجود ايضا في الياء الخفيفة في حال تكون فيها هذه الياء صوت مد محض ، ولقد نسب هذا القلب الى بني دبير من بني اسد خاصة[٥٢٤] ولقد كان موجودا ايضاً في ناس من تميم[٥٢٥] ، وهو في موضع الوقف ايضاً ، ولعل ذلك يفسر هذا القلب[٥٢٦] ، ومن . امثلته قول الراجز :

اللهم ان كنت قبلت حجتج

فلا يزال بازل ياتيك بج

اقمر نهات ينزى وفرتج

يريد حجتي وبي ووفرتي[٥٢٧]

لقد عرفت بعض اللغات السامية شيئاً من هذا الابدال فقد أشار الاستاذ انوليتمان الى أن لهجة Tigre الحبشية مالت في بعض المواضع الى قلب الياء جيما[٥٢٨] .

ب ـ ان قضاعة عرفت ضرباً من هذا الابدال ايضاً ، اي ابدال الياء جيما ، ولكن في موضع بعينه ، هو اذا كان مع تلك الياء عين ، ولقد مثل لذلك بقولهم هذا راعج خرج معج ، اي هذا راع خرج معي[٥٢٩] ، وهو ما صطلح عليه اللغويون العرب

---

٥٢١ ـ شرح المفصل ١٣٩٠/٤

٥٢٢ ـ الكتاب ٢٨٨/٢

٥٢٣ ـ الابدال ٢٥٩/١

٥٢٤ ـ الابدال ٢٦٠/١

٥٢٥ ـ شرح الشافية ٢٨٧/٢

٥٢٦ ـ المصدر السابق ٢٨٧/٢

٥٢٧ ـ الابدال ٢٦٠/١ ـ ٢٦١

٥٢٨ ـ مجلة كلية الاداب /جامعة فؤاد الاول /م ١٠/ج١/ مايو ١٩٤٨/ ب٣٠

٥٢٩ ـ اللسان ٣٢٠/٢

بالعجعجة[٥٣٠] .

وفي الحق لا نستطيع تفسير اشتراط وجود صوت العين في تسويغ هذا الضرب من الابدال ، لان التحليل الصوتي لايجد مسوغا لتنافر اجتماع صوت العين مع صوت الياء ، ولعل الامر ــ وهو شيء غير مؤكد ــ كان بسبب من أن نطق العين في لهجة هذه القبيلة كان شديداً قويا ، فأثر في الصوت المجاور له الذي هو الياء ، فحوله الى صوت شديد ، فانقلب الى الجيم . قال ابن يعيش «اذا شددت الياء صارت جيما»[٥٣١] .

ج ــ ابدال تميم ياء «هذى» فيقولون هذه بسكون الهاء ، وقد فسر هذا الابدال بخفاء ياء المد المحض في الوقف ، ولان (الهاء بعدها اظهر منها ، وانما ابدلت هاء لقرب الهاء من الالف التي هي اخت الياء في المد ، فاذا وصل هؤلاء ردوها ياء فقالوا هذى)[٥٣٢] .

اما قيس واهل الحجاز فانهم يجعلون الوقف والوصل سواء فيقولون «هذه» بالهاء في كليهما[٥٣٣] ويبدو أن العربية الموحدة جنحت الى هذه . ايضاً ولكنها غيرت في النطق بعض التغيير ، اذ اضافت اليها صوت مد قصير هو الكسرة في نهاية الكلمة ليسهل وصلها في الكلام ، ومن المرجح ان الحجازيين كانوا قد فعلوا ذلك ايضاً في حالة الوصل .

وفي الحق أن صلة الهاء باصوات المد معروفة تاريخياً في اللغات السامية ولعل ذلك واضح كل الوضوح في اللغة العبرية ، اذ ان صوت الهاء فيها من اصوات الاعتلال[٥٣٤] ، ويعامل في حالة تطرفه في طائفة من الافعال معاملة اصوات المد[٥٣٥]

وثمة ما يشير ــ وان كان الامر غير اكيد ــ الى أن تاء التأنيث في العربية تطورت عن الهاء ، ولعل حالات الوقف تدلل على ذلك بعض التدليل[٥٣٦] ، وكأن هذه الهاء ايضاً كانت قد تطورت عن صوت مد كان يشير في حقبة موغلة في القدم

---

٥٣٠ ــ المصدر السابق ٢/٣٢٠

٥٣٠ ــ المصدر السابق ٢/٣٢٠

٥٣١ ــ شرح المفصل ٢/ ١٣٩٠

٥٣٢ ــ الكتاب ٢/٢٨٧ ــ ٢٨٨ شرح الشافية ٢/٢٨٦

٥٣٣ ــ المصدران السابقان نفس الصفحات .

٥٣٤ ــ ينظر الاساس /٦٨ وينظر في شرح المفصل ١/٦٦٧ في ان الهاء مشبهة باصوات المد

٥٣٥ ــ ينظر الاساس /١٨٢ ، و ٢٢٩ ــ ٢٣٤

٥٣٦ ــ شرح المفصل ٢/١٢٨١ وينظر اللهجات العربية في التراث /٣٦٤

الى التأنيث ، لكننا على اية حال لا نستطيع الجزم في هذا الامر ، وان كنت اذهب اليه ، ولعل الف التأنيث المقصورة هي الاصل في هـذه الهـاء ، اذ أنني ارى تلك الالف قد سلكت في العربية طريقين بسبب من تطرفها .

الاول : انها مدت محافظة عليها ، وكان ذلك سببا في نشوء الهمزة بعدها ، وقد ذكرنا فيما سبق أن مـطل صـوت المد ، ثم التوقـف عن ذلك يؤدي الى صـوت الهمزة ، وهو مـا أشـار اليه ابن جني في قـوله (اذا مـطلت الالف ادتك الى الهمزة)[٥٣٧] .

الثاني : تحويلها الى هاء ، محافظة عليها ، ويبدو أن هذه الهاء قد تطـورت في حالة الوصل الى تاء وهو ما قد تدل عليه المقارنات السامية ، ومـا قـد تدل عليه ايضا اشـارة ابن جني الى (أن تاء التأنيث في الواحـد لا يكون مـا قبلهـا الا مفتوحا)[٥٣٨] فكأن هذه الفتحة بقية من تلك الالف القديمة .

التحول عن الصامت :

من امثلة هذا التحول قلب الجيم ياء من نحـو قـولهم بعير ازيم في ازجـم[٥٣٩] وصهرى في صهريج[٥٤٠] وشيرة في شجرة[٥٤١] ، ولقد ذهـب بعض اللغويين الى ان ذلك لغة معروفة في تميم[٥٤٢] .

ان ظاهرة الابدال بين انصـاف المد ، أو أصـوات المد المحضـة والصـوامت واضحة جدا في طائفة من الامثلة العربية ، ولقد اورد ابو الطيب اللغـوي طـائفة منها في كتابه «الابدال» من ذلك : قولهم قفر يقفر وقفا يقفـو[٥٤٣] ودرس وداس[٥٤٤]

---

٥٣٧ ـ الخصائص ٣١٨/٢

٥٣٨ ـ المصدر السابق ٣١٨/٢

٥٣٩ ـ التهذيب ٢٧٥/١٣

٥٤٠ ـ المخصص ٣٤/١٤

٥٤١ ـ القلب والابدال/ ٢٩   المخصص ٣٤/١٤

٥٤٢ ـ التهذيب ٢٧٥/١٣

٥٤٣ ـ الابدال ٩٥/٢

٥٤٤ ـ المصدر السابق ٩٦/٢

وموت ومرث[٥٤٥] . قولهم : مزكورة وموكورة[٥٤٦] ، وزعق ووعق[٥٤٧] ، وقولهم تعكظ وتوكظ[٥٤٨] وقولهم اجلح واجلى[٥٤٩] وضبح وضبو[٥٥٠] ، وقولهم الذرى والورى[٥٥١] .... الخ .

ومن المؤكد ، اننا لا نستطيع بيان تسلسل التطور الصوتي في هذا الابدال بين اصوات المد وهذه الصوامت ، ولعله قد مر بمراحل شتى قبل أن يستقر ، ولعل لذلك ايضا صلة بما تحدثنا عنه من قبل في أن اصل هذه الالفاظ ثنائي ، ثم تحول الى الثلاثية ، وهو ما أشار اليه ادوارد الندوف كما سبق أن بينا .

ونحن الى ذاك لا نستطيع ان نحدد اللهجات العربية القديمة التي جنحت الى هذا الابدال ، ولكننا نلاحظ على أية حال أن لذلك صلة بظاهرة الاعتلال ولعل هذا الابدال كان سببا من اسباب ظهور المعتلات من جانب ، ولعله كان ايضاً وسيلة للتخلص من الاعتلال من جانب آخر .

٢ ـ ولقد كان لقانون المخالفة Dissimilation دور كبير في هذا الضرب من التحول في كلتا الكتلتين اللهجيتين ، من ذلك ما نرى في لهجة اهل الحجاز من كراهية التشديد في طائفة من الالفاظ ، فكان أن احتالت على ذلك بقلب احد الصوتين المدغمين الى صوت مد ، وذلك من نحو قولهم جلايجلو في جلّ يجلّ[٥٥٢] وصاعر في صعرّ[٥٥٣] والمنا في المنّ[٥٥٤] ، أو ما نراه في لهجة تميم من كراهية للتضعيف فكان أن جنحت الى قلب احد المثلين صوت مد ، من ذلك أن التميميين يقولون يفضني في يفضض[٥٥٥] ويملي في يملل[٥٥٦] ، ونلاحظ في مثل آخر انهم مالوا الى التخلص

٥٤٥ ـ المصدر السابق ٩٩/٢

٥٤٦ ـ المصدر السابق ٩٩/٢

٥٤٦ ـ المصدر السابق ١٥١/٢

٥٤٧ ـ المصدر السابق ١٥٣/٢

٥٤٨ ـ المصدر السابق ٣٢١/٢

٥٤٩ ـ المصدر السابق ٣١٢/١

٥٥٠ ـ المصدر السابق ٣١٢/١

٥٥١ ـ المصدر السابق ٢٨/٢

٥٥٢ ـ الزاهر ٣١١ ـ ٣١٢

٥٥٣ ـ البحر المحيط ١٨١/٧

٥٥٤ ـ التهذيب ٥٣٠/١٥

٥٥٥ ـ التبيان ١١٤/١ .

٥٥٦ ـ التبيان ١١٤/١ الجامع لاحكام القرآن ٢٤٤/١

من التشديد ايضا بأن قلبوا احد الصوتين المدغمين الى صوت من قبيل انصاف المد هو الياء وهو قولهم ايما في أما .

تطرف صوت المد

١ ـ في الوقف :

لقد بيناً في موضع سابق أن تطرف صوت المد قد يؤدي به الى حذف أو قصر أو تغير ، ولعل ما يحدث في العربية من حذف لصوت المد المتطرف في حالة الوقف يوضح ذلك جيداً ، حتى قيل ان العربية لا تقف على متحرك بل ان طائفة من اللهجات القديمة غالت في هذا الحذف ، حتى انها حذفت اصوات المد الطويلة ايضا من نحو الواو أو الياء[٥٥٧] أو انها حذفت الف ضمير الغائبة من نحو ما في لهجة طيء[٥٥٨] ، ونلاحظ أيضا أن لهجات اخرى مالت بصوت المد في هذا الموضع الى أن يقصر تقصيرا شديداً حتى صار حركة مختلسة ، من نحو الوقف بالاشمام أو الروم[٥٥٩] وهو ما يبدو مرحلة سابقة على سقوط صوت المد سقوطا تاما .

ومما يلاحظ ايضا انه لا يمنع حذف صوت المد المتطرف أن يكون قبله صامتان متجاوران ذلك لان العربية عامة تستسيغ اجتماع صامتين متطرفين من غير أن يفصل بينهما صوت مد وهو ما لا يحدث في موقع آخر ، غير أن ناسا من تميم جنحوا في هذا الموقع أيضا الى أن يفصلوا الصامتين بصوت مد قصير ، من نحو ما ورد من انهم يقولون اخذيه وضربته في اخذته وضربته ، ف (كأنهم يكسرون لالتقاء الساكنين لالبيان الحركة)[٥٦٠] .

ولقد بينا ايضا أن من الممكن أن ينقلب هذا الصوت الى صامت محض ، من نحو مارأينا من تحول ياء «هذي» الى هاء في الوقف عند التميميين ، ثم تطورها عند الحجازيين الى هاء في الوصل أيضا ، وهو امر قد نلحظه في ما اطلق عليه

---

٥٥٧ ـ شرح المفصل /١٢٧٦

٥٥٨ ـ الجمهرة ٢٣٤/١

٥٥٩ ـ شرح المفصل/٢٦٨ ـ ١٢٧٠

٥٦٠ ـ شرح المفصل ١٢٧٣/٢

«الترنم» كذلك ، اذ أن التميميين مالوا في انشاد الشعر الى أن يبدلوا مكان المد نونا فيما ينون وما ينون ، كقولهم :

يا أبتا علك أو عساكن

أو يا صاح ماهاج الدموع الذرفن

أو من طلل كالاتحمي أنهجن[٥٦١]

فكأن اصوات المد المتطرفة هذه صارت اول الامر اصوات مد انفية ثم تحولت الى نونات صريحة .

ونلاحظ ايضا ان بعض اصوات المد المتطرفة ينقلب الى صوت مد آخر في الوقف من ذلك : أن اهل الحجاز كانوا يقلبون الالف المتطرفة واوا في الوقف فيقولون في افعى افعو[٥٦٢] ولعل لهذه صلة بميلهم الى التفخيم ، فكأنهم فخموا أول الامر ثم تطور هذا التفخيم الى واو محضة وثمة نصوص آخرى تشير الى أن طائفة من طيىء تفعل ذلك أيضا[٥٦٣] ولكننا نلاحظ بوجه عام أن طيئا كانت تختلف في ابدال الالف المتطرفة في الوقف ، فاذا كان بعضهم يقلبها واوا ، فان بعضا آخر مال الى ان يقلبها ياء[٥٦٤] وهو أمر نراه ايضا في فزارة وقيس[٥٦٥] وان بعضا ثالثا جنح الى أن يقلبها همزة ، فكأنه مال اول الامر الى مطلها محافظة عليها ، فلما انقطع المد انتهى الصوت الى موضع الهمزة ، ولقد لاحظنا فيما سبق أن حالة انقطاع المد المتطرف قد تؤدي الى احداث صوت همزة[٥٦٦] .

ان حالة مطل صوت المد المتطرف للمحافظة عليه من السقوط ظاهرة عرفتها لهجة عربية قديمة هي لهجة ازد السراة ، اذ انها قالت في جاء زيد : جاء زيدو ، وفي مررت بزيد : مررت بزيدى[٥٦٧] .

غير أن بعض اللهجات العربية اختارت طريقة اخرى للمحافظة على هذا الصوت وكان ذلك عن طريق نقله الى قبل الصامت الاخير ، فلقد ذكر (أن بعض العرب يحول ضمة الموقوف عليه وكسرته على الساكن قبله ، دون الفتحة فيقول

---

٥٦١ ـ الكتاب ٢٩٨/٢ ـ ٢٩٩

٥٦٢ ـ اللسان ١٥٩/١٥

٥٦٣ ـ شرح المفصل ١٢٧٣/٢ شرح الشافية ٢٨٦/٢

٥٦٤ ـ الكتاب ٢٨٧/٢ جمع الهوامع ٢٠٦/٢ شرح الشافية ٢٨٦/٢

٥٦٥ ـ الكتاب ٢٨٧/٢ شرح المفصل ١٢٧٧/٢ ـ ١٢٧٨

٥٦٦ ـ ينظر دراسة الصوت اللغوي/٢٩٧

٥٦٧ ـ شرح المفصل ١٢٧١/٢

هذا بكْرٌ ومررت ببكِر)[٥٦٨] ولقد اشار النحاة الكوفيون الى أن ذلك ممكن ايضا في الفتحة[٥٦٩] .

ويبدو أن نقل صوت المد في هذه الحالة مرتبط بسياق بعينه حين يكون ما قبل الصامت الاخير صامت ساكن ، اي في كلمات من قبيل بكْر ، عمرو .. الخ[٥٧٠] .

وثمة ما يشير الى أن هذه اللغة انما هي لتميم[٥٧١] لكننا على اية حال نلاحظ أن العرب جميعا تنزع الى نقل صوت المد القصير المتطرف حين يكون الصامت الاخير همزة ، ومن امثلة ذلك قولهم في القف هذا الخُبُؤْ ، ومررت بالخبىء ورأيت الخَبأ[٥٧٢] ، الا أن بعض التغييرات الصوتية تصاحب هذا النقل في لهجة تميم ، اذ أن هذه اللهجة تجنح في هذه الحالة ، وبسبب من اختلاف اصوات المد في الكلمة الى الانسجام المدى ، فتقول من البُطُوء بضمتين ، وهذا الردىء بكسرتين[٥٧٣] .

٢ ـ القصر والمدّ :

ظاهرة القصر والمد تمثل حالة من حالات تطرف صوت المد في الكلمة وهذا التطرف وأن كان غير مقيد بالوقف ، لكنه قد يخضع صوت المد الى بعض التغيير ، ولقد وردت في هذا الشأن طائفة توضح أن لهجة اهل الحجاز تجنح بوجه عام الى مد هذه الالف المتطرفة حفاظا عليها عن طريق وضع همزة بعدها ، وفي الحق ان هذه الهمزة ، جاءت نتيجة للمد ، ثم القطع المفاجىء له ، فنشأ من جراء القطع صوت الهمزة وهو ما أشار اليه اللغويون العرب من امثال ابن جني في قوله (اذا مطلت الالف ادتك الى الهمزة)[٥٧٤] ، وصاحب شرح الشافية في قوله (أن مخرج الالف متسع وفيه المد البالغ ، فاذا وقفت عليه خليت سبيله ولم تضمه بشفه ولا لسان ولا حلق كضم غيره ، فيهوى الصوت اذا وجدت متسعا حتى ينقطع اخره في موضع الهمزة)[٥٧٥] وهو أمر اشار اليه المحدثون ايضا كالدكتور

---

٥٦٨ ـ المصدر السابق ١٢٧١/٢ ـ ١٢٧٢
٥٦٩ ـ المصدر السابق ١٢٧٣/٢
٥٧٠ ـ ينظر سر صناعة الاعراب ٩٠/١
٥٧١ ـ ٥٧٢ ـ شرح المفصل ١٢٧٣/٢
٥٧٣ ـ الكتاب ٢٨٦/٢ شرح المفصل ١٢٧٣/٢
٥٧٤ ـ الخصائص ٣١٨/٢
٥٧٥ ـ شرح الشافية ٢٨٥/٢

فليش[٥٧٦] .

وهذه الامثلة الحجازية هي قولهم اولاء[٥٧٧] وملطاء[٥٧٨] والشراء[٥٧٩] مقابل قول التميميين واهل نجد اولى وملطا والشرا ، ومن الممكن أن نعلل ذلك بأن اهل الحجاز نزعوا بوجه عام الى التأني في الكلام فنشأ عن ذلك مد المتطرف في حين كان اهل نجد ينحون الى السرعة في النطق ، فكان أن نزعوا الى القصر في هذه الامثلة[٥٨٠] .

لكن ذلك ليس متلئبا في كل ما وصل الينا من امثلة ، اذ ورد أن اهل نجد يقولون الزناء بالمد مقابل قول اهل الحجاز الزنا[٥٨١] ولعل ذلك كان لغة لبعضهم ، او مما غلط في نسبته ، اذ لم يصل الينا في هذا الشأن سوى هذا المثال .

---

٥٧٦ ـ التفكير الصوتي عند العرب/٦١ وينظر دراسة الصوت اللغوي /٢٩٧/

٥٧٧ ـ التبيان ١٤١/١ الجامع لاحكام القران ٢٨٤/١ اللسان ٤٥٣/١٥

٥٧٨ ـ المصباح ٨٥٣/٢

٥٧٩ ـ المخصص ١٦/١٦ التاج ١٩٦/١٠

٥٨٠ ـ ينظر اللهجات العربية في التراث /٤٤٠

٥٨١ ـ زاد المسير ٣١/٥ حلية العقود في الفرق بينالمقصور والممدود/٢٢

الفصل الرابع

اصوات المد في العربيّة
نظرة وصفيّة

نظام اصوات المد في العربية :

بقيت العربية محافظة على نظام اصوات المد السامي القديم المتألف من ثلاثة اصوات هي الفتحة والضمة والكسرة[1] على حين تفرعت هذه الاصوات في كثير من اللغات السامية الى اصوات عدة يختلف عددها من لغة الى اخرى ثم كان لهذه الاصوات المتفرعة ان تكتسب في كثير من الاحيان استقلالا «فونيميا» بحيث صار تغييرها علامة على تغيير في معنى الكلمة .

لقد مرت العربية التأريخية في بعض حقبها بتطورات اصابت نظام اصوات المد فيها ، فكان ان ظهرت اصوات مد فرعية في سائر لهجها القديمة ، من نحو الامالة والتفخيم والاختلاس والحركات المشوبة غير ان ما يميز العربية من سائر اللغات السامية ان هذه الاصوات المتفرعة قد بقيت فيها مجرد صور allophones من صور نطق اصوات المد الاساسية تستعمل في مواضع سياقية بعينها ، املتها عوامل صوتية بحتة من نحو المماثلة Assimilation والميل الى الانسجام Vowel Harmony او العادات النطقية الخاصة ببيئة بعينها ولم تستطع هذه الاصوات ان تكتسب قيما فونيمية خاصة بها ، مما ادى بها بعد ذلك الى ان تختفي من النطق في العربية الموحدة ، بحيث عادت هذه اللغة الى نظام اصوات المد السامي القديم .

---

١ ـ ينظر دروس في علم اصوات العربية/ ١٤٧ .

تصنيف اصوات المد في العربية :

لا يمكننا ان نصف اصوات المد في العربية الموحدة وصفا دقيقا من قبل مواضعها التشريحية ذلك ان اللغويين العرب القدامى - شأنهم في ذلك شأن لغويي الامم الاخرى - ما كانوا ليستطيعوا ان يتبينوا المواضع الدقيقة التي يتخذها اللسان في اثناء نطق هذه الاصوات[٢] وهو امر ما كان للمحدثين من اللغويين والباحثين ان يتبينوه لولا التقدم العلمي التقني الذي مهد لهم ان يستعملوا تلك الاشعة التي تسمى اشعة (اكس) في تصوير حركة اللسان في اثناء نطق هذه الاصوات ومن ثم تحديد الموضع الذي يتخذه في اثناء نطق صوت مد بعينه[٣].

اننا بطبيعة الحال نستطيع ان نحدد بوجه عام ان صوت الكسرة في العربية صوت امامي ضيق ، وان صوت الضمة خلفي ضيق ، غير ان الصعوبة الحقيقية تكمن في تحديد درجة ارتفاع اللسان في اثناء النطق ، ومن اجل ذلك نحاول الاستعانة بملاحظات صوتية عامة ، ابتغاء التوصل الى درجة هذا الارتفاع ومن هذه الملاحظات ما ذهب اليه البحث الحديث من ان اللغات التي تستعمل نظاما ثلاثيا في اصوات المد ، انما تجنح الى ان تكون اصوات المد فيها متباعدة تباعدا شديدا في المواضع التشريحية ، ذلك انها تريد ان تظهر اقوى درجة من المخالفة بين هذه الاصوات[٤] ولا يخفى ان العربية من هذا الضرب من اللغات ، وهو امر قد يعني انها اختارت اقصى درجات في جدول (التصنيف المعياري) [٥] او شيء قريب من ذلك لان اقصى هذه الدرجات هي التي تمثل اشد اصوات المد اختلافا في المواقع التشريحية .

والملاحظة الثانية التي تسعفنا في هذا المجال ، هي ما نلاحظه من علاقة وثيقة بين صوتي الضمة والكسرة الطويلين في العربية من جهة ، ونصفي المد الواو والياء فيها من جهة اخرى ، تصل الى حالة (التداخل الفونيمي) بحيث يحل صوت المد محل نصف المد او بالعكس في التغيرات الصرفية من غير ان يشعر

---

٢ - ينظر شرح المفصل /١٢٦٩ كلام ابن يعيش على تحديد الوضع التشريحي في نطق الياء من ان هذا الامر (باطن لا يظهر للعيان)

٣ - Elements of General phometics, p, 55

٤ - دراسة الصوت اللغوي/ ٢٢٩

٥ - ينظر الفصل الاول/ الاصوات المعيارية

المتكلم او السامع بهذا التحول ، وهو امر قد يشير ايضا الى ان صوت المد هنا يكون في اقصى درجة ممكنة من ارتفاع اللسان بحيث ان ادنى تغير يصيبه يحوله الى نصف مد ، من نحو ما نلاحظ في الامثلة الآتية :

جيل > اجيال

يقول > اقوال

والملاحظة الثالثة هو ما نراه في صوتي الضمة والكسرة في عربيتنا المعاصرة اذ ان التحليل قد اوضح انهما يكادان يكونان في اقصى درجة يمكن لسان ان يرتفع اليها من غير ان يؤدي ذلك الى ظهور احتكاك[6] اقول يكادان ذلك ان بعض التحليلات اوضحت ان هذين الصوتين لا يتوافقان تماما مع اصوات المد المعيارية التي صنفها دانيل جونز ، وهو ما توضحه الموازنة التي اجراها الدكتور كمال بشر بين اصوات المد في العربية (المعاصرة)[7] واصوات المد المعيارية اذ لاحظ ما يأتي :

١ ـ ان الكسرة في العربية اقرب ما تكون الى صوت المد المعياري رقم (١) مع اختلافين :

الاول : ان الجزء الامامي من اللسان مع الكسرة العربية اقل ارتفاعا منه مع صوت المد المعياري رقم (١) فالكسرة العربية اذن صوت مد ضيق ولكن بدرجة اقل من صوت المد المعياري رقم (١) .

الثاني : ان اعلى نقطة في هذا الجزء من اللسان في اثناء النطق بصوت الكسرة تكون خلف اعلى نقطة فيه حال النطق بصوت المد المعياري رقم (١) فالكسرة العربية اذن صوت مد امامي ولكن ليس بالدرجة التي توصف بها هذه الحركة المعيارية .

٢ ـ ان الضمة في العربية اقرب ما تكون الى صوت المد المعياري رقم (٨) مع اختلافين .

الاول : ان الجزء الخلفي من اللسان حين النطق بالضمة العربية يكون اقل ارتفاعا منه مع صوت المد المعياري رقم (٨) فالضمة اذن صوت مد ضيق ولكن ليس بالدرجة التي يصل اليها صوت المد المعياري .

الثاني : ان اعلى نقطة في هذا الجزء الخلفي من اللسان في اثناء نطق الضمة

---

٦ ـ علم اللغة العام/ د . كمال محمد بشر/ ١٥١ .

٧ ـ في نطق قراء القرآن من المعاصرين .

العربية تكون امام اعلى نقطة في هذا الجزء نفسه حال النطق بصوت المد المعياري رقم (٨) ومع ذلك فالضمة العربية صوت مد خلفي ولكنها لا تبلغ مبلغ صوت المد المعياري الثامن[٨].

وفي الحق ان اختلاف درجة ارتفاع اللسان في اثناء نطق احد صوتي المد العربية هذين ، هذا الاختلاف الطفيف عن درجة الارتفاع في صوتي المد المعيارين الاول والثامن ، ما كانت لتؤثر في قدرته على التحول الى نصف مد semi vowel كما هي الحال في الاصوات الاخرى التي لا يصل معها اللسان الى هذا الارتفاع من نحو اصوات المد نصف الضيقة او اصوات المد الواسعة .

اما صوت الفتحة في العربية فقد بين الدكتور كمال بشر انه اقرب ما يكون الى صوتي المد المعياريين الرابع والخامس ، او هو بينهما فاللسان في اثناء نطقه يكاد يكون مستويا في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه فهو اذن صوت مد واسع[٩].

ان الملاحظات العربية القديمة عن هذا الصوت تكاد توضح هذا الامر نفسه ، اذ ذكر اللغويون العرب انه لا عمل للسان في اثناء اداء صوت الفتحة[١٠] وكأنهم يريدون من ذلك الاشارة الى ان اللسان يتخذ موقفا محايداً ، فيكون مستويا في اسفل الفم في اثناء الاداء ، وهو امر قريب من الصحة ، اذ ان ذلك الارتفاع الطفيف في وسط اللسان ما كان ليشعر به وفي الحق ان هذا الارتفاع هو الذي يفسر لنا بعض الاختلافات في نطق صوت الفتحة من سياق الى اخر ، اذ اشار اللغويون العرب الى ان صوت الفتحة يكون مفخما مع الصوامت المفخمة ومرققا مع الصوامت المرققة[١١] وكأن في ذلك اشارة الى تغير في موضع هذا الارتفاع في اثناء نطق صوت الفتحة ، اذ ان ارتفاع وسط اللسان هذا يكون مع الصوامت المفخمة اقرب الى الجزء الخلفي من اللسان ، ومع الصوامت المرققة يكون اقرب الى الجزء الامامي منه ، ابتغاء شيء من المماثلة .

ان ما تقدم يوضح حركة اللسان في اثناء نطق هذه الاصوات وهو المقياس الذي تحدد بوساطته اصوات المد في اللغات عامة ، بيد ان ثمة مقياسا آخر هو

---

٨ ــ علم اللغة العام/ د . كمال بشر/ ١٥١

٩ ــ علم اللغة العام/ د . كمال بشر/ ١٥١

١٠ ــ ينظر الكتاب ٢/ ٣٥٧ ، الرعاية/ ١٣٤

١١ ــ لطائف الاشارات ١/٢٢١ وانظر ٢٢٠ ايضا .

حركة الشفتين وفي الحق ان الملاحظات العربية القديمة ، قد وضحت هذه الحركة بشيء من الدقة ، بل ان حركة الشفتين كانت اول مقياس عني به العرب في تحديد اصوات المد ، وهو ما يشير اليه الخبر المشهور عن ابي الاسود الدؤلي في تأريخ شكل المصحف اذ قال لصاحبه «اذا فتحت فاي فاجعل نقطة فوق الحرف ، واذا كسرت فاي فاجعل نقطة تحت الحرف واذا ضممت فاي فاجعل نقطة امام الحرف واذا ضممت فاي فاجعل نقطة امام الحرف»[12] او ما نكره الفخر الرازي في تفسيره الكبير من ان (من اراد التلفظ بالضمة فلا بد له من ضم شفتيه اولا ، ثم رفعهما ثانيا ، ومن اراد التلفظ بالفتحة فانه لابد من فتح الفم بحيث تنتصب الشفة العليا عند الفتح ، ومن اراد التلفظ بالكسرة فانه لابد له من فتح الفم فتحا قويا ، والفتح القوي لا يحصل الا بانجرار اللحى الاسفل وانخفاضه)[13]

كل ما تقدم يوضح ان لكل صوت مد من اصوات المد العربية الثلاثة ضربا من حركة الشفتين اذ تتخذ الشفتان هيأة الضم مع الضمة وهيأة الانكسار مع الكسرة وهيأة ثالثة محايدة مع الفتحة .

لقد بينا فيما سبق المواضع التشريحية لاصوات المد العربية ، لكننا على اية حال لا نستطيع القول ان اصوات المد العربية تتخذ مواقعها هذه في جهاز النطق في كل الاحوال اذ انها تتأثر بالاصوات المحيطة بها ــ من نحو ما لاحظنا من تأثر الفتحة فتميل الى الترقيق في طائفة من هذه المواضع وتميل الى التفخيم في مواضع اخرى مما يعني انها تخضع لطائفة من التغيرات الطفيفة .

ومن خلال ما تقدم من محاولة تصنيف اصوات المد في العربية يمكن ان نلاحظ مايأتي :

١ ــ ان العربية لا تستعمل سوى درجتين من درجات الانفتاح وهما :

أ ــ درجة الضيق : حين يكون احد طرفي اللسان في اعلى ارتفاع يمكن ان يصل اليه في اثناء احداث صوت المد من غير ان يحدث احتكاكا مسموعا ، او في ارتفاع قريب من ذلك وهي الدرجة التي يحدث فيها صوتا الكسرة والضمة .

ب ــ درجة الاتساع : حين يكون اللسان في حالة استواء داخل الفم في اثناء نطق صوت المد ، وهي الدرجة التي يحدث فيها صوت الفتحة[14]

---

١٢ ــ صبح الاعشى ٣/ ١٥٦

١٣ ــ التفسير الكبير ٤٧/١ وللفائدة ينظر شرح المفصل/ ١٢٦٩ قول ابن يعيش (الكسرة تكسر الشفتين كما ان الضمة تضمهما) .

١٤ ــ المصدر السابق ٢٣٠ ــ ٢٣١

اي ان العربية تهمل درجات الانفتاح الاخرى التي اشرنا اليهـا في الفصـل الاول من نحو نصف الضيقة Half- closed ونصف الواسعة Half- open.

٢ ـ تستعمل العربية الشفتين وسـيلة في تنويع اصـوات المد ، كمـا يحـدث في الفرنسية مثلا ، بل ان الشفتين قد اتخذتا في العربية سـلوكا ثابتا مـرتبطا تماما بتوتر عضلة اللسان بحيث انهما تنضمان مع الصـوت الخلفـي Back وتنكسران مع الصوت الامامي Front وتسـتويان محـايدتين في اثناء نطـق الصوت الذي يستوي فيه اللسان في داخل قاع الفم . اي ان العـربية بعبارة الاستاذ محمد الانطاكي (لا تستعمل الخلفيات الا وهي منضمة ولا تستعمل الاماميات الا وهي منكسرة)[١٥] ولقد لاحظنا في الفصل الثالث ظهور تنوعات في اصوات المد في بعض حقب العربية في مستويات لهجية حسب كانت بسبب من اتخاذ الشفتين هيئات متنوعة لا ترتبط بحركة عضلة اللسـان ارتباطـا ثابتا[١٦] ومن هذه الاصوات الضمة المشوبة بالضـمة في سـياقات محـددة ، محصورة في لهجات قديمة معينة ، سرعان ما ماتت .

٣ ـ يخرج الهواء مع اصوات المد العربية بكامله من الفم لكننا نلاحظ ان بعض السياقات تؤدي الى ان يخرج شيء من هذا الهواء من الانف ايضا من نحـو ما يحدث في الحالة التي يكون فيها صوت المد متلوا بصـامت انفـي سـاكن كالنون ، وهو ما يظهر واضحا في (التنوين) او ان يخرج معظم هذا الهـواء (اذا لم يكن بكامله) من الانف في ما نطلق عليه ظاهرة (الغنة) بيد ان هذا ما كان في العربية ذا طابع فونيمي phonemic البتة .

٤ ـ يلاحظ ايضا ان العربية استعملت الطول في صوت المد لزيادة التنويع ، لكنها على اية حال استعملت درجتين اثنتين من الطول فقط هما .

أ ـ درجة القصر .

ب ـ درجة الطول .

فهناك صوت مد قصير من نحو الفتحة يقابله صوت مـد طـويل هـو الفتحـة الطويلة ، ويطلق عليها في العربية (الالف) .

وفي الحق ان اختلاف صوت المد الطويل عن القصـير ليس اختلافـا في الكمية حسب ، لكنه اختلاف في الكيفية ايضا ، اذ ان موقع اللسـان مـع احـد هـذين

---

١٥ ـ ينظر للفائدة اللغة/ فندريس/ ٤٦ .

١٦ ـ ينظر المحيط في اصوات/ الانطاكي/ ١/ ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨

الصوتين مختلف قليلا عن موضع الصوت الاخـر[١٧] يصـحبه اختلاف طفيف في درجة انفتاح الشفتين[١٨].

ان كل درجة من درجتي الطول في هذه الاصـوات تملك في العـربية اسـتقلالا فونيميا عن الاخرى ، بحيث ان تغير درجة صوت المد في الكلمة يغير في معناهـا الصرفي من نحو ما نجد في الامثلة الاتية :

ضَرَبَ : ضارَب ، قَتَلَ : قاتَلَ ، جَلَسَ : جالَس

وقد يغير ايضا في المعنى الاساسي من نحو ما نجد في غمر : اي علا وغطا فـاذا مطل صوت المد الذي قبل الميم تغير المعنى الاساسي اذ ان غامر : خاصم غيره[١٩].

لكننا نلاحظ ايضا ان احدهما قد يحل محل الاخر في حالات قليلة جدا من نحو احتلال صوت المد الطويل محل نظيره القصير في ما اطلق عليه في العربية اشباع صوت المد من نحو قولهم يابشـير يمـدون كسرة الباء بالياء ويقـولون يامنذير يريدون يامنذر[٢٠] ومن الامثلة التي اوردها ابن جني في باب مطل الحـركات مـن الالف المنشأة عن اشباع الفتحة في قول ابن هرمة :

فأنت من الغوائل حين ترمي

ومن ذم الرجال بمنتزاح

اراد بمنتزح

او قول الاخر في مطل الضمة

وانني حيث ما يشري الهوى بصري

من حيث ما سلكوا ادنو فانظور

يريد انظُر[٢١]

ولعل ذلك كان ايضا لان العربية لا تكاد تفرق في نظامها الصرفي بين اصـوات المد الطويلة وانصاف المد ، فهي تعدهما مجموعة فونولوجية واحـدة هـي الالف والواو والياء من غير ان تنظر الى الاختلافـات في الكيفية Quality والكمية Quantity بين هاتين المجموعتين وهو امر سوغه النظام الصرفي ، بسـبب مـن ذلك التناوب القـوى بين اصوات المد الطويلة وانصاف المد في العربية في اثناء التصريف . من نحو ما نلاحـظ في الامثلة

---

١٧ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ١٨٢ .

١٨ ـ دراسات في علم اللغة/ ١٢٠ .

١٩ ـ اللسان ٥/٢٩ ـ ٣٠

٢٠ ـ التهذيب ١٥/٦٦٨ .

٢١ ـ الخصائص ٣/١٢١ ـ ١٢٤ .

الاتية :

كيس «في المفرد» > اكياس «في الجمع»

يقول > قولا > اقوالا

مد محض > نصف مد

بل ان بعض اللواحق ذات الطبيعة النحوية ، قد تتغير من المد الكامل الى نصف المد من غير ان يشعر المتكلم العربي بتغيرها ، من ذلك لاحقة «ياء الاضافة» في نحو قولنا غلامي ، وكتابي . في المد المحض وعصاى وفتاي في نصف المد[٢٢] وهو امر نلاحظه ايضا في لاحقة «واو الجماعة» كقولنا في المد المحض : كتبوا ورسموا وقولنا في نصف المد ، راوا وعصوا وعلى هذا الاساس يمكن القول :

أ ـ ان العربية لا تشعر باستقلال اصوات المد الطويلة فونيميا عن انصاف المد وعليه يسقط ما ذهب اليه بعض الباحثين من ان فونيمية اصوات المد الطويلة تكمن في الطول نفسه .

ب ـ ان اصوات المد الطويلة لا تؤلف في العربية مجموعة مستقلة بنفسها بل انها تتداخل مع انصاف المد ، لتولفا معا مجموعة صرفية ـ فونيمية واحدة بحيث ان المتكلم العربي لا يحس في كثير من الاحيان بالفروق الكيفية والكمية بين هاتين الطائفتين من الاصوات وكأن كلا من صوت المد الطويل ونصف المد يمثل صورة نطقية حسب لوحدة صوتية اكبر سوغها ما يحيط بذلك الصوت من اصوات مد اخرى في الكلمة .

لكننا نواجه بجانب هذه الوحدة الفونيمية بين صوت المد الطويل ، ونصف المد في العربية ، باختلاف ثانوي في الوظيفة الصرفية ، ففي حين كان نصف المدّ يسلك في النظام الصرفي مسلك صوت مفرد Single ويمثل واحداً من عناصر الاصول في هذه اللغة كان صوت المد الطويل فيها يؤدي وظيفة مزدوجة في النظام الصرفي العربي ، تتمثل هذه الوظيفة المزدوجة في كونه يؤدي وظيفة حركة ثم واحد من الالف والواو والياء في حالة سكون ، هذه على الاقل نظرة العربية للسلوك الفونولوجي لهذا الصوت ، وهي نظرة تتجاوز حقيقة كونه صوتا منفردا ايضا ، هذه الثنائية الوظيفية واضحة تمام الوضوح في التحليل الصرفي ، اذ نجد ان صوت المد الطويل يحل دائما محل صوتين اثنين الاول منهما صوت مد قصير مجانس ، والثاني واحد من الاصول (في حالة سكون) فكلمة (مصطفى) مثلا وهي متألفة من : (ص + م قصير + ص + ص + م قصير + ص + م طويل تقابل في النظام الصرفي في العربية تمام المقابلة بناء (مفتعل) المتألف من : (ص + م قصير + ص + ص + م قصير + ص + م قصير + ص) وهذا يعني صوت المد الطويل يعامل صرفياً على انه يمثل صوت مد قصير ثم عنصر اصلي في حالة سكون ، هذه الثنائية واضحة

---

٢٢ ـ ينظر شرح المفصل /٣٤٩ ـ ٣٥٠ ، والنشر ١٦١/١

ايضا في معاملة العروض العربي لصوت المد الطـويل ، اذ ان التحليل العـروضي سلك المسلك نفسه الذي سلكه التحليل الصرفي ، في النظر الى صوت المد الطـويل بوصفه صوتا ثنائيا متألفا من حركة مجانسة ثم واحد من الالف والواو والياء في حالة سكون .

ولعل وظيفة صوت المد الطويل المزدوجة هذه ، واحدة من الاسباب التي جعلت اللغويين العرب ينظرون الى صوت المد الطويل على انه صوت ثنائي ، وهي فكرة وان كانت خطأ واضحا من قبل النظرة الصوتية ، الا ان لها كما يبدو ما يسوغها من قبل النظرة الفونولوجية (الوظيفية) .

ومن جانب آخر نلاحظ في طائفة من الحـالات ظـاهرة تقصـير صـوت المد الطويل ، وهذه الحالات مرتبطة بالنظام المقطعي العربي syllabic system بوجـه عام ، من ذلك تقصير صوت المد الطويل اذا جاء ضـمن مقـطع مـديد مغلق اي الحالة التي يأتي فيها صوت المد الطويل متلوا بصامت ساكن ، من ذلك تحول :

لم ينامْ > لم ينَمْ

لم يقولْ > لم يقُلْ

لم يبيعْ > لم يبعْ

بحيث اتخذ هذا التقصير طابعا نحويا خاصا يمثل الخـروج عنه خـروجا عن قواعد اللغة .

ان ما تقدم يوضح ان العربية جعلت من درجة الطـول في صـوت المد ملمحـا تمييزيا ولقد بين البحث اللغوي الحديث ان (اللغات التي تستخدم الطول كملمح تمييزي تقابل بين الطوال Longs والقصـار Shorts فقـط ، اي انهـا تكتفـي بوحدتين وتغض النظر عن الاختلافات الاخرى في داخل كل وحدة وذلك لان مـن الصعب على الاذن العادية ان تميز بطريق التأكد بين اكثر من درجتين من الطول في سياق صوت معين)[٢٣]

لكن ذلك لا يعني ان العربية لم تشهد في بعض حقبها درجات اخرى من الطول ، اذ ان ذلك قد حصل في بعض اطوارها فظهرت عندنا درجات من الطول من نحـو الاختلاس والروم والاشمام وهو ما فصل الحديث فيه في الفصل السابق ، بيد ان ذلك بقي محصورا ، ثم تلاشى تماما لسببين :

---

٢٣ ــ دراسة الصوت اللغوي/ ١٩٨ .

الاول : انه بقي محصورا في مستويات لهجية حسب .
الثاني : ان ذلك كان مرتبطا بسياقات صوتية بعينها ولم يرتبط بأي دور فونيمي .

كما لوحظ ان ثمة درجات اخرى من الطول بقيت في العربية غير انها بقيت تابعة للدرجتين السابقتين ، اعني درجتي الطول والقصر ولم تستقل عنهما ، اي انها كانت مجرد صور نطقية allophones لم ترتبط بدور فونيمي خاص بها من هذه الدرجات ما لاحظه القدماء من ان صوت المد الطويل الذي يأتي قبل الهمزة يزداد طولا من نحو قولنا اسماء وماء ويضيء وبطيء .. الخ[٢٤]

وكذلك اذا جاء قبل صوت صامت مدغم من نحو شابة ودابة[٢٥] وقد فسر الدكتور ابراهيم انيس هذه الاطالة بحرص المتكلم على صوت المد وطوله (لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة او الادغام ، لان الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين اذ الاول يستلزم ان يكون مجرى الهواء معه حرا طليقا ، وان تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة في حين ان النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقا محكما ، ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج الى مجهود عضلي كبير ، والى عملية صوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتي الذي تتطلبه اصوات اللين ، وهذا هو نفس السر في اطالة صوت اللين حين يليه صوت مدغم ، لان طبيعة اللغة العربية ونسجها تستلزم قصر اصوات اللين الطويلة حين يليها ساكنان فحرصا على صوت اللين وابقاء على ما فيه من طول بولغ في طوله لئلا تصيبه تلك الظاهرة)[٢٦].

ونلحظ ايضا ان سياقات اخرى تزيد او تقصر من طول صوت المد ، من ذلك ان وقوع صوت المد بين مجهورين يزيد من طوله وعلى العكس من ذلك كان وقوعه بين مهموسين يقصر من هذا الطول[٢٧].

بيد ان كل هذه الدرجات تبقى غير ملحوظة بالنسبة الى اذن السامع العربي .

لقد بين اللغويون مواقع اخرى تزيد او تقصر من طول صوت المد ، من غير ان يكون ذلك ذا طابع فونيمي ، وهي مواقع اشرنا اليها في الفصل الاول من نحو

---

٢٤ ــ مصر الصناعة ١/ ١٩
٢٥ ــ المصدر السابق ١/ ١٩
٢٦ ــ الاصوات اللغوية ٨٥ ــ ٨٦ .
٢٧ ــ المصدر السابق/ ٨٦و

درجة النبر وعدد المقاطع المعترضة بين نبر قوى وتاليه ، وطريقة التنغيم[28].

قلنا سابقا ان اختلاف درجة الطول في صوت المد العربي ، قد ارتبط باداء كل درجة من الطول دورا فونيميا والسؤال الذي يمكن ان يسأل هنا ، اكان هذا الدور الفونيمي «كامنا في درجة الطول نفسها ام لا ؟

لقد ذهب الدكتور احمد مختار عمر الى ان الفونيمية كامنة في درجة الطول نفسها ، ويرى انها فونيمية فوق تركيبية[29]

ويحلل صوت المد الطويل على هذا الاساس على انه صوت مد قصير اضيف اليه فونيم الطول[30] ويبدو انه اقتبس هذه الفكرة من جونز الذي ذهب ـ وهو لا يعني بذلك العربية قطعا ـ الى ان الطول ذو مركز فونيمي في ذات نفسه[31].

ولكننا حين نطبق ذلك في العربية نجد ان ما جعل اصوات المد الطويلة في العربية ذات قيمة فونيمية خاصة بها ، ليس الطول نفسه ، ولكن سلوكها في النظام الصرفي العربي ، اذ ان صوت المد الطويل يؤدي في هذا النظام دورا يختلف كثيرا عن الدور الذي يؤديه صوت المد القصير ، اذ انه يحل في كثير من الاحيان محل احد عناصر «الاصل» من نحو الالف في قال ، والياء في قيل والواو في نور[32].

ثم انه بقليل من التحوير النطقي يتحول الى ذلك الضرب من الاصوات الذي يسلك سلوك الصوامت في النظام المقطعي العربي ، وهو الضرب الذي اطلقنا عليه مصطلح انصاف المد Semi vowels وفي الحق ان العربي لا يشعر باختلاف الصوتين (اي صوت المد الطويل ونصف المد) في اثناء التصريف .

---

٢٨ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ١٩٩ ـ

٢٩ ـ هناك انواع من الفونيم اشرنا الى بعضها في الفصل الاول ، ويمكن الاشارة هنا الى نوعين من الفونيمات :

أ ـ التركيبي : وهو الذي يكون جزء من بناء التركيب الصوتي يمكن عزله او افراده عن التركيب او افراده عن التركيب ينظر دراسات في علم اللغة/ ٢٢٨

ب ـ غير تركيبي (او الثانوي) : مجرد ظاهرة خارجية ترتبط بالتركيب وتميزه ولكنها ليست جزء من بنائه ومن ثم يمكن افرادها او عزلها ينظر دراسات في علم اللغة /٢٢٨

٣٠ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٣١١ .

٣١ ـ المصدر السابق/ ١٩٩ .

٣٢ ـ ينظر الخصائص ٢/ ٢٩٠ في عد اصوات العلة (اصوات المد الطويلة وانصاف المد) مما يستعمل اصولا .

ولعل هذا كان واحدا من اسباب كتابة العرب لاصوات المد الطويلة بالرمز نفسه الذي تكتب به انصاف المد ، على حين نلاحظ في لغات اخرى كالانكليزية ان ابناء تلك اللغة يفرقون بعض التفريق بين المد الكامل ونصف المد في كتابتهم فهم يضعون رمزي Y و W لانصاف المد ، ورموزا اخرى لاصوات المد المقابلة لها من نحو I, e, o, u وهي رموز تتداخل فيها درجات الطول تداخلا يكاد يكون كاملا ، فالانكليز يستعملون رمز الفتحة a في مواضع للتعبير عن صوت المد القصير من نحو ما نجد في Woman وفي مواضع اخرى للتعبير عن صوت المد الطويل من نحو ما نجد في Car وفي مواضع ثالثة للتعبير عن صوت مد متوسط الطول من نحو ما نجد في rat من غير ان يتغير الرمز[٣٣] او انهم يزيدون في طول الصوت من خلال تكراره من نحو قولهم Foot و Feet وهو امر لا يظهر في العربية ، اذ ان نظام كتابة اصوات المد القصيرة يختلف اختلافا تاما عن نظام كتابة الاصوات الطويلة فهو – ان صح التعبير – نظام «فوقي» لا تدخل اصواته في اثناء الكلمة ، وفي كثير من الاحيان لا يرمز لها في الكتابات العربية ، ولعل ما اشار اليه الخليل ابن احمد من ان «الحركات» زوائد تعتور الحرف[٣٤] يوضح هذا اما اصوات المد الطويلة ، فقد استقرت العربية على ادخالها في اثناء الكلمة لانها من الاصوات التي يمكن ان تكون من عناصر الجذر العربي او ما يطلق عليه «الاصول»[٣٥]

ومن هنا يمكن القول ان «فونيمية» اصوات المد الطويلة لم تأت من الطول نفسه ، بل من سلوك هذه الاصوات في النظام الصرفي العربي ، وهو ما يشير اليه جان كانتينو بقوله «ان كثيرا من الحركات التي هي طويلة من حيث علم الاصوات ليست كذلك من حيث علم وظائف الاصوات»[٣٦].

انصاف المد في العربية

لقد تحدثنا فيما سبق عن التحوير النطقي الذي يصيب صوت المد الطويل

---

٣٣ – للفائدة ينظر

٣٤ – الكتاب ٢/ ٣١٥ .

٣٥ – ينظر المتمع ٢/ ٤٢٥

٣٦ – دروس في علم اصوات العربية/ ١٦٦ .

فيحوله الى نصف مد وقلنا ان ذلك يحدث حين ينشأ في اثناء نطق صوت المد الطويل بعض الاحتكاك الذي لا يبعده عن طبيعته المدية كثيرا ، ولكن يقلل من قوة الاسماع فيه ثم يجعله يسلك في التأليف الفونولوجي العربي سلوك الصوامت حسب ، وهو امر واضح في العربية ، ولكننا نلاحظ بجانب ذلك ان التحوير النطقي في صوت المد الطويل هذا مصحوب بان يفقد الصوت بعضا من كميته[37] بمعنى آخر يفقد ميزة الطول فيه وربما كانت تسميته بنصف المد semi vowel متأتية من هذا الامر .

وفي العربية نلاحظ ان صوتي الواو والياء يكونان من هذا القبيل من الاصوات في سياقين اثنين هما :

١ ـ اذا جاء بعد الواو والياء صوت مد .

٢ ـ اذا كان قبل الواو او الياء مباشرة صوت مد مغاير ، ويكون بوجه عام صوت الفتحة[38] ذلك لانه لا يمكن لاي من هذين الصوتين ان ينطق هنا من غير ان يحدث احتكاك يؤدي به الى التخلص من حالة المد المحض .

ويلاحظ ههنا ان الواو والياء تختلفان شيئا من الاختلاف في صفاتهما الصوتية في السياق الاول عنهما في السياق الثاني ، اذ تكونان في السياق الاول قريبتين جدا من الحالة الصامتية في حين تكونان في السياق الثاني اقرب الى اصوات المد[39] وهو اختلاف قد اشار اليه اللغويون العرب من قبل ، من نحو اشارة ابن جني الى انه اذا انفتح ما قبل الواو والياء وكانتا ساكنتين فانهما لا تخرجان من المد كل الخروج بل فيهما بقية منه ، وعلل ذلك بوقوع المدغم بعدهما في نحو أصَيْمّ ومَخيْفَة ودوّيّة ، ذلك ان هذا الضرب من التأليف الصوتي لا يأتي في العربية الا اذا كان قبل المدغم صوت طويل من نحو ما نجد في شابة ودابّة ثم اكد ذلك باننا لا نجمع في القوافي بين عَوْم وصَوْم وكَرْم وجَرْم ، مما يدل على ان سكون هذين الصوتين اذا سبقا بالفتح لم يخرجهما من المد [40] في حين انهما اذا تحركا سلكا مسلك الصوامت تماما ، يؤكد ذلك عند ابن جني انه يجوز ان يؤتى في القوافي بـ (الغير) مع (الخبر والسمر ، او بـ (الطول) مع العمل والسمل من غير

---

٣٧ ـ ينظر المستوفي في النحو/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨

٣٨ ـ ينظر علم اللغة العام/د . كمال بشر/ ٨٥

٣٩ ـ المنعج الصوتي للبنية العربية/ ٣١

٤٠ ـ المنصف ٢/ ٢٢٥

خلل في العروض[41].

ومن ذلك ايضا اشارة علي بن مسعود الفرغاني الى ان الواو والياء المتحركتين مشابهتان للصوامت في الكمية والكيفية ولذلك جاز ان يجمع في القوافي بين عورَ وعكَر ، والى انها اذا كانتا ساكنتين وقبلهما فتحة فانهما تكونان قريبتين من حالة المد المحض يدلل على هذا انهم لا يجمعون في القوافي بين عَيْرْ وعَصرْ[42] ومن ذلك ايضا اشارة الاسترابادي[43]

ويقترح الدكتور عبدالصبور شاهين في هذا المجال ان نطلق على الواو والياء في كل سياق من هذين السياقين مصطلحا مستقلا ويذهب الى انه من الممكن ان نطلق على كل منهما اذا تحركت مصطلح نصف صامت Semi Consonant وذلك لبيان الصفة «الصامتية» ثم نطلق على كل منهما اذا كانت ساكنة وقبلها فتحة مصطلح نصف مدSemi Vowel لبيان الصفة المدية[44] وهو مقترح قد يكون وجيها في بيان اختلاف الصفات الصوتية بين الحالتين ، لكنني ساغض النظر عنه لان العربية كما اعتقد تعامل الواو والياء بوجه عام معاملة فونولوجية واحدة ، يبرز فيها كثير من صفاتهما المدية من نحو ما نلاحظ في ظاهرة الاعلال ، مما يجعلني اشير للواو والياء في كلا الحالين بمصطلح واحد حسب هو مصطلح نصف مد Semi Vowel وهو مصطلح يوضح علاقة هذين الصوتين في كلا الحالين ، باصوات المد .

صوت المد المركب Diphthong

من الممكن تحديد نوعين من التتابعات الثنائية مما يقع في مقطع واحد في العربية[45] هما :

أ ـ تتابع صاعد ، وهو التتابع الذي يتألف من نصف مد وصوت مد على التوالي ، من نحو ما نجد في كلمات من قبيل : يسر ، وشاح .

---

٤١ ـ المنصف ٠/ ٣٢٨

٤٢ ـ المستوفي في النحو/ ٥٥٧

٤٣ ـ شرح الشافية ٢/ ٢١١ ـ ٢١٢ و ٣/ ٣٤٧ ـ ٢٤٨ .

٤٤ ـ المنهج الصوتي للبنية العربية/ ٣١ .

٤٥ ـ ينظر الفصل الاول/ مبحث المد المركب .

ب ـ تتابع هابط : وهو التتابع الذي يتألف من صوت مد ونصف مد ساكن على التوالي ، من نحو ما نجد في بيت وحوض .

لقد عاملت العربية التتابع الصاعد على انه مؤلف من صامت هو الواو او الياء ثم حركة ، شأن كل صامت متحرك ، على الاقل هذه هي نظرة اللغويين العرب لنصف المد المتحرك ، وليس هناك في سلوك هذا التتابع في اللغة العربية ما ينقضها . بيد ان المشكلة تكمن في نظرة العربية للتتابع الهابط ، وقبل التفصيل في تلك النظرة ، ينبغي لنا ان نشير الى أن العربية نبذت بعض ضروب هذا التتابع وهي :

١ ـ تتابع صوت مد طويل ثم نصف مد ساكن بكل انواعه[٤٦].

٢ ـ تتابع كسرة ثم ياء نصف مد ساكنة[٤٧].

٣ ـ تتابع ضمة ثم واو نصف مد ساكنة[٤٨].

٤ ـ تتابع كسرة ثم واو نصف مد ساكنة ، والعربية تجنح في مثل هذه الحالة الى الغائه عن طريق تحويله الى صوت مد طويل هو الياء من نحو ما نجد في مِوْعاد ميعاد[٤٩]

٥ ـ تتابع ضمة ثم ياء نصف مد ساكنة ، والعربية تجنح في مثل هذه الحالة ايضا الى الالغاء عن طريق تحويله الى صوت مد طويل هو الواو من نحو ما في مُيسرْ موسر[٥٠]

بقي عندنا في العربية تتابع واحد من قبيل التتابعات الهابطة هو تتابع فتحة ثم نصف مد ساكن ، وهو على ما يبدو بقي محتفظا بقباته وقوته في العربية حقبة طويلة من الزمن ، وما زال موجودا في عربيتنا الموحدة .

وفي العربية تتابعان اثنان من هذا القبيل هما .

١ ـ فتحة ثم ياء نصف مد ساكنة من نحو ما نجد في : لَيْت ، بَيتْ لَيثْ ، لَيْس .. الخ .

---

٤٦ ـ ينظر مبحث سلوك اصوات المد في النظام المقطعي من هذا الفصل .

٤٧ ـ دراسات في علم اللغة / ٧١ / ٧٢

٤٨ ـ المصدر السابق / الصفحات

٤٩ ـ التهذيب ١٥/ ٦٦٨ .

٥٠ ـ شرح المفصل/ ١٤٣ .

٢ ـ فتحة ثم واو نصف مد ساكنة من نحو ما نجـد : سَـوطْ ، ثَوْب ، حَـوْض ، نَوْم .. الخ

لقد ذهب كثير من الباحثين المعاصرين الى ان هذا التتابع يمثل مـا اصـطلح عليه بصوت المد المركب Diphthong تمثيلا يكاد يكون دقيقا ، على الاقل من ناحية التحليل الصوتي(٥١) ، وفي الحق ان بعض اللغويين العرب القدماء ، هو رضي الدين الاسترابادي قد شعر بشيء من ذلك اذ لاحظ اختلاط صوتي التتابع .

وقدم لنا وصفا جيدا لهذا الاختلاط(٥٢) وبذلك يكون قد سجل اول ملاحظة عربية في هذا المجال ، الا انه لم يذهب الى اكثر من ذلك ، اذ بقي محافظا في نظـرته الى هذا التتابع على الفكرة الصرفية العربية التي ترى الى صوتي التتابع على انهما صوتان مستقلان بعضهما عن بعض الاخر في التحليل الصرفي .

ولعله انطلاقا من هذه النظرة ايضا ذهب بعض الباحثين المعاصرين الى انكار ان يكون هذا الضرب من التتابع في اللغة العربية مماثلا لذلك الضرب الموجود في لغات اخرى ، وعلل رايه هـذا بأن اهـم صـفتين في صـوت المد المركب بالمعنى الاصطلاحي الدقيق لا تتوافران فيه ، وهما :

١ ـ الصفة الصوتية : وهي في رايه (تتمثل اساسا في ان اعضـاء النطـق تبدأ في منطقة حركة من الحركات وتسير مباشرة في اتجاه حركة اخرى مكونة حركة واحـدة ذات خـاصية انزلاقية avowel- Glide ثم يرى ان (هـذه الصـفة الانزلاقية مفقودة في نطق الفتحة العربية متلوه بواو او ياء ساكنة اذ يحـدث في نطقها ان تنتقل اعضاء النطق من منطقـة الى اخـرى محـدثة نوعا مـن الانفصال في تحركها ، فهما اذن صوتان مستقلان)(٥٤)

٢ ـ ان العربية لا تشعر بان هذا التتابع يمثل وحدة صوتية واحدة ، بعبارة اكثر دقة ، انه لا يمثل فونيما واحدا ، وعلل ذلك بأننا في التصريف نعد هذا التتابع

---

٥١ ـ ينظر هنري فليش في : Traite De philologie Arabe p. 65- 69 والعربية الفصـحى/ ١٩٧ ، ورايت Wright في Agrammarof Tho Arabic langauge, p. 7 وجـان كانتينو في دروس في علم اصوات العـربية / ١٦٧ ود . عبدالرحمـن ايوب في اصـوات اللغـة/ ١٧٢ ود . عبدالصبور شاهين في القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة/ ٤٣ ـ ٤٦ .

٥٢ ـ ينظر شرح الشافية ٢ / ٢١١ ـ ٢١٢ ، والفصل الثاني من هذا الكتاب مبحـث اصـوات المد عند الاسترابادي .

٥٣ ـ دراسات في علم اللغة/ د . كمال محمد بشر/ ٧١ .

٥٤ ـ المصدر السابق/ ٧٢ .

صوتين اثنين ، الاول منهما فتحة ، والثاني نصف مد ساكن(٥٥)

وفي الحق اننا لا نستطيع ان نتصور ما ذهب اليه هذا الباحث في بيان الصفة الانزلاقية Glide اذ كيف يلتقي صوتا مد وفاقا لهذه الطريقة من غير ان يحدث شيء من الاحتكاك في احدهما ليتحول معه الى نصف مد ، لقد بين ماريو باي نوعا من هذا الالتقاء ، يطلق عليه مصطلح hiatus وفسره بانه توالي صوتي مد من غير توسط صامت ، ومن غير ان يتحولا الى صوت مد مركب Diphong وهي حالة تستدعي من المتكلم وقفة خفيفة بين الصوتين لينطق كل منهما على حدة فيسبب هذا صعوبة للمتكلم الذي يجب ان يقطع مجرى نفسه ثم يستأنفه مرة اخرى ، ولذا سيجد من السهل عليه ان يحول صوت المد الاول الى صوت منحدر او منزلقGlide (٥٦) وعلى هذا الاساس يكون ما ذهب اليه الباحث الفاضل امرا لا يختص بصوت المد المركب Diphthong وانما هو صفة لضرب آخر من التركيبات الصوتية هو الـ Hiatus

لكننا قد نتوقف مع هذا الباحث قليلا لنناقش ما ذهب اليه من ان هذا التتابع لا يؤلف في العربية وحدة صوتية واحدة .

لقد بقيت مشكلة وجود صوت مد مركب بالمعنى الدقيق لهذا المصطلح ، في العربية مشوبه بشيء من الغموض(٥٧) فقد ذهبت طائفة من الباحثين الى ان تتابع (الفتحة ونصف المد الساكن) قد يكون يحمل شيئا من صفات صوت المد المركب ، الا ان سلوكه الوظيفي في العربية لا يشير الى كونه يمثل وحدة صوتية واحدة ، ومن هؤلاء فرجسون Ferguson (٥٨)

وجان كانتنيو الذي ذهب الى انه قد لا يكون لاصوات المد المركبة اي وجود خاص من قبل الناحية الوظيفية ، وعلل ذلك بان العرب يحللونها دائما الى صوت مد قصير + نصف مد يقوم مقام صوت صامت(٥٩) وكذلك الدكتور عبدالصبور شاهين ، الذي ذهب الى ان صوت المد المركب ، وان كان قوي الوجود اذا ما نظرنا اليه نظرة تحليلية صوتية ، الا انه ضعيف الوجود اذا ما روعي المستوى

---

٥٥ ـ المصدر السابق/ ٧٢ .

٥٦ ـ اسس علم اللغة/ ١٥٠ .

٥٧ ـ العربية الفصحى/

٥٨ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٣٠٤ .

٥٩ ـ دروس في علم اصوات العربية/ ١٧١ .

اللغوي[60] وكذا الدكتور عبدالرحمن ايوب[61]

وهذا يعني ان المشكلة الحقيقية في عدم تطابق هذا الضرب من التتابع مع ما يفهم من مصطلح صوت المد المركب ، انما ترجع الى انه لا يمثل في رأي هؤلاء الباحثين وحدة صوتية واحدة ، ذات قيمة لغوية واحدة ، في اللغة العربية .

فهل الامر كذلك حقا ؟

لقد فطن الدكتور هنري فليش الى وجود حالة من التناقض في نظرة العربية الى صوت المد المركب ، فهي في حالات – وهي حالات صرفية – تنظر اليه على انه يمثل صوتين اثنين منفصلين انفصالا تاما ، تعامل الاول منهما على انه حركة ، والثاني على انه صوت من الاصول ، يسلك في النظام الصرفي مسلك الصوامت ، وقد ضرب لهذا النوع من الحالات مثلا تلك الافعال التي تشتمل على صوت مد مركب من نحو حَوْقل وشَيطَن اذ لاحظ انها (تسلك في تصريفها مسلك الفعل الرباعي دَحْرج او قَطْرَنَ من قطران ، فالواو والياء لهما هنا قيمة الصوت الصامت الثاني من الاصل الرباعي ، وقَولْ وبَيعْ هما مصدران بزنة فَعْل لفعلي قال يقول ، وباع يبيع تماما كما يأتي كَتْب من كَتَبَ وتركْ من ترك ، والواو والياء في هذا الموضع هما الصامت الثاني من الاصل الثلاثي)[62]

وهذه النظرة في ثنائية صوت المد المركب في العربية واضحة ايضا في استعمال صوت المد المركب في هذه اللغة ، اذ انها تنزع في بعض الحالات السياقية الى احلال صوت المد المركب محل وحدتين صوتيتين اثنتين ، من نحو ما نلاحظ اذا ظهر تتابع صوتي المد الالف والواو المستكرة في مقطع واحد ، من نحو ما نجد فيما يأتي :

رأيوا (فعلوا) > رأوا

مصطفيون (مفتعلون) > مصطفَوْن

لكنها تنظر اليه في حالات اخرى على انه يمثل وحدة صوتية واحدة ، وتبرز هذه النظرة بروزا واضحا في التعامل مع صوت المد المركب في بعض امثلة النظام المقطعي العربي[63] اذ انها تعامله في هذه الحالة معاملتها لصوت المد الطويل

---

٦٠ – القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ٤٦ .

٦١ – اصوات اللغة/ ١٧٢ .

٦٢ – العربية الفصحى/ ١٩٧ .

٦٣ – من الطبيعي ان ظهور صوت المد المركب هنا قد نتج بعد سلسلة من التغيرات الصوتية ، كتحول واو المد الى نصف مد ساكن اول الامر لتجنب التقاء صوتي مد محضين ثم تقصير

المفرد ، وقد فسر الدكتور فليش ذلك بما يأتي : (النثر العربي يسمح بمصوت طويل قبل صامت مضعف مثل احمار ، وقد شاع في تأليف الجملة العربية وكان حدوث الادغام بين نهاية كلمة وبداية كلمة اخرى تالية لها ، وذلك حينما يلتقي صامتان مثلان ، وعلى هذا يمكن ان نجد حالة مماثلة لاحمار ــ مصوت طويل قبل تضعيف ــ ففي مثل : ان المال لك يمكن ان تنطق : ان المال لك وعلى هذا فثوب بكر وجيب بكر يمكن ان ينطقا ثوبْ بَكر وجَيْب بكَر ، فأي واو لهما هنا نفس المعاملة التي للمصوت الطويل a وهي معاملة عنصر مصوت اذ ان الواو والياء في الواقع لا يمكن ان يعدا سوى عنصر ثان لمصوت مزدوج اي صوت مد مركب حقيقي ، ومحال ان يعتبرا في هذا الموقع صوامت مطلقا ، اذ يتكون حينئذ نوع من المجموعات غير المستساغة في العربية الفصحى)[٦٤] وقد ظهر هذا النوع من المجموعات غير المستساغة في كلمات مفردة ايضا من نحو خويصة[٦٥] ودويبة[٦٦] مما يعني ان العربية قد نظرت الى صوت المد المركب في هذا الموضع على انه يمثل وحدة صوتية واحدة ، وانه يشبه في مسلكه مسلك صوت المد الطويل[٦٧] اي ان هذا المسلك في رأي فليش كان متعلقا باسباب فونولوجية تتمثل في نظرة العربية لهذا التتابع الثنائي من فتحة قصيرة ثم نصف مد ساكن على انه يمثل وحدة صوتية واحدة ، والسؤال الذي يمكن ان يسأل ههنا ، اكان ذلك حقا جزء من نظام اصوات العربية الفونولوجي phonology ام ان ما حدث كان لاسباب صوتية بحتة phonetics من غير ان يكون لذلك علاقة بالنظام

صوت الالف لعدم استساغة العربية للمقطع المديد المغلق ، فكان ذلك سببا في ظهور صوت المد المركب ، وهي امور سنبحث فيها في مواضعها من هذا البحث ، اذ كل ما يعنينا هنا هو ان صوت المد المركب يحل محل وحدتين صوتيتين .

٦٤ ــ القراءات القرانية في ضوء علم اللغة الحديث/ ٤٤/ نقلا عن كتاب د . هنري فليش : Traite De philogic, p. 65- 69 ويبدو ان فليش قد اقتبس ملاحظته هذه وامثلته من ابن جني (ينظر الخصائص ٣/١٢٧ ــ ١٢٨ وهو من مصادر . فليش في كتابه المذكور اعلاه ينظر ص ٣) .

وكذلك من رضي الدين الاستراباذي ، من نصه السابق الذي ناقشناه في الفصل الثاني من هذا البحث (ينظر ايضا شرح الشافية ٢/ــ٢١١ ــ٢١٢٢ و٣/ ٢٤٧) وشرح الشافية كان واحدا من مصادر د . فليش في كتابه المذكور ، وقد ذكر هو ذلك في ص ٣ في الكلام على مصادره .

٦٥ ــ شرح الشافية ٢/ ٢١٢ .

٦٦ ــ المصدر السابق ٢/ ٢٥٠ .

٦٧ ــ

الفونولوجي الوظيفي ؟

من الممكن ان يكون هذا السلوك راجعا لاسباب صـوتية بحتة ، اذ ان التحليل الصوتي لهذا المركب Diphthong يبين انه متألف من فتحة ثم نصف مـد سـاكن يتصف بانه قريب في خصائصه ، بسبب من موقعه هنا ، من صـوت المد المحض ، مما قد يؤدي به في هذه التأليفات «المقطعية» الى ان يسلك مسلك صوت مد طويل في النظام المقطعي العربي ، ولعل مـا سـاعده على ذلك ، ان هـذا الضرب مـن التأليفات المقطعية لا يثير «اشـكالا كميا» في المقـطع الذي يشـتمل عليه ، اذ ان كميته مع كمية صوت الفتحة السابق عليه تساويان معا كمية صوت مـد طـويل مفرد ، بدليل امكان ابدال اي صوت مد طويل مفرد بصوت مد مـركب في الشـعر العربي من غير ان يحدث اختلال في الوزن[٦٨]

يمكن القول انن ان ما تصوره الدكتور هنري فليش مسلكا خاصا بصـوت المد المركب في هذه الامثلة ، انما كان في حقيقة امره مسـلكا خـاصا بالعنصر الثاني منه حسب ، اعني بذلك نصف المد الساكن ، وانه انما كان لاسباب صـوتية بحتة ليس لها علاقة بالنظام الفونولوجي للاصوات العربية .

من جانب آخر لا يمكننا ان نذهب مع الدكتور فليش الى ان صـوت المد المركب يمثل وحدة صوتية واحدة ، انطلاقا من امثلة مستخرجة مـن النظـام المقـطعي حسب ، اذ ان القيمة الفونولوجية الوظيفية لاي صوت لغوي لا يمكن ان تستخرج من النظام المقطعي وحده ، لان المعيار الحقيقي لاسـتخراج هـذه القيمـة هـو السلوك (الصرفي ــ الدلالي) للاصوات اللغوية ، وفي الحق ان صوت المد المركب لا يمكن بأية حال من الاحوال النظر اليه من قبل النظام الصرفي العربي الا على انه يمثل وحدتين صوتيتين منفصلتين تمام الانفصال .

---

٦٨ ــ وهو ما سنشير اليه فيما بعد بامكان ابدال مقـطع طـويل مفتوح بمقـطع طـويل مغلق وبالعكس ، من غير ان يحدث اختلال في الوزن الشعري وهذا يعني ايضـا انه بامـكاننا ابدال صوت مد طويل بصوتين اثنين هما حركة فصامت ساكن من غير ان يحدث ايضـا اي اختلال في الوزن لتساوي الكميتين ، لكننا لا نستطيع انطلاقا من هذا الامر فقـط ان نأتي في النسـيج المقطعي بمقطع مديد مزدوج الغلق من نحو قولنا تجاوزات «شببة» قياسا على قولنا «شابة» في حين كا بامكاننا الاتيان بهذا الضرب من المقاطع اذا كان يشتمل على نصف مـد سـاكن قبل المدغم من نحو قولنا خويصة ودويبة ، وهذا يعني ان تساوي الكميتين امر ساعد فقط في ظهور مقطع مديد يحتوي على صوت مد مركب ، وليس هو العلة الاساسية ، وان العلة الاسـاسية في ذلك تكمن في الخصائص الصوتية لنصف المد الذي يشتمل عليه هذا الصوت المركب .

وعلى هذا يمكن القول ايضا ان ما ذهب اليه فليش من وجود حالة تناقض في نظرة العربية لصوت المد المركب ، ليس امرا صحيحا كل الصحة ، اذ ان هذا التناقض لم يكن على المستوى الفونولوجي «اي في القيمة الفونولوجية لصوت المد المركب» فقد بقيت العربية تنظر اليه على انه تتابع ثنائي حتى في الامثلة المقطعية التي اوردها الدكتور الفاضل ، وهذا يعني ان صوت المد المركب ، وان كان موجودا من قبل التحليل الصوتي العام في العربية الا انه لم يظهر على انه وحدة صوتية واحدة في المستوى الوظيفي (الفونولوجي) وهو الرأي الذي اشار اليه الباحثون اللغويون على النحو الذي ذكرناه سابقا .

بقي ان نشير الى ان العربية لم تعرف تتابع صوتي مد محضين ، وهي اذا ظهر هذا الضرب من التتابع ، جنحت الى الغائه عن طريق ما يأتي :

١ ــ التحول الى صوت المد المركب من نحو ما راينا في «راوا» و «مصطفون»

٢ ــ قلب احد الصوتين الى نصف مد ــ ليس جزء من صوت مد مركب ــ من نحو فتى ي > فتايَ

عصاى > عصايَ

٣ ــ حذف احد الصوتين ويكون عادة صوت مد قصير ، من نحو ما نلاحظ في ظاهرة المناسبة كقولنا : هذا كتابي ، وذلك غلامي ، ورأيت صديقي[٧٠] اذ ان الضمة او الفتحة ، وهما علامتان اعرابيتان لا تظهران ههنا ابدا بسبب من العربية لا تستسيغ التقاء صوتي مد محضين ، ومن اجل ذلك ذهب النحاة العرب الى القول في هذا المجال ان الحركة الاعرابية مضمرة منع من ظهورها الثقل .

السكون في العربية :

لقد عومل خلو الموضع من صوت المد القصير وكأنه يمثل وحدة صوتية رابعة ، اضافة الى اصوات المد القصيرة التي ذكرناها سابقا وهي الضمة والكسرة والفتحة ، اذ انه اصبح امكانية رابعة اضافة الى الامكانات الثلاث الاخرى التي تعرض للصوامت في التأليف الفونولوجي العربي ، اي امكانات الضم والكسر والفتح وبذلك صارت هذه الامكانية الرابعة ذات قيمة على المستوى الوظيفي ،

---

٦٩ ــ شرح المفصل/ ٣٥٠ النشر ١/ ١٦١ .

٧٠ ــ شرح المفصل/ ٩٤٩ شرح التصريح ٢/ ٦٠ .

لانها تملك قدرة على التمييز بين المعاني[71] اي ان للسكون قيمة فونيمية خاصة به ، وهو ما ذهب اليه الدكتور كمال بشر ، من ان السكون في العربية يمثل فونيما لقدرته على التمييز بين المعاني ، ولان له وظيفة تقارن بوظائف اصوات المد القصيرة ، ولكن هذا الفونيم يتصف بانه فونيم ثانوي secondary phoneme او فونيم خارج التركيب ، بسبب من ان السكون لا يملك تحققا صوتيا phonetic ralizator في الواقع النطقي ، اي انه (ظاهرة سلبية نطقا ايجابية عملا ووظيفة)[72]

ولوضوح العلاقة الوظيفية بين السكون واصوات المد القصيرة اطلق عليه بعض الباحثين مصطلح صوت مد صفر Zero vowel [73] وهو امر قد يذكرنا بالرمز العربي لهذا السكون ، اذ ان العرب رمزوا له برمز دائرة صغيرة ، هي الدائرة التي تعبر عن الصفر ايضا[74]

لقد استعملت العربية السكون استعمال اصوات المد القصيرة تماما ، فهو احد عناصر التمييز بين الصيغ الصرفية ، كما استعملته ايضا في التمييز بين بعض المواقع الاعرابية .

ونلاحظ الى جانب ذلك انه قد حمل بعض التداخل الفونيمي مع اصوات المد القصيرة في بعض السياقات ، من نحو ما نجد في ظاهرة التخفيف التي اشرنا اليها في الفصل السابق ، من نحو قولنا كِتِف وكِتْف ، أو عُنُق وعُنْق وقِمَع وقِمْع من غير ان يتغير المعنى ، ومن ذلك ايضا الامثلة التي اوردها ابن سيده في المخصص في باب فعل وفعْل بمعنى[75] او باب فعلة وفعلة بمعنى[76]

يضاف الى ذلك ان للسكون دورا اساسيا في النظام المقطعي العربي اذ انه وسيلة للتخلص من توالي اربعة مقاطع مفتوحة مثلا ، وهو مما يستثقل في اللسان العربي ، من نحو ما نجد في الامثلة الاتية :

ضَرَبَتُ (من ضَرَبَ) > ضَرَبْتُ

---

٧١ ـ دراسات في علم اللغة/ ١٨٦ ـ ١٨٧ .

٧٢ ـ المصدر السابق/ ٢٢٢و ٢٢٧ .

٧٣ ـ المصدر السابق/ ٢٢٨ .

٧٤ ـ شرح المفصل/ ٢١٢٧٠ : (والذين جعلوها دائرة فوجهها عندي ان الدائرة في عرف الحساب صفر وهو الذي لا شيء فيه من العدد ، فجعلوها علامة على الساكن لخلوه من الحركة) .

٧٥ ـ المخصص ١٥/ ٨١ .

٧٦ ـ المصدر السابق ١٥/ ٩٤ .

ضَرَبْتَ < ضَرَبتَ[٧٧]

كما عد السكون ذا وظيفة نحوية اعرابية ، اذ انه علامة اعرابية في الافعال المضارعة المجزومة .

كل هذه الامور تشير الى ان العربية تشعر بوجود قيمة لغوية للسكون في نظامها .

مسلك اصوات المد في النظام المقطعي العربي :

تحدثنا في الفصل الاول عن وظيفة اصوات المد في النظام المقطعي في اللغات عامة ، وعن قدرة هذه الاصوات على تجميع الصوامت لتأليف المقاطع وقلنا ان قدرتها على هذا التجميع ترجع الى سببين اثنين :

١ ــ عدم وجود اعاقة في جهاز النطق في اثناء ادائها ، مما يسهل على هذا الجهاز الانتقال بحرية اكبر من صامت الى صامت آخر .

٢ ــ انها تملك قوة اسماع عالية جدا ، فتساعد هذه القوة الصوامت التي تكتنفها على ان تكون مسموعة هي ايضا ، بسبب من ان هذه الصوامت تكون في الغالب اصواتا ذات قوة اسماع واطئة جدا .

وقد بينا ايضا ان التأليفات المقطعية تختلف من لغة الى اخرى لاسباب شتى ، تتعلق بانظمة تلك اللغات الصرفية وعادات ناطقيها وبيئاتهم .

ولقد عني الباحثون بدراسة انظمة المقاطع في اللغات بسبب من ان ذلك يوضح كثيرا من الظواهر الصرفية والنطقية ، وسلوك الاصوات اللغوية في التأليف الفونولوجي .

وفي الحق اننا لا نستطيع ان ندرس النظام الصرفي لاية لغة من غير ان نضع في الحسبان نظامها المقطعي[٧٨]

والذي يهمنا هنا هو دراسة سلوك اصوات المد في النظام المقطعي العربي ، يعتمد اعتمادا اساسيا اصوات المد في التحول من صيغة صرفية الى اخرى .

ان المبادىء الاساسية لهذا السلوك تتضح فيما يأتي :

١ ــ ان اصوات المد العربية (القصيرة والطويلة) وحدها ، هي التي تؤلف قمم المقاطع في العربية ، ومن اجل ذلك لا نجد مقطعا عربيا مؤلفا من صوامت

---

٧٧ ــ ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها/ ٢٨٠ .

٧٨ ــ ينظر العربية الفصحى/ ٨٩ .

حسب ، كما هي الحال في بعض اللغات ، كالسلافية مثلا ، التي تجنح الى ان تستعمل طائفة من الصوامت (هي اشباه اصوات المد) قمما في المقاطع .

٢ ــ ان انصاف المد تسلك في النظام المقطعي العربي سلوك الصوامت حسب .

٣ ــ ان التحول من صيغة صرفية الى اخرى يؤدي في كثير من الأحيان بصوت المد الطويل الذي يمثل قمة المقطع الى التحول الى قاعدة للمقطع مما يستدعي بعض التحويرات النطقية ، فينتج عن ذلك الاصوات التي اسميناها انصاف المدsemi vowels من نحو ما نجد في :

جيل < اجيال
عود < اعواد
قال < يقول < قولا
باع < يبيع < بيعا

ولعله من هذا نتج التداخل الفونيمي بين اصوات المد وانصاف المد في اللسان العربي ، ذلك التداخل الذي اشرنا اليه من قبل .

يشير الباحثون الى ان النظام المقطعي العربي متألف من خمسة اشكال[٧٩] هي :

١ ــ المقطع القصير المفتوح :
ويتألف من صامت[٨٠] + صوت مد قصير من نحو : بَ ، بِ ، بُ

٢ ــ المقطع الطويل المفتوح :
ويتألف من صامت + صوت مد طويل من نحو : با ، بي ، بو

٣ ــ المقطع الطويل المغلق :
ويتألف من : صامت + صوت مد قصير + صامت ، من نحو مِنْ

٤ ــ المقطع المديد المغلق :
ويتألف من : صامت + صوت مد طويل + صامت ، من نحو : باب

٥ ــ المقطع المديد المزدوج الغلق :
ويتألف من : صامت + صوت مد قصير + صامت + صامت من نحو

---

٧٩ ــ ينظر المحيط ١/ ٤٨ والوجيز/ ٢٤٢ ، الاصوات اللغوية/ ٩٢ .

٨٠ ــ ينبغي الاشارة هنا الى ان نصف المد يسلك سلوك الصامت في النسيج المقطعي العربي .

قولنا : بَحْرْ .

ان السلوك الفونولوجي لهذه المقاطع يمكن ان يلخص فيما يأتي :[٨١]

١ ـ ان الانواع الثلاثة الاولى هي الانواع الشائعة في النسج المقطعي العربي ، اما النوعان الرابع والخامس فنادران جدا .

٢ ـ ان الشكل الرابع لا يظهر الا في الوقف ، وفي حالة واحدة في اثناء الحشو ، هي الحالة التي يكون فيها بعد قمة المقطع صوت صامت مدغم من نحو قولنا : شابة ، دابة وقد حاولت بعض المستويات اللهجية القديمة التخلص من هذا المقطع عن طريق الهمز ، من نحو قولهم : شأبة ، ودأبة ، وادهأمت[٨٢] وقراءة ايوب السسختياني ولا الضألين في ولا الضالين[٨٣]

ان بعض التغيرات الصرفية او النحوية قد تظهر هذا الضرب من المقاطع في داخل حشو الكلمة العربية فتجنح العربية حينذاك الى التخلص من هذا النوع من المقاطع بتحويله الى مقطع من النوع الثالث عن طريق تقصير صوت المد فيه ، من نحو ما نجد في حالة اضافة نون التوكيد المشددة الى فعل من نحو يسألون .

يسألون > يسألن[٨٤]
تسألين > تسألن[٨٥]

او من نحو ما يحدث في الافعال الثلاثية المعتلة العين ، اذا دخلت عليها اداة جزم ، ينجزم لها آخر الفعل ، فيظهر مقطع مديد مغلق ، يحول عن طريق تقصير صوت المد الطويل الذي يمثل قمة المقطع فيه الى صوت مد قصير ، مثال :

لم يبيعْ > لم يبعْ
لم يقولْ > لم يقُلْ

---

٨١ ـ ينظر المحيط ١/ ٤٨ ـ ٤٩ ، وينبغي الاشارة هنا الى ان الكلام على النظام المقطعي العربي معتمد على ما اورده الاستاذ محمد الانطاكي بهذا الصدد في كتابه المذكور .

٨٢ ـ سر الصناعة ١/ ٨٢ ، شرح المفصل/ ١٣٢٥ .

٨٣ ـ المصدر السابق ١/ ٨٢ ، والاية في سورة الفاتحة/ ٧

٨٤ ـ ينظر الكتاب ٢/ ١٥٤ ، اللسان ١٥/ ٤٨٩ .

٨٥ ـ ينظر الكتاب ٢/ ١٥٤ .

لم يخافْ > لم يخَفْ

او في الحالات التي يضاف فيها الى الفعل تاء الفاعل ، من نحو ما نجد في قولهم : اردْتُ بدلا من ارادْتُ ، وخِفْتُ بدلا من خافت وقُلْتُ بدلا من قالْتُ .[٨٦]

والملاحظ هنا ان عدم استساغة العربية لهذا الضرب من المقاطع حولت احد عناصر الجذر ، تلك التي اطلق عليها مصطلح الاصول[٨٧] ، من صوت مد طويل الى صوت مد قصير ، وهذا يعني اننا امام حالة خارجة عن النظام الصرفي العربي ، اذ لا يمكن لصوت مد قصير ان يكون واحدا من عناصر الكلمة في العربية ، ذلك ان النظام الصرفي العربي قد فصل بين نظامين للاصوات اللغوية العربية ، فهناك الاصوات التي تمثل عناصر الجذر اي الاصول ، وهي الصوامت وانصاف المد ، واصوات المد الطويلة[٨٨] وهي التي تشتمل على المعنى العام للكلمة ، وهناك في الجانب الاخر الزوائد ، وهي اصوات المد القصيرة اصلا ، ثم اصوات المد الطويلة ، وهي الاصوات التي تؤدي دورا اساسيا في المعاني الصرفية ، زيادة على دورها في وصل الاصول ، والتوصل بها الى النطق .

ففي حالة لم يبع ولم يقل ، نلاحظ دخول احد عناصر النظام الثاني (الزوائد) من اصوات المد القصيرة في النظام الاول (الاصول) ليؤدي دور عنصر من عناصر الجذر[٨٩]

---

٨٦ ــ ينظر شرح المفصل/ ١٣١٨ ــ ١٣١٩ .

٨٧ ــ ينظر لطائف الاشارات ١/ ١٨٣ .

٨٨ ــ بينا في المقدمة ان اللغويين العرب قد نظروا الى اصوات المد الطويلة على انها ليست من الاصول ، ولكن لها القدرة على ان تحل محل طائفة من عناصر الاصول (هي الهمزة والواو والياء في حالة نصف المد Semi Vowel وهذا يعني ان مقدورنا وصف اصوات المد الطويلة في العربية على انها اصوات مزدوجة النظام ، فهي من جهة تأتي مع الاصول ومن جهة اخرى تأتي مع الزوائد .

٨٩ ــ لقد اشار ابن جني الى شيء من هذا في كتابه الخصائص ٣/ ١٣٣ ، ١٣٤ في باب انابة الحركة عن الحرف والحرف عن الحركة ، قال : (الاول منهما ان تحنف الحرف وتقر الحركة قبله نائبه عنه ودليلة عليه كقوله : كفاك كف لا تليق درهما جودا ، واخرى تعط بالسيف دما ، يريد تعطي ، وعليه بيت الكتاب :

واخو الغوان متى يشأ يصر منه ، وبيته : دوامي الايد يخبطن السرى ، ومنه قوله تعالى : (ياعباد فاتقون) وهو كثير في الكسرة وقد جاء في الضمة منه قوله : ان الفقير بيننا قاض حكم ان ترد الماء اذا غار النجم .

ونرى العربية تحافظ على هذا الصوت القصير الذي يمثل احد عناصر الجذر حتى في الحالات التي يكون وجوده فيها غير مستساغ لمجيء صوت مد طويل بعده ، فتحتال على ذلك بان تحور في نطق صوت المد الطويل بأن تحوله الى نصف مد من نحو قولهم : رأَوْا ، رَمَوْا بَكَوْا ، علما بأن صوت المد الطويل في هذه الامثلة يمثل لاحقة ذات وظيفة نحوية ، اذ انه (واو الجماعة) فكأن العربية قد جنحت الى المحافظة على صوت المد القصير جنوحا ، وان كان ذلك يؤدي الى تغيرات نطقية في علامات ذات علاقة بالنظام النحوي .

ونلاحظ من جانب آخر ، ان هذا العنصر يتحول في امثلة اخرى الى صوت مد قصير آخر ولكنه في هذه الحالة ايضا يشير الى العنصر نفسه ، ولكن من خلال التصريفات الاخرى للصيغ ، من ذلك إن الصيغة المفترضة عندنا لاسناد الفعل الماضي قال لضمير المتكلم المرفوع : قَلْت بالفتح (لانه من قال) والصيغة المفترضة من الفعل باع : بَعْت (لانه من باع) لكننا نلاحظ ان النطق العربي قد جنح الى الضم في الاولى ، والى الكسر في الثانية ، وكأن في ذلك اشارة الى ما اطلق عليه اللغويون العرب اصل الالف في هذه الافعال[٩٠] اذ ان تصريف قال ، ينزع الى قلب الالف واوا في الابنية الاخرى من نحو يقول قولا ، ومقولا الخ ، وتصريف باع ينزع الى قلب الالف ياء في الابنية الاخرى من نحو يبيع بيعا ومبيعا .. الخ فكأن تحول هذا العنصر من الفتحة الى الضمة اشارة الى هذا ويبدو ان هذا التطور خاص بالعربية ، اذ نلاحظ ان العربية مثلا بقيت محافظة على الفتحة في هذا الضرب من الامثلة وفاقا للماضي من نحو قولهم «قُمْنا»[٩١]

بيد اننا نشعر في احيان اخرى بأن هذا العنصر غير ثابت في العربية على صوت مد بعينه ، وانه قد يخضع الى التغير لاسباب قد تتعلق بالميول اللهجية ، من ذلك قولهم دِمت ودُمت ، ومِت ومُت[٩٢] ولقد بقي من هذا في العربية قولهم خفت

يريد النجوم فحذف الواو وأناب عنها الضمة ، وقوله :

حتى اذا بلت حلاقيم الحلق

يريد الحلوق ، وقال الاخطل

كلمع ايدي مثاكيل مسلبة يندبن ضرس بنات الدهر والخطب ومنه قوله عز اسمه : (ويمح الله الباطل) و (يوم يدع الداع) و (سندع الزبانية)

٩٠ ـ ينظر التهذيب ١٥/ ٦٦٦ ، المتع ٢/ ٤٢٥ .

٩١ ـ التطور النحوي/ ٦١ .

٩٢ ـ كتاب الافعال لابن القطاع ١/ ١١

بالكسر من مادة (خاف يخاف خوفا) .

ان اللغويين لم ينظروا الى الامر من هذا المنظار ، فذهبوا الى ان العنصر قد حذف حذفا تاما ، تحت ما اطلقوا عليه (حذف العلة) وان صوت المد القصير عندهم ، انما بقي ليدل على ذلك المحذوف (وليس مؤديا لوظيفته نفسها في نظام الاصول) وهو تفسير تابع لفكرتهم في الفصل بين النظامين (نظام الاصول ونظام الزوائد) فصلا تاماً .

ويبدو ان كراهية العربية للمقطع الرابع قد ظهرت ايضا فيما اطلق عليه (المنقوصات) قال ابن يعيش : «المنقوص كل اسم وقعت في آخره ياء قبلها كسرة نحو القاضي والداعي وقاض وداع فهذا يدخله النصب وحده مع التنوين ولا يدخله رفع ولا جر ، وانما سمي منقوصا لانه نقص شيئين حركة وحرفا فالحركة هي الضمة والكسرة حذفت للثقل والحرف هو الياء حذف لالتقاء الساكنين ، فتقول في الرفع هذا قاض يافتى وفي الجر مررت بقاض يافتى ، وكان الاصل هذا قاضي بضم الياء وتنوينها ومررت بقاضي بكسر الياء وتنوينها ايضا ، فاستثقلت الضمة والكسرة على الياء المكسور ما قبلها لانها قد صارت مده كالالف لسعة مخرجها وكون حركة ما قبلها من جنسها على ما تقدم فحذفت الضمة والكسرة لما تقدم ، ولما حذفت سكنت الياء ، وكان التنوين بعدها ساكنا ، فحذفت لالتقاء الساكنين على ما ذكرناه)[٩٣] اي ان حذف حركة الياء ادى الى تحول هذه الياء المسبوقة بكسرة الى ان تكون صوت مد محض Long Vowel ثم اضطرها الموقع الى القصر ابتغاء الغاء المقطع المديد المغلق :

قاضين (قاضي) > قاضينْ > قاضِنْ (قاض)[٩٤]

تتابع Diphthang مكروه > صوت احادي Single > تقصير صوت المد الطويل .

٣ ـ ان النوع الخامس من هذه المقاطع لا يظهر ايضا الا في الوقف بالسكون من

---

٩٣ ـ شرح المفصل/ ٦٧ .

٩٤ ـ ينظر الممتع ٢/ ٢٥٤ : اما في حال الرفع والخفض فان العرب تستثقل الرفع والخفض فيها مع ثقل الاسم الذي لا ينصرف فتحذف الياء بحركتها فينقص البناء فيدخل التنوين فيصير التنوين عوضا من الياء المحذوفة فتقول هذه جوار ومررت بجوار وهذا اعيم ومررت باعيم ، هذا مذهب سيبويه ، ومذهب ابي اسحاق ان المحذوف اولا انما هو الحركة في الرفع والخفض استثقالا ، فلما حذفت الحركة عوض منها بالتنوين فالتقى ساكنان ـ الياء والتنوين ـ فحذفت الياء لالتقاء الساكنين .

نحو قولنا بَحْرْ[٩٥] الا ان بناء الجملة او التغير الصرفي قد يؤديا الى ظهور هذا النوع من المقاطع في حشو الكلمة ايضا ، وهو ما قد يشير اليه العرب بعبارة (التقاء الساكنين) ويتم التخلص من هذا الامر باقحام صوت مد قصير بين الصامتين اللذين ينتهي بهما المقطع ، وبذلك يتحول الى مقطعين اثنين ، الاول منهما مقطع قصير مفتوح ، والثاني مقطع طويل مغلق ، وتختار العربية في العادة الكسرة للاقحام بين الصامتين[٩٦] وهو امر له اصوله السامية[٩٧] قال ابن يعيش معللا اختيار الكسرة : «الاصل في كل ساكنين التقيا ان يحرك الاول منهما بالكسر نحو بغت الامة وقامت الجارية ، ولا يعدل عن هذا الاصل الا لعلة ، وانما وجب في التقاء الساكنين التحريك بالكسر لامرين احدهما ان الكسرة لا تكون اعرابا الا ومعها التنوين ، او ما تقوم مقامه من الف ولام او اضافة وقد تكون الضمة والفتحة اعرابين ولا تنوين يصحبهما ، فاذا اضطررنا الى تحريك الساكن حركناه بحركة لا يتوهم انها اعراب وهي الكسرة ، والامر الثاني انا راينا الجزم مختصا بالافعال فصار الجزم نظير الجر من حيث كان كل واحد منها مختصا بصاحبه ، فاذا اضطررنا الى تحريك الساكن حركناه بحركة نظيرة وهي الكسرة وايضا لو حركنا الافعال المجزومة الساكنة عند ساكن يلقاها بالضم او الفتح لتوهم فيه انه غير مجزوم لان الرفع والنصب من حركات اعراب الافعال ، ولا يتوهم ذلك اذا حرك بالكسر لان الجر ليس من اعراب الافعال ، هذا هو القياس)[٩٨]

غير اننا نلاحظ في امثلة اخرى ان صوت المد المقحم بين هذين الصامتين الساكنين كان فتحة او ضمة ، من ذلك قولهم : اخذت مِنَ الرجل[٩٩] او قولهم مُذُ

---

٩٥ ـ ينظر للفائدة شرح المفصل/ ١٢٧٢ .

لقد بينا في مبحث صوت المد المركب في العربية ان هذا المقطع قد يظهر في العربية في الحشو في نحو خويصة ودويبة ، وهي حالة نادرة جدا في العربلاة ، وقد سوغ ظهورها وجود صوت مد مركب .

٩٦ ـ شرح المفصل/ ١٣٢٣ ـ ١٣٢٤ ، فقه اللغات السامية/ ٩٧،٧٣ ـ فقه اللغات السامية/ ٧٣ .

٩٧ ـ شرح المفصل/ ١٣٢٣ ـ ١٣٢٤ .

٩٩ ـ المصدر السابق/ ١٣٢٠ ـ ١٣٢١ .

الليلة[100] او همُ الناس[101] ويذهب ابن يعيش في تفسيره لهذا الامـر الى ان عدول العرب عن الكسرة في هذا الضرب مـن الامثلة انمـا كان لعلة الانسـجام Vowel Harmony قال : «وربما عدلوا عنه ـ اي الكسر ، لامر فمن ذلك ضـمـهم في نحـو قالت اخرج ، وعذابنُ اركضُ ، وعيونن ادخلوها وقل انظـروا ، كل ذلك للاتباع ، وذلك انه اتبع ضمة التاء في قالت ضمة الراء في اخرج ، اذ ليس بينهما حاجز الا حرف ساكن ، وكذلك عذابن اركض اتبع التنوين حركة الكاف اذ ليس بينهما الا الراء الساكنة[102] ويذهب الى ان الاصـل في هـذا كله الكسر ، ودليله على ذلك ان كثيرا مما جاء مضموما جاء مكسورا في روايات اخرى من ذلك ما انشده قطرب :

الا ان اصحاب الكنيف وجدتهم ـــ هُم القوم لما اخصبوا وتمولوا

وانشد الكوفيون :

فهمو بطانتهم وهم وزراؤهم ـــ وهُم القضاة ومنهم الحكام

وهي لغة لبعض بني سليم ، وحكى اللحياني مُذ اليوم ومُذ الليلة والكسر لا محالة لالتقاء الساكنين ، فـكذلك يكون الضـم لالتقـاء السـاكنين وعدلوا عن الكسرة للاتباع[103]

وثمة حالة شبيهة بهذه الحالات وهي الحالة التي ينتهي فيها المقـطع بصـوت صامت مضعف (مدغم) فتجنح العربية الى تجنب ذلك باضافة صوت مد قصـير بعد المدغم ، من ذلك قولهم : لم يمد ولم يغض ويجوز ايضا فـك الادغام باقحـام صوت مد بين المثلين المدغمين ، من نحو قولنا لم يمدد ولم يغضض[104]

٤ ـ ان العربية لا تستسيغ الا انماطا معينة من تتابع المقاطع الثلاثة الاولى ، او انها تكره توالي اكثر مـن عدد معين منهـا في تأليف الكلمـة ، ولقـد لخص الاستاذ محمد الانطـاكي في كتابة المحيط تلك التتابعـات المقـطعية التي لا تقبلها العربية فيما يأتي :[105]

أ ـ كلمة مؤلفة من ثمانية مقاطع او اكثر .

ب ـ كلمة مجردة من الضمائر مؤلفة من اربعة مقاطع من الشكل الاول ، وهو ما

---

١٠٠ ـ شرح المفصل/ ٤٤٩ .

١٠١ ـ المصدر السابق/ ٤٤٩ .

١٠٢ ـ المصدر السابق/ ١٣٢٤ .

١٠٣ ـ المصدر السابق/ ٤٤٩ .

١٠٤ ـ الكتاب ٢/ ٣٩٨

١٠٥ ـ المحيط/ محمد الانطاكي ١/ ٥٠ ـ ٥١ .

اطلق عليه كراهية العربية لتوالي المتحركات ، ومن اجل ذلك نلاحظ سقوط احد اصوات المد القصيرة من الكلمة في حالة ظهور هذا التوالي ، حتى في كلمات دخلت عليها الضمائر ، من ذلك قولنا ضَرَبْت من ضَرَبَ ، مع ان الصيغة المفترضة هنا ينبغي ان تكون «ضَرَبَت» لكنها لم تظهر لكراهية العربية توالي اربعة مقاطع قصيرة في كلمة واحدة(١٠٦)

جـ ـ كلمة مجردة من الضمائر مؤلفة من ثلاث مقاطع من النوع الثاني ، اي كلمة يتعاقب فيها ثلاثة صوامت وثلاثة اصوات مد طويلة .

د ـ كلمة مؤلفة من ثلاثة مقاطع اولها من النوع الثالث وثانيها وثالثها من النوع الثاني ، لان هذا التأليف يؤدي الى التقاء صوتين صامتين ساكنين في حشو الكلمة ، وهو ما لاتقبله العربية .

هـ ـ كلمة مؤلفة من ثلاثة مقاطع اولها من النوع الثاني وثانيهما وثالثها من النوع الخامس .

و ـ كلمة مجردة من الضمائر مؤلفة من مقطعين اولهما من النوع الثاني وثانيهما من النوع الخامس .

٥ ـ ان كمية المقطع الطويل المغلق (وهو المقطع المؤلف من ثلاثة اصوات صامت + صوت مد قصير + صامت) تساوي كمية المقطع الطويل المفتوح (وهو المقطع المؤلف من صوتين اثنين هما صامت + صوت مد طويل) واوزان الشعر العربي (وهو شعر كمي)(١٠٧) توضح هذه الحقيقة اذ اننا نستطيع ان نحل مقطعا طويلا مفتوحا محل اي مقطع طويل مغلق من غير ان يتأثر الوزن بشيء وهذا يعني :

أ ـ ان اطول الاصوات اللغوية العربية هي اصوات المد الطويلة لانه اذا كانت كمية كلمة (لَنْ) مثلا تساوي كمية (لي) فان ذلك يعني (بعد ان نسقط صوت اللام) ان كمية (الفتحة والنون الساكنة) تساوي كمية صوت المد الطويل (الياء)(١٠٨)

---

١٠٦ ـ لقد فسرت سقوط صوت المد في ضربت وامثالها في موضع آخر تفسيرا نحويا ، وفي الحق اننا نستطيع ان نفسر طائفة من الظواهر من وجهات نظر متعددة ولعل تلك الظواهر لم تظهر الا بتأثير اتجاهات متعددة فيها ، مما يجعلها اكثر قدرة على الثبات .

١٠٧ ـ ينظر : موسيقى الشعر/ ١٥٠ .

١٠٨ ـ ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها / ٧١ .

ب ـ ان صوت المد القصير يساوي في كميته بوجه عام كمية الصوت الصامت .

حـ ـ ان التحوير النطقي الذي يصيب صوت المد الطويل فيحوله الى نصف مد يؤثر في كميته تأثيرا تاما ، اذ يؤدي به الى ان يكون قريبا في كميته من كمية الصامت ، وهو ما توضحه ايضا اوزان الشعر العربي ، اذ ان نصف المد يمكن ان يحل محل الصامت من غير ان يؤثر ذلك في الوزن الشعري ، مما يدلل على تساويهما في الكمية ، اضافة الى تماثلهما في المسلك ، اذ ان كلا منهما يؤدي دور قاعدة مقطع .

لقد كان لتساوي الكمية بين المقطعين الطويل المفتوح والطويل المغلق اثر كبير في الدراسات الصوتية العربية في النظر الى اصوات المد الطويلة ، اذ ان ذلك جعلهم ينظرون اليها على اساس ان كل صوت مد طويل يتألف من صوتين اثنين هما كسرة وياء ساكنة في صوت ياء المد ، وضمة وواو ساكنة في صوت واو المد ، كما بينا ذلك سابقا ، ويبدو ان الخليل هو اول من وصل الى هذا وقد قاده اليه التحليل العروضي للمقطعين الطويل المفتوح والطويل المغلق ، اذ انه بسبب من تساوي الكمية فيهما نظر الى ان كلا منهما متألف من متحرك فساكن ـ بالتعبير العروضي ـ مما استدعى النظر الى صوت المد الطويل على انه متألف من حركة مجانسة فصوت ساكن ، ويبدو ان هذا قد حدث بسبب من غياب نظرية تساوي الكمية بين المقطعين ، اذ ان الخليل تصور انهما يمثلان نوعا واحدا من المقاطع(١٠٩) وليس مقطعين من نوعين مختلفين .

ان هذا الامر هو الذي قاد الصرفيين العرب فيما بعد الى النظر الى كلمة من نحو (لي) المتألفة في الحقيقة من صوتين هما اللام الصامتة وصوت المد الطويل الياء ، على انها متألفة من ثلاثة اصوات لام وكسرة وياء ساكنة ، مثلها عندهم كمثل كلمة من نحو (لَنْ) المتألفة من اللام والفتحة والنون .

---

١٠٩ ـ اطلق العروضيون على المقطع الطويل المغلق او المقطع الطويل المفتوح مصطلح : السبب الخفيف ، ينظر العقد الفريد ٦/ ٢٣٤ ، وهو امر يشير الى انهم نظروا الى هذين المقطعين على انهما يمثلان نوعا واحداً من المقاطع .

وللفائدة ينظر : موسيقى الشعر/ ٥٦ ـ ٥٧ ثم ينظر : في نقد منهج الخليل والعروضيين/ ٥٢ ـ ٥٦ .

وظيفة اصوات المد في العربية :

١ ــ الوظيفة الصرفية :

قلنا فيما سبق ان نظام اصوات المد العربية متألف من ثلاثة اصوات مد هي الضمة والكسرة والفتحة يخضع كل صوت منها الى درجتين من الطول هما درجة القصر ، ودرجة الطول ، ويبدو هذا النظام قياسا على عدد الصوامت في العربية نظاما فقيرا في عدد فونيماته ، غير ان الحقيقة غير هذه ، اذ ان قلة الفونيمات هنا ليس امرا معيبا في نظام اصوات المد العربي Arabic Vowel system بل قد يكون امرا حسنا للغة من قبيل اللغة العربية تتبع في تصريفاتها نظاما اشتقاقيا داخليا يتطلب ثبوت الاصوات التي تؤدي الدور الاساسي في النظام الصرفي وقلتها ، بل ذهب البحث اللغوي الى ان قلة الفونيمات لا يعني فقر الاصوات ، بل العكس هو الصحيح ، فقد ظهر آنه كلما قلت فونيمات لغة كثرت تنوعاتها الصوتية»[١١٠]

وعلى اية حال فقد لوحظ بوجه عام ان النظام الصوتي العربي ، وان كان فقيرا في اصوات المد ، الا ان اهميتها التوزيعية فيه تفوق الاربعين في المائة[١١١] .

ان هذه الاهمية التوزيعية لاصوات المد متأتية من كونها تؤدي في الكلمة العربية دورا بنائيا على حد تعبير هنري فليش[١١٢] فهي اضافة الى ما تقوم به من اخراج لاصوات الاصل (الصوامت) من حيز التجريد الى حيز التحقق الصوتي[١١٣] واعطائها القدرة على الاسماع تقوم بوظيفة في غاية من الاهمية في النظام اللغوي العربي ، فنحن في العربية امام نظام صرفي يستعمل (اصلا racine لاجزء ثابتا radicle والاصل مكون من صوامت فحسب ــ تتصل بمجموعها فكرة عامة اقل او اكثر تحديدا ، ويتم تحويل هذه الفكرة الى الواقع في كلمات مستقلة بوساطة المصوتات اي اصوات المد ــ التي توضع في داخل الاصل فالمصوتات

---

١١٠ ــ دراسة الصوت اللغوي/ ٢٢٩ .

١١١ ــ حوليات الجامعة التونسية/ العدد ١١/ ١٩٧٤ : النظريات الصوتية في كتاب سيبويه/ الطيب بكوش/ ١٤٨ ــ ١٤٩ .

١١٢ ــ العربية الفصحى/ ٥٤ .

١١٣ ــ ينظر الكتاب ٢/ ٣١٥ قال الخليل (الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل الى التكلم به .

اذن هي التي تعطي «صيغة» الكلمات في هذا النوع من المادة المبهمة)[١١٤] وبهذه تختلف وظائف اصوات المد في العربية ، وفي الساميات عامة عن وظائفها في لغات من نحو اللغات الهندو اوربية ، اذ انها في العربية تؤدي وظيفة صرفية من خلال دخولها على عناصر «الاصل» وتغير اصوات المد الداخلة على الاصل الواحد يؤدي الى تغير المعنى الصرفي للكلمة ، اي ان هذه الاصوات تؤدي في العربية دور فونيمات صرفية – ان صح التعبير – غير ان ذلك يتم ضمن قوالب Forms محددة مقننة لا يجوز الخروج عنها الا نادرا فبناء الفاعل من الثلاثي مثلا يتم بادخال اصوات مد بعينها بين الصوامت التي تمثل عناصر الاصل ، وبهذا تمثل اصوات المد القالب Form الصرفي الذي تدخل فيه عناصر الاصل لتأدية المعنى العام وبناء اسم الفاعل من الثلاثي هنا متألف كما يأتي .

العنصر الاصلي الاول + فتحة طويلة + العنصر الاصلي الثاني + كسرة قصيرة + العنصر الاصلي الثالث : ف + ا + ع + ِ... + ل[١١٥]

فاعل من نحو قاتل ، وكاتب ، وضابط ... الخ .

ويمكن بهذه الطريقة تحديد القوالب الصرفية للصيغ العربية كلها ، غير ان علينا ان نلاحظ في ذلك ما يأتي :

١ – ان اصوات المد القصيرة هي التي تؤلف بوجه عام نظام الزوائد الصرفية ، ولا تكاد تدخل في عناصر الجذر الا في حالات نادرة جدا ، هي التي اشرنا اليها فيما سبق .

٢ – ان اصوات المد الطويلة اضافة الى ما تؤديه من وظائف صرفية شبيهة بما تؤديه اصوات المد القصيرة تؤدي دورا ما في نظام الاصول ، من نحو ما نلاحظ في المعتلات من نحو ، قال يقول وباع يبيع .. الخ[١١٦]

٣ – ان النظام الصرفي في العربية وان كان يعتمد اساسا اصوات المد في التغيرات الصرفية ، الا انه يعتمد ايضا طائفة من اللواحق والسوابق المكونة من صوامت واصوات مد في الاكثار من الصيغ الصرفية .

---

١١٤ – العربية الفصحى/ ٥٢ وينظر القراءات القرانية في ضوء علم الحديث/ ٢٨٣ .

١١٥ – اطلق الصرفيون العرب على العنصر الاول من «اصل الكلمة» فاء الكلمة وعلى العنصر الثاني عين الكلمة ، وعلى العنصر الثالث لام الكلمة وبهذا يرمز للاصل بكلمة (فعل) ينظر شرح الشافية ١/ ١٣ .

١١٦ – ينظر الممتع ١/ ٤٢٥ .

ان الوظائف الصرفية لاصوات المد في العربية تتم وفق قانون صوتي يطلق عليه قانون «المغايرة» polarity اي ان التحول مــن معنى صرفي لاصــل مــا الى معنى صرفي اخر انما يتم عن طريق تغيير اصوات المد التي تتداخل مع عناصر الاصل (اضافة الى ما ذكرناه من عمل السوابق واللواحق) وهو مــا نلاحــظه في الامثلة الاتية من ان المعاني الصرفية انما تتم عن طريق المغايرة في اصوات المد الداخلة على (اصل الكلمة) من المفرد الى الجمع :

كَعَب < كِعاب

كَبد < كُبوُد

فِراش < فُرُش

من اسم الفاعل الى اسم المفعول او الى الصفة المشبهة

محارب < محارَب

قاتِل < قَتيل

جارحِ < جَريح

من بناء فعلى الى بناء آخر

قَتَل < قاتَل

من فعل الى مصدر

جَرح < جَرح

قاتَل < قِتال

جَلَس < جُلوس

وهو قانون تستعمله لغات اخرى ، ولكن بحدود ضيقة جدا من نحو ما نجــد في اللغة الانكليزية من تحول Foot الى Feet لمغايرة المفرد عن الجمع او في التحــول من المضارع Take الى الماضي Took اذ ان استعمال هذه اللغات للمغايرة بوجــه عام انما يتم لا للمغايرة بين المعاني الصرفية للاصل الواحد ، بل للتغير في المعنى الاساسي بحيث يعطي الكلمة معنى مخالفا تماما للمعنى السابق ، من نحو ما نجد في الانكليزية ايضا ف :

Bot مثلا معناها «المخاطرة» و Bat معناها «الخفاش» و But معناها «لكن» وهي معان لا يربط بينها ادنى رابط[١١٧]

---

١١٧ ــ التطور النحوي/ ٣٨ .

ان ظاهرة المغايرة في المعنى العام نفسه قد ظهرت في العربية ايضا من نحو ما نجد في المثلثات بيد ان ذلك لم يكن امرا قياسيا ولعله كان بسبب من تداخل مستويات لغوية لهجية شتى في العربية الموحدة ومن اجل ذلك اعتمد فيها السماع حسب .

وهذا الضرب من المغايرة لا يشبه المغايرة ذات الوظيفة الصرفية التي تحدثنا عنها سابقا .

لقد استعملت العربية المغايرة ذات الوظيفة الصرفية اما بشكل جزئي وذلك بان تغير بعض اصوات المد في الكلمة للتميز بين صيغة واخرى من نحو ما في التحول من اسم الفاعل من الرباعي الى اسم المفعول منه ، حيث تتم المغايرة بين الصيغتين عن طريق تغيير صوت مد واحد فقط ، هو صوت المد الذي يأتي بعد عين الكلمة :

مُفْعِل : اسم الفاعل : مُفْعَل اسم المفعول

وهناك مغايرة اكبر من نحو ما نلاحظ في التحول من المثنى الى الجمع اذ ان اصوات المد في لاحقتي التثنية والجمع تخضعان الى مغايرة تامة : امثال

معلمون : في الجمع معلمان : في التثنية

او ما نلاحظ في التحول من المفرد الى الجمع في نحو قولنا :

حِمار حَمير

فقد تحولت الكسرة بعد الحاء في المفرد الى فتحة في الجمع ، والفتحة الطويلة (الالف) التي بعد الميم في المفرد الى كسرة طويلة (ياء) في الجمع .

نلاحظ من جانب اخر ان العربية قد تستعمل طول صوت المد وسيلة في المغايرة ايضا من نحو قولنا في التحول من المفرد الى الجمع :

جَمَل جمال

فبالاضافة الى المغايرة في صوت المد الذي بعد الفاء تمت المغايرة في صوت المد الذي بعد العين عن طريق اطالة صوت المد الاصلي في الكلمة وهو يتوضح اكثر في امثلة من نحو :

قَتَلَ قَاتَل

ضَرَبَ ضاربَ .. الخ

وفي احيان اخرى تتم المغايرة عن طريق حذف احد اصوات المد وغالبا ما يكون صوت المد الذي يأتي بعد العين (وقد يكون ذلك اضافة الى التحول من الفعلية الى المصدرية في طائفة من الابنية مثال :

قَتَل < قَتْل
أكل > أَكْل

قانون المغايرة وابنية الافعال :

ان ابنية الافعال توضح توضيحا حسنا الميل الى المغايرة بين الابنية الصرفية في اصوات المد اذ نلاحظ بوجه عام ان التحول من الماضي الى المضارع في هذه الافعال يكون مصحوبا في الاغلب بتغير حركة عين الفعل ، بل ان بعض اللغويين لا يشترط في مضارع فعل مثلا ، حركة بعينها سوى كونها مغايرة للفتحة ، قال ابن درستويه : «كل ما كان ماضيه على فعلت بفتح العين ولم يكن ثانيه ولا ثالثه من حروف اللين ولا الحلق فانه يجوز في مستقبله يفعل بضم العين ويفعل بكسرها كضرب يضرب وشكر يشكر وليس احدهما اولى به من الاخر ، ولا فيه عند العرب الا الاستحسان والاستخفاف ، فمما جاء واستعمل فيه الوجهان قولهم نفر ينفر وينفر ، وشتم يشتم ويشتم ، فهذا يدل على جواز الوجهين فيهما وانهما شيء واحد لان الضمة اخت الكسرة في الثقل»[118]

لكننا نلاحظ في طائفة من الافعال العربية انها قد شذت عن ذلك بأن بقيت حركة عين الفعل في المضارع منها مشكلة لما في الماضي ، غير ان هذه الطائفة قليلة جدا قياسا الى الافعال التي خضعت الى المغايرة من الماضي الى المضارع[119] وقد فُسر قسم منها تفسيرا صوتيا من نحو الافعال التي عينها ، او لامها صوت حلقي اذ فسر بقاء صوت الفتحة بعد العين بميل الصوت الحلقي الى ان يكون صوت المد المجاور له فتحة[120]

وقد مرت بنا في الفصل السابق امثلة لهجية توضح ان طائفة من الافعال التي من باب فَعل يفعَل الحلقية العين ، قد ظهرت في بعض الهجات القديمة على انها من باب آخر من نحو قول بِعد يبعَد وشغِف يشغَف[121] مما قد يدلل على انها قد تكون عرفت المغايرة ايضا في بعض الحقب . اما بناء فعُل يفعُل فلقد فسر الدكتور

---

١١٨ ــ المزهر ١/ ٢٠٧ وينظر الحجة في القراءات السبع لابن خالويه/ ١٣٧ .
١١٩ ــ من اسرار اللغة /٣٦ .
١٢٠ ــ في اللهجات العربية/ ١٥٨ القراءات القرانية في ضوء علم اللغة الحديث/ ٢٠٥ .
١٢١ ــ البحر المحيط ٥/ ٢٩٩ ، ٨/ ٢٩٤ .

ابراهيم انيس بقاء الضمة في العين من ماضيه وحاضره : بان ذلك قد يكون نشأ عن طريق القياس الخطأ ثم شاع بعد ذلك او ان الافعال كانت في الاصل مفتوحة العين في الماضي ثم لقصد المبالغة في معناها حولت الى صيغة فعُل وذلك بضم العين ، وذهب الى انه قد استأنس لهذا الرأي بما ذكره النحاة من امكان تحويل فَعل الى فعُل حين يراد الدلالة على ان معناه قد صار كالغريزة في صاحبه ، او للتعجب فينسلخ حينئذ عن الحدث)[١٢٢]

وهو ما قد يفسر به نشوء بناء فعل يفعل ايضا :

وعلى اية حال فان هذه الطائفة من الافعال قليلة جدا قياسا الى الابنية التي تتغاير فيها حركة عين المضارع عن الماضي وهي ابنية

فعَل يفعُل ـ يفعِل

فِعل يفعَل

والجدير بالذكر في هذا المجال ان المغايرة في ابنية الافعال تتم دائما بين الفتحة من جهة وبين الضمة او الكسرة من جهة اخرى ، ولا نلاحظ سوى افعال معدودة كانت المغايرة فيها تتم بين الكسرة والضمة وقد عدها اللغويون العرب افعالا شاذة خارجة عن ابواب الأفعال العربية وقد حاولوا تفسير هذا الشذوذ بانه كان من تداخل مستويات لغوية مختلفة وهو ما عبروا عنه بتداخل اللغات[١٢٣]

ومما يلاحظ بوجه عام في تطبيق قانون المغايرة على الافعال العربية ما يأتي :

١ ـ ان العربية تعني عناية شديدة بتغير صوت المد الذي يأتي بعد العنصر الثاني من الاصل ، وهو العنصر الذي يطلق عليه في العربية مصطلح عين الكلمة ولكأن العربي يشعر ان صوت المد الذي يكون في هذا الموضع ، انما هو صوت المد الرئيس في الكلمة وهو ما بدا واضحا في ابنية الافعال ، ولعل هذه الاهمية متأتية من قوة العنصر الثاني من الاصل على الثبات بسبب من ابتعاده عن اللواحق والسوابق والتأثيرات الاعرابية ، وهو ما أشار اليه ابن جني في قوله (العين اقوى من الفاء واللام ، وذلك لانها واسطة لهما ومكنونة بهما فصارا كأنهما سياج لها ومبذولان للعوارض دونها)[١٢٤]

٢ ـ يلاحظ ايضا ان الافعال العربية الثلاثية المجردة تتدرج تحت ابواب ستة

---

١٢٢ ـ من اسرار اللغة/ ٢٨ .

١٢٣ ـ الخصائص ١/ ٣٧٤ ـ ٣٧٩ .

١٢٤ ـ الخصائص ٢/ ١٥٥ .

هي :

فعَل ــ يفعَل : فتحَ يفتحَ

فعَل ــ يفعُل : نَصر ينصرُ

فعَل ــ يفعل : ضرَب يضرِب

فعِل ــ يفعَل : فرحِ يفرحَ

فعِل ــ يفعِل : حِسب يحسب

فعُل ــ يفعُل : كُرم يكرُم

فهل كان اختلاف الافعال من باب لباب في اصوات المد التالية للعين يشير الى شيء من المغايرة للتميز بين انواع من الافعال

قبل البدء في الاجابة عن هذا السؤال نورد ملاحظات عامــة في مــا يمــكن ان يستشف من مسلك هذه الافعال ، وما تشير اليه من اختلاف فيما بينها باختلاف صوت المد التالي للعين ، وهذه الملاحظات :

أ ــ ان فعَل يستعمل في المتعدي كثيرا في حين ان فعِل وفعُل يســتعملان في اللازم كثيرا .

ب ــ ان افعال الصفات والهيئة والانفعال تأتي على وزان فعَل ، وهو امر قــريب مما نجد في العبرية اذ ان الفعل الماضي الســالم يأتي فيهــا على ثلاثة اوزان ايضا ، وزن ينبيء عن (حركة) هو פָּעַל (فعَل) مــن نحــو שָׁבַר «كسر» وגָּדַע «قطع» ثم وزنان ينبئان عن الصفة والانفعال هما : פָּעֵל (فعِل) مثل שָׁלֵם «ســلم» ووزن פָּעֹל «فعــل» مثل קָטֹן «صُـــغر» و יָגֹר «خَاف»[١٢٥]

جـ ــ ان اشتقاق بناء «فعيل» يأتي من فِعَل او فُعلَ بوجه عام من نحو ما نجــد في طَرب من طَربَ وحزين من حِزن واعرج من عَرج وكريم من كُرم وشريف من شرُف ، بل اننا لا نجدَ في كثير من الاحيان بناء (فاعل) من هــذه الافعــال في العربية ، فلا يمر بنا طارب او حازن او عارج او كارم او شارف ، واذا حدث ان وجدنا شيئا من ذلك ، وهو قليل فاكبر ظني ان الافعال التي اشتق منهــا هذا البناء ههنا انما كانت على وزان فعَل في الاصل ، وهكذا يمكن ان نفسر ظهور ضاحك من ضحِك ولاعب من لعِب وشاهد من شهد وزاهد من زهــد اذ

---

١٢٥ ــ ينظر الاساس/ ١٧٥ .

اشار المعجم الى وجود صيغ اخرى لهذه الافعال على بناء فعَل[126] فكأن هذه الالفاظ قد اشتقت في الاصل من تلك الافعال المفتوحة العين ، وقد بينا في الفصل السابق في الكلام على ابنية الافعال بين اللهجات الى ان لهجات نجد وتميم قد جنحت في بناء فعَل مما عينه صوت حلقي الى الكسر .

اما بناء (فاعل) فقد كان يشتق بوجه عام من بناء فعَل فهل كان هذا الاختلاف مما يشير الى اختلاف في الدلالة العامة لابنية الافعال ؟ وهل يشير اشتقاق الصفة المشبهة من فعِل وفعُل الى ان هذين البنائين قد جنحا في العربية الى التعبير عن الصفات وما يتبع ذلك من بيان الصفة او الهيأة او اللون او المرض او الانفعال ؟ ثم هل يشير ميل العربية بوجه عام الى اشتقاق بناء الفاعل من بناء فعل الى جنوح هذا البناء في العربية للتعبير عن الحركة و (الفاعلية) ؟

نلاحظ من جانب آخر ان بناء فعيل المشتق من بناء فعَل يؤدي معنى المفعول من نحو جريح بمعنى مجروح وقتيل بمعنى مقتول وحبيب بمعنى محبوب ، وهي في هذا على الضد من بناء فعِل الذي يثير فيه بناء فعيل الى معنى الفاعلية من نحو حزين وشريف وكريم[127] تشير هذه الملاحظات الى أن التغير في حركة عين الفعل الماضي قد يعبر عن تغير في نوع الفعل (فعل صفة او فعل حركة) او عن تغير في نوع الفاعل (فاعل محض ، فاعل متعلق موصوف) او عن علاقة الفعل اللغوية بالمفعول به (فكرة التعدي واللزوم/ معنى بناء فعيل) وهي الافكار التي تشير اليها اهم ثلاثة تفسيرات حديثة تفسر اختلاف الحركة في الفعل الثلاثي المجرد .

ومن هذه التفسيرات تفسير الدكتور بول كراوس ، الذي ايد ان يكون لهذه التفرقة بين فعلَ من جانب او فعِل وفعُل من جانب اخر صلة بالتفرقة بين المتعدي واللازم ، لكنه لاحظ ان ذلك لا يمثل قاعدة عامة للتمييز بين هذين الضربين من الافعال اذا جاءت طائفة من الافعال اللازمة مفتوحة العين في الماضي من نحو جلس وقعد ، وجاءت طائفة من المتعدي مكسورة العين من نحو : عمل وركب وسمع .

لقد ذهب كراوس الى ان هذا الخلط انما كان لعلتين :

الاولى : اننا لم نحدد تحديدا دقيقا ما نعني بالمتعدي واللازم اذ جعلنا التفرقة

---

١٢٦ ـ المصدر السابق نفسه

١٢٧ ـ وهو ما يصطلح عليه عند اللغويين العرب بالصفة المشبهة .

بين الضربين وفاقا للعلاقة اللغوية بين الفعل والمفعول حسب اي اننا فسرنا المتعدي بانه الفعل الذي يأخذ مفعولا ، واللازم الفعل الذي لا يأخذ مفعولا ، وهو امر لا يميز تمييزا دقيقا الافعال المتعدية من الافعال اللازمة اذ اننا سنجابه بطائفة من الافعال من تلك التي صنفت على انها من المتعدية ترد في الجملة العربية من غير ان يتطلب ايرادها وجود مفعول من نحو شرب الرجل وطعم ...الخ ومن اجل ذلك اقترح بول كراوس تقسيما جديدا نستغني به عن التقسيم القديم الى متعد ولازم وذلك ان نصنف الافعال الى صنفين هما : فعل (عامل) وفعل (غير عامل) لنخرج من ذلك الخلط فيكون من نتيجة ذلك ان نجد افعالا من قبيل ركب وسمع ولبس التي صنفت على انها افعال متعدية تكون في تقسيمنا الجديد افعالا غير عاملة .

العلة الثانية : ان هذا الخلط بين المتعدي واللازم في ابنية الافعال انما كان حدثا طارئا نتيجة لتطور حصل في معاني الافعال ثم اورد في ذلك مثلا هو فعل (عمل) الذي لم يكن في الاصل يعني (صنع) وانما كان ذلك لتطور في الدلالة اما المعنى الاصلي فهو (تعب لانه عمل عملا شاقا) ــ اي ارهق ــ وهو معنى يشير الى ان هذا الفعل كان في الاصل فعلا لازما)[١٢٨]

وثاني هذه التفسيرات كان للدكتور هنري فليش الذي ذهب الى ان الاختلاف في صوت المد هذا بين الافعال مرتبط بالتعبير عن (نوع الفاعل) الذي يسند اليه الفعل ، ثم وضع جدولا لانواع الفاعلين وفاقا لحركة عين الفعل على النحو الاتي :

١ ــ فاعل محض ، بسيط : فعَل ــ يفعِل او يفعُل : متعد او غير متعد مثل ضرَب يضرب وسكَت يسكُت .

٢ ــ فاعل متعلق : فعل ــ يفعل : متعد او غير متعد مثل ربح وضحك .

٣ ــ بلا فاعل : فِعل ــ يفعَل : المسند اليه موصوف وليس فاعلا مثل كبر ويكبرَ

٤ ــ بلا فاعل : فعُل ــ فُعل : المسند اليه موصوف وليس فاعلا[١٢٩] مثل كرم يكرم .

اما التفسير الثاني فهو تفسير الدكتور ابراهيم انيس الذي ذهب الى ان من الممكن ان يكون اختلاف الماضي في حركة العين مما يشير الى تقسيم الافعال المجردة الى افعال اختيارية voluntary وافعال جبرية involuntary وعرف الفعل،

---

١٢٨ ــ محاضرات بول كراوس في فقه اللغة/ المحاضرة الرابعة

١٢٩ ــ العربية الفصحى/ ١٤٣ .

الاختياري بانه الفعل الذي لنا الخيار في وقوعه ولو كان مما عده القدماء لازما مثل جلس وقعد ثم عرف الفعل الجبري بانه الفعل الذي لا خيار لنا في حدوثه من نحو كبر وضعف وعرج وحمر ، ولاحظ ان كلا من هذين النوعين يختلف عن الاخر في صوت المد القصير التالي للعين ، اذ ان الافعال الاختيارية تجنح الى ان يكون هذا الصوت في الماضي فتحة ، في حين تجنح الافعال الجبرية الى ان يكون كسرة او ضمة[١٣٠]

ومن الواضح ان هذا التفسير اكثر تلك التفسيرات نضجا في تحديد العلاقة بين معنى الفعل ووزنه في هذا المجال يزاد على ذلك انها لا تنقض النظريتين السابقتين بل تكملهما .

٣ ـ ان العربية تنظر في بعض الاحيان الى الضمة والكسرة على انهما يمثلان كتلة واحدة مقابل الفتحة وهو مالا حظناه في التفرقة بين نوعين من الافعال فالضمة والكسرة للجبري ، والفتحة للاختياري او ما لاحظناه في المغايرة بين الماضي والمضارع في الافعال العربية اذ كانت هذه المغايرة بين الفتحة من جانب والضمة والكسرة من جانب اخر ، ولا نجد بابا من ابواب الافعال

فيه المغايرة من الكسرة الى الضمة او بالعكس ، وقد فسر ما ظهر من مغايرة على هذا النحو في افعال قليلة جدا ، شاذة بانه من تداخل اللغات[١٣١] اي بتأثير مستويات لهجية مختلفة .

لقد فسر بعض القدماء كون العربية تعامل في بعض الاحيان الضمة والكسرة على انهما كتلة واحدة بأن (الضمة اخت الكسرة في الثقل)[١٣٢]

قد مر بنا من قبل ان برجستراسر قد ذهب الى اكثر من ذلك فقال انه من الممكن ان تكون اللغات السامية قد عاملت الضمة والكسرة في بعض الحقب على انهما صوت واحد[١٣٣] ولقد اشار الدكتور عبدالعزيز مطر الى ان امثلة المقارنة السامية وامثلة اللهجات العربية القديمة والحديثة توضح هذا الامر[١٣٤] وعلل ذلك

---

١٣٠ ـ من اسرار اللغة/ ٣٢ ـ ٣٣ .
١٣١ ـ الخصائص ١/ ٣٧٤ ـ ٣٧٩ .
١٣٢ ـ المزهر ١/ ٢٠٧ .
١٣٣ ـ التطور النحوي/ ٣٤ .
١٣٤ ـ بهجة البدو في ساحل مريوط/ ٦٦ .

بتشابه هذين الصوتين تشريحيا فكلاهما صوت مد ضيقClosed[١٣٥] وفي الحق ان هذا التشابه لا يرجع الى اسباب تشريحية حسب ، اذ ان الصوتين متقاربان من الناحية الفيزياوية ايضا يقول فليتشر Fletcher ان صوت الكسرة يشبه شبها كبيرا صوت الضمة (اذا ما تخلصنا من الموجات التي تزيد على الف ذبذبة في الثانية ، ولكن بما ان نسبة الشبه بينهما تزيد في هذه النقطة على تسعين في المائة ، فان من الواضح ان بعض الصفات لا تزال موجودة في منطقة الذبذبات المنخفضة في صوت الكسرة وهي التي تميزه عن صوت الضمة[١٣٦] .

٢ ـ وظيفة اصوات المد النحوية :

ان لقانون المغايرة عن طريق اصوات المد اهمية كبرى في العربية في التفريق بين المواقع النحوية للكلمات في الجملة ، وظاهرة الاعراب من قبل النظرة الصوتية تمثل تطبيقا جيدا لهذه المغايرة ، فالفاعل يغاير المفعول في حركة اخره وكذلك يغاير المضاف اليه ولا نستطيع ان نفسر تفسيرا تعليليا اسباب اختيار صوت مد بعينه في كل موقع ، ولقد ذهب ابو اسحاق الزجاج الى ان ذلك الاختيار انما كان تابعا للاستثقال والاستخفاف ، فان العرب كانوا اذا استثقلوا صوت مد استعملوه في المواضع التي يقل ورودها واذا استخفوه استعملوه في المواضع التي يكثر ورودها ، ثم صار هذا عندهم كالسليقة ، يقول في الكلام على رفع الفاعل ونصب المفعول انه (انما فعل ذلك للفرق بينهما) ثم سأل نفسه ، فان قيل فهلا عكست الحال فكانت فرقا ايضا ، قيل الذي فعلوه احزم ، وذلك ان المفعول لا يكون له اكثر من فاعل واحد ، وقد يكون له مفعولات كثيرة ، فرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرته ، وذلك ليقل في كلامهم ما يستثقلون ويكثر في كلامهم ما يستخفون)[١٣٧]

وهو تعليل لا يمكن الاطمئنان اليه كل الاطمئنان ، ذلك ان البحث في الظواهر اللغوية الموغلة في القدم ، من غير ان يكون لذلك سند من نصوص ووثائق

---

١٣٥ ـ المصدر السابق/ ٦٦ .

١٣٦ ـ القراءات القرانية في ضوء علم اللغة الحديث/ ٢٩٠ نقلا عن كتاب الاستاذ فليتشر :
speech and in communication p. 423

١٣٧ ـ الخصائص ١/ ٤٩ ، وبقية النص توحي بان ذلك صار سليقة «فجرى ذلك في وجوه ووضوح امره مجرى شكر المنعم وذم المسيء» .

ومأثورات ، امر يخرجنا عن الطريق العلمية .

لكننا بوجه عام نستطيع ان نقول ان اصوات المد العربية في استعمالها للدلالة على المواقع الاعرابية ، انما تمثل علامات لثلاثة مواقع نحوية ، وان العربية استعملت الضمة علامة على فكرة «الاسناد» والكسرة علامة على فكرة «الاضافة» والفتحة علامة على ان الموقع ليس موقع اسناد او اضافة .

لقد جنحت العربية الى استعمال اصوات المد القصيرة في هذه المغايرة النحوية ، بيد اننا سنجابه ايضا بحالات اعرابية تستعمل العربية فيها اصوات المد الطويلة للدلالة الاعرابية ، وهذه الحالات هي :

١ ــ جمع المذكر السالم .

٢ ــ المثنى .

٣ ــ الاسماء الستة .

فتتم المغايرة في الجمع والمثنى بين حالتين حسب ، الحالة الاولى تضم المرفوعات ، والعلامة الاعرابية فيها هي الواو في الجمع ، والالف في المثنى ، والحالة الثانية تضم المنصوبات والمجرورات والعلامة الاعرابية فيها هي الياء في الجمع والمثنى[١٣٨]

اما في الاسماء الستة فتتم المغايرة بين المواقع الاعرابية الثلاثة بالواو للمرفوعات ، وبالالف للمنصوبات وبالياء للمجرورات .

لقد استعملت المغايرة عن طريق اختلاف اصوات المد ايضا للتفريق بين طائفة من الفصائل النحوية ، من نحو ما نلاحظ في التمييز بين ثلاثة انواع من ضمير الفاعل المتصل ، فـ تُ : في اكلتُ : ضمير الفاعل المتكلم «الشخص الاول»

و تَ : في اكلتَ : ضمير الفاعل المخاطب المذكر «الشخص الثاني»

وتِ : في اكلتِ : ضمير الفاعل المخاطب المؤنث «الشخص الثاني»

او ما نلاحظ في التحول في الفعل من البناء للمعلوم الى البناء للمجهول اذ يتم ذلك عن طريق المغايرة في اصوات المد الداخلة على الفعل .

---

١٣٨ ــ احياء النحو/ ٥٠ مدرسة الكوفة/ ٢٥١ ، النحو العربي نقد وتوجيه/ يجدر بنا ان نشير هنا الى ظاهرة غريبة في العربية ، وهي انها تفرق في الجموع «والمثنى منها» في الاغلب بين حالتين اعرابيتين حسب ، حالة رفع وحالة اخرى تضم المنصوبات والمجرورات ، فجمع المذكر السالم يرفع بالواو ، وينصب ويجر بالياء ، والمثنى يرفع بالالف ، وينصب ويجر بالكسرة ، وكثير من جموع التكسير ترفع بالضمة وتنصب وتجر بالفتحة .

فَعَلَ > فُعِلَ
قَتَلَ > قُتِلَ

ان علينا ان نشير بعد هذا الى ان اصوات المد التي تمثل علامات الاعراب تؤدي اضافة الى ما تؤديه من تمييز بين المواقع النحوية او الفصائل النحوية، وظيفة اخرى، هي تحويل الكلمات العربية الداخلة في جملة الى كلام متصل غير منقطع ذلك لان «الحركة مظهر من مظاهر الاستمرار في الاداء»[١٣٩].

مسلك اصوات المد في التاليف الصوتي العربي:

تتأثر الاصوات اللغوية بعضها بالبعض الاخر في اثناء التأليف الفونولوجي وتكمن علة هذا التأثر في ان جهاز النطق يجنح في اثناء الكلام الى تقريب هذه الاصوات بعضها من البعض الاخر في الصفات او المخارج، ويكمن تحديد اتجاهين لتعامل الاصوات اللغوية فيما بينها هما:

١ ـ اتجاه تآلف، فيؤدي ذلك باصوات الكلمة الى الثبات وعدم التغير السريع.

---

١٣٩ ـ ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / ٢٧١، ولعل ما قاله الخليل من ان (الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل الى التكلم به) فيه شيء من هذا، ينظر الكتاب ٢/ ٣١٥.

وفي هذا الصدر يمكن الكلام على استعمال آخر لبعض اصوات المد القصيرة في العربية، وهو استعمال الفتحة على انها لاحقة تعبر عن ضمير الفاعل المفرد الغائب تلحق الفعل الماضي، ودراسة الامثلة توضح ذلك.

من نحو قولنا:

جاءَنا

ساعدَنا

ومن اجل ذلك نلاحظ سقوطها في حالة خلوص الفعل لفاعل غير غائب من نحو:

ساعدنا، اكلنا

ضربت، ضربت، ضربت

او خلوصه لفاعل جمع غائب، ذلك لان لهذا الفاعل علامة اخرى هي ما يطلق عليها واو الجمع نقول: ضربوا، قتلوا .. الخ

وقد ذهب بعض المعاصرين الى ان الفتحة قد سقطت من المثلين الاخيرين للمناسبة (ينظر اللغة العربية مبناها ومعناها كتمام حسان) وفي الحق انه لا مناسبة هنا كما اشرت الى بعض مواضع هذا الفصل، ثم انه لو كان ذلك حقا، كان في ميسور المتكلم العربي ان يلجأ الى وسيلة اخرى لتلافي ثقل الفتحة مع واو المد (واو الجماعة) عن طريق تحويل واو المد الى نصف مد من نحو ما فعل في صيغ من قبيل رأوْا، بَنَوْا .. الخ.

٢ ـ اتجاه تنافر ، وهو اساس كثير من التغيرات الصوتية التي تصيب الكلمة ، وفي احيان اخرى يكون سببا من اسباب تطور الاصوات اللغوية .

واللغات بوجه عام تنزع الى الغاء هذا التنافر بطرائق شتى منها :

أ ـ تغيير في الاصوات يؤدي الى الانسجام او المماثلة .

ب ـ حذف الصوت الذي يؤدي الى التنافر .

جـ ـ الغاء التأليف الصوتي ، والجنوح الى تأليف صوتي جديد لا يظهر فيه تنافر بين الاصوات .

د ـ اقحام صوت يلغي التنافر .

وسنحاول في هذا المبحث ان نوضح اتجاهات تعامل اصوات المد بعضها مع البعض الاخر ، ثم تعاملها مع انصاف المد ، ثم تعاملها مع الصوامت وسنجد انها في تعاملها هذا تجنح دائما الى الانسجام والغاء التنافر بينها ، وبين سائر الاصوات اللغوية المؤلفة للكلمة ، بوساطة احدى تلك الطرائق التي اشرنا اليها سابقا .

تعامل اصوات المد فيما بينها :

ان الميل للانسجام بين اصوات المد في الكلمة العربية واضح كل الوضوح اذ ان العربية تكره توالي اصوات مد بعينها في الكلمة الواحدة من نحو توالي الضمة والكسرة او الكسرة والضمة[١٤٠] وقد فسر هذا التنافر بين الصوتين باختلافهما في ان كل منهما يرتفع في اثناء نطقه جزء من اللسان مغاير تماما للجزء الذي يرتفع في الاخر ، وهو ما بيناه في الكلام على تصنيف اصوات المد ، اذ ان الكسرة صوت امامي Front يرتفع في اثناء نطقه الجزء الامامي من اللسان على حين ان الضمة صوت خلفي Back يرتفع في اثناء النطق به الجزء الخلفي من اللسان .

ان دراسة الصيغ الصرفية العربية توضح هذا الامر جيدا[١٤١] ذلك اننا سنلاحظ انها جنحت الا يكون ثمة تعاقب بين هذين الصوتين ولا سيما في تلك الكلمات التي يكثر استعمالها من نحو ما نجد في صيغ الاسماء الثلاثية ، وهي :

---

١٤٠ ـ ينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ١٢ : انهم «انما يستثقلون كسرة بعدها ضمة او ضمة بعدها كسرة «والتبيان ١/ ٣٠» ثقل عليهم ان يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة ، او كسرة بعدها ضمة» .

١٤١ ـ الكتاب ٢/ ٢٢٨ .

فَعْل ، فَعَل ، فَعل ، فَعُل ، فعْل ، فِعَل ، فِعِل ، فُعْل ، فُعَل ، فِعِل ، فُعْل ، فُعَل ، فُعُل[١٤٢]
ولا نجد فيها صيغا من قبيل فُعِل او فِعُل ، وكذلك في مصادر الثلاثي[١٤٣] وهي ظاهرة في ابنية الرباعي من الاسماء ايضاً :

فَعْلَل ، فِعْلِل ، فُعْلُل ، فِعْلَل ، فُعْلَل .[١٤٤]

ولا نجد مثلا فُعْلِل او فِعْلُل .

غير اننا سنجد ان الضمة والكسرة يظهران معا في بناء من ابنية الخماسي من الاسماء ولكنهما على اية حال قد ظهرا متباعدين مفصولين بفتحة وسكون ، وهذا البناء هو بناء فُعَلِّل من نحو خُزَعْبِل ، اما بقية ابنية الخماسي فلم يرد فيها شيء من ذلك ، وهي :

فَعَلَّل ، فِعْلَلّ ، فَعْلَلِل[١٤٥]

ويمكن تعليل ذلك اضافة الى تباعد هذه الاصوات بقلة استعمال بناء الخماسي .

غير اننا نلاحظ ان تعاقب ضمة فكسرة قد ورد في بناءين فعلين ، وهو على اية حال تعاقب ذو طبيعة نحوية مما يساعد على بقائه ، وهذان البناءان هما :بناء : فُعِل : الذي يشير الى بناء الفعل للمجهول .

وبناء : يُفعِل : للرباعي المزيد .

اما تعاقب كسرة فضمة ، فلم يظهر في العربية قُط ، قال سيبويه : «انه ليس في الكلام ان يكسروا اول حرف ويضموا الثاني نحو فعل[١٤٦]) وقال ابن يعيش : (لم يأت في كلامهم فعل بكسر الاول وضم الثاني)[١٤٧]

وهذا يعني ان اللسان العربي يستثقل استثقالا تاما الانتقال من صوت المد الامامي الى صوت المد الخلفي ، على حين انه قد يسمح بالانتقال من الصوت الخلفي الى الامامي في بعض الاحوال ولاسباب ذات طبيعة نحوية وهي اسباب

---

١٤٢ ــ ينظر الخصائص ١/ ٦٨ شرح التصريح/ ٣٦٨ .
١٤٣ ــ كتاب الافعال لابن القطاع ١/ ١١
١٤٤ ــ ينظر الخصائص ١/ ٦٨ شرح التصريح / ٨٩١ .
١٤٥ ــ ينظر شرح التصريح/ ٩٠٠ .
١٤٦ ــ الكتاب ٢/ ٣٥٧ .
١٤٧ ــ شرح المفصل/ ١٣٩٢ .

تساعد على ان تتوقف القوانين الصوتية بعض التوقف[١٤٨]

ان التنافر بين هذين الصوتين قد يفسر لنا ايضا ما ذكرناه في الفصل الثاني في الكلام على كسر حرف المضارعة في ضرب واحد من بناء الفعل الثلاثي هـو بناء يفعل المفتوح العين، من ان العربية لم تجنح الى كسر حرف المضـارعة في ابنية الفعل الثلاثي الاخرى بل بقيت محافظة على الفتح فيه، وكأن ذلك كان خوفا من ان ترد كسرة قبل ضمة، وهو ما اشرنا الى استثقال اللسان العـربي اسـتثقالا تاما له، بل نلاحظ ان العربية قد نزعت فيما بعد الى التخلص مـن كسر حـرف المضارعة في يفعل نفسـها، وكأن ذلك كان خـوفا مـن ان يمتد هـذا الكسر الى الابنية الاخرى.

والتنافر بين الضمة والكسرة في العربية ليس المعيار الوحيد في ميل هذه اللغـة الى ان تكون اصوات المد في الكلمة متجانسة، بل نلاحظ في طائفة من السياقات ان التنافر يحصل بين الفتحة والكسرة او الفتحة والضمة من نحو ما نجـد مـن ميل للاتباع في الامثلة الاتية:

جاء مُرْوء صالح.

رأيت مَرْءا صالحا.

مررت بِمرْءٍ صالح[١٤٩]

او في بعض امثلة التقاء الساكنين، وهو ما اشرنا اليه فيما تقـدم، اذ ان مـن عادة العربية ان تقحم صـوت الكسرة بين هـذين السـاكنين بيد انهـا في بعض الاحوال تجنح الى ان تقحم صوت مد قصير آخر بسـبب مـن ان اصـوات المد الاخرى الموجودة في الكلمة تنزع الى التنافر مع الكسرة، مـن ذلك مـا ذكره ابن يعيش من نحو قولهم: اخذت مِنَ الرجل[١٥٠] او مُذُ الليلة[١٥١] او هُمُ القوم[١٥٢] وقـد فسر ذلك بعلة الاتباع vowel Harmony ومن ذلك ايضا (قـالت اخـرجُ، وعذا بنُ اركضُ وعيوننُ انظُلوها وقلُ انظروا، كل ذلك للاتباع وذلك انه اتبع ضـمة التاء

---

١٤٨ ـ نلاحظ هذا مثلا في التحول من الفعل المبني للمعلوم الى الفعـل المبني للمجهـول مـن نحو: قَتَل قُتِل ،اسَمِع سُمِع.

١٤٩ ـ المخصص ١٥/ ٧٦.

١٥٠ ـ شرح المفصل/ ١٣٢٠.

١٥١ ـ المصدر السابق/ ٤٤٩.

١٥٢ ـ المصدر السابق/ ٤٤٩.

في قالت ضمة الراء في اخرج ، اذ ليس بينهما حاجز الا حرف ساكن ، وكذلك عذا بن اركض اتبع التنوين حركة الكاف ، اذ ليس بينهما الا الراء الساكنة)[١٥٣]

وفي الحق ان ظاهرة الاتباع تكون اكثر ظهورا في الكلام والمشافهة منها في النصوص الكتابية ، التي تنزع بوجه عام الى التقيد بالقواعد اللغوية ولعل امثلة ابن يعيش تلمح الى شيء من هذا ، اذ ان طريقة كتابتها في العربية لا تشير في الغالب الى ظاهرة الاتباع من نحو ما نرى في كتابة عذابا اركض او عيونا ادخلوها ، ولعلنا من اجل ذلك نجد شيئا كثيرا من امثلة الاتباع في ما وصل الينا من قراءات او اثار لهجية حسب ، يريد مسجلها او ناقلها الاشارة من خلالها الى بعض طرق الكلام العربي الخارجة عن القواعد العامة بتأثير المستوى اللهجي في غالب الاحيان . وقد مثلنا في الفصل السابق بامثلة لهجية لظاهرة الاتباع في بعض مراحل العربية ، وهي امثلة تشير ان العربي كان يجنح احيانا الى الاتباع في كلامه ، وان لم يظهر ذلك واضحا في العربية الادبية ، وفي الحق ان امثلة القراءات في هذا الشأن تؤكد الامر ، ومن هذه الامثلة :ـ قراءة يزيد بن قطيب[١٥٤] (والمحُصُنات)[١٥٥] بضم الصاد اتباعا لضمة الميم[١٥٦] وقد قرىء (وقولوا للناس حُسنا)[١٥٧] بضم السين اتباعا لضمة الحاء[١٥٨] وقرأ ابو جعفر يزيد بن القعقاع[١٥٩] وسليمان بن مهران[١٦٠] بضم التاء اتباعا لحركة الجيم في (واذ قلنا للملائكةُ اسجدوا)[١٦١] وقرأ ابن عامر[١٦٢] (وتوبوا الى الله جميعا أيُهُ المؤمنون)[١٦٣]

١٥٣ ـ المصدر السابق/ ١٣٢٤ .

١٥٤ ـ السكوني الشامي ثقة له اختيار في القراءة ينسب اليه ، روى اقر عن ابي بحرية عبدالله بن قيس صاحب معاذ بن جبل . ينظر غاية النهاية ٢/ ٣٨٢ .

١٥٥ ـ النساء/ ٢٤ .

١٥٦ ـ البحر المحيط ٣/ ٢١٤ .

١٥٧ ـ البقرة/ ٨٣ .

١٥٨ ـ البحر المحيط ١/ ٢٨٥ .

١٥٩ ـ المخزومي المدني القارىء احد القراء العشرة ، تابعي مشهور ، عرض القرآن على عبدالله بن عباس وابي هريرة ، ينظر غاية النهاية ٢/ ٢/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣ .

١٦٠ ـ ابو محمد الاسدي الكاهلي ، ولد سنة ٦٠هـ ، اخذ القراءة عن جماعة منهم ابراهيم النخعي وعاصم ويحيى بن وثاب ، توفي عام ١٤٢هـ ، غاية النهاية ١/ ٣١٥ ـ ٣١٦ .

١٦١ ـ البقرة/ ٣٤ والقراءة في البحر المحيط ١/ ١٥٢ .

١٦٢ ـ عبدالله بن عامر اليحصبي ، قاضي دمشق ، وهو من التابعين ، توفي عام ١١٨هـ .

١٦٣ ـ النور/ ٣١ والقراءة في البحر المحيط ٦/ ٤٥٠ .

وقـرأ الحسـن البصري وزيد بن علي (الحمـــدِ لِله) بكسر الدال اتباعا لكسرة اللام[164] وهي قراءات توضح قـوة الاتباع في العـربية اذ انه امتد الى المواضـع الاعرابية من نحو ما نلحظ في طائفة من هذه القراءات[165]

نلاحظ الى جانب هذا ، تأثيرات قانون الاتباع في ميل العربية الى كسر ضمير الغائب المفرد اذا سبقته كسرة او ياء اتباعا لها من نحو قولنا : بِهِ وعليهِ واليهِ ، او في امثلة من قبيل : قرأت في كتابِهِ ، ومــررت بدارِهِ .. الخ ، في حين انه يحافظ على حركة الضمة التي تلي الهاء في الحالات التي تسـبق هـذه الهاء حركة غير الكسرة ، من نحو الضـمة في : هـذا كتابه ، والفتحـة في لَهُ ، او قرأت كتابَهُ ، كذلك في الحالة التي يخلو الموضع السابق فيها من حركة من نحو لم يبغْهُ ، عَنْهُ ، مِنْهُ ..[166] بيد ان التأريخ اللغوي العربي يروي لنا اخبارا عن مستوى لهجي قديم ـ هو لهجة اهل الحجاز ـ بقي محافظا على حركة الضم في الهـاء في الاحوال كلها ، ومنه قراءة «وخسفنا بهو وبدار هو الارض»[167] .

ونلحظ تأثيرات الاتباع ايضا في همزة الوصل ، قال سيبويه :

(اعلم ان الالف الموصولة فيمـا ذكرنا في الابتداء مـكسورة ابدا ، الا ان يكون الحرف الثالث مضموما فتضـمها ، وذلك قـولك أقْتُل ، أسْـتُضعف ، أحتقـرُ أحرنُجم ، وذلك انك قربت الالف من المضـموم اذا لم يكن بينهمـا الا سـاكن ، فكرهوا كسرة بعدها ضمة وارادوا ان يكون العمل من واجه واحد:)[168]

تعامل اصوات المد مع انصاف المد :

تبدو ظاهرة التآلف والتجانس اكثر وضوحا في تعامل اصوات المد مع انصاف المد ، ولقد بينا في مبحث سابق كراهية العربية لانواع من التتابعات التي تقع بين اصوات المد وانصاف المد ، وقلنا ان العربية تجنح في حالة ظهور تلك الانواع من التتابعات الى التغيير الصوتي بحيث يؤدي ذلك الى الغاء التنافر .

لقد قيدنا تلك التتابعات في انها تقع في مقطع واحد بيد ان كثيرا من السـياقات تظهر تتابعات لاصوات المد مع انصاف المد مما يقع في اكثر من مقطع ، وظهـور

١٦٤ ـ البحر المحيط ١/ ١٨ .

١٦٥ ـ للفائدة ينظر الخصائص ٢/ ١٤٥ .

١٦٦ ـ ينظر الحجة في القراءات السبع لابن خالويه / ٤٨ .

١٦٧ ـ الكتاب ٢/ ٢٩٤ ، همع الهوامع ١/ ٥٨ ، والاية في القصص/ ٨١

١٦٨ ـ الكتاب ٢/ ٢٧٢ .

هذا النوع من التتابع كان بسبب من ان العربية لغة ذات نظام اشتقاق داخلي يعتمد تغيير اصوات المد او انصاف المد بوجه عام ولا سيما في الكلمات التي يشتمل جذرها على عنصر معتل (صوت مد طويل او نصف مد) وهذا يعني ظهور سياقات تحتوي على اصوات مد وانصاف مد متنافرة فيما بينها هي تلك السياقات التي درسها اللغويون العرب تحت ما اصطلحوا عليه بالاعلال :

ويمكن اجمال طرائق العربية في التخلص من هذا التنافر بواحدة من هذه الطرق :

١ ـ قلب صوت المد القصير الى صوت مد متآلف مع نصف المد ، وهو تآلف يؤدي الى التحول من الثنائية Diphthong الى الاحادية single من نحو ما نلحظ في :

بُيْض > بِيْض > بيض[١٦٩]

تتابع من صوت مد قصير ونصف مد > صوت مد طويل مفرد[١٧٠]

٢ ـ قلب نصف المد الى صوت متآلف مع صوت المد القصير وهو تآلف يؤدي ايضا الى التحول من الثنائية الى الاحاد الاحادية من نحو : قلب الواو ياء في الامثلة الاتية :

مِوْعاد > مِيْعاد > ميعاد[١٧١]

مِوْزان > مِيْزان > ميزان[١٧٢]

او من نحو قلب الياء واوا في الامثلة الاتية :

مُيْسر > مُوسِرْ > موسر[١٧]

مُيقْن > مُوقْن > موقن[١٧]

طُيْبي > طُوْبي > طوبي[١٧٥] .

---

١٦٩ ـ الكتاب ٢/ ٢٦٣ ، ٣٨٠ شرح المفصل ٦٤٣ .

١٧٠ ـ ينظر : سر الصناعة ١/ ٢١ .

١٧١ ـ التهذيب ١٥/ ٦٦٨ .

١٧٢ ـ المصدر السابق ١٥/ ٦٦٨ .

١٧٣ ـ شرح المفصل ٦٤٣ .

١٧٤ ـ المصدر السابق ٦٤٣ .

١٧٥ ـ التهذيب ١٥/ ٦٧٣ .

ويلاحظ في هذه الامثلة ان التنافر انما يتم بين صـــوتي المد المغلقين Closed ونصفي المد الساكنين حسـب ، على حين لا نجــد في امثلة العـــربية تنافـــرا بين نصفي المد وصوت المد المفتوح Opened الذي هو الفتحة ، اذ مـــا زالت العــــربية محافظة على كلمات من قبيل ثَوْب وسَوطْ وبَيتْ وزَيتْ .. الخ[١٧٦] بيد ان اللغـــويين العرب لاحظوا بعض حالات القلب في هذا الضرب ايضا ومن المرجح انها حالات لهجية[١٧٧] من ذلك ان من العرب من يقول (في يَيْأس يأس ابدلوا الياء لانفتاح مـــا قبلها ، ومثله قول العرب من اهل الحجاز ياتزن وهم ياتعدون فـــروا مـــن يَوْتزن ويَوتْعدون)[١٧٨]

وفي طائفة من الامثلة نلاحظ ان قلب نصف المد الى صوت متآلف مع صوت المد يتم في تتابع متألق من صوت مد قصير + نصف مد + صوت مد قصـــير) وهـــو تآلف يؤدي ايضا الى الغاء الثلاثية ، والتحول الى الاحادية ، بحيث يحل محـــل التتابع الثلاثي صوت مد واحد طويل وذلك من نحو قولهم (أواسيك) اذ ان اصله (اواسِوكَ لانه افاعِلكَ من الاسوة ، فقلبت الواو ياء لوقوعها طـــرفا بعـــد الكسرة وكذلك اواخيك اصله اواخِوكَ لانه من الاخوة)[١٧٩]

ويمكن ان يصدق هذا على ما ذهب اليه اللغويون العـــرب مـــن انقـــلاب الياء المتحركة الى الف اذا كان ما قبلها فتحة[١٨٠] وهو الانقـــلاب الذي فسر به ظهـــور افعال معتلة من قبيل دعا ورمى في المعتل اللام[١٨١] وافعـــال معتلة مـــن قبيل قـــال وباع في المعتل العين اذ اصل دعا ورمى عندهم دَعَوَ ورَمَيَ ، انقلبت فيهما نصف المد الى الف لتحركه وانفتاح ما قبله ، واصل قال وباع عندهـــم قَـــوَلَ وَبَيَع ثم انقلب نصف المد فيهما الى الف للعلة السابقة نفسها .

غير اننا نلاحظ ان في العربية كثيرا من المفردات التي كان نصـــف المد فيهـــا

---

١٧٦ ـ ينظر الخصائص ٣/ ١٣٩ قال ابن جني : الا ترى الى صحة الياء والواو جميعـــا بعـــد الفتحة وتعذر الياء الساكنة بعد الضمة والواو الساكنة بعد الكسرة ، وانظر ايضا سر الصناعة ١/ ٣٦ .

١٧٨ ـ الخصائص ٢/ ١٤ .

١٧٩ ـ الخصائص ١/ ١٨١ .

١٨٠ ـ ينظر الكتاب/ الحجة لابن خالويه/ ٤٩ سر الصناعة ١/ ٢٤ .

١٨١ ـ شرح التصريح ٢/

١٨٢ ـ ينظر سر الصناعة ١/ ٢٤ .

متحركا ، وقد انفتح ما قبله من غير ان يتعرض الى الانقلاب[183] وفي الحق ان هؤلاء اللغويين العرب قد شعروا بضعف علة هذا الانقلاب ، وقد علق الاسترابادي على ذلك بقوله : (ان علة قلب الواو والياء المتحركتين المفتوح ما قبلهما ليست في غاية المتانة)[184] ومن اجل ذلك وضعت شروط كثيرة لهذا الانقلاب ، أخرج بها كثير من المفردات التي لا تخضع لهذا الانقلاب ، وقد اجمل خالد الازهري هذه الشروط بما يأتي : ان يكون نصف المد متحركا بحركة اصلية ، وان ينفتح ما قبله ، وان تكون الفتحة متصلة (اي في الكلمة نفسها وليس في كلمة مجاورة) وان يتحرك ما بعده اذا كان عينا وان لا يليه الف ، وياء مشدودة اذا كان لاما ، وان لا يكون عينا لفعل بكسر العين ، وان لا يكون عينا لا فتعل الدال على معنى التفاعل ، وان لا يكون متلوا بحرف يستحق الاعلال بالقلب الى الف ، وان لا يكون عينا لما آخره زيادة تختص بالاسماء كالالف والنون والف التأنيث[185]

وقد ناقش محمد الانطاكي فكرة اللغويين العرب عن هذا الانقلاب ، فذهب الى ان ضعف هذا القانون يرجع الى (تمسك الصرفيين العرب بمبدأ عدم اصالة الالف في الكلام العربي وان كل الف في ثلاثي فهي اما منقلبة عن ياء او عن واو ، ولو انهم تخلوا عن هذا المبدأ واعتبروا الالف في مثل دعا ورمى وباب وناب اصلية ، لكان تفسير انقلابها الى ياء او واو في التصاريف المختلفة مثل يدعو ويرمي ويدعوان ويرميان وابواب وانياب اقول : كان تفسير ذلك اهون عليهم من تفسير انقلاب الياء والواو الفا ، واكثر اطرادا ، وبالتالي فاننا نعتقد ان القانون صيغ بطريقة معكوسة والصرفيون لا يقبلون بهذا لانه يتعارض مع مبدأ آخر لا يسلم من الخطأ وهو مبدأ ان المصدر اصل الفعل الماضي وسائر المشتقات ، ولو تخلوا عن هذا المبدأ لما كان هناك شذوذ في القانون الصوتي الذي نقترح ان تكون صياغته على الشكل الاتي : تقلب الالف في الفعل الماضي الى ياء او واو اذا .. الخ)[186]

---

١٨٣ ــ شرح التصريح ٢/ ٣٨٦ ــ ٣٨٧ .

١٨٤ ــ شرح الشافية/

١٨٥ ــ شرح التصريح ٢/ ٣٨٦ ــ ٣٨٧ .

١٨٦ ــ المحيط في اصوات العربية ١/ هامش ١٠٩ ــ ١١٠ ، وينظر ايضا الفصل الثالث ، في الكلام على تاريخية الاعتلال ، اذ ذهبت الى ان هذا القبيل من الافعال قد يكون نشأ عن طريق اشباع صوت مد قصير ، وليس كما ذهب اللغويون العرب ، الى ان الاعتلال اصيل في هذه

نعود للكلام على التتابع الثلاثي المتنافر الاصوات في العربية فنلاحظ في طائفة اخرى من الامثلة ان القلب فيها لا يصاحب بالغاء هذا التتابع المستكره والتحول الى الاحادية ، وقد يسوغ ذلك بعض التسويغ ان هذا التتابع الثلاثي مما لا يقع في مقطع واحد ، ومن امثلته :

غازوَة < غازية[١٨٧]

صِوام < صِيام[١٨٨]

رواض < رياض[١٨٩]

سِواط < سِياط[١٩٠]

وثمة امثلة اخرى ، نلاحظ ان القلب يتم فيها بغية الانسجام وان كان ثمة فاصل بين صوت المد ونصف المد من نحو :

قِنْوة < قِنية[١٩١]

صِبوة < صِبية[١٩٢]

٣ ـ في بعض حالات التنافر بين اصوات المد وانصاف المد يتم الغاء هذا التنافر عن طريق حذف نصف المد ، من نحو ما نلاحظ في طائفة من تتابع واو نصف مد وكسرة قصيرة كقولهم :

زِنَه في وِزْنة ، وعِدَة في وعِدَة وضِعَة في وِضْعَه[١٩٣] ويلاحظ في هذا المجال ان العربية نقلت صوت المد التالي لنصف المد (الواو) المحذوف الى الموضع التالي لعين الكلمة ، بسبب من ان العربية تكره ان تبدأ بساكن ومما سوغ ذلك ايضا ان عين الكلمة صامت ساكن .

لقد ذهب سيبويه الى ان العربية استعملت هذا الحذف في المصدر على حين انها قد تبقى على التتابع المستكره الذي من هذا القبيل في الاسماء فيقال فيها

الافعال ، وان المعتل فيها كان اصله واوا او ياء انقلب الى الالف لتركه وانفتاح ما قبله .

١٨٧ ـ شرح التصريح ٢/ ٣٧٦ .

١٨٨ ـ المصدر السابق ٢/ ٣٧٧ .

١٨٩ ـ المصدر السابق ٢/ ٣٧٨ .

١٩٠ ـ المصدر السابق ٢/ ٣٧٨ .

١٩١ ـ اللسان ١٥/ ٢٠١ الكتاب ٢/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

١٩٢ ـ الخصائص ١/ ١٣٧ .

١٩٣ ـ الكتاب ٢/ ٣٥٨ ، الخصائص ١/ ٣٥١ .

وجهة في جِهة ووِلدة في لِدة ، مما يعني ان هذا الامر قد اتخذ طابعا تمييزيا .

ومن هذا الحذف ايضا ما يحدث في حالة وقوع الواو نصف المد الساكنة بين ياء مفتوحة وصامت متلو بكسرة في الافعال المضارعة ، (وهي الافعال التي فاؤها واو) وهو وضع يشير الى حدوث حالة تنافر بين هذه الاصوات فكان ان سقط صوت الواو ، وامثلة هذه الحالة كثيرة في العربية من نحو :

يَوْزِن > يَزِن

يَوْعِد > يَعِد

يَوْرِد > يَرِد[194]

في حين نلاحظ ان هذه الواو لا تسقط اذا جاء بعدها صامت متلو بفتحة من نحو يوحل ويوجل[195]

ان سقوط الواو من بناء يفعل الذي فاؤه واو امتد ايضا الى الصيغ الاخرى للمضارع ، من نحو قولنا تعد واعد ونعد مما لا يحصل فيه هذا الضرب من التتابع ولعل ذلك كان من باب الاطراد في قياس واحد ، قال ابن يعيش (فقالوا تعد ونعد واعد ، فحذفوا الواو وان لم تقع بين ياء وكسرة لئلا يختلف بناء المضارع ، ويجري في تصريفه على طريقة واحدة)[196]

٤ ـ التخلص من البناء الصرفي باكمله والجنوح الى بناء صرفي آخر لا يظهر فيه تنافر اصوات المد ، بعضها مع البعض الاخر ، او تنافرها مع انصاف المد ، من

---

١٩٤ ـ شرح المفصل/ ١٣٩٩ .

١٩٥ ـ المصدر السابق/

وينظر في البنية الايقاعية للشعر العربي / ٢٩٢ ـ ٢٩٤ ، يرى الدكتور كمال ابو ديب ان سقوط الواو من بناء يفعل الذي فاؤه واو ، كان لان العرب تنبر على المقطع الاول من وزان يفعل الصرفي ، ولان هذا المقطع يكون صعب النطق مع النبر ، جنح العرب الى اسقاطه وهو تعليل لا نستطيع الاطمئنان اليه بسبب من اننا لا نعرف معرفة دقيقة طرائق النبر عند العرب القدماء ، ثم لان موضع النبر كما يبدو يختلف بين بيئة واخرى ، ولهذا كان من الممكن الا يظهر النبر في هذا الموضع عند العرب جميعا ، ثم ان هذا السقوط قديم جدا ، اذ ظهر كما بينا ذلك سابقاً في العربية الجنوبية (ينظر المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة/ ١١) وعلى اية حال يتفق تفسير الدكتور الفاضل مع التفسير الصوتي في النتيجة ، اذ يذهب الى ان نطق الواو في هذا الموضع كان ثقيلا على اللسان العربي .

١٩٦ ـ شرح المفصل/ ١٣٩٩ .

ذلك ما نلاحظ مثلا في قولهم (في المعتل اللام خُطوة خُطوات وخُطى ، وعروة وعُروات وعُرى ، والمعتل بالياء في الكثير كذلك ، قالوا كُلية وكُلى ومُدية ومُدى ، ولا يكادون يجمعونه بالتاء ، كأنهم كرهوا جمعه بالتاء لما يلزم من ضم العين فيقال كُليات فتقع بعد ضمة فيثقل النطق بها ، فاجتزوا ببناء الكثرة عنه)[١٩٧] ومن ذلك ايضا انهم يقولون (لحية لِحى وفرية فِرى ورشوة رشى ، ولا يكادون يجمعونه بالالف والتاء لانه يلزم كسر ثانيه فيقال رشِوات ، واذا كرهوا اجتماع كسرتين في الصحيح ، كانوا به في المعتل اكره ، وقالوا في المعتل العين قِيمة وقِيمات ودِيمة ودِيمات ، وقيمٍ وديمٍ ، جمعوه في القلة بالالف والتاء لانه لا يجتمع فيه كسرتان كما اجتمعتا في المعتل اللام)[١٩٨] ومن ذلك ايضا ان المعتل العين من نحو سوط وحوض وشيخ وبيت (اذا اريد به ادنى العدد جمع على افعال نحو ثوب واثواب وسوط واسواط وبيت وابيات وشيخ واشياخ عدلوا في المعتل عن افعل كراهية الضمة في الواو والياء لو قالوا اسوط وابيت اذ الضمة على الواو والياء مستثقلة وان سكن ما قبلهما وكان عنه مندوحة فصاروا الى بناء آخر وهو افعال)[١٩٩]

ومن ذلك ايضا انهم قالوا شقي واشقياء وغني واغنياء وصفي واصفياء جعلوا افعلاء فيما اعتلت لامه نظير فعلاء في الصحيح ، وذلك انهم كرهوا ان يقولوا شقياء وغنياء فتقع الياء مفتوحة وقبلها فتحة وذلك مما يوجب قبلها الفا فعدلوا عنه الى افعلاء)[٢٠٠] من ذلك ايضا ما ذكره ابن يعيش من (انه ليس في الاسماء المتمكنة اسم اخره واو قبلها ضمة فاذا ادى قياس الى مثل ذلك رفض وعدل الى بناء غيره وذلك اذا جمعت نحو دلو وحقو على افعل للقلة على حد كلب واكلب ، فالقياس ان يقال ادلُو واحقُوُ الا انهم كرهوا مصيرهم الى بناء لا نظير له في الاسماء المعربة فابدلوا من الضمة كسرة ومن الواو ياء فيقولون ادل واحق فيصير من قبيل المنقوص نحو قاض وداع)[٢٠١] والمدقق في كتب اللغة يجد من هذا الكثير ، ولقد اشار سيبويه الى هذه الظاهرة بقوله (انهم قد يخصون المعتل

---

١٩٧ ــ المخصص/ ٦٢٣ .

١٦٨ ــ شرح المفصل/ ٦٢٤ .

١٩٩ ــ شرح المفصل/ ٦٣٣ .

٢٠٠ ــ المصدر السابق/ ٦٤٥ ــ ٦٤٦ ، وينظر الكتاب ٢/ ٣٨٥ .

٢٠١ ــ شرح المفصل/ ١٤٤٣ .

بالبناء ولا يخصون به غيره من غير المعتل)[٢٠٢]

وقد يلحق بهذا الامر ما نلاحظه من انصراف العربية عن ابنية بعينها في المعتلات بسبب من ان ذلك سيظهر حالات من التنافر الشديد بين اصوات الكلمة ، مما يؤدي الى تغير كامل فيها قد يثير اللبس[٢٠٣]

٥ ـ وثمة ضرب آخر من التعامل بين اصوات المد وانصاف المد في العربية اذ انه ابتغاء الغاء التنافر الحاصل في تتابع من نصف مد وصوت مد مجانس له ، ينقل احد عناصر هذا التتابع الى موضع آخر من الكلمة ، من نلك ان «اينق وهي جمع ناقة اصلها» انْوُق» (فاستثقلوا الضمة على الواو فقدموها الى موضع الفاء لتسكن فصارت أونُقا .. ثم قلبوها ياء فصارت أيْنقا)[٢٠٤]

وظاهرة النقل هذه عدها الصرفيون العرب احدى وسائل اعادة التوازن الى الكلمة ، ولقد ذهبوا الى ان كلمات من قبيل يبيع ويقول قد خضعت الى هذه الظاهرة فاصل يبيع عندهم يَبْيِع واصل يقول يَقْوُل ثم نقلت حركة صوت العلة الى الصامت الذي هو قبله ابتغاء اعادة التوازن[٢٠٥]

٦ ـ ان العربية استعملت صوت الهمزة (وهو من الصوامت) وسيلة لالغاء طائفة من تتابعات اصوات مد وانصاف مد مكروهة في العربية اذ حلت هذه الهمزة محل نصف المد[٢٠٦] من نحو ما نجد في :

قاول > قائل

بايع > بائع

وِشاح > إشاح

صحايف > صحائف

عجاوز > عجائز

بناى > بناء

---

٢٠٢ ـ الكتاب ٢/ ٣٧١ .

٢٠٣ ـ المحيط ١/ع٣ه ١٠٩ .

٢٠٤ ـ شرح المفصل/ ١١٨٢ .

٢٠٥ ـ الكتاب ٢/ ١٢٩ ، شرح التصريح ٢/ ٣٩٣ .

٢٠٦ ـ ينظر في هذا الهمز مثلا الكتاب ٢/ ٣٦٣ ، القلب والابدال/ ٥٦ وشرح المفصل/ ٦٦٤ . نلاحظ ان بعض الصيغ المفترضة من هذه بقيت في اللهجات الدارجة من نحو قولنا بايع ، ورسايل .. الخ ، وبعض الصيغ بقيت في العربية الفصحى من نحو وشاح في اشاح ووسادة في اسادة وهو من اثار اللهجات العربية القديمة التي دخلت في المستوى العربي الموحد

سماو > سماء

يسماعيل > اسماعيل

ويبدو ان هذا الابدال قديم جدا في العربية ، اذ نلحظ ان كثيرا من الصيغ المفترضة ، مما مثلنا له سابقا ، غير موجود في الاستعمال اللغوي العربي ، من نحو قاول وبناى ، مما يدلل على انها لم تدخل في الاستعمال اللغوي منذ حقبة موغلة في القدم في الاقل ، وقد سبق ان اشرنا الى ان الصفوية وهي لهجة عربية بائدة ، قد اوردت في احد نقوشها لفظة «سائر» بالهمز اسما للفاعل من «سار»[٢٠٧] وقد سبق ايضا ان اشرنا الى ان العربية كانت قد ابدلت منذ زمن قديم جدا الياء المكسورة المتصدرة في كلمات من نحو يسماعيل ويسرائيل «وهي كلمات ما زالت محافظة على هذه الياء في العبرية مثلا ، الى همزة فقالت اسماعيل واسرائيل[٢٠٨] بل نلاحظ اثار هذا التحول الى الهمزة في الياء المتصدرة في امثلة متأخرة عن مرحلة اسماعيل واسرائيل بقيت فيها العربية تستعمل الاصل الذي هو بالياء والفرع الذي هو بالهمزة في الوقت نفسه من ذلك ما ذكره ابن السكيت في كتاب القلب والابدال من نحو قولهم (رجل يلمعي والمعي اذا كان ظريفا ، ويقال يلملم والملم اسم جبل او موضع ، الفراء يقال لافة تصيب الزرع اليرقان والارقان و ... يقال للرجل الشديد الخصومة رجل يلندد والندد ... ويقال طير يناديد واناديد .. ويقال يبرين وابرين اسم موضع ، ويقال للجلد الاسود يرندج وارندج ، وعود يلنجوج والنجوج ويقال في اسنانه يلل والل ... الخ)[٢٠٩] ويلاحظ في هذه الامثلة ان الياء فيها متلوه بصوت الفتحة ، وربما كان هذا علة في بقاء الاصول التي بالياء الى جانب الفروع التي هي بالهمزة على حين نلاحظ ان الياء في المثلين الاولين التي ماتت فيهما الاصول في العربية كانت متلوة بكسرة مما قد يعني ان ثمة تنافرا قد حصل بين الصوتين في العربية «يراجع مبحث المخالفة في هذا الفصل» ادى الى قلب الياء همزة ثم اصبح هذا من مظاهر العربية في هذا الموضع .

الى جانب هذا يوضح اختلاف اللهجات العربية القديمة في الهمز والتسهيل ، عمق العلاقة بين اصوات المد الطويلة Long vowels وانصاف المد semi vowels من جهة ، وبين صوت الهمزة من جهة اخرى ، اي ان هذا التبادل يشير الى

---

٢٠٧ ــ العرب في سوريا/ ٨٨ .

٢٠٨ ــ ينظر العربية الفصحى/ ١٠٩ ــ ١١٠

٢٠٩ ــ القلب والابدال (الكنز اللغوي) / ٥٤ ــ

وجود تداخل فونيمي بين هذه الاصوات وصوت الهمزة[210] بحيث انه قد تحل الهمزة محل اي صوت من هذه الاصوات في سياقات معينة من غير ان يؤدي ذلك الى تغير في المعنى .

لكن ما الذي جعل صوتا صامتا ، مختلفا في صفاته ، يسلك في استعمالاته الفونولوجية ، في تلك السياقات سلوك اصوات العلة ؟

لقد اثبتت التجارب المختبرية ان صوت الهمزة صوت غير مستقر وهو شبيه باصوات المد في بعض الاحيان[211] بل لوحظ ان بينه وبين اصوات المد في العربية مناسبة ومؤاخاة[212] وهو وان كان صوتا صامتا الا ان له (حالات من التليين والحذف والابدال والتحقيق) يعتل فيها ، ومن اجل ذلك الحق بالالف والواو والياء[213] بل انه يعامل في بعض التصريفات معاملة نصف المد ، من نحو ما نجد في تحول جمع الكلمات التي من قبيل خطيئة مما لامه همزة من بناء فعائل الى فعالى : «خطيئة خطايا»[214] وهو ما يحدث ايضا في الكلمات التي لامها نصف مد من نحو :

مطية > مطايا

ركية > ركايا

هدية > هدايا[215]

ان العلاقة بين صوت الهمزة واصوات العلة واضحة ايضا في الرسم الكتابي ، اذ ان الهمزة في الاصل (لا هجاء لها ، انما تكتب مرة الفا ومرة ياء ومرة واوا)[216] وحين وضع الخليل رمز الهمزة لم يستعمل هذا الرمز منفردا الا في حالات قليلة جدا بل ادخل على رموز الالف والواو والياء للتعبير عن صوت الهمزة مضافا اليه التأثيرات «المدية» في الكلمة وهو ما لم يحدث في رمز اي

---

٢١٠ ـ ان اللغويين العرب قد فطنوا الى شيء من هذا ، بل ذهبوا الى ان صوت الهمزة ، وان كان صوتا صحيحا (اي صامت) فانه من اصوات العلة ينظر في ذلك : التهذيب ١٥/ ٦٨٢ ، الرعاية/ ٧٥ .

٢١١ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٢٩٧ .

٢١٢ ـ الرعاية/ ٧٥ .

٢١٣ ـ التهذيب ١٥/ ٦٨٢ .

٢١٤ ـ ينظر : الحجة في القراءات السبع/ ابن خالويه/ ٥٦ .

٢١٥ ـ الكتاب ٢/ ٣٨٤ .

٢١٦ ـ التهذيب ١٥/ ٦٨٢ .

صوت آخر ، ويبدو ان هذه العلاقة بينه وبين هـذه الاصـوات قـديمة جـدا في الساميات اذ ان الاوغارتية استعملت ايضا رموزا متعددة لصوت الهمزة وفـاقا لتأثيرات اصوات المد المحيطة به(٢١٧) كما ان احلال صوت المد محل صوت الهمزة موغل في القدم في اللغات السامية ايضا ، من ذلك ان البابلية ـ الاشورية قد تركت الهمزة في كثير من المواقع وعوضت عنها بمد صوت المد القصير السـابق لهـا ، وكذلك الحال في الارامية(٢١٨)

ان الابدال بين الهمزة واصوات المد في العربية يرجـع اضـافة الى مـا اشرنا اليه ، الى ما يأتي :

أ ـ العلاقة الصوتية : وهي ما اشار اليه اللغويون العرب من انه اذا استمر اداء اصوات المد الطويلة ، فانها تنتهي الى موقع الهمزة(٢١٩) ولقـد فسر الدكتور هنري فليش ذلك بوجود (نوعين من المصوتات ـ اي اصوات المد ـ

أ ـ مصوت ذو توتر رخو ، او تكون الحنجرة عند اصداره منفتحة .

ب ـ مصوت ذو توتر شديد ، او تكون الحنجرة عند اصداره منغلقـة ، ففـي الطريقة الاولى ، وهي المألوفة في اللغـة الفـرنسية ، لو اننا نطقنا مصـوتا مـن المصوتات مثل a و i فان الحبال الصوتية يقترب بعضها من بعض بالقـدر اللازم لاحداث الذبذبة فاذا انتهى النطق تباعد بعضها عن بعض ، وتأتي نهاية المصوت على هيأة تلاشي للصوت ، وفي الطريقة الثانية ، وهي طريقة اللغة اليابانية يحدث مع نطق هذه المصوتات ذاتها ان تنغلق الاحبال الصـوتية اولا ثم تنفتح بالقـدر اللازم لاحداث الذبذبة ، فاذا انتهى النطق انغلقت وتأتي نهاية المصوت في صورة احتباس او قطع ضعيف ، اما بالنسبة للغة العربية التي تحتاج دائما الى همـزة فان بدءها بالمصوت هو من نوع الطريقة الثانية ، غير ان التوتر هنا اشـد قـوة لدرجة ان الانفتاح المفاجيء للاحبال الصوتية يصـدر همـزة ابتداء ثم تسـتعيد الاوتار وضعها بان تغلق الحنجرة ، وهو وضع استعداد للهمزة مـن حيث كانت نهاية النطق عند مخرج الهمزة)(٢٢٠)

ان كثيرا من الامثلة يوضح هـذه الحقيقـة في العـربية مـن ذلك ان بعض

---

٢١٧ ـ تاريخ علم اللغة/ ٧٦ .

٢١٨ ـ فقه اللغات السامية/ ٤١ .

٢١٩ ـ التهذيب ١/ ٥١ الخصائص ٢/ ٣١٨ .

٢٢٠ ـ التفكير الصوتي عند العرب/ ٦٢ (هامش)

المستويات اللهجية العربية القديمة كانت اذا وقفت على صوت المد الطـويل قلبته همزة من نحو(هذه حبلاء يريد حبلى ورأيت رجلاء يريد رجلا)[٢٢١] ونحو ما حكي عن ايوب السختياني انه قرأ (ولا الضألين) فهمز الالف من الضالين[٢٢٢] ومـا حكاه ابو زيد الانصاري من ان العرب من يقول شأبة ومأدبة في شابة ومـادة[٢٢٣] وهي امثلة توضح ان العربية قد جنحت في طائفة من مستوياتها اللهجية القديمة الى الغلق المفاجيء لصوت المد الطويل ، ولاسيما في الحالات التي يتطلب صـوت المد اغراقا في التطويل ويبدو ان الجنوح الى غلق الحنجرة قـد امتد ايضـا الى الغلق المفاجيء لصوت المد الطويل ، ولاسيما في الحالات التي يتطلب صـوت المد اغراقا في التطـويل ويبدو ان الجنوح الى غلق الحنجـرة قـد امتد ايضـا الى الحالات التي ينطق فيها بنصف المد ، ولكن ذلك كان في تلك السـياقات التي تكره فيها العربية اضرابا من تتابعات بعينها ، من نحو ما نجد في تحول :[٢٢٤]

سماو < سماء

بناى < بناء

ووقف < اوقف

قاول < قائل

وشاح < اشاح

بايع < بائع

عجاوز < عجائز

رسايل < رسائل

مما اوجد تداخلا فونيميا قويا بين اصوات المد الطويلة وانصاف المد والهمزة ، جعل العرب ينظرون اليها على انها مجموعة واحدة[٢٢٥]

٢ ـ ان الهمزة العربية اكثر الاصوات اللغوية تأثرا بما يكتنفها من اصوات مد ،

---

٢٢١ ـ سر الصناعة ١/ ٨٢ .

٢٢٢ ـ المصدر السابق١/ ٨٢ المتع في التصريف ١/ ٣٢٠ .

٢٢٣ ـ المصدر السابق ١/ ٨٢ المتع في التصريل ١/ ٣٢٠ .

٢٢٤ ـ ينظر مثلا سر الصناعة ١/ ١٠٤ ، القلب والابدال/ ٥٤ ـ ٥٨ .
المتع في التصريف ١/ ٣٢٧ ، شرح المفصل/ ٦٤٤ .
والتطور النحوي/ ٣٢ ، فقه اللغات السامية/ ٧٧ .

٢٢٥ ـ الرعاية/ ٧٥ ، ١٠٣ في الكلام على حروف العلة .

ولقد بينا منذ قليل ان هذه التأثيرات واضحة في طـريقة كتابة الهمـزة العـربية ايضا ، وسنحاول التفصيل في ذلك في المبحث القادم .

٣ ـ تعامل اصوات المد مع الصوامت :

ان اهم التأثيرات التي تخضع لها الصوامت تكون حين يقع واحد مـن هـذه الاصوات بين صوتي مـد intervocalic position وقـد عد المحـدثون ذلك قـانونا صوتيا عاما[٢٢٦] ولا سيما الانفجارية منها ، فيؤدي بها الى الضعف او الانحراف ولقد بينا سابقا ان التحليل اثبت مثلا ان نصف المد الذي يقع في هذا الموقع يكون صوتا ضعيفا[٢٢٧] ولقد ذهبت طائفة من الباحثين الى ان هذا القـانون هـو الذي اظهر صيغا فعلية من نحو قال وباع وخاف وذهبوا الى ان الصيغ المفترضـة في هذا المجال هي قوَل وبَيع وخوِف ثم سقطت انصاف المد بسبب من وقوعها بين صوتي مد[٢٢٨]

واشار مكي بن ابي طالب الى ان الهاء العربية التي تقع بين فتحتين طويلتين تضعف ايضا ، ومن اجل ذلك كانت نصيحة للقـراء بانه (اذا وقعـت الهـاء بين الفين وجب بيانها لاجتماع ثلاثة احرف خفية نحو بناها وسواها وضحاها)[٢٢٩]

ان الهمزة العربية كما يبدو اكثر هذه الاصوات تأثرا بما يكتنفها من اصـوات مد؟ ولعل ما يوضح ذلك توضيحا جيدا القواعد التي سجلها مكي بن ابي طـالب في طرائق قراءة الهمزة في كتاب «الرعاية» اذ نلحظ في هذه القـواعد ان الهمـزة تضعف ضعفا شديدا اذا وقعت بين صوتي مد قصـيرين ، وكان قبل صـوت المد الاول همزة ايضا[٢٣٠] وقد اشار اللغويون العـرب الى هـذه الهمـزة الضـعيفة وسموها الهمزة اللينة او بين بين ، وقد وصـفها ابن جني بانهـا صـوت «بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها ، وان كانت مفتوحـة فهـي بين الهمـزة والالف وان كانت مكسورة فهي بين الهمزة والياء ، وان كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو ، الا انها ليس لها تمكن الهمزة المحققة ، وهي مع مـا ذكرنا مـن

---

٢٢٦ ـ اسس علم اللغة/ ١٤٣ .

٢٢٧ ـ مناهج البحث في اللغة/ ١١٥ ، وينظر العربية الفصحى/ ٤١ .

٢٢٨ ـ العربية الفصحى/ ٤١ ، ٢٠١ ، دروس في علم اصوات العربية/ ١٣٧ ، ابحاث في اللغـة العربية/ ٣٧ .

٢٢٩ ـ الرعاية/ ١٣٣ .

٢٣٠ ـ المصدر السابق/ ١١٩ ـ ١٢٤ .

امرها في ضعفها وقلة تمكنها بزنة المحققة ، ولا تقع الهمـزة المحققـة اولا ابدا ، لقربها بالضعف من الساكن)[٢٣١] ووصفها مكي بأنها صوت بين الهمزة والصوت الذي يجيء بها اليه (فيلفظ بالهمزة المضـمومة بين الهمـزة المضـمومة والواو الساكنة ، وبالمكسورة بين الهمـزة المكسـورة والياء السـاكنة وبالمفتوحـة بين الهمزة المفتوحة والالف) نحو اؤبنكم ، ائذا ، أانا[٢٣٢]

ويلاحظ في هذين النصين ما يأتي :

١ ــ انها صوت ضعيف .

٢ ــ انها قريبة جدا من صوت المد بدليل انه لا يمـكن البدء بهـا في الكلام ممـا يوضح ان لها خصائص اصوات المد ، ولعلها صـوت مـد على درجـة مـن التوتر .

٣ ــ ان العربية مع هذا عاملتها في الحشو معاملة الهمزة .

٤ ــ يلاحظ في امثلة مكي ان الهمزة تنزع الى التأثر بصوت المد التالي لها ، علما بان الصوت السابق لها في كل هذه الامثلة هو الفتحة ، بيد اننا نجد في طائفة اخرى من الامثلة ان الهمزة قد تتأثر بصوت المد الاول ، ويبدو ان ذلك يحدث حين يكون صوت المد الاول صوتا مغلقا closed اي ضـمة او كسرة اذ اورد مكي انه (اذا كانت الهمـزة الثانية مـكسورة والاولى مضـمومة كان لك في تخفيف الثانية وجهان ، ان شئت نحوت بالثانية اذا لينتهـا نحـو الياء على حكم حركتها وان شئت نحو الواو على حكم حركة ما قبلها نحو مـن يشـاء الى صراط ولا يأبى الشهداء اذا ما دعوا)[٢٣٣]

اننا لا نستطيع تحديد طبيعة هذه الهمزة التي وصفت بانهـا بين بين تحـديدا دقيقا ، وهو امر اشار اليه ابن يعيش في بعض كلامه ، اذ ذهب الى انه (لا يظهر سر هذه الهمزة ولا ينكشف حالها الا بالمشافهة) [٢٣٤] وربما كان ذلك لانها تشـبه في طريقة خروجها من جهاز النطق خروج اصوات المد الطويلة ، الا انهـا تحمـل مع ذلك شيئا من التوتر ، ولعل ما ذهب اليه الدكتور فؤاد حسنين مـن انهـا (لا تتكون في اقصى الحلق حيث تتكون الهمزة الاصـلية بل في الموضـع الواقـع بين الحلق وجـوف الفـم ، لذلك يطلق عليهـا بين بين ، اي بين الحـــروف الحلقية

---

٢٣١ ــ سر الصناعة/ ٥٣ ــ ٥٤ .

٢٣٢ ــ الرعاية/ ١٢١ .

٢٣٣ ــ المصدر السابق/ ١٢٢ .

٢٣٤ ــ شرح المفصل/ ١٣٠٨ .

والحروف الجوفية ... وصوت هذه الهمزة ضعيف جدا)[٢٣٥]

شيء قريب من هذا التفسير ، من جانب اخر فقد ذهب الدكتور ابراهيم انيس والدكتور عبدالصبور شاهين الى أن هذه الهمزة ليست الا سقوط الهمزة من الكلام تاركة وراءها صوت مد قصير ، فيترتب على هذا ان يلتقي صوتا المد اللذان كانا يكتنفان الهمزة ليكونا صوت مد مركب يحمل بعض التوتر ، وهو تحليل يبعد كثيرا عن وصف القدماء لهذا الصوت ، ولعل ما يضعفه ايضا ان العربية لم تعرف التقاء صوتي مد ليكونا صوتا مركبا من هذا النوع وهي في الاحوال التي يظهر فيها مثل هذا الالتقاء تلغيه بواحدة من تلك الطرائق التي تحدثنا عنها .

نلاحظ في حالات اخرى سقوطا تاما لصوت الهمزة اذا وقعت بين صوتي مد ، وهذا السقوط يتم في تلك الحالة التي اطلق عليها في العربية (همزة الوصل) . ولكننا نلاحظ في هذا المجال ان سقوط الهمزة يكون مصحوبا بسقوط صوت المد القصير التالي لها ، وهو امر قد يكون سببا في عدم ظهور ما اطلق عليه همزة بين بين في هذا الوضع . وتشير امثلة القراءات القرآنية الى ان همزة القطع التي تقع في موقع من هذا النحو قد تجنح هي ايضا الى السقوط من الكلام مع صوت المد التالي لها ، من نحو ما نجد في قراءة ابن محيصن[٢٣٦] (واذ يعدكم الله احدى)[٢٣٧] وقراءة عمر بن عبدالواحد[٢٣٨] وعمر بن عبدالعزيز (ان ارضعيه)[٢٤٠] بكسر النون وحذف الهمزة[٢٤١] وقراءة ابي عمرو «ياصالح ايتنا»[٢٤٢] «بغير همزة»[٢٤٣]

---

٢٣٥ ـ مجلة كلية الاداب/ العدد ١/ م ٨/ مايو ١٩٤٦/ ص ١٣٧ .

٢٣٦ ـ محمد بن عبدالرحمن بن محيصن السهمي مولاهم ، مقرى اهل مكة مع ابن كثير ، ثقة ، روى له مسلم ، عرض على مجاهد وسعيد بن جبير ، وعرض عليه ابو عمرو بن العلاء وكان نحويا ، له اختيار في القراءة توفي ١٢٣هـ انظر غاية النهاية ٢/ ١٦٧ .

٢٣٧ ـ الانفال/ ٧ .

٢٣٨ ـ البحر المحيط ٤/ ٤٦٤ .

٢٣٩ ـ ابن قيس ، ابو حفص الدمشقي ، عرض على يحيى بن الحارث الذماري ، وروى عنه ابن عامر توفي عام ٢٠٠هـ .

ينظر طبقات ابن سعد ١/ ٥٩٤ (نشر دار صادر) .

٢٤٠ ـ القصص/ ٧ .

٢٤١ ـ البحر المحيط ٧/ ١٠٥ .

٢٤٢ ـ الاعراف/ ٧٧ .

٢٤٣ ـ البحر المحيط ٤/ ٣٣١ .

في امثلة اخرى نلاحظ ان الهمزة تضعف ضعفا شديدا تتحول اثره الى نصف مد ، ويتم ذلك اذا تجاورت همزتان متحركتان ، وكانت الهمزة الثانية منهما (مكسورة واصلها السكون ، فانه تبدل منها ياء خالصة في قراءة من خفف الهمزة نحو ائمة .. لان اصلها السكون لان جمع امام على افعل ، واصله اأممة ثم اعل بالادغام والقاء حركة الميم الاولى على الهمزة الساكنة فصارت مكسورة فابدل منها ياء خالصة مكسورة في التليين[٢٤٤]

كل ما سبق يوضح تلك العلاقة القوية بين اصوات المد وانصاف المد من جهة ، وصوت الهمزة من جهة اخرى ، ولعل ذلك كله كان سببا في ان تتداخل هذه الاصوات فونيميا بحيث ان الهمزة تحل محل واحد من تلك الاصوات في سياقات معينة من غير ان يتغير المعنى ، اي انها جميعا تؤلف في تلك السياقات ما اطلقنا عليه الفونيم الرئيس Archiphoneme اما تأثير اصوات المد في الصوامت الاخرى ، فليس واضحا تمام الوضوح وقد يرجع ذلك الى ان هذا التأثير لا يؤدي الى تغير واضح في نطق الصامت ، الا في بعض الحالات من نحو ما لوحظ من ان الكسرة قد تؤدي الى التقليل من تفخيم الاصوات المفخمة[٢٤٥] او انها اذا وليت الهاء ، قدمت مخرجها قليلا ، حتى تبدو هذه الهاء وكأنها ممزوجة بشيء من الحاء[٢٤٦] او من نحو ما ذكر ابن جني من ان الحركة تؤثر في النون السابقة ، فتجعل الهواء يخرج مع هذه النون من الفم بدل الانف[٢٤٧]

بجانب ذلك نلاحظ تأثيرا واضحا في نطق اصوات اخرى ، من نحو اللام في لفظ الجلالة «الله» اذ ان مخرجها يتأخر بعض التأخر اذا سبقت بضمة او فتحة ، ويظهر هذا التأخر في المخرج على هيأة تغليظ في صوت اللام ، قال ابن الجزري : «اجمعوا على تغليظ اللام من اسم الله تعالى اذا كان بعد فتح او ضم نحو شهد الله ، وقال الله ، ورسل الله ، وكذبوا الله وقالوا اللهم ، واتفقوا على الترقيق بعد كسرة نحو بسم الله ، والحمد لله ، وان يعلم الله ، وقل اللهم ، فان ابتدأ به فخم لفتح همزته[٢٤٨] ويحدث شيء قريب من هذا لصوت الراء فهو يميل

---

٢٤٤ ـ الرعاية/ ١٢٣ ـ ١٢٤ .

٢٤٥ ـ شرح المفصل/ ١٢٦٠ .

٢٤٦ ـ لطائف الاشارات ١/ ٢٢٢ .

٢٤٧ ـ سر الصناعة ١/ ٤٨ .

٢٤٨ ـ تقريب النشر/ ٧٦ وينظر النشر ١/ ٢١٥ .

الى التفخيم اذا وليته ضمة او فتحة ، والى الترقيق اذا وليته كسرة[249] ونلاحظ انه قد يساعد على قوة هذا التأثير ، ان هذين الصوتين يعتمدان اللسان في النطق ايضا ، مثلهما كمثل اصوات المد نفسها ، فكأن ما يحدث اذن من تأثير اصوات المد فيهما شيء من التوافق بين حركة اللسان في اثناء نطق اصوات المد ، وحركته في اثناء نطق هذين الصوتين . من جانب آخر نلاحظ ان الالف تؤثر في طائفة من الصوامت المرققة فتجنح بها الى ترقيق اشد من هذه الاصوات النون[250] والذال[251] والثاء[252] والزاي[253] والفاء[254] والياء[255] والكاف[256] والدال[257] والحاء[258] ثم تجنح الى ان يكون تفخيم المفخم اشد من نحو ما نجد في الخاء اذا لحقتها هذه الالف[259] او من نحو ما نجد في القاف[260]

اما تأثير الصوامت في اصوات المد ، فنحن في الحق لا نستطيع ان نتلمسه في العربية تلمسا يدعو الى الاطمئنان ، ذلك لان اثار هذا التأثير لا تظهر في الكتابة ، ليس في العربية وحدها ، وانما في الساميات عامة[261] فلا يظهر مثلا تأثير صوت مطبق في الضمة في حالة اجتماعهما معا ، علما بأن صوتا من هذا القبيل قد يجعل الضمة صوتا اكثر خلفية Back منه في مواقع اخرى[262]

لقد اشار اللغويون العرب الى شيء قليل من هذا الضرب من التأثير فيما يخص الالف ، اذ ذهبوا الى ان الالف «لا توصف بترقيق ولا تفخيم ، بل يحسب ما يتقدمها ، فانها تتبعه ترقيقا وتفخيما»[263]

---

٢٤٩ ـ النشر ١/ ٢١٥ .
٢٥٠ ـ لطائف الاشارات ١/ ٢٢٩ .
٢٥٢ ـ المصدر السابق ١/ ٢٤١ .
٢٥٣ ـ المصدر السابق ١/ ٢٤٥ .
٢٥٤ ـ المصدر السابق ١/ ٢٤٠ .
٢٥٥ ـ المصدر السابق ١/ ٢٤٦ .
٢٥٦ ـ الرعاية/ ١٤٧ .
٢٥٧ ـ المصدر السابق/ ١٧٥ .
٢٥٨ ـ المصدر السابق/ ١٣٩ .
٢٥٩ ـ لطائف الاشارات ١/ ٢٢٤ .
٢٦٠ ـ الرعاية/ ١٤٥ .
٢٦١ ـ فقه اللغات السامية/ ٧١ .
٢٦٢ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٣٠٤ .
٢٦٣ ـ النشر ١/ ٢١٥ .

ونلاحظ من جانب آخر ان الاصـوات الحلقية تنزع بوجـه عام الى ان يكون صوت المد المجاور لها فتحة وهذا الامر ظاهر في واحد من ابواب الافعال العربية على الاقل ، اذ نلاحظ ان باب (فعَل يفعَل) بفتح العين في الماضي والمضارع انما يكون في الافعال التي عينها او لامها صوت حلقي(٢٦٤)

لقد اشار اللغويون العرب الى ان هذا النزوع الى الفتح في هذه الافعال انما كان بسبب من وجود الصوت الحلقي(٢٦٥) وقد فسر سيبويه ذلك بان العرب (انما فتحوا هذه الحروف لانها سفلت في الحلق فكرهوا ان يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيزها وهو الالف)(٢٦٦)

وهذا يعني ان سيبويه قد فسر هذا النزوع بعمليتين :

الاولى : ان هذه الاصوات اختارت صوت مد من حيزها للمجانسة وهي علة غير صحيحة ذلك ان صوت الالف (والفتحة منه) ليس صوتا حلقيا .

الثانية : ان الفتحة صوت مستفل ، فهل كان يشير بهذا اضافة الى ما يشير اليه من مجانسة اصوات الحلق المستفلة ، الى اتساع المجرى في اثناء النطق اذ ان اللسان لا يرتفع في اثناء ذلك مما يجعل المجرى متسعا ، وهي علة ــ ان صحت ــ قريبة مما ذهب اليه البحث الحديث من (ان اصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقي تحتاج الى اتساع في مجراها بالفم ، فليس هنا ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم ، ولهذا ناسبها من اصوات اللين اكثرها اتساعا ، وتلك هي الفتحة)(٢٦٧)

لقد ذهبنا سابقا الى ان صوت المد يؤثر في النون فيجعل بعض هوائها يخرج من الفم بدل الانف بيد انه من الممكن ايضا ، ان يكون التأثير متبادلا اذ ان النون قد تؤدي ايضا الى ان يخرج بعض الهواء المصاحب لتصويت صوت المد هذا من الانف ، بدلا من خروجه كله من الفم كما هي العادة(٢٦٨) فيؤدي ذلك الى بعض التغيير في صوت المد كأن يجعله قريبا من الاصوات الانفية ، غير اننا لا نستطيع

---

٢٦٤ ــ الكتاب ٢/ ٢٥٢ كتاب الافعال لابن القطاع ٢/ ١٤٣ .

٢٦٥ ــ المصدران نفسهما ، الصفحات نفسها .

٢٦٦ ــ الكتاب ٢/ ٢٥٢ .

٢٦٧ ــ في اللهجات العربية/ ١٥٨ .

٢٦٨ ــ النشر ٢/ ٢٧ ــ ٢٨ .

تأكيد هذا الامر ذلك لانه لم يصل الينا ملاحظة في هذا الجـانب ، بيد ان مـا ذكر من ظاهرة الغنة في العربية يسوغ مـا ذهبنا اليه بعض التسـويغ ، اذ ان النون الساكنة التي تسبق الواو والياء قد تجنح بهما الى ان يتحولا الى صوتين انفيين عن طريق تحول مجرى خروج الهواء معهما من الفم الى الانف[٢٦٩]

وثمة ملاحظات اخرى تذهب الى ان الاصوات الشفوية في اللغـات السـامية ، ومنها العربية تنزع بوجه عام الى ان يكون ما قبلها صوت ضمة[٢٧٠]

غير ان هذه الملاحظات لا تمثل في حقيقتها قانونا صوتيا ، وخاصة في عربيتنا ، لاننا كثيرا ما نجد الصوامت الشفوية مسبوقة بكسرة او فتحة ثم لم يطـرأ على هذه الكسرة او تلك الفتحة اي تغيير ، وفي الحق ان هذه الملاحظات جـاء نتيجـة استقراء تاريخي حسب لطائفة من المفردات التي تشتمل على صوت شـفوي ، ثم ما لوحظ من تغيير صوت المد السابق للصوت الشـفوي في بعض هـذه اللغـات بمرور الازمان ثم كان ان عممت هذه الملاحظات على اللغات السامية عامة .

لقد فسر هذا التأثير بان الاصوات الشفوية ، ولا سيما الباء والميم تميل الى ان تكون الشفتان مستديرتين في اثناء النطق بهما ، فكان ان اثرت هذه الاستدارة في نطق اصوات المد المجاورة لها ، او قربتها من الضمة[٢٧١]

هذا ما يمكن ان تزودنا به الملاحظات السابقة ، في تأثير الصوامت في اصـوات المد ، غير ان من المؤكد ان هـذه التأثيرات تشـمل رقعـة اكبر ممـا اوردته تلك الملاحظات فمن الممكن مثلا ان يكون ثمة تأثير متبادل بين اصـوات المد ، وهـي الاصوات التي تعتمد حركة عضلة اللسان في تنوعهـا وبين تلك الصـوامت التي يكون لعضلة اللسان ايضا شيء من العمل في اصدارها ، مـن نحـو الذال والثاء والظاء التي يتم احداثها بملامسة طرف اللسان للاسنان العليا ، او الدال والتاء والطاء والسين والزاي والصاد التي تحدث عن طريق اتصال طرف اللسان مـع الاسنان واللثة او القاف التي تتم عن طريق اتصال مؤخر اللسان بمنطقة اللهاة مع الطبق اللين[٢٧٢] وهو امر لاحـظنا شـيئا منه في الكلام على تأثر اللام والراء

---

٢٦٩ ـ الكتاب ٢/ ٤١٤ الحجة لابن خالويه/ ٤٤ وللفائدة ينظر دراسة الصوت اللغوي/ ١٠٣ .

٢٧٠ ـ فقه اللغات السامية/ ٧٢ ، دروس في علم اصوات العربية / ١٨٢ .

٢٧١ ـ دروس في علم اصوات العربية/ ١٨٣ .

٢٧٢ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

وهي اصوات يشترك اللسان في احداثها [٢٧٣]، باصوات المد .

المخالفة : Dissimilation واصوات المد :

عرفنا المخالفة بانها جنوح احد الصوتين المتماثلين في الكلمة الى ان ينقلب الى صوت مغاير[٢٧٤] ويغلب ان يكون الصوت الجديد المغاير احد الاصوات المائعة[٢٧٥] وبذلك يمكن القول ان المخالفة في حقيقة امرها تعديل في الصوت الموجود بتأثير صوت مجاور ، ولكنه تعديل عكسي ـ على حد تعبير الدكتور احمد مختار عمر ـ يؤدي الى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين[٢٧٦] وقد عرف العرب بعض مظاهر هذا القانون واطلقوا عليه مصطلح «كراهية التضعيف» [٢٧٧] وفسره ابن جني بانه (باب في العدول عن الثقيل الى ما هو اثقل منه لضرب من الاستخفاف .. وذلك انه امر يعوض للامثال اذا ثقلت لتكريرها فيترك الحرف الى ما هو اثقل منه ليختلف اللفظان فيخفا على اللسان)[٢٧٨]

ان قسما من الالفاظ العربية قد خضع لتأثير هذا القانون اذ نجد بعضا من الافعال الرباعية المضعفة قد نزعت الى ابدال احد المضعفين نونا في نحو ما في جدل وجندل[٢٧٩] وعكبَ وعنكب[٢٨٠]

ولقد افترض هافتز Hawitz (ان تكون الكلمات العربية الكبيرة البنية التي تشتمل على راء او لام او نون او ميم قد تولدت نتيجة عامل المخالفة بين صوتين متماثلين)[٢٨١] ومثل لذلك بامثلة من نحو حرجل في حجّل وعنكب في عكب وعرقب في عقّب . وفلطح في فطّح ، وقد علل ذلك بكثرة ما يوجد من مقابلات مضعفة للصيغ

---

٢٧٣ ـ المصدر السابق/ ٢٧٠ .
٢٧٤ ـ الاصوات اللغوية/ ١٣٩ .
٢٧٥ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٣٣٠ .
٢٧٦ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٣٣٠ ؟
٢٧٧ ـ الكتاب ٢/ ٧٠ ، ٤٠١ .
٢٧٨ ـ الخصائص ٣/ ١٨ .
٢٧٩ ـ
٢٨٠ ـ
٢٨١ ـ دراسة الصوت اللغوي ٣٣٠ .

الرباعية السابقة[٢٨٢]

ان مظاهر المخالفة في العربية استبدال احد المضعفين بصوت مد طويل ، وهـي حالة توضح الى جانب ما تشير اليه من جنوح الى المخـالفة ان العـربية عاملت صوت المد الطويل على انه واحد من عناصر نظام «الاصـول» يمـكن ان يتبادل الموقع مع صوت صامت وهو بهذا على الضد من صوت المد القصير الذي لا يمكن له ان يتبادل الموقع مع الصامت .

ومن امثلة هذا الضرب من المخالفة ما نلاحظ في الامثلة الاتية :

املّ ـ يملل ـ املي ـ يملي[٢٨٣]

كعّ ـ يكعّ ـ كاع ـ يكيع[٢٨٤]

هعّ ـ يهعّ هاع ـ يهيع[٢٨٥]

جلّ ـ يجلل ـ جلا ـ يجلو[٢٨٦]

فض ـ يفض فضى ـ يفضي[٢٨٧]

وفي حالات اخرى تتم المخالفة في احد ثلاثة اصوات متمـاثلة وغالبا مـا يكون الصوت الاخير منها ، وتحافظ العربية في هذا المجال على الادغام في الصـوتين الاخرين ، وذلك في نحو :

تسرّر > تسرّى[٢٨٨]

تمطّط > تمطّى[٢٨٩]

تصدّد > تصدّى[٢٩٠]

تقضّض > تقضّى[٢٩١]

ونجد ان صوت المد هذا يتغير في التصريفات الاخرى لهذه الكلمات ، فيتحـول

---

٢٨٢ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٣٣٠ .

٢٨٣ ـ الخصائص ٢/ ٢٣١ .

٢٨٤ ـ القلب والابدال/ ٥٩ اللسان ١٤/ ٣٧٨

٢٨٥ ـ الابدال/ ابو الطيب اللغوي ٢/ ٣٢٣ ؟

٢٨٦ ـ القلب والابدال/ ٦٠ .

٢٨٧ ـ

٢٨٨ ـ القلب والابدال/ ٥٩ .

٢٨٩ ـ اللسان ٧/ ٤٠٤ .

٢٩٠ ـ القلب والابدال/ ٥٩ .

٢٩١ ـ القلب والابدال/ ٥٩ .

الى ذلك الضرب من الاصوات الذي اطلقنا عليه مصطلح «انصاف المد» وهو امر قد اوضحناه سابقا في الكلام على التداخل الفونيمي بين اصوات المد وانصاف المد ، وقدرتها على تبادل المواقع مع بعضها في التغيرات الصرفية في العربية .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ، انه قد تكون هذه المخالفة قد ظهرت اول الامر في صيغ غير الصيغ الفعلية التي اشرنا اليها آنفا ، من نحو المصدر ، او الفعل نفسه وقد لحقته تاء الفاعل من نحو امثلة تسريتّ وتقضّيت وتظنّيت في تسرّرت وتقضّضت وتظنّنت[٢٩٢]

وثمة مظهر آخر من مظاهر المخالفة عرفته العربية ، لا يتم فيه التعديل من خلال ابدال احد المثلين بصوت مخالف بل ان العربية تجنح فيه الى «اقحام» صوت مد طويل بين المثلين استثقالا للتضعيف ، ولعل من ذلك اقحام الالف بين النون التي هي علامة الاناث ، وبين النون الثقيلة كراهة اجتماع ثلاث نونات في مثل قولنا للنساء في الامر : افعلنان[٢٩٣] او اقحام الالف بين الهمزتين اذا اجتمعتا عند طائفة من العرب ، وذلك في ما ذكره سيبويه[٢٩٤] (من العرب ناس يدخلون بين الف الاستفهام وبين الهمزة الفا اذا التقيا ، وذلك انهم كرهوا التقاء همزنين ففصلوا بينهما ، كما قالوا خشينان ، ففصلوا بالالف كراهية التقاء هذه الحروف المضاعفة قال ذو الرمة :

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل

وبين النقا آ أنت ام أم سالم[٢٩٥]

ولعل ما يحدث في نحو «شديدة» و «خليل» في النسبة شيء قريب من هذا ، اذ ان العرب ابقت على ياء المد التي فيهما او في اضرابهما في النسبة والقياس الحذف ، فكأن هذا الابقاء كان لضرب من المخالفة بين المثلين ، او استثقالا اذا هم حذفوها ، ان يلتقي المثلان ، اي ان الامر كما يقول الخليل بن احمد «كأنهم تنكبوا الدالين وسائر هذا من الحروف «لاستثالهم التضعيف[٢٩٦]

وثمة ضرب آخر من المخالفة يكون بين اصوات المد القصيرة في الكلمة

---

٢٩٢ ـ الكتاب ٢/ ٤٠١ .

٢٩٣ ـ اللسان ١٥/ ٤٢٨ .

٢٩٤ ـ الكتاب ٢/ ١٥٧ .

٢٩٥ ـ الكتاب ٢/ ١٦٨ .

٢٩٦ ـ المصدر السابق ٢/ ٧١ .

الواحدة ، اذ قد تتجنب العربية النطق بمجموعة من اصوات المد المتحدة الطابع[٢٩٧] ولقد ذهب الدكتور هنري فليش الى ان هذا المبدأ قد يفسر لنا علة نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة بدل الفتحة وعلة كسر نون المثنى على عكس نون جمع المذكر السالم التي فتحت[٢٩٨]

ان المخالفة بين اصوات المد واضحة ايضا في «النسبة» في اللغة العربية ، اذ ان طائفة من التغيرات الصوتية تحدث في الكلمة في حالة النسبة يمكن ادراجها تحت ظاهرة المخالفة ، وتتم هذه المخالفة في اتجاهين :

الاتجاه الاول : مخالفة عن طريق تغير احد اصوات المد الى صوت مغاير من نحو ما ورد من ان العرب تقول اذا نسبت الى (نَمر وشَقِرة والدئل ونحوها مما كسرت عينه نَمَرى وشَقَرى ودَؤَلي بالفتح)[٢٩٩] وهو قياس متلئب[٣٠٠]

ولعل ما حدث في تحول طيىء الى طائي شيء من هذه المخالفة بل ان ابن يعيش يشير صراحة الى هذا الامر في تعليق له على كلام سيبويه ، قال (وقول سيبويه لا اظنهم قالوا طائي الا فرارا من طيئي يريد فرارا من اجتماع الامثال والاشباه وهي الياء والكسرة وياء النسب)[٣٠١] ومن ذلك ايضا قولهم في نسبة الى حيرة حارى بدلا من حيرى[٣١٢] وأمية أموي بدلا من أمّيي .[٣٠٣]

ومن الممكن ان نلحظ هذه المخالفة في امثلة اخرى ، قال ابن يعيش (ما كان في آخره ياء من الاسماء المنسوبة ، فان كانت الياء ثالثة قبلها كسرة نحو عَم وشَج ، فانك تبدل من الكسرة فتحة كما فعلت في نَمر وشَقرة لثقل توالي الكسرات مع ياء الاضافة ثم تقلب الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فيصير في حكم التقدير عما وشجا ثم تقلب الالف واوا كقولك عموى وشجوى[٣٠٤]

---

٢٩٧ ـ دراسة الصوت اللغوي/ ٣٣١ ، وينظر الحجة لابن خالويه/ ٩٠ .

٢٩٨ ـ العربية الفصحى/ ٤٨ ، ولعل كلام ابن يعيش في شرح المفصل/ ٩١٨ في ان هذه النون انما (كانت مع الواو والياء في مثل يضربون وتضربين مفتوحة لثقل الكسرة بعد الياء والواو كما كان كذلك في الجمع نحو الزيدون) شيء قريب من هذا .

٢٩٩ ـ شرح المفصل/ ٧٤٦ .

٣٠٠ ـ المصدر السابق/ ٧٤٦ .

٣٠١ ـ المصدر السابق/ ٧٤٩ .

٣٠٢ ـ اللسان ١٤/ ٥٨ .

٣٠٣ ـ شرح المفصل/ ٧٤٩ .

٣٠٤ ـ المصدر السابق/ ٧٥٣ ـ ٧٥٤ .

وقد ظهر هذا القلب في الياء الرابعة ايضا ، اذا كان من الجائز ان نقول في النسبة من القاضي : قاضوى[٣٠٥]

الاتجاه الثاني : مخالفة تتم عن طريق حذف نصف المد المجانس للاحقة النسبة ، وهو الياء بسبب من ان (احداثية) النسبة في العربية تتم عن طريق الحاق (كسرة + ياء مشددة) بآخر الاسم الذي ينسب اليه[٣٠٦] فكأن العربية تجنح الى اعادة التوازن الى الكلمة بحذف الياء التي في الحشو ، ولعل هذا واضح في الامثلة الاتية :

حَنيفي > حَنَفي

رَبيعي > رَبَعي[٣٠٧]

ويلاحظ في هذين المثلين ان المحذوف هنا هو ياء مد ، وقد وضع في موضعها صوت مد قصير مغاير لاحداثية النسبة ، هو الفتحة ، وفي امثلة اخرى يتم حذف نصف المد الياء ، مع بقاء صوت المد القصير الذي يسبق نصف المد هذا وهو بوجه عام الفتحة ، من نحو ما يحدث في الامثلة الآتية[٣٠٨].

جُهَيْني > جُهَني

سُلَيْمي > سُلَمَي

قُرَيْشي > قُرشي

لكننا نلاحظ ان الحذف في هذا الموقع امتد ايضا الى الواو في نحو فعولة فنقول في النسبة الى شَنُوءَة شَنَئي بدلا من شَنُوئي[٣٠٩] ويبدو ان ذلك كان قياسا على ما حدث في فَعيلة وفُعيلة ، ولعله كان من باب الاطراد على وتيرة واحدة ، او لان العرب قد شعروا بالثقل نفسه في النطق بالواو مع «احداثية» النسبة او ان الواو كما بينا سابقا قريبة من الياء فذهبوا الى (انه قد وجد في فعولة من الثقل ما وجد في فعيلة فكانت مثلها)[٣١٠].

من جانب آخر نلاحظ ان المخالفة واضحة ايضا في حالة اجتماع انصاف المد ،

---

٣٠٥ ـ المصدر السابق/ ٧٥٤ .

٣٠٦ ـ شرح المفصل/ ٧٤٧ .

٣٠٧ ـ الكتاب ٢/ ٧٠ ، شرح المفصل/ ٧٤٧ .

٣٠٨ ـ المصدرين السابقين .

٣٠٩ ـ شرح المفصل/ ٧٤٧ ـ ٧٤٨ .

٣١٠ ـ شرح المفصل/ ٧٤٨ .

ولا سيما اذا صاحب هذه الاصوات اصوات مد مجانسة لها ، اذ كثيرا مـــا تجنح العربية في هذه الاحوال الى ان تقلب احد الاصوات المتماثلة الى صـــوت مغـــاير غالبا ما يكون الهمزة من نحو ما ذكر من ان العـــرب تكره ان يجتمـــع في صـــدر الكلمة واوان او اكثر وانها تجنح اذا ظهر شيء من هـــذا الضرب في كلامهـــم الى قلب الواو الاولى همزة .

وواصل (ج واصل) > اواصل[٣١١]

وول > أول[٣١٢]

وفي حالات اخرى قد تقلب احدى هذه الواوات الى تاء من نحو قـــولهم تولج في وولج .

وقد فسر ابن جني ذلك بانهم لم يقولوا وولج البتة كراهة اجتمـــاع الواوين في اول الكلمة وانما قالوا تولج)[٣١٣]

ويشير ابن يعيش الى ان العربية قد تجري الواو مع الضـــمة مجـــرى الواوين المجتمعين (فلما كان اجتماع الواوين يوجب الهمزة في نحو واصلة واواصل على ما تقدم كان اجتماع الواو مع الضمة يبيح ذلك ويجيزه مـــن غير وجـــوب حـــظا لدرجة الفرع عن الاصل)[٣١٤] ولعل من ذلك ما نلاحظ من امثلة اجوه في وجـــوه[٣١٥] واقتت في وقتت[٣١٦] وأكر في وكر[٣١٧] قال ابن السكيت : (يهمزون لضمة الواو كمـــا فعلوا ذلك بجمع ساق ودار اسؤق وادؤر ، وليس من اصلهن الهمز)[٣١٨]

ويلاحظ في امثلة اخرى من هـــذا القبيل ان الواو لم تقلب الى همـــزة بل قلبت الى تاء وهو امر قريب مما لاحظناه في قلب احد الواوين المتصدرين في الكلمة الى تاء مخالفة ومن ذلك :

وُراث تُراث[٣١٩]

---

٣١١ ـ المصدر السابق ١٣٥٨ ـ ١٣٥٩ .

٣١٢ ـ المزهر ٢/ ٦٠ وينظر في هذا الهامش والذي قبله فقه اللغات السامية/ ٧٧ .

٣١٣ ـ سر الصناعة ١/ ١١٨ .

٣١٤ ـ شرح المفصل / ١٣٥٩ ، وينظر فقه اللغات السامية/ ٧٧ .

٣١٥ ـ سر الصناعة ١/ ١٠٤ .

٣١٦ ـ المصدر السابق ١/ ١٠٤ .

٣١٧ ـ اللسان ١٥/ ٢٢٠ ، وينظر بوجه عام القلب والابدال (ضمير الكنز اللغوي) ٥٦ ـ ٥٧ .

٣١٨ ـ القلب والابدال / ٥٧ .

٣١٩ ـ المصدر السابق / ٦٣ ، المزهر ٢/ ٤٦٤ .

وُخمة > تُخمة[320]
الوُكلان > التُكلان[321]
وُجاه > تُجاه (وتجاه ايضا)[322]

في حالات اخرى نلاحظ ان الغاء التنافر بين الواو والضمة لا يتم عن طريق قلب الواو الى همزة او تاء ، وانما يتم ذلك عن طريق حذف الضمة في طائفة من هذه الحالات وتحول الواو نصف المد الى المد المحض ، وهو ما اشار اليه ابن جني بقوله (ان تبني من قلت ونحوه فُعُلا ، فتسكن عينه استثقالا للضمة فيها فتقول قول ، كما يقول اهل الحجاز في تكسير عوان ونوار عون ونور فيسكنون وان كانوا يقولون رُسُل وكُتُب بالتحريك)[323] وفي طائفة اخرى من هذه الحالات نلاحظ ان الغاء التنافر بين صوتي الواو والضمة يتم عن طريق نقل احد عنصري هذا التتابع المتجانس الى موضع آخر من الكلمة ، من ذلك ان (أيْنق) اصلها «أنْوقُ) لكن العرب لاستثقالهم الضمة على الواو نقلوا الواو الى موضع الفاء لتسكن ، فصارت الكلمة (أوْنقُ) وقد استعملتها بعض اللهجات العربية القديمة ، مما يوضح انها ليست صيغة مفترضة ، ثم قلبوا الواو ياء ، فقالوا (أيْنقُ)[324].

ان مبدأ اعادة التوازن الى الكلمة عن طريق نقل احد عنصري التتابع المتجانس وهو ما اشرنا اليه من قبل ، قد استعمل من قبل الصرفيين العرب لتفسير ظهور صيغ الافعال المعتلة التي هي من نحو : يبيع ويقول ... الخ اذ ان هؤلاء الصرفيين قد ذهبوا الى ان الصيغ المفترضة لهذا القبيل من الافعال هي يَبْيِع ويَقْوُلُ قياسا على ابنية الافعال الصحيحة المشابهة لها ، الا انه لصعوبة النطق نقلت حركة المعتل الى الساكن قبله ، فظهرت من جراء ذلك الصيغ المعروفة[325].

---

٣٢٠ ـ المصدر السابق / ٦٣ .
٣٢١ ـ القلب والابدال / ٦٣ .
٣٢٢ ـ الابدال ١/ ١٤٩ .
٣٢٣ ـ الخصائص ٢/ ١٠٦ ، ويشير في هذا ابن جني ان العرب اطردت في هذا حتى ان من يثقل وهم اهل الحجاز ، جنحوا ايضا الى حنف صوت المد القصير .
٣٢٤ ـ الكتاب ٢/ ١٢٩ . شرح المفصل/ ١١٨٢ .
٣٢٥ ـ وقد حاول الصرفيون ان يفسروا حالات اخرى بنقل الحركة من نحو ما اورده خالد الازهري في شرح التصريح ٢/ ٣٩٣ ـ ٣٩٥ ـ من ان المصادر التي على وزان افعال من المعتل

او تجنح الى حذف احد انصاف المد المجتمعة للتخلص من ثقل النطق بالمتجانسات ، قال سيبويه «الياءات قد يكرهن اذا ضوعفن واجتمعن كما يكره التضعيف من غير المعتل)[326] ومما مثل به سيبويه لهذه الحالة حذف الياء في (باب الاضافة الى كل اسم ولى آخره ياءين مدغمة احداهما في الاخرى وذلك نحو اسيد وحمير فاذا اضفت الى شيء من هذا تركت الياء الساكنة وحذفت المتحركة لتقارب الياءات مع الكسرة التي في الياء والتي في آخر الاسم فلما كثرت الياءات وتقاربت وتوالت الكسرات التي في الياء والدال استثقلوه فحذفوا وكان حذف المتحرك هو الذي يخففه عليهم لانهم لو حذفوا الساكن لكان ما يتوالى فيه من الحركات التي لا يكون حرف عليها مع تقارب الياءات والكسرتين في الثقل مثل اسيد لكراهيتهم هذه المتحركات فلم يكونوا ليفروا من الثقل الى شيء هو في الثقل مثله وهو اقل في كلامهم منه وهو أسيدي وحميْري ولبيدي)[327].

ولعل جنوح بعض اللهجات العربية الى ان تقول يستحي بياء واحدة بدلا من الاصل يستحيي من هذا القبيل من المخالفة ولعل ما ساعد على ذلك ان هذا الفعل كثير الاستعمال[328] ومن امثلة هذا الحذف :

١ ــ النسبة .. الى الولي من المطر ولَوى كما قالوا عَلَويّ لانهم كرهوا الجمع بين

العين كاقوام انما تحمل على افعالها في الاعلال فتنقل حركة العين الى الفاء ثم تقلب تلك العين الفا لتجانس الفتحة ، فيلتقي الفان ، فيحذف واحد منهما ويؤتى بالتاء عوضا عنه فيقال اقامة .

ومن نحو الاسم المشبهه للمضارع في وزنه دون زيادته او في زيادته دون وزنه ، فالاول وهو المشبه بالوزن دون الزيادة مقام فانه مشبه ليعلم في الوزن دون الزيادة واصله قبل الاعلال يقوم بفتح الواو وسكون القاف على مثال مذهب فنقلوا حركة الواو الى الساكن الصحيح قبلها ، وهو القاف وقلبوا الواو الفا لتحركها الاصلي وانفتاح ما قبلها الان ، والثاني هو المشبهه في الزيادة دون الوزن كأن تبني من البيع او القول اسما على مثال نحلىء بكسر التاء الفوقانية وسكون الحاء المهملة وكسر اللام وبهمزة بعد اللام .

ومن ذلك ايضا صيغة مفعول من المعتل العين كمبيع ومقول ، اذ ان اصلهما مبيوع ومقوول نقلت حركة العين الى ما قبلها فالتقى ساكنان فحذفت واو مفعول ثم كسر ما قبل الياء لئلا ينقلب واوا فيلتبس بالواوي .

٣٢٦ ــ الكتاب ٢/ ٣٩٧ .

٣٢٧ ــ المصدر السابق ٢/ ٨٥ .

٣٢٨ ــ اللسان ١٤/ ٢١٧ ، ٢١٩ .

اربع ياءات فحذفوا الياء الاولى وقلبوا الثانية واوا[٣٢٩]
٢ ـ تصغير معاوية : مُعيّة هذا قول اهل البصرة ، لان كل اسم اجتمع فيه ثلاث ياءات اولاهن ياء التصغير حذفت واحدة منهن[٣٣٠]
٣ ـ اذا صغرت عطاء حذفت اللام فقلت عُطَي وكذلك كل اسم اجتمعت فيه ثلاث ياءات مثل عَلي وعُدي حذفت اللام اذا لم يكن مبنيا على فعل[٣٣١]

تقصير صوت المد :

تحدثنا في مبحث سلوك اصوات المد في النظام المقطعي العربي عن كراهية العربية للمقطع المديد المغلق ، وانها تجنح في حالة ظهوره الى الغائه عن طريق تقصير صوت المد الطويل الذي يمثل فيه قمة المقطع ، ومثلنا لذلك بأمثلة كثيرة منها :

لم يبيعْ > لم يبعْ
يسألون > يسألن
ارادْتُ > ارَدْتُ

غير ان تقصير صوت المد الطويل في العربية لا يقتصر على هذا الموضع حسب اذ ظهر في :

حالة التقاء صوتي مد طويلين داخل السياق من نحو ما يحدث في حالة اضافة (لاحقة الواو) التي يطلق عليها في العربية واو الجماعة الى الافعال المعتلة الناقصة ، التي لامها الف من نحو رأى ، دعا ، بكى ، مشى ... الخ في الماضي ويرى ينسى ، يرضى ، في المضارع وهو تعاقب لا تستسيغه العربية البتة ، فتحتال على ذلك بان تحول اللاحقة الى نصف مد ، مما يعني ظهور مقطع مديد مغلق ، فيخضع هذا المقطع الى الالغاء عن طريق تقصير صوت المد الطويل فيه وهكذا تظهر عندنا الصيغ النهائية لهذه الافعال :

في الماضي

---

٣٢٩ ـ اللسان ١٥/ ٤١٠ .
٣٣٠ ـ نفس المصدر ١٥/ ١٠٨ .
٣٣١ ـ نفس المصدر ١٥/ ٧٠ .

رايوا > رائيوا > رأوا

دعاوا > دعاوْا > دعَوْا

في المضارع

يريون > يريوْن > يرَوْن

ينسيون > ينسيوْن > ينَسْون

ونلاحظ هذا ايضا في الاسماء التي تنتهي بالف ، آذ انها في حالة الجمع باضافة لاحقة (ون) من واو مد محض ونون ، تخضع لما خضعت له الكلمة في حالة الفعل المعتل المنتهي بالف في حالة الحاق لاحقة واو الجماعة ، ومثال ذلك :

مصطفيون > مصطفْيون > مصطفَوْن

وحالة التقاء صوتي مد طويلين ، تظهر ايضا في الافعال المعتلة اللام التي تنتهي بواو او ياء مد محض ، من نحو ما في المضارع يمشي ، ويبكي ويدعو ويغزو ، الا ان هذه الافعال تخضع الى تغيرات اخرى غير ما تحدثنا عنه في حالة التقاء الف وصوت مد طويل مغاير ، ويمكن تلخيص هذه التغيرات بان تقصيرا ما يحدث في صوت المد التي تنتهي به الكلمة ، ثم خضوع هذا الصوت القصير الى الانسجام المدي vowel Harmony مع لاحقة (الواو) في حالة كونه صوتا مغايرا اي كسرة ، بسبب مما تحدثنا عنه سابقا من تنافر الكسرة والضمة ، او كراهية العربية لتتابعات Diphthongs متألفة من صوت مد قصير «ضيق» هو الكسرة هنا ـ مع نصف مد ، وامثلة هذه الحالة هي :

يمشيون > يمِشوْن > يمشُوْن > يمشون

يبكيون > يبكوْن > يبكُوْن > يبكون

في حالة مغايرة صوت المد الذي ينتهي به الفعل لصوت المد الذي في لاحقة الجماعة ، اما في حالة مشاكلته فنلاحظ ان الامر يتم على النحو الاتي :

يدعوون > يدعُون > يدعون

اي ان ما يحدث ليس سوى تقصير في الواو الاولى ، ثم يندمج هذا الصوت القصير في صوت المد الطويل المجانس له ، ليؤلفا صوت مد واحد من الدرجة الطويلة المعروفة ، ذلك ان اية اطالة في صوت المد لا تخرجه عن درجته المعروفة ، الا في الحالات التي اشرنا اليها سابقا .

يظهر لنا في كل هذه الامثلة من جانب آخر ، ان الصرف العربي يعامل في كثير من الاحيان الضمة والكسرة على انهما «كتلة» واحدة مقابل «كتلة» الفتحة ، اذ نلاحظ هنا ان الفتحة القصيرة الناتجة عن تقصير الالف في هذه الافعال لا

تخضع للانسجام الصوتي مع واو الجماعة بل تبقى ثابتة ، ويحتال على التقاء صوتي المد عن طريق تحوير نطق واو الجماعة وتغيرها من المد الخالص الى نصف مد مما يسهل هذا التوالي ، على حين ان الكسرة الناتجة عن تقصير ياء المد تخضع للانسجام مع واو الجماعة فتنقلب الى الضمة ، فيبدو الفعل المعتل بالياء هنا مشاكلا للفعل المعتل بالواو ، من نحو : يمشون (بالياء) ويغزون (بالواو) وتبقى حالة الاعتلال بالالف خارجة على هذا فنقول : يَرونْ ويرضَوْن .

لقد نظر اللغويون العرب الى التغيرات الحاصلة في الافعال المعتلة اللام التي تلحقها واو الجماعة من منظار آخر ، اذ ان ما حدث في رأيهم ليس تقصيرا في صوت المد وانما هو حذف كامل للام الفعل ، من خلال جملة من عمليات التغيير التي اصابت الفعل في اثناء الحاق واو الجماعة ، ولعل ما ورد عنهم في تحليلهم لطائفة من الامثلة في هذا المجال ، يوضح ذلك ، فقد قال المبرد في (تنسوا من نسي) ان (اصله تنسيوا فسكنت الياء واسقطت لاجتماع الساكنين فلما احتيج الى تحريك الواو ردت ضمة الياء وقال ابن برى عند قول الجوهري فسكنت الياء واسقطت لاجتماع الساكنين ، قال صوابه فتحركه الياء وانفتح ما قبلها فانقلبت الفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين)[٣٣٢]

وفي الحق ان تحليلهم لهذا الضرب من الافعال يرجعنا في النهاية الى ما ذكرناه سابقا من ان ما حدث كان التقاء صوتي مد طويلين ، فخضع هذا التعاقب الى سلسلة من التغيرات النطقية تنتج عنه هذه الصيغ الفعلية المعروفة في العربية وهذا واضح في قول المبرد من ان الياء في تنسوا سكنت واسقطت لالتقاء الساكنين ، وفي قول ابن برى في ان الياء (انما تحركت وانفتح ما قبلها فانقلبت الفاء ثم حذفت لالتقاء الساكنين) اذ ان هذين التحليلين يضعاننا امام الحالة نفسها ، وهي حالة توالي صوتي مد طويلين .

لقد استعملت حالة تقصير صوت المد في العربية ايضا استعمالا نحويا ، اذ انها صارت تمثل علامة اعرابية على جزم الافعال المضارعة الناقصة من نحو ما حدث في قولنا :

لم يرمِ او لم يغزُ ، او لم يرَ

وهو استعمال نحوي يوازي تماما حذف الحركة الاعرابية في الافعال المضارعة الصحيحة في حالة الجزم ، وهو امر قد يشعر ان العربية قد رأت في

---

٣٣٢ ـ اللسان ٥/ ٣٢٥ .

بعض المواضع ان اصوات المد الطويلة مؤلفة من صوتي مد قصيرين ، وكأن الجزم في حقيقته سقوط الصوت الاخير من هذين الصوتين ، وهو ما يوضحه التحليل الآتي :

الفعل الصحيح Yaktubu : يكتبُ

الفعل المعتل Yanbuu : ينبو

(يلاحظ اننا استعملنا مضاعفة صوت المد القصير للدلالة على صوت المد الطويل بدلا من استعمال w التي تستعمل في الكتابة الانكليزية للدلالة على الواو في حالة نصف مد Semi vowel فقط)

في حالة دخول «لم» الجازمة نلاحظ ان صوت مد قصير متطرف يحذف من كل من الفعلين الصحيح والمعتل .

لم يكتب : Yaktubu / (lam)Yaktub

لم ينبُ Yanbuu / (lam)Yanbu [٣٣٣]

وليس لهذا التقصير ما يسوغه من الناحية الصوتية ، من نحو ما رأينا من جنوح العربية الى تقصير صوت المد الطويل في الحالة التي يتلوه فيها صامت ساكن ، ولعل ما حدث هنا كان قد حدث قياسا على تقصير صوت المد في الافعال المضارعة الجوف في نحو قولنا لم يبعْ في لم يبيعْ ، ولم يقُلْ في لم يقولْ ، وهو ما تحدثنا عنه سابقا ، وفسرناه بكراهية العربية لظهور المقطع المديد المغلق ، فكأن العربية هنا استطردت في ذلك حتى صارت تنظر الى تقصير صوت المد في هذه الافعال على انه علامة اعرابية عامة ، ولعل ما سوغ ذلك ايضا تطرف هذه الاصوات .

لقد استعملت بعض اللهجات العربية القديمة تقصير صوت المد في سياقات عامة ، وكأن ذلك صار شيئا من عادة نطقية ، فيقال فيها قامُ في قاموا ونحو ذلك ، ومنه البيت :

فلو ان الاطبا كانْ حولي

وكان مع الاطباء الاساة[٣٣٤]

ان هذا الضرب من التقصير كان معروفا في الشعر ، وقد عد من الضرورة من ذلك :

---

٣٣٣ ـ ينظر المنهج الصوتي للبنية العربية، ١٨ .

٣٣٤ ـ شرح المفصل/ ٩١٤ .

كفاك كف ما تليق درهما

جودا واخرى تعطِ بالسيف الدما

يريد تعطي[٣٣٥]

ليس تخفي يسارتي قدر يوم

ولقد يخفِ شيمتي اعساري

يريد يخفي[٣٣٦] او

ولا أدر ، من القى عليه ثيابه ـ ولكنه قد سل عن ماجد محض

يريد ادرى[٣٣٧]

وارجح ان شيئا من هذا قد حدث ايضا حين كان صوت المد الطويل متطرفا ، ولعل ذلك كان شائعا في الكلام فقد ورد حذف ياء المد المتطرفة في رسم المصحف ، قال القسطلاني (اتفقوا على حذف الياء الواحدة المتطرفة بعد كسرة لاما وضميرا المتكلم ، فاصلة وغيرها ، في الفعل الماضي والمضارع والامر ، والاسم العاري من التنوين ، والنداء ، والمنقوص المنون المرفوع والمجرور ، والمنادى المضاف الى ياء المتكلم ، فالاول نحو مائة وثلاثة وثلاثون ياء نحو ولا تكذبون ـ و ـ يحيين ِ ـ و ـ اكرمن ِ ـ و ـ يقوم ِ ـ و ـ يُربِ)[٣٣٨] .

ولعل ما يذكر من انه من اللهجات شيء من هذا ، من نحو قولهم لا ادر وهي لغة هذيل[٣٣٩] او قولهم يضربه ويالُ مضمومة اللام دون الواو[٣٤٠] او قولهم احمرّ في احمارّ[٣٤١] .

اشباع صوت المد القصير :

لقد تحدثنا في مبحث سابق عن ان العربية استعملت درجتين من الطول في صوت المد ، هما درجة القصر ، ودرجة الطول ، وكانت كل درجة منهما تعبرّ عن

---

٣٣٥ ـ ضرائر الشعر/ ٢١٩ .

٣٣٦ ـ المصدر السابق/ ٢١٨ .

٣٣٧ ـ ضرائر الشعر/ ٢١٩ .

٣٣٨ ـ لطائف الاشارات ١/ ٢٩٦ .

٣٣٩ ـ اللسان ١٤/ ١٤ .

٣٤٠ ـ المصدر السابق ٣٩/١٤ .

٣٤١ ـ الكتاب ٢/ ٣٩٢ .

قيمة فونيمية خاصة بها .

غير ان التحول عن درجة القصر الى درجة الطـول ، مـا كان في طـائفة مـن الاحوال ليعبرّ عن تحول في القيمة الفونيمية ، أو عن مغـايرة لبناء صرفي آخـر ، بمعنى آخر ، ان هذا التحـول لم يأت ليميز بين المعـاني ، وانمـا كان لاسـباب صوتية بحتة ، أو لعادة نطقية معينة .

لقد اطلق اللغويون على هذا التحول في الدرجة من غير تغير في المعنى مصطلح «مطل الحركات»[٣٤٢] ، ويبدو ان استعماله قد كثر في الشـعر ، اذ ان الضرورة قـد تتطلب شيئاً من مطل صوت المد القصير ليسـتقيم الوزن ومـن ذلك الامثلة التي اوردها ابن جني في باب مطل الحركات مـن نحـو (الالف المنشـأة عن اشـباع الفتحة ما انشدناه ابو علي لابن هرمة يرثي ابنه من قوله :

فانت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتزاح

يريد بمنتزح مفتعل من النازح ، وانشدنا ايضا لعنترة :

ينباع من نفرى عصوب حسرة .

وقال اراد ينبعَ فاشبع الفتحة فانشأ عنها الفا ... ومن مطل الفتحة عندنا قول الهذلي :

بينا تعنقه الكماة وروعه يوما أتيح له جرىء سلفع

اي بين اوقات تعنقه ثم اشبع الفتحة فأنشأ عنها الفا .... ،

ومن مطل الضمة قوله فيما انشدناه وغيره :

وانني حيث ما يشرى الهرى بصرى

من حيث ما سلكوا ادنو فانظور

وقول الآخر :

ممكورة جم العظام عطبول كأن في أنيابها القرنفول[٣٤٣]

يريد القرنفُل .

ان مطل الحركة قد ظهر ايضا في كلمات منفردة مـن ذلك مـا اورده ابن جني ايضا من امثلة في (اشباع الكسرة ومطلها وما جـاء عنهـم مـن الصـياريف والمطافيل والجلاعيد)[٣٤٤] .

---

٣٤٢ ـ الخصائص ١٢١/٣

٣٤٣ ـ الخصائص ١٢١/٣ ـ ١٢٤ .

٣٤٤ ـ المصدر السابق ١٢٣/٣

وعلى اية حال فقد نظر اللغويون العرب الى كثير من الابنية الصرفية على انها نشأت عن طريق اشباع صوت المد القصير فيها ، وتحوله الى صوت مد طويل ، من ذلك (الف فاعل وفاعول وما اشبهها ، وهي كل الف تدخل في الافعال والاسماء مما لا أصل لها ، انما تأتي لاشباع الفتحة في الفعل والاسم[٣٤٥] .

ولقد فطن هؤلاء اللغويون الى ان بعض الصيغ التي اشبع احد اصوات المد القصيرة فيها انما كانت امتداداً لصيغ اخرى بقي صوت المد القصير على حالة فيها ، من نحو ما ذكر ابن يعيش من انهم (قالوا في الكثير فِعْلان نحو غُراب وغربان وغُلام وغِلمان ، وقيل انما قالوا في الكثير فِعْلان لان الفه زائدة فلما حذفت صار كأنه وغُرَب وغُلَم على مثال صرُد وجُرَذ فكما قالوا صردان وجِرذان ، كذلك قالوا غِربان وغِلمان)[٣٤٦] .

التناوب بين اصوات المد العربية :

اوضحنا في الفصلين السابقين قدرة اصوات المد على التناوب فيما بينها في الكلمة الواحدة ، من غير أن يؤدي ذلك الى تغير في المعنى ، وفسرنا ذلك بتقارب الانطباعات السمعية التي تحدثها هذه الاصوات ، بيد ان هذا التناوب ليس امراً قياسيا ، بل سماعي ، وفي حدود ضيقة جداً ايضاً ، ذلك اننا كثيراً ما نجابه بتغير المعنى حين نغير بعض هذه الاصوات ، وقد يكون ذلك تغيراً كاملا من نحو ما نرى في ظاهرة المثلثات في العربية ، من قبيل : قولنا الاد والأد والأد ، بفتح الهمزة مصدر أدت الابل رجعت حنينها في اجوافها ، وبكسر الهمزة الامر العظيم ، وبضم الهمزة اسم رجل هو أد بن طابخة جد تميم[٣٤٧] .

أو قولنا البَهار والبِهار والبُهار ، بالفتح نبت له نور اصفر ، وبالكسر جمع بهرة وهي وسط كل شيء ، وبالضم اناء كالاباريق[٣٤٨] ، وكذلك قولنا : الثَلّة والثِلّة والثُلّة ، بالفتح : الصوف ، وبالكسر : الهَلَكة ، وبالضم : الجماعة من الناس[٣٤٩] .

---

٣٤٥ ـ التهذيب ٦٦٣/١٥ .

٣٤٦ ـ شرح المفصل /٦٤١ .

٣٤٧ ـ المثلث للسيد البطليوسي /٢٢ ـ ٢٣ .

٣٤٨ ـ المصدر السابق /٩٠ .

٣٤٩ ـ المصدر السابق/ ١٠٤ .

او تغير غير تام من نحو ما نرى في التحول من صيغة الى اخرى لاصل بعينه من نحو تحول صيغة المبني للمعلوم سمع الى صيغة المبنى للمجهول سُمِع ، وهو ما فصّل الحديث فيه في الكلام على وظيفة اصوات المد في العربية .

لقد علل ظهور تناوب اصوات المد في العربية بأنه كان نتيجة لدخول مستويات لهجية مختلفة في المستوى الموحد (الفصيح) وهذا ما أوضحناه في الكلام على تناوب اصوات المد في اللهجات العربية القديمة ، وربما كان هذا هو السبب الرئيس في ظهور امثلة كثيرة في العربية الموحدة تتناوب فيها اصوات المد في الكلمة الواحدة من غير أن يؤدي ذلك الى اختلاف في المعنى ، وهذا الامر يشير الى ان اصوات المد العربية ، وان كانت تمثل فونيمات مستقلة بعضها عن البعض الآخر ، الا انها في بعض الاحيان ، تبدو متداخلة فونيميا ، غير ان هذا التداخل محدود بالسماع حسب ، وغير خاضع الى القياس ، وهو ما اشرنا اليه فيما سبق .

ومما يلاحظ في هذا التناوب ايضا أنه ليس محصوراً بين صوت مد وآخر فهناك تناوب بين الكسرة والضمة ، وآخر بين الكسرة والفتحة ، او الضمة والفتحة ، وتناوب ثالث يمكن ان تبدل فيه الى الفتحة او الضمة او الكسرة من غير ان يؤدي ذلك الى تغير في المعنى ، وقد اورد صاحب المخصص امثلة لهذه الضروب من التناوب جميعاً من ذلك :

الفتحة والكسرة : من نحو السلم والسِلم والخَرص والخِرص وكِسرْ البيت وكَسرْه ، وشَقب وشِقب والحَنق والحِنق والجَرس والجِرس والشَجر والشِجر[٣٥٠] .

الضمة والفتحة : من نحو سدّ وسُدّ ، فَقر وفُقر ، ما رأيته قطَ وقُط ، عقَر الدار وعُقرها ، العَضد والعُضد ، العَجز والعُجز العَقم والعُقم[٣٥١] .

الضمة والكسرة : من نحو جلب الرجل وجلُبه ، نِصف ونُصف ، رجز ورُجز ، ويقال في الولد والولْد يكون واحداً وجمعاً ، لِصّ ولُصّ ، صِفر النحاس وصُفره[٣٥٢] .

فتحة وكسرة وضمة : يقال شربت شَرْبا وسِربا وشُرْبا ، ويقال فَم فِم وفُم ، ويقال شنئته شَنئا وشِنئا ، وهو العَفو والعِفو والعُفو لولد الحمار وهو قَطب الرحى وقِطب الرحى وقُطبها ، وهو خرص وخَرص وخُرص ، وهو الرغم والرّغم

---

٣٥٠ ـ المخصص ١٥/٧٤ ـ ٧٥ .

٣٥١ ـ المخصص ١٥/٧٦ .

٣٥٢ ـ المصدر السابق ١٥/

والرغم ، والزعم والزعم والزعم ، وهو الفتك والفتك والفتك[٣٥٣] .

تناوب في حركة عين الكلمة :

كسرة وضمة : رجل قَذِر ، فَطِن وفَطُن ، نَجِد ونَجُد عَجِل وعَجُل وطَمِع وطَمُع وحَذِر وحَذُر وحَدِث وحَدُث ونَكِر ونَكُر ومكان عَطِش وعَطُش ، وقالوا للعالم بالاخبار خَبِر وخَبُر[٣٥٤]

كسرة وفتحة : يقال رجل سَبِط وسَبَط وكذلك رَتِل ورَتَل اذا كان مرتلا ، ويقال ابيض يَقِق يَقَق ولَهِق ولَهَق اذا كان شديد البياض ، وفرس عَتِد وعَتَد وهو الشديد التام الخلق المعد للجرى ، وحَرِج وحَرَج ، ورجل نَنِف ونَنَف والسرِق والسرَق[٣٥٥] .

اما اهم الملاحظات التي يمكن تقال في هذا التناوب :

١ ـ انه قد يكون نتيجة دخول مستويات لهجية في المستوى اللغوي العربي الموحد ، وكثير من الامثلة الواردة فيه ، أشير الى انها لغات للقبائل العربية المختلفة[٣٥٦] .

٢ ـ ان هذا التناوب قد يؤدي الى خضوع الكلمة الى قانون انسجام اصوات المد Vowei harmony ، اذا كانت تشتمل على اصوات مد متنافرة ، من نحو ما نرى في الامثلة الآتية :

أ ـ يقال قيت فلان اللبن يعني قوته ، فلما كسرت القاف صارت الواو ياء[٣٥٧] .

ب ـ يقال هو الشِمراخ والشُمرُوخ والعثكال والعثكول والاثكال والأثكول وكل ذلك قنو النخلة وقالوا عنقاد وعنقود وهو يكون من العنب .. وقالوا طِنبار وطُنبور والجذمار والجُذمور[٣٥٨] .

ج ـ شَحيج البغل والغراب ، وشُحاج ، نهَيق ونُهاق ، سَحيل وسُحال ، مَليح ومُلاح ، كَبير وكُبار ، جَسيم وجُسام وزحير وزُحار ، وعَجيب وعُجاب[٣٥٩] .

---

٣٥٣ ـ المصدر السابق

٣٥٤ ـ المصدر السابق ٨٣/١٥ .

٣٥٥ ـ المخصص ٨٣/١٥ .

٣٥٦ ـ المصدر السابق ٧٤/١٥ ـ ٨٤ ، ومبحث تناوب اصوات المد في الفصل الثاني

٣٥٧ ـ المصدر السابق ٧/١٥ .

٣٥٨ ـ المصدر السابق ٨٥/١٥ .

٣٥٩ ـ المصدر السابق ٨٠/١٥ ـ ٨٩ .

د . فسل بين الفَسالة والفسُولة ، الوقَاحة والوقُوحة ، الجلاَدة والجلودة ، ، كَثاثة وكُثاثة وكُثوثة ، جثالة وجُثولة ، البطَـــالة والبطُـــولة ، البطُـــولة ، الطفـــالة والطفُولة[٣٦٠] .

٣ ـ قد يكون هذا التناوب قد حدث لغاية في الانسجام الصوتي في الكلمة من نحو ما نجد في بُرْقَع وبُرْقُع، ودُخْلَل ودَخْلل (اي خاصة الرجل) وجُؤْذَر وجُؤذُر ، وقُنْفَذ وقُنْفُذ وعُنْصَر وعُنْصُر[٣٦١] ، او صرى وصَرى وبذِر وبَذَر ، وسَـــبط وســـبَط ورَتِل ورَتَل ، ويَقِق ويَقَق .. الخ[٣٦٢] .

٤ ـ قد تصاحب هذا التناوب تغيرات اخرى من نحو سقوط صوت مد آخر مـــن الكلمة ، او اضافة صوت مد آخر من نحـــو بدْل وبَدَل ، وقْتب وقَتَب و مِثل ومَثَل ، وشبْهْ وشَبَه وضِغْن وضَغَن ، وإِثْر وأثَر[٣٦٣] .

٥ ـ ان اكثر اصوات المد تناوبا هي اصوات المد القصيرة ، على حين كان هـــذا التناوب اقل في اصوات المد الطويلة ، من ذلك :

أ ـ فَسالة وفسولة ، رَذالة ورُذولة[٣٦٤] .

ب ـ شَحيج وشَحاج ، نَهيق ونُهاق ، خَفيف وخُفاف ، طَويل وطُوال[٣٦٥] .

ج ـ نفار ونُفور ، شراد وشرُود ، طِماح وطُموح[٣٦٦] .

د ـ شَحيح وشَحاح ، صحَيح وصَحاح ، بجيل وبجال ، عقيم وعقام[٣٦٧] .

هـ ـ صُمات وصمُوت ، سُكات وشُكوت[٣٦٨] .

و ـ شيمراخ وشُمروخ ، عِثكال وعُثكول[٣٦٩] .

٦ ـ ان انصاف المد العربية ، هي ايضا قد تخضع الى التناوب فيما بينها ، ولقد اطلق اللغويون العرب على ظاهرة التناوب هذه مصطلح (المعاقبة) ، ولقـــد وردت

---

٣٦٠ ـ المخصص ٩٠/١٥ .

٣٦١ ـ المصدر السابق ٨٤/١٥ .

٣٦٢ ـ المصدر السابق ٨٣/١٥ .

٣٦٣ ـ المصدر السابق ٨١/١٥ ـ ٨٢ .

٣٦٤ ـ المصدر السابق ٩٠/١٥ .

٣٦٥ ـ المصدر السابق ٨٨/١٥ .

٣٦٦ ـ المصدر السابق ٨٩/١٥ .

٣٦٧ ـ المخصص ٨٧/١٥ .

٣٦٨ ـ المصدر السابق ٨٩/١٥ .

٣٦٩ ـ المصدر السابق ٨٥/١٥ .

في ذلك امثلة كثيرة من نحـو : نثوث ونثيث ، هياء وهـواء ، وقنيَة وقنوَة وعزوته وعزيته ، وحثوت التراب وحثيثه حثيا[٣٧٠] .

تعامل انصاف المد فيما بينها :

لقد بينت سابقا الوضع التشريحي لصوتي الياء والواو في حـالة نصـف المد ، وهو وضع يوضح أن هذين الصوتين قـريبان بعضـهما مـن البعض الآخـر في الاحداث التي تجرى في جهاز النطق في اثناء اصدارهما ، اذ ان كليهما يحدث من خلال ارتفاع جزء من اللسان ارتفاعا معنيا ، يحدث معـه شيء مـن الاحتكاك او الحفيف ، ومن جانب آخر نلاحظ تضاداً بينهما في الجزء المرتفع من اللسان فهو مع الياء الجزء الامامي ، ومع الواو الجزء الخلفي .

هاتان الحالتان ، واعني بهما حالة التشـابه في الوضـع التشريحـي وحـالة التضاد ، جعلتا النطق بالصوتين متتاليين من غير ان يفصل بينهما صـوت ثالث (مد أوصامت) امر اثقيلا على اللسان العربي فجنح من اجـل تجنب ذلك الى أن يدغمهما بعد ان يقلب احدهما الى صـوت ممـاثل لصـاحبه ، والامثلة العـربية توضح أن اتجاه هذا القلب كان ينزع الى قلب الواو الى الياء ، قـال[٣٧١] الفـراء «يقال يوم وايام والاصل ايوام ، ولكن العرب اذا جمعت بين الياء والواو في كلمة واحدة وسبق احدهما بالسكون قلبوا الواو ياء وادغموا وشددوا من ذلك قـولهم كويته كياً ولويته لياً)[٣٧٢] .

ونلاحظ ان امثلة هذا القبيل كثيرة في العربية ، تظهر في مثل تحول سـيود الى سيدّ[٣٧٣] ، وصيود الى صيدّ[٣٧٤] ، وفي طائفة من الاسماء التي تخضـع للتصـغير ، بتأثير من (احداثية) التصغير التي تكون بضم اول الكلمة التي يراد تصـغيرها

---

٣٧٠ ـ الابدال /لابي الطيب ٢/٤٩٤ ـ ٤٩٦ .
٣٧١ ـ الكتاب ٢/٣٧١ .
٣٧٢ ـ الايام والليالي والشهور/١
٣٧٣ ـ الكتاب ٢/٣٧١ .
٣٧٤ ـ المصدر السابق ٢/٣٧١ .

وفتح ثانيها ثم الحاق ياءساكنة ثالثة[٣٧٥] ، ويكون من تأثير هذه الياء انهـا تقلب الواو المجاورة لها الى ياء ، من ذلك :

عجوز > عُجَيْوز > عُجَيِّز > عجيز[٣٧٦]

عروة > عُرَيْوة > عُرَيْيَة > عرّية[٣٧٧]

جدول > جُدَيْوِل > جُدَيِّيل > جديل[٣٧٨]

وهذا الانقلاب ظاهر ايضا في اضافة الجمـع المذكر السـالم الى ياء المتكلم اذ تنقلب الواو التي في لاحقة الجمع الى ياء ثم تدغم بياء المتكلم ، وذلك في امثلة من نحو : مصطفون ومسلمون كما نلاحظ فيما يأتي :

مسلموى > مسلميي > مسلمي[٣٧٩]

مصطفوى > مصطفيي > مصطفي[٣٨٠]

قـال ابن يعيش : (قلبت الواو ياء لاجتمـاعها مـع ياء النفس سـاكنة على حدشويت شيا ولويت ليا وادغمت في ياء الاضافة)[٣٨١] .

من الواضح أن العـربية تميل في التأثيرات المتبادلة بين الواو والياء الى قلب الواو الى ياء ، ويبدو أن هذا جزء من نزوع عام في العـربية الى تغليب الياء على الواو في اثناء التأليف الفونولوجي ، يعزز ذلك ما نلاحـظه ايضـا مـن ميل الى انقلاب الواوات المتطرفة في طائفة مـن الامثلة الى ياءات مـن غير علة صـوتية بعينها ، مثال ذلك : اذا اجتمعت واوان في آخر الكلمة قلبتا ياء مشددة مثل :

دلوو > (جمع دلو) > دلي[٣٨٢]

---

٣٧٥ ـ شرح المفصل

٣٧٦ ـ المصدر السابق/ ٧٢١

٣٧٧ ـ المصدر السابق /٧٢٢ .

٣٧٨ ـ المصدر السابق /٧٢١ ، ويلاحظ ان هناك من يظهر من العرب في مثل جدول فيقـول في التصغير جديول ينظر المصدر نفسه/ ٧٢١ . ثم هناك طائفة من الامثلة مما ظهـر فيه ياء وواو متجاوران ، وقد سبق احدهما بالسكون ثم لم يخضع للانقلاب ، من نحو قولهم ضـيوْن وحَيْوة وعَوْية . ينظر اللسان ٢٢٣/١٥ وقد فسر بعض هذه الامثلة من نحو حَيْوة بالابقـاء للمخـالفة (المصدر السابق ٢١٤/١٤ ٢١٥) وهو على اية حال قليل جدا .

٣٧٩ ـ شرح المفصل /٣٥٣

٣٨٠ ـ المصدر السابق /٣٥٣ .

٣٨١ ـ المصدر السابق /٣٥٣ .

٣٨٢ ـ شرح التصريح ٣٨٢/٢ ـ ٣٨٣ .

عصوو > (جمع عصا) > عصي[٣٨٣]

أو : اذا وقعت الواو في جمع كلمة على وزن فعل صحيح اللام ، جاز أن تقلب الواو المشددة الى ياء مشددة ، مثل : صيم في صوم (جمع صائم) ، ونيم في نوم (جمع نائم)[٣٨٤] .

فكأن هذه الامثلة جميعا تشير الى ان العربية تكره بعض الكره نطق الواو في حالتين :

الاولى : حالة التشديد ، فنراها تجنح في كثير من المواضع الى أن تقلب الواو الى ياء من نحو ما رأينا في الامثلة السابقة .

والثانية : حالة التطرف ، فنلاحظ مثلا أنه ليس في العربية افعال ماضية مستقرة ، تنتهي بواو نصف مد ، على حين انها تشمل افعالا تنتهي بياء نصف المد من نحو بكيَ ، ورضيَ ونسيَ .. الخ . ثم نلاحظ أنها اختارت في طائفة من اللواحق المتطرفة الياء دون الواو ، من نحو ما في النسبة او الاضافة الى ياء المتكلم .

من جانب آخر نلاحظ أن العربية تكره مجيء ياءات متجاورة ، من ذلك ما تحدثنا عنه في مبحث سابق من استثقال العرب لاجتماع الياءات حتى انهم يحذفون واحدة منها ، أو انهم يقلبون تلك الواحدة الى صوت مخالف هو الواو من نحو قولهم في النسبة الى القاضي بدلا من قاضيي[٣٨٥] .

حالات ابدال بين صوامت واصوات مد أو انصاف مد :

تذكر كتب الابدال كثيراً من الامثلة في تبادل المواقع بين أصوات مد أو أنصاف مد وصوامت ، ويمكن تقسيم هذا الابدال الى مجموعات خمس ، هي :

١ ــ ابدال بين اصوات المد والهمزة ، وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق وبيّنا ان هذا الابدال قد صار ذا طبيعة قياسية في العربية في الاغلب بل انه يؤلف ظاهرة عامة في الفونولوجيا العربية .

٢ ــ ابدال بين اصوات مد وصوامت ، تم في حالات سياقية خاصة ابتغاء

---

٣٨٣ ــ المصدر السابق ٢/٣٨٢ ــ ٣٨٣ .

٣٨٤ ــ شرح التصريح ٢/٣٨٣

٣٨٥ ــ شرح المفصل /

المخالفة ، وهو أمر معروف في لغات كثيرة ، وقد بينا امثلته في الكلام على المخالفة .

٣ ـ مجموعة ثالثة ادرجتها كتب الابدال على انها امثلة ابدال بين اصوات مد وصوامت ، ولكنها في الحقيقة ليست كذلك ، اذ ان كل ما حدث كان سقوط الصامت الاخير من الكلمة ، ثم امطل صوت المد القصير الذي يسبق ذلك الصامت لاعادة التوازن الى الكلمة ، وامثلة هذا الضرب قليلة ، منها :

قول الرجز :

ومنهل ليس له حوازق ولضفادي جمة نقانق

يريد لضفادع جمة فحنف العين ثم مطل صوت المد ومنه ما انشده قطرب :

مررت بربعها فوقفت فيه على سفع جواثم أو رواسي
وقد مرت به من بعد عهدي ثمانية وهذا العام تاسي

أي (تاسع)[٣٨٧]

أو قول الشاعر :

اذا ما عدّ اربعة فساد فزوجك خامس وحموك سادس

أي أي وحموك سادس[٣٨٨] .

وأنشد الفراء :

قرينة شيطان اذاعت بخمسة وتجعلني ان لم يق الله ساديا[٣٨٩]

أي (سادس) .

ومن ذلك ايضا قولهم رجل زَوْنزكَ وزونزَى ، وهو الرجل القصير اللحيم[٣٩٠] وقولهم متأزف الخلق ومتأزي الخلق وهو المتداني الخلق[٣٩١] .

٤ ـ وثمة مجموعة رابعة من امثلة الابدال بين اصوات المد الطويلة وانصاف المد من جهة وبين صوامت ، لها ما يسوغها من الناحية الصوتية ، اذ ان تلك

---

٣٨٦ ـ الابدال لابي الطيب ٣٢٥/٢ .
٣٨٧ ـ المصدر السابق ٣٢٦/٢ .
٣٨٨ ـ الابدال لابي الطيب ٢/ ٢١٧ .
٣٨٩ ـ المصدر السابق ٣١٧/٢ .
٣٩٠ ـ المصدر السابق ٣٧٧/٢
٣٩١ ـ المصدر السابق ٣٥١/٢ .

الصوامت مما اصطلح عليه باشباه اصوات المد وهي اللام والراء والميم والنون ومن هذه الامثلة يقال امشاج واوشاج ، وملقة وولقة ، ومتن ووتن ومكد ووكد وملد وولد ومذع ووذع في الابدال بين الميم والواو[٣٩٢] وخلاء وخواء واللكز والوكز والخثلة والخثوة[٣٩٣] في الابدال بين اللام والواو[٣٩٤] ، والنكت والوكت والنخز والوخز والنشر والوشر في الابدال بين النون والواو ، وقهي عن الطعام وقهم في الابدال بين الميم والياء[٣٩٥] وقفر الاثر وقفاه[٣٩٦] ودرس الطعام ودراسة[٣٩٧] في الابدال بين الالف والراء .

ولعل مما يدخل في هذا الباب ايضا امثلة الابدال بين الهاء والياء من نحو قولهم الهأ هأة واليأياة ، وسفيه وسفي ، أو قولهم نهينا أن نجيز على الجرحى وأن نجهز[٣٩٨] ، وذلك للعلاقة القوية بين صوت الهاء واصوات المد وقد تكلمنا على ذلك في الفصل الثاني .

مجموعة خامسة للابدال فيها ما يسوغه من الناحية الصوتية ، ولعله كان من توافق اللغات او اللهجات ، أو أنه قد مرّ بمراحل ابدال وسطي قبل ان يستقر على الحال التي وصل الينا عليها ، ومن امثلة هذا الابدال ، قولهم ارض مدعاس وميعاس اي كثيرة الرمل[٣٩٩] ، في الابدال بين الدال والياء أو قولهم ما ادرى أي الذرى هو واي الوري هو أي أي الناس هو[٤٠٠] أو ذمة ومه في الابدال بين الذال والواو[٤٠١] ، أو قولهم وطش لي شيئا وغطش لي شيئا وغطّش لي شيئا أي امنح لي شيئا في الابدال بين الغين والواو[٤٠٢] او تعكظ عليه امره وتوكظ اي التوى[٤٠٣]

---

٣٩٢ ـ المصدر السابق ٢٤٤/٢ ـ ٢٤٦ .

٣٩٣ ـ المصدر السابق ٤١٤/٢ ـ ٤١٥ .

٣٩٤ ـ المصدر السابق ٤٥٦/٢ .

٣٩٥ ـ الابدال لابي الطيب ٤٥١/٢ .

٣٩٦ ـ المصدر السابق ٩٥/٢ .

٣٩٧ ـ المصدر السابق ٩٦/٢ .

٣٩٨ ـ المصدر السابق ٥٢٨/٢ .

٣٩٩ ـ المصدر السابق ٣٩٧/١ .

٤٠٠ ـ المصدر السابق ٢٨/٢

٤٠١ ـ المصدر السابق

٤٠٢ ـ المصدر السابق ٣٣٢/٢ .

٤٠٣ ـ المصدر السابق ٣٢١/٢ .

في الابدال بين العين والواو ، أو قولهم اعطني كسفة من اديم وكيفة من اديم اي قطعة في الابدال بين السين والياء[404] .

* * *

٤٠٤ ـ المصدر السابق ٢/٢١٥ .

الخاتمة

يعرض هذا الكتاب بالدراسة لتلك الطائفة من الاصوات اللغوية العربية التي اصطلح على تسميتها بأصوات المد VOWELS, وهي الاصوات التي ميزها البحث الصوتي من غيرها بأنها اصوات يكون مرور الهواء في اثناء نطقها حرا طليقا ، لا يحدث احتكاكا في اي موضع من مواضع جهاز النطق .

لقد عدّ خلو هذه الاصوات من الاحتكاك عنصراً جوهريا فيها واساسا لتمييزها من الصوامت CONSONANTS, بسبب من أن صفاتها الصوتية قد نشأت بوجه عام من فكرة عدم الاحتكاك هذه ، اذ ان ذلك جعلها تحمل طاقة عالية جداً قياساً على ما تحمله الاصوات اللغوية الاخرى ، من تلك التي تحدث بسبب الاحتكاك ، وهو أمر أدى بها أن تكون أصواتا ذات قدرة عالية جداً في الاسماع .

لقد أدى عدم الاحتكاك ايضا الى ان تكون أصواتا موسيقية منتظمة ، خالية من الضوضاء NOISE، لها القدرة على الاستمرار ، وهي بهذا تختلف اختلافا شديداً عن الصوامت التي هي عبارة عن ضوضاء ناتجة عن احتكاك .

ويرتبط الجانب الوظيفي لاصوات المد ، بهذه الطبيعة الفسلجية — الصوتية التي تتصف بها هذه الاصوات ، فقد ساعدها الوضع التشريحي الحر وعدم وجود احتكاك في اثناء الاداء ، ثم قوة الاسماع العالية ، على ان تكون وسيلة تمكن جهاز النطق من الانتقال من وضع صامت الى الذي يليه ، وبهذا صارت وسيلة لربط سلسلة من الصوامت في اثناء الكلام .

ولأن قوة الاسماع في الصوامت عامة واطئة جداً بل معدومة في طائفة منها ، فقد اعتمدت ايضا قوة الاسماع العالية في اصوات المد التي تكتنفها في الكلام لاكتساب القدرة على الاسماع ، وهذا يعني أن اصوات المد على غاية من الاهمية اللغوية ، فهي تقوم بتجميع الصوامت بعضها مع بعض لتأليف الكلام أولا ، ثم تقوم باعطائها القدرة على الاسماع .

تختلف اصوات المد فيما بينها في نوع التصويت ، ودرجة الطول ويرجع اختلافها في نوع التصويت بوجه عام الى وضع اللسان في اثناء الاداء ، اذ ان

اختلاف هذا الوضع من وضع الى آخر يؤدي الى تغير حجرة الرنين resonance Chamber فتختلف من اجل ذلك اصوات المد الصادرة عنها تبعا لتلك التغيرات ، وكذلك الى تأثير هيأة الشفتين في اثناء الاداء ، الا ان هذا التأثير عدّ معيارا ثانويا في تحديد نوع التصويت بسبب من أن حركة الشفتين في اثناء الاداء غالبا ما تكون مرتبطة بحركة اللسان .

اما اختلاف درجة الطول فيرجع اساسا الى الاختلاف في مدة الاداء .

لقد فطن اللغويون العرب الى كثير من هذه الصفات فقد اشاروا الى حرية مرور الهواء الى خارج الفم من غير أن يحدث احتكاكا ، ثم اشاروا الى شيء من عمل اللسان في تصويتها وان بدا وصف ذلك امرا صعبا بالنسبة اليهم ، اذ ان عمل اللسان امر باطن محجوب بالاسنان والشفتين ، ثم وصفوا الهيئات التي تتخذها الشفتان في اثناء ذلك وصفا دقيقا بل ان الاشارة الى تلك الهيئات كانت اول ما وصل الينا من هؤلاء اللغويين .

ولقد تحدثوا ايضا عن صفات هذه الاصوات ، فذهبوا الى انها اصوات مجهورة تمتاز بقوتها على الاستمرار في التصويت ، وامكان مد الصوت بها ، ولقد اشار بعضهم الى أنها خالية من الجرس أو الطنين ، ولعل في هذا شيئا مما يذهب اليه البحث من أنها أصوات تخلو من الضوضاء .

ثم اشاروا الى وظيفتها اللغوية ، فبينوا أنها تأتي ليوصل بوساطتها الى التكلم بالصوامت اذ لا يمكن لهذه الصوامت أن يتصل بعضها ببعض في سرد الكلام من غير أن تفصل بينها اصوات المد ، وهو شيء يكاد يطابق ما وصل اليه البحث الحديث في بيان وظائف هذه الاصوات بوجه عام .

بجانب هذه الملاحظات الصوتية العامة ، كان لهؤلاء اللغويين تصورهم عن نظام اصوات المد في اللغة العربية ، وفي الحق أن كثيرا من هذا التصور مستمد من سلوك هذه الاصوات في البنية اللغوية العربية ، من ذلك :

١ ـ نظرتهم الى اصوات المد الطويلة وانصاف المد على أنها جميعا تؤلف مجموعة صوتية واحدة هي الالف والياء والواو .

وهي نظرة تؤيدها التطبيقات اللغوية العربية . اذ ان العربية لم تفصل حالة المد عن حالة نصف المد فصلا تاما ، وهو ما نلاحظه في تبادل المواقع بين صوت المد الطويل ونصف المد في اثناء التصريف من غير حدوث تغير في المعنى الاساسي ، ثم في استعمال العربية للرمز الكتابي نفسه في التعبير عن الحالتين .

الا اننا نلاحظ أن نظرتهم الى وحدة هذه الاصوات لم تمنع ان يعرفوا اختلاف الحالتين في الكيفية والكمية الا انهم انطلاقا من تلك النظرة عدّوا هذا الاختلاف اختلافا في الحالة السياقية حسب .

٢ ـ ذهبوا الى أن أصوات الالف والياء والواو أصوات ضعيفة معتلة كثيرة الانقلاب والتغير والسقوط في اثناء التصريف ، ومن اجل ذلك اطلقوا عليها مصطلح حروف العلة ، ثم ادخلوا معها في هذا الامر صوت الهمزة الذي هو صامت انفجاري لمشاركته اياها في الانقلاب والتغير والسقوط .

وهو امر يسوغه ايضا العلاقة القوية في العربية بين اصوات المد الطويلة وانصاف المد من جهة وبين صوت الهمزة من جهة أخرى ، تتوضح هذه العلاقة بوجه عام في قدرة الهمزة على الحلول محل احد تلك الاصوات في بعض السياقات من غير أن يؤدي ذلك الى تغير المعنى مما يشير الى وجود تداخل فونيمي بين هذه الاصوات وصوت الهمزة .

٣ ـ ان اللغويين العرب فصلوا فصلا يكاد يكون تاما بين طائفة اصوات المد القصيرة وبقية الاصوات اللغوية ، وان كانوا ذهبوا الى ان اصوات المد القصيرة ابعاض من الالف والواو والياء .

وهو فصل له ما يسوغه ايضا في البنية اللغوية العربية اذ نلاحظ أن النظام الصوتي العربي نظر الى اصوات المد القصيرة على انها أصوات لا يمكن أن تكون من العناصر التي تؤلف جذر الكلمة العربية ، ونظام الكتابة العربية يوضح هذا الامر أيضا ، اذ ان ما يكتب في صلب الكلمة العربية هو اصوات «الاصول» حسب ، اما اصوات المد القصيرة التي وصفت بأنها «زوائد» فلا يكون لها أن تدرج في اثناء حروف الكلمة مع تلك الاصول ، وانما توضع فوق الاصول أو تحتها .

وفي الحقيقة ، ان هذه الفكرة ليست مختصة بالعربية وحدها وانما هي ظاهرة سامية عامة ، وهو ما لا حظناه فيما سبق ، فمعظم اللغات السامية مالت في الكتابة الى الا تقحم رموز هذه الاصوات بين رموز الاصوات الاصول .

هذا الفصل بين الطائفتين الصوتيتين ، يعنى من جانب آخر ان لاصوات المد عامة والقصيرة خاصة وظائف بنيوية اخرى غير وظائف الصوامت ، في اللغات السامية ، والعربية منها .

وفي الحق ان الاختلاف في الوظيفة البنيوية بين اصوات المد والصوامت واضح

جداً في النظام الصرفي العربي ، اذ ان العربية تعتمد الصوامت «وانصاف المد» في بيان المعنى العام في الكلمة ، اما اصوات المد فهي اضافة الى مـا تقـوم به مـن اخراج أصوات الاصل من حيز التجريد الى حيز التحقق الصوتي ، تقوم بوظيفة على غاية من الاهمية في البنية اللغوية العربية ، هي اعطاء اصـوات «الاصـل» المبهمة صيغتها الصرفية ، وبهذا تختلف وظـائف اصـوات المد في العـربية وفي الساميات عامة عن وظائفها في لغات اخرى من نحو اللغات الهندواوربية اذ انها في العربية تؤدي وظيفة صرفية من خـلال دخـولها على عناصر الاصـل ، وتغير اصوات المد الداخلة على الاصل الواحد يؤدي الى تغير المعنى «الصرفي» للكلمـة أي ان هذه الاصوات تؤدي في العربية دور فونيمات صرفية ــ ان صح التعبير ــ ، غير ان ذلك يتم ضمن قوالب محددة مقننة لا يجوز الخروج عنها ، فبناء الفـاعل من الثلاثي مثلا يتم بادخال اصوات مد بعينها بين الصـوامت التي تمثل عناصر الاصل ، وبهذا تمثل اصوات المد القالب الصرفي الذي تدخل فيه عناصر الاصـل لتأدية المعنى العام ، غير ان علينا ان نلاحظ في ذلك ما يأتي :

١ ــ ان اصوات المد القصيرة هي التي تؤلف بوجه عام نظام الزوائد .

٢ ــ ان اصوات المد الطويلة اضافة الى ما تؤديه من وظائف صرفية شبيهة بمـا تؤديه اصوات المد القصيرة تؤدي دوراً ما في نظـام الاصـول او الجـذر في العربية من نحو ما نلاحظ في المعتلات .

٣ ــ ان النظام الصرفي العربي ، وان كان يعتمد اساساً اصوات المد القصـيرة في التغيرات الصرفية الا انه يعتمد ايضاً طائفة من اللواحق والسـوابق المكونة من صوامت واصوات مد في الاكثار من الصيغ الصرفية .

نلاحظ من جانب آخر أن هذه الاهمية الوظيفية لأصوات المد في العربية يقابلها فقر النظام الصوتي العربي في هـذه الاصـوات ، مقـابل غنى في الصـوامت ، فاصوات المد فيه ثلاثة اصوات فقط ، لكل واحد منها درجتان في الطول ، درجـة قصر ، ودرجة طول .

غير ان علينا ان ندرك أن هـذا الفقـر لم يخـل بالاهمية التوزيعية لهـذه الاصوات ، فهي على قلتها تفوق تلك الاهمية التوزيعية الاربعين في المائة .

كما ان قلة الفونيمات لا يعني فقرا في التنوعات ، بل قد يكون الامر على الضد من ذلك ، فقد تبين انه (كلما قلّت فونيمات لغة كثرت تنوعاتها الصوتية) بل هـو قد يكون امراً حسناً للغة من قبيل اللغة العربية التي تتبع في تصريفـاتها نظـاما اشتقاقيا داخليا يتطلب ثبوت الاصـوات التي تؤدي الدور الاسـاسي في النظـام

الصرفي وقلتها .

لقد ذهب الباحثون الى أن العربية في قلة اصوات المد فيهـا قـد حـافظت على النظام السامي القديم المتألف من ثلاثة اصوات هي الفتحـة والضـمة والكسرة على حين تفرعت هذه الاصوات في كثير من اللغات السامية الى اصوات يختلف عددها من لغة الى أخرى ، ثم كان لهذه الاصوات المتفرعة ان تكتسب في كثير من الاحيان استقلالا فونيميا ، بحيث صار تغيرها علامة على تغير في معنى الكلمة .

لقد مرت العربية في بعض حقبها بتطورات اصابت نظام اصوات المد فيها فكان أن ظهرت اصوات مد فرعية كالامالة والتفخيم والاختلاس والحـركات المشـوبة غير ان ما يميز العربية من سائر اللغات السامية . ان هذه الاصـوات قـد بقيت مجرد صور من صور نطق اصوات المد الاساسية ، تستعمل في مـواضع سـياقية بعينها ، أملتها عوامل صوتية بحتة مـن نحـو المماثلة أو الميل الى الانسـجام المدى ، أو عادات نطقية خاصة بيئية معينة ، ولم تستطع هذه الاصوات ان تكسب قيما فونيمية خاصة بها ، مما ادى بها بعد ذلك أن تختفي من النطق في العـربية الموحدة ، بحيث عادت هذه اللغة الى نظام اصوات المد السامي القديم .



المصادر والمراجع

١ ـ المطبوعة .

★ القرآن الكريم

★ الابدال ، لابي الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي (ت ٣٥١هـ) تح عزالدين التنوخي ، دمشق ١٩٦٠ ـ ١٩٦١

★ اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربع عشر ، للشيخ احمد الدمياطي البناء (ت ١١١٧هـ) ـ طبعة عبدالحميد حنفي .

★ ابحاث في اللغة العربية ، الدكتور داود عبده ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٧٣ .

★ احياء النحو : ابراهيم مصطفى ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٦ .

★ الازمنة والامكنة : لابي علي احمد بن محمد الاصفهاني المرزوقي (ت ٤٢١هـ) دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، الدكن ـ الهند ، ١٣٣٢هـ .

★ الاساس في الامم السامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية وآدابها (كتاب .....) تأليف علي العناني وآخرين ، القاهرة ١٣٥٤هـ

★ اسباب حدوث الحروف لابن سينا (ت ٤٢٨هـ) تح : ولاديمير اخوليد ياني ، تفليس ، متسنيا ربا ١٩٦٦ .

★ اسس علم اللغة ، ماريو باي ، ترجمة الدكتور احمد مختار عمر ، منشورات جامعة طرابلس ، كلية التربية ١٩٧٣ .

★ الاشباه والنظائر في النحو لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ـ الدكن ، الهند ، الطبعة الثانية ١٣٥٩هـ .

★ اصلاح المنطق ليعقوب بن اسحق بن السكيت (ت ٢٤٤هـ) ، تح : احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٧٠ .

★ اصوات اللغة : الدكتور عبدالرحمن ايوب ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٦٣م .

★ الاصوات اللغوية : للدكتور انيس ، مطبعة نهضة مصر .

★ الافعال (كتاب ....) لابي بكر محمد القرطبي المعروف بابن القوطية (٣٦٧هـ) اشراف وتوجيه علي راتب ، تح : علي فودة ، مطبعة مصر ، الطبعة الاولى ١٩٥٢م .

★ الافعال (كتاب ...) لابي القاسم علي بن جعفر السعدي الصقلي المعروف بابن القطاع (٥١٥هـ) ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، الهند ، الطبعة الاولى ١٣٦١هـ .
★ الافعال نوات حروف اللين وكتاب الافعال نوات المثلين (كتاب ....) لابي زكريا بن داود الفارسي المعروف بحيوج ، تحقيق : مريس سترو ، ليدن ، مطبعة بريل ١٨٩٧م .
★ الامالي : لابي علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦هـ) ، المكتب التجاري ــ بيروت .
★ اوضح المسالك الى الفية ابن مالك ، لابي محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن احمد بن عبدالله بن هشام (ت ٧٦١هـ) دار احياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الخامسة ١٩٦٦م .
★ الايام والليالي والشهور ، لابي زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ) تح : ابراهيم الابياري ، القاهرة ١٩٥٦م .
★ البحر المحيط ، لأثير الدين ابي عبدالله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الاندلسي الغرناطي (ت ٧٥٤هـ) مكتبة ومطابع النصر الحديثة ــ الرياض (مصورة اوفسيت عن نسخة .
★ البحث اللغوي عند الهنود الدكتور احمد مختار عمر ، دار الثقافة بيروت ١٩٧٢م .
★ تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) دار مكتبة الحياة بيروت (اوفسيت عن الطبعة الاولى ، بالمطبعة الخيرية المنشأ بجمالية مصر .
★ تاريخ الادب ، حفني ناصف ، جامعة القاهرة ، مصر ، الطبعة الثانية ١٩٥٨ .
★ تاريخ الادب السرياني من نشأته الى الفتح الاسلامي ، تأليف الدكتور مراد كامل والدكتور محمد حمدي البكري ، طبع بمطبعة المقتطف ، مصر ١٩٤٩م .
★ تاريخ الجاهلية : عمر فروخ ، دار العلم ، دار العلم ، بيروت ١٩٦٤م .
★ تاريخ الخط العربي وآدابه ، لمحمد طاهر بن عبدالقادر الخطاط مكتبة الهلال ، القاهرة ١٩٣٩م .
★ تاريخ العرب قبل الاسلام (القسم اللغوي ــ الجزء السابع) ، جواد علي ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٧م .
★ التاريخ العربي القديم ديتلف نيلسن وآخرون ، ترجمة فؤاد حسنين علي ،

مراجعة زكي محمد حسن ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٨م .
★ تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين ، جورج مونين ترجمة بدرالدين القاسم ، وزارة التعليم العالي ، دمشق ١٩٧٢م .
★ تاريخ اللغات السامية : اسرائيل ولفنسون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩١٤م .
★ التبيان في تفسير القرآن ، لابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) ، تح : احمد حبيب قصير العاملي ، المطبعة العلمية في النجف ١٩٥٧ ـ ١٩٦٣م .
★ تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، لابي جعفر بن مكي الصقلي (ت ٥٠١هـ) تح : عبدالعزيز مطر ، القاهرة ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، ١٩٦٦ .
★ التطور النحوي : ج برجستراسر ـ مطبعة السماح ، القاهرة ١٩٢٩ ـ ١٩٢٥ ـ ١٩٦٦م .
★ التعريفات : للشريف علي بن محمد (٨١٦هـ) ، مكتبة لبنان بيروت ١٩٦٩م .
★ التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) ، المطبعة البهية المصرية ، القاهرة ١٩٣٥م .
★ تهذيب اللغة ، لابي منصور محمد بن احمد الازهري (ت ٣٧٠هـ) تح : عبدالسلام هارون وآخرين ، الدار المضرية للتأليف والنشر ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧م .
★ جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبري) ، لابي جعفر محمد ابن جرير الطبري ، تح : محمود محمد شاكر ـ دار المعارف بمصر
★ الجامع لاحكام القرآن ، لابي عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) الطبعة الثالثة (عن طبعة دار الكتب المصرية) دار الكتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧م .
★ جمهرة اللغة ، لابي بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي البصري (ت ٣٢١هـ) مكتبة المثنى ، بغداد (اوفسيت عن طبعة عام ١٣٤٦هـ) .
★ جوامع اصلاح المنطق عن ابن السكيت ، تاريخ ابي الخير زيد ابن رفاعة بن مسعود الكاتب البغدادي (من اهل القرن الرابع) مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ـ الهند ١٣٥٤هـ .
★ الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه (ت ٣٧٠) تح : عبدالعالم سالم مكرم ، دار الشروق ، بيروت ١٩٧١م .

★ الحضارات السامية القديمة ، سبتينو موسكاتي ، ترجمة يعقوب بكر ومراجعة محمد القصاص ، دار الكاتب العربي ، القاهرة .
★ حلية العقود بين المقصور والممدود ، لابي البركات عبدالرحمن الانباري ، تح : عطية عامر .
★ خزانة الادب ولب لسان العرب على شرح شواهد الكافية لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) المطبعة الميرية ببولاق ، الطبعة الاولى .
★ الخصائص ، لابي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تح : محمد علي النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٢ ــ ١٩٥٦م .
★ الخليل بن احمد الفراهيدي ، اعماله ومناهجه ، الدكتور مهدي المخزومي ، وزارة المعارف ، بغداد ١٩٦٠م .
★ دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته الى نهاية العصر الاموي ، الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٧٢م .
★ دراسات في علم اللغة : الدكتور كمال محمد بشر ، دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٦٩م .
★ دراسات في اللغة : الدكتور ابراهيم السامرائي ، جامعة بغداد المعارف ، القاهرة ١٩٧٤م .
★ دراسة الصوت اللغوي : الدكتور احمد مختار عمر ، عالم الكتب القاهرة ١٩٧٦م .
★ دروس العبرية ، ربحي كمال ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٣م
★ دروس في علم أصوات العربية ، جان كانتينيو ، ترجمة صالح القرمادي ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ١٩٦٦م .
★ الرعاية : لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، لابي محمد مكي ابن ابي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) ، تح : دكتور احمد حسن فرحات ، دار الكتب العربية ، دار المعارف للطباعة ، دمشق ١٩٧٣م .
★ زاد المسير في علم التفسير ، لابي الفرج جمال الدين عبدالرحمن ابن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ) المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٤ ــ ١٩٦٧م .
★ الزينة في الكلمات الاسلامية العربية (كتاب ....) ، لابي الحاتم احمد بن حمدان الرازي (ت ٣٢٢هـ) عارضه باصوله وعلق عليه حسين بن فيض الله الهمذاني اليعبرى ، مطابع دار الكاتب العربي بمصر ، الطبعة الاولى

١٩٥٧م .
★ سر صناعة الاعراب ، لابي الفتح عثمان بن جني (الجزء الاول) تح : مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٩٥٤م .
★ السريانية نحوها وصرفها مع مختارات في نصوص اللغة ، زاكية محمد رشدي ، دار الثقافة ، القاهرة .
★ شرح الاشموني على الفية ابن مالك ، لنور الدين الاشموني (ت ٩٢٩هـ) تح : محمد محيي الدين عبدالحميد ، جـ١ ـ ٣ ، بيروت الطبعة الاولى .
★ شرح التصريح على التوضيح ، لخالد بن عبدالله الازهري (ت ٩٠٠هـ) دار احياء الكتب العربية .
★ شرح شافية ابن الحاجب ، لرضي الدين بن محمد بن الحسن الاسترابادي (ت ٦٨٦هـ) تح : محمد نور الحسن وآخرين ، مطبعة حجازي .
★ شرح كافية ابن الحاجب ، لرضي الدين بن محمد الاسترابادي ، اسطنبول ١٢٩٢هـ .
★ شرح مفصل الزمخشري ، لابي البقاء ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) باعتناء G. Jahn ليبزج ١٨٧٦ ـ ١٨٨٦م .
★ الشعر ، ارسطو طاليس ، ترجمة من السريانية ابي بشر متى بن يونس القنائي ، حققه مع ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية شكرى محمد عياد ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٧م .
★ الصابئة المندائيون ، اثيل ستيفانا دارور ، ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي ، مكتبة الاندلس ، بغداد ١٩٦٩م .
★ صبح الاعشا في صناعة الانشا ، ابي العباس احمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية) .
★ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) لا سماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) تح : احمد عبدالغفور عطار ، مطبعة دار الكتاب العربي بمصر ١٣٣٧هـ .
★ الصوت : الكسندر فرون ، ترجمة : محمد عزالدين فؤاد ، مراجعة علي شعيب ، دار الكرنك ، القاهرة ١٩٦٢ .
★ الطبقات الكبرى ، لابي عبدالله بن سعد بن منيع بن سعد (ت ٢٣٠هـ) ، دار بيروت ودار صادر ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨م .

★ العرب في سوريا قبل الاسلام ، رنيه ديســو ، ترجمــة : عبدالحميد الدواخلي ، مــراجعة دكتور محمــد مصــطفى زيادة ، الدار القــومية للطباعة والنشر ، القاهرة .
★ العــربية الفصــحى ، هنري فليش ، تعــريب وتحقيق : الدكتور عبدالصــبور شاهين ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٦م .
★ العقد الفريد ، لاحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨هـ) تح : محمــد سعيد العريان ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٥٣م .
★ علم اللغة : الدكتور علي عبدالواحد وافي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعــة الثالثة ١٩٥٤م .
★ علم اللغة العام : الدكتور عبدالصبور شاهين ، مكتب طارق ومجدى ، الطبعــة الثالثة ١٩٧٨م .
★ علم اللغة العام «الاصوات» ، الدكتور كمال محمد بشر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٣م .
★ علم اللغة العربية ، الدكتور محمود فهمي حجازي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٣م .
★ العين : للخليل بن احمد الفــراهيدي (ت ١٧٥هـ) ، الجــزء الاول تح : عبدالله درويش ، مطبعة العاني ، بغداد ، الطبعة الاولى ١٩٦٧م .
★ غاية النهاية في طبقات القراء ، لشمس الدين ابي الخير محمد بن محمــود بن الجزري (ت ٨٢٣هـ) تح : ج برجستراسر ، مــكتبة الخــانجي ، القــاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٣٢م .
★ فقه اللغات السامية : كارل بروكلمان ، ترجمــة الدكتور رمضــان عبدالتواب مطبوعات جامعة الرياض ، الرياض ١٩٧٧م .
★ الفهرست ، لابن النديم (ت ٣٨٥هـ) ، مطبعة الاستقامة القاهرة .
★ في البنية الايقاعية للشعر العربي ، للدكتور كمال ابوديب ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٤م .
★ في اللهجات العربية ، الدكتور ابراهيم أنيس ، مــطبعة لجنة البيان العــربي ، الطبعة الثانية ١٩٥٢م .
★ في النحو العربي : نقد وتوجيه ، الدكتور مهدي المخــزومي ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٦٤م .
★ القراءات القرآنيّة في ضوء علم اللغة الحديث : الدكتور عبدالصبور شــاهين ،

دار القلم ، ١٩٦٦م .
★ القلب والابدال : لابن السكيت (ضمن الكنز اللغوي في اللسان العربي) تح : هغنر ، ليبزج ١٩٠٥م .
★ قواعد اللغة السومرية ، الدكتور فوزي رشيد ، وزارة الاعلام بغداد ١٩٧٢م .
★ كتاب سيبويه (ابي بشر عمرو) (ت ١٨٠) ، المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق ، مصر ١٣١٦هـ .
★ كتاب الكتاب ، لابي محمد بن عبدالله بن درستويه (ت ٣٤٦هـ) نشره واضاف اليه الملحوظات والفهارس لويس شيخو اليسوعي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٢٧م .
★ كتب ورسائل ابي الوليد مروان بن جناح القرطبي ، تح : جوزيف وهارتوج ديرنبورغ ، امستردام ، فيلوبرس ١٩٦٩م .
★ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل لجارالله محمود بن عمر الزمخشرى (ت ٥٢٨هـ) دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان .
★ لسان العرب : لابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ودار بيروت ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦م .
★ لطائف الاشارات لفنون القراءات ، لشهاب الدين القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) تح : عامر السيد عثمان ، دكتور عبدالصبور شاهين ، مطابع الاهرام التجارية ، القاهرة ١٩٧٢م .
★ لغات البشر ، اصولها وطبيعتها وتطورها ، ماريو باي ، ترجمة صلاح العربي ، الجامعة الامريكية ، القاهرة ١٩٧٠م .
★ اللغات في القرآن : رواية ابن حسنون باسناده الى ابن عباس ، تح : الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ـ الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م .
★ اللغة ، ج . فندريس ، تعريب عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص مطبعة لجنة البيان العربي .
★ اللغة العربية/ معناها ومبناها ، الدكتور تمام حسان ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣م .
★ اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية ، اقليمس يوسف داود الموصلي السرياني ، مطبعة دير الآباء الدرومنيكيين ، الموصل ١٨٧٩م .
★ اللهجات العربية في التراث ، الدكتور احمد علم الدين الجندي ، مطابع الهيأة

المصرية العامة للكتاب .
★ لنهجة البدو في اقليم ساحل مريوط ، الدكتور عبدالعزيز مطر ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ .
★ لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة ، غالب فاضل المطلبي ، وزارة الثقافة والفنون ، ١٩٧٨ .
★ ماورد في القرآن من لغات القبائل/ المنسوب لابي القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) على هامش تفسير الجلالين ، الطبعة الثالثة ، ١٩٥٤م .
★ مجالس ثعلب – لابي العباس بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١هـ) . تح : عبدالسلام هرون ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٠م .
★ محاضرات في اللغة ، الدكتور عبدالرحمن ايوب ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٦م .
★ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها – لأبي الفتح عثمان بن جني ، تح : علي النجدي ناصف وآخرين ، القاهرة ١٩٦٦ – ١٩٦٩م .
★ المحكم في نقط المصاحف ، لابي عمر عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ) تح : عزة حسن ، وزارة الثقافة والارشاد القومي . دمشق ١٩٦٠م .
★ المحيط في اصوات العربية ونحوها وصرفها لمحمد الانطاكي ، مكتبة دار الشرق ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٢م .
★ المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة ، اغناطيوس غويدى منشورات الجامعة المصرية ، القاهرة ، مطبعة السناتو للدكتور يوحنا بردى في رومية ١٩٣٠م .
★ المخصص ، لعلي بن اسماعيل بن سيدة (٤٥٨هـ) المكتب التجاري للطباعة (اوفسيت عن طبعة المطبعة الكبرى الاميرية بالقاهرة – ١٣٢١هـ) .
★ المدخل الى علم اللغة العربية ، الدكتور محمود فهمي حجازي ، دار الثقافة . القاهرة ١٩٧٩ .
★ المزهر في علوم اللغة وانواعها لعبدالرحمن جلال الدين السيوطي . تح : محمد احمد جاد المولى الكتب العربية – الطبعة الرابعة ١٩٥٨ م .
★ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، لاحمد بن محمد الفيومي (ت ٧٧٠هـ) ، المطبعة الاميرية ، الطبعة الثالثة ١٩١٢م .
★ المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية : لمحمد رشاد الحمزاوي (ضمن

حوليات الجامعة التونسية ، العدد ١٤ السنة ١٩٧٧م .)
★ معاني القرآن ، لابي زكريا يحيى بن زياد الفــراء (ت ٢٠٧هـ) . تح : احمــد يوسف نجاتي وآخرين ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥ ـ ١٩٧٢م .
★ المفصل في علم اللغة العربية ، لجارالله بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ) مـطبعة حجازي . القاهرة .
★ المفصل في قواعد اللغة السريانية ، المطبعة الاميرية ببولاق . القاهرة ١٩٣٥
★ المقتضــب ، لابي العباس محمــد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) . تح : محمـــد عبدالخالق عظيمة ـ القاهرة ١٣٨٦هـ .
★ مقدمة ابن خلدون (عبدالرحمن ... المغــربي) (ت ٨٠٨هـ) مــطبعة مصــطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة .
★ مقدمتان في علوم القرآن ، نشر وتحقيق الدكتور آرثر جفرى ، تصويب عبدالله اسماعيل الصاوي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الثانية١٩٧٢م .
★ المقنع في معرفة مرسوم مصاحف الامصار ، لابي عمرو عثمان بن ســعيد ابن عمر الداني (٤٤٤هـ) . تح : محمد احمد دهمان ، مطبعة الترقــي . دمشــق ١٩٤٠م .
★ الممتع في الصرف ، لابن عصــفور الاشــبيلي (ت ٦٦٩هـ) . تح : فخــر الدين قباوة ، المطبعة العربية ١٩٧٠م .
★ من اسرار اللغــة ، الدكتور ابراهيم أنيس ، المكتبة الانجلو مصرية ، مــطبعة لجنة البيان العربي ، الطبعة الثانية .
★ مناهج البحث في اللغة ، الدكتور تمام حسان ، المكتبة الانجلومصرية . القاهرة ١٩٥٥م .
★ المنصف ، لابي الفتح عثمــان بن جني (ت ٣٩٢هـ) . تح : ابراهيم مصــطفى وعبدالله امين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي . القــاهرة ، الطبعــة الاولى ١٩٥٤م .
★ موسيقى الشعر ، الدكتور ابراهيم أنيس ، المكتبة الانجلو مصرية ١٩٦٥م .
★ النشر في القراءات العشر ، للحافظ ابي الخير محمــد بن محمــد الدمشــقي الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) باعتناء علي بن محمد الضــياع ، مــطبعة مصطفى محمد بمصر .
★ همع الهوامع : شرح جمع الجــوامع في علم العــربية للســيوطي ، تصــحيح

النعساني ، دار المعرفة (اوفسيت) بيروت .

★ الوجيز في فقه اللغة ، لمحمد الانطاكي ، مكتبة الشهباء ، حلب ١٩٦٩ .

٢ ـ المخطوطة :

★ اصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي ، سهيلة ياسين الجبوري ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٧٤م .

★ شرح التسهيل ، لابن ام قاسم حسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ) تحقيق : حسين تورال ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٧١م .

★ الاصول (ضمن ابن السراج النحوي واراؤه النحوية والصرفية مع تحقيق كتاب الاصول المنسوب اليه ، للدكتور عبدالحسين الفتلي رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ١٩٧٠م .

★ التكملة لابي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) . تح : كاظم بحر المرجان رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٢م .

★ المثلث ، لابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ) . تحقيق : صلاح مهدي علي ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٧٨ .

★ مجموع في اللغة والنحو منقول عن خط ابن الخشاب (يشار اليها في اثناء البحث بمخطوطة كوبرلي) ، كوبرلي ١٣٩٣هـ المعهد ١٤٩ نحو استنبول (مصورة الدكتور طارق الجنابي) .

★ محاضرات الاستاذ بول كراوس في فقه اللغة على طلبة الليسانس في كلية الآداب ، جامعة فؤاد الاول (القاهرة) للسنة الدراسية ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ (مخطوطة الدكتور مهدي المخزومي) .

★ المستوفي النحو (ضمن : علي بن مسعود الفرغاني وجهوده النحوية مع تحقيق كتاب المستوفي في النحو) رسالة دكتوراه : حسن عبدالكريم الشرع ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٧٨م .

★ معاني القرآن : للاخفش الاوسط ، سعيد بن مسعدة المجاشعي (ت ٢١٥) مكتبة استانة قدس في مدينة مشهد ـ ايران ، رقم ٣ : ٦٩ رقم ٢١٠ (مصورة الدكتور عبدالامير الورد) .

★ الموضح لمذاهب القراء في احكام الفتح والامالة ، لابي عمر بن عثمان ابن

ســعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) ـ مـكتبة عارف حـكمت بالمدينة (١٣ قـراءات) (مصورة الدكتور طارق الجنابي)

٣ ـ الاجنبية :

1. Acient west - Arabian, by Chaim Rabin, London, Taylor's foreign press, 1951.
2. (The) Akkadian Language, by L. A. Lipn, Moscow, 1973.
3. A course in phonetics, by Peter Ladefoged, New York, Harcourt, 1975.
4. Elements of acoustic phonetics, by Peter Ladefoged, Edinburgh, Oliver, 1962.
5. Elements of general phonetics, by David Abercombie, Edinburgh University press, 1967.
6. Encyclopaedia Britannica, 15th ed., 1968.
7. General linguistics an introductory survey, by R.H. Robins, 2nd ed., London, Longman, 1975.
8. Grammar of the Arabic language, by W. Wright, 3rd ed., Beirut, Librairie du Liban, 1974.
9. An introduction to the comparative grammar of semitic languages, by Sabatino Moscati (and others), Wiesbaden, Harrassowitz, 1964.
10. Old Akkadian writing and grammar, by Ignace Gelb, Chicago, University of Chicago, 1961.
11. An outline of English phonetics, by Dr. Dani Jones, 9th ed., Cambridge, W. Heffer and sons Ltd., 1972.
12. (The) Oxford English dictionary, 3rd ed., Oxford at the Clarendon press.
13. (The) phonetics of Arabic, by W. H. T. Gairdner, Oxford University press, 1925.
14. The pronunciation of English, by Daniel Jones, 4th ed., rev. andenl., Cambridge, University press, 1966.
15. Traite de philologie Arabe, by Henri Fleisch, Beyrouth, Imprimerie Catholique, 1961.

٤ ـ المجلات والنشرات :

★ افاق عربية ، بغداد ، السنة الثانية ، العدد السابع ، آذار ١٩٧٧ .

★ البحوث والمحاضرات /مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، مؤتمر ١٩٦١ ـ ١٩٦٢م .

★ بين النهرين ، الموصل ، السنة السادسة العدد ٢٢ ـ ٢٣ السنة ١٩٧٨ .

★ حواليات الجامعة التونسية ، تونس ، العدد الحادي عشر ، لسنة ١٩٧٤ .

★ حوليات الجامعة التونسية ، تونس ، العدد ١٤ ، ١٩٧٧ .

★ مجلة كلية الآداب/ جامعة فؤاد الاول (القاهرة) المجلة الثامن ، العدد الاول ، مايو ١٩٤٦ .

★ مجلة كلية الآداب/ جامعة فؤاد الاول ، (القاهرة) ، المجلد العاشر ، الجزء الاول ، مايو ١٩٤٨ .

★ مجلة كلية الآداب/ جامعة فؤاد الاول ، (القاهرة) ، المجلد العاشر الجزء الثاني ، ديسمبر ١٩٤٨ .

★ مجلة كلية الآداب ، جامعة فاروق الاول (الاسكندرية) ، المجلد الثاني ، ١٩٤٤ .

★ مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، المجلد الثالث والعشرون الجزء الاول ١٩٦٥ .

★ مجلة كلية الامام الاعظم ، الجزء الرابع ، ١٩٧٨ .

★ مجلة اللسان العربي ، الرباط ، المغرب ، المجلد الخامس عشر ، الجزء الثاني عام ١٩٧٧ .

★ مجلة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، المجلد الرابع والعشرون ، ١٩٧٤ .

★ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الاول ، المجلد الخمسون ١٩٧٥ .

★ مجلة مجمع اللغة العربية ، بالقاهرة ، الجزء الثاني عشر ، ١٩٦٠ .

★ مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، العدد ٢٣ سنة ١٩٦٨ .

المحتويات

الاشراف الفني ـ صبحي عباس الجبوري

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٩٥٠ لعام ١٩٨٤


دار الحرية للطباعة



١٩٨٤

يعرض هذا البحث لطائفة من الاصوات اللغوية العربية ، هي تلك التي اصطلح عليها باصوات المد VOWELS والذي سوغ عزلها عن غيرها من الاصوات انها تمثل في علم الصوت بوجه عام طائفة يمكن تمييزها من غيرها تمييزاً دقيقاً في صفاتها وطرائق نطقها ووظائفها ثم في سلوكها في التأليف الصوتي .

لقد عزز هذا العزل ايضا نظرة اللغة العربية اليها على انها اكثر الاصوات اللغوية نزوعا الى الانقلاب والتغير والسقوط واشدها ضعفاً في اثناء التأليف واجنح من غيرها الى التنافر او التآلف وفاقا لتأثير السياق ، يزاد على ذلك ان البنية اللغوية العربية تنظر الى الاصوات اللغوية على انها تمثل ضربين من الاصوات هما :الثابتة والمتغيرة

السعر ــ ٥٠٠ر١ دينار وخمسمائة فلس

دار الحرية للطباعة ــ بغداد   توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان

تصميم الغلاف ــ نادية محمد شيت